أوديل مورو

الدولة العثمانية في عصر الإصلاحات

رجال «النظام الجديد» العسكري وأفكاره ١٨٢٦-١٩١٤

ترجمة: كارمن جابر

المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

Scanned with CamScanner

الدولة العثمانية

في عصر الإصلاحات

رجال «النظام الجديد» العسكري وأفكاره

1826-1914

Scanned with CamScanner

هذه السلسلة

في سياق الرسالة الفكرية التي يضطلع بها «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات»، وفي إطار نشاطه العلمي والبحثي، تُعنى «سلسلة ترجمان» بتعريف قادة الرأي والنخب التربوية والسياسية والاقتصادية العربية إلى الإنتاج الفكري الجديد والمهم خارج العالم العربي، من طريق الترجمة الأمينة الموثوقة المأذونة، للأعمال والمؤلفات الأجنبية الجديدة أو ذات القيمة المتجددة في مجالات الدراسات الإنسانية والاجتماعية عامة، وفي العلوم الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والسياسية والثقافية بصورة خاصة.

وتستأنس «سلسلة ترجمان» وتسترشد بآراء نخبة من المفكرين والأكاديميين من مختلف البلدان العربية، لاقتراح الأعمال الجديرة بالترجمة، ومناقشة الإشكالات التي يواجهها الدارسون والباحثون والطلبة الجامعيون العرب كالافتقار إلى النتاج العلمي والثقافي للمؤلفين والمفكرين الأجانب، وشيوع الترجمات المشوَّهة أو المتدنية المستوى.

وتسعى هذه السلسلة، من خلال الترجمة عن مختلف اللغات الأجنبية، إلى المساهمة في تعزيز برامج «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» الرامية إلى إذكاء روح البحث والاستقصاء والنقد، وتطوير الأدوات والمفاهيم وآليات التراكم المعرفي، والتأثير في الحيز العام، لتواصل أداء رسالتها في خدمة النهوض الفكري، والتعليم الجامعي والأكاديمي، والثقافة العربية بصورة عامة.

Scanned with CamScanner

مكتبة معهد الدراسات التاريخية للشرق الأوسط
وقف

الدولة العثمانية في عصر الإصلاحات

رجال «النظام الجديد» العسكري وأفكاره 1826-1914

أوديل مورو

ترجمة

كارمن جابر

مراجعة

سعود المولى

المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

Scanned with CamScanner

الفهرسة في أثناء النشر - إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
مورو، أوديل
الدولة العثمانية في عصر الإصلاحات: رجال «النظام الجديد» العسكري وأفكاره 1826-1914 / أوديل مورو؛ ترجمة كارمن جابر؛ مراجعة سعود المولى.
416 ص.؛ 24 سم. - (سلسلة ترجمان)
يشتمل على ببليوغرافية (ص. 351-390) وفهرس عام.
ISBN 978-614-445-234-9
1. الإمبراطورية العثمانية - التاريخ العسكري. 2. الجيش - تاريخ - العصر العثماني.
3. االتجنيد الإجباري - تاريخ - العصر العثماني. 4. الجنود - تاريخ - العصر العثماني.
5. العسكريون العثمانيون. أ. جابر، كارمن. ب. المولى، سعود. ج. العنوان. د. السلسلة.
956.1015

هذه ترجمة مأذون بها حصريًا من المؤلفة لكتاب
L'Empire ottoman à l'âge des réformes
Les hommes et les idées du «Nouvel Ordre» militaire, 1826-1914
by Odile Moreau
Copyright © Institut français d'études anatoliennes, 2007
عن دار النشر
Institut français d'études anatoliennes
Maisonneuve & Larose

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن
اتجاهات يتبناها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

الناشر
المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

شارع الطرفة - منطقة 70
وادي البنات - ص. ب: 10277 - الظعاين، قطر
هاتف: 00974 40356888

جادة الجنرال فؤاد شهاب شارع سليم تقلا بناية الصيفي 174
ص. ب: 11 4965 رياض الصلح بيروت 2180 1107 لبنان
هاتف: 8 837 991 1 00961 فاكس: 00961 1991839
البريد الإلكتروني: beirutoffice@dohainstitute.org
الموقع الإلكتروني: www.dohainstitute.org

© حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

الطبعة الأولى
بيروت، كانون الأول/ ديسمبر 2018

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

المحتويات

قائمة الجداول والصور والخرائط 11

شكر وتقدير 13

مقدمة 15

استهلال 19

القسم الأول
رجال الجيش العثماني المُعاد تنظيمه

الفصل الأول: أن تكون عسكريًا في الدولة العثمانية 33

أولًا: التجنيد الإجباري 33

1- جيش محمود الثاني الجديد 34

2- إصلاح عام 1869 39

3- الحرب الروسية - التركية في عامي 1877 و1878 43

4- قانون التجنيد الصادر
في 25 تشرين الثاني/ نوفمبر 1886 51

5- مسألة تجنيد غير المسلمين 54

6- قانون التجنيد لعام 1914 62

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

ثانيًا: الإعفاءات
1 - الإعفاءات الإقليمية 65
2 - الإعفاءات الظرفية 66
3 - البدل التعويضي 67
..... 69

الفصل الثاني: الثقافة والشهادات 71
أولًا: الموارد العلمية الغربية ودورها في تحديث الجيش العثماني 71
ثانيًا: شهادات المركز 78
1 - الكلية الحربية 79
2 - كلية الأركان العامة 85
3 - الإصلاحات التي أدخلها فون در غولتز 91
4 - التصوير: علم حديث في الجيوش 94
5 - إيفاد الطلاب العثمانيين إلى الخارج 96
6 - المتدربون العثمانيون في الجيش الألماني 98
7 - ضباط ألمان في الجيش العثماني 99
ثالثًا: شهادات الولايات 102
1 - مدارس عسكرية في الولايات 102
2 - مدرسة العشائر 104
رابعًا: الشهادات عامل اندماج وارتقاء اجتماعي 112

الفصل الثالث: مجالات القطاع العسكري:
نحو استيعاب الأطراف 115

Scanned with CamScanner

أولًا: مأسسة أفواج الفرسان البوسنيين في عام 1874 118
1- تشكيل الأفواج 121
2- اختبار الحرب 125
ثانيًا: تنظيم أفواج الفرسان غير النظامية:
الأفواج الحميدية (1891-1908) 128
1- نشأة مشروع سلاح الفرسان الحميديين 134
2- تنظيم قوات الفرسان الحميدية 141
3- الاتحاديون وزعماء العشائر الحميدية:
نحو نهاية السلطات المحلية (1908-1914) 156
4- محاولات في ولايات أخرى 161
ثالثًا: نحو نهاية الإعفاءات: طرابلس الغرب (1902) 163

القسم الثاني
ضباط وجنود ونزاعات في الجيش

الفصل الرابع: الغازي في مقابل الفرد
ثلاثة عمداء عثمانيين في مواجهة
السلطة الحميدية: أحمد مختار وسليمان وعثمان 171
أولًا: الغازي أحمد مختار باشا
أو المجد من دون السلطة (1839-1919) 172
1- مسيرته العسكرية 173
2- وظائفه المدنية 179
3- التصورات 184
ثانيًا: سليمان حسنو باشا أو الوجه الآخر للسلطة (1838-1892) 188

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

1- الجنرال السياسي 190
2- ضحية «التطهير» 191
3- المشير - المعلم 193
4- نامق كمال وسليمان باشا 194
5- حياته في المنفى 196
ثالثًا: الغازي عثمان باشا أو المجد والسلطة (1833-1900) 200
1- مسار عسكري تقليدي 200
2- حصار بليفني 203
3- التكريس 206
4- مشير القصر الكبير في دائرة السلطة 207
الفصل الخامس: النزاع في داخل الجيش العثماني
في آخر أيام الدولة العثمانية 213
أولًا: أسباب السخط في الجيش 214
1- العوامل الاقتصادية والمالية 214
2- عوامل التوترات المعنوية والنفسية 221
3- عوامل التوترات الهرمية:
الانقسام بين الضباط الخريجين وضباط الصف 226
ثانيًا: دينامية الضباط 229
1- التزام الضباط 229
2- دور الجيش كما تصوّره مفكر من «تركيا الفتاة» 231
ثالثًا: هدم انضباط الرجال 233

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

1 - المتخلفون عن التجنيد 233
2 - انتفاضات الجنود 234

القسم الثالث
الجيش والسياسة في بداية القرن العشرين

الفصل السادس: الجناح المدني للاتحاديين في السلطة (1908-1913) 249

أولًا: الإصلاحات العسكرية لتركيا الفتاة في عام 1908 249
1 - انفجار عام 1908 249
2 - هل هي عودة إلى التقليد الانكشاري العتيق؟ 252
3 - هل هي ثورة؟ 254
4 - التطهير الكبير داخل الجيش 257

ثانيًا: الانقلابات والمواجهات العسكرية 274
1 - المواجهة الأولى بين فصيلين من الجيش:
حوادث 13 نيسان/ أبريل 1909 275
2 - المواجهة الثانية بين فصيلين من الجيش:
انقلاب محمود شوكت باشا 277
3 - جيش في حالة تحوّل (1909-1912) 283
4 - انقلاب الضباط المحرِّرين (1912) 294

ثالثًا: من حرب إلى أخرى 301
1 - الحرب الإيطالية - التركية 302
2 - بداية حروب البلقان 307

Scanned with CamScanner

الفصل السابع: الجناح العسكري لتركيا الفتاة في السلطة (1913-1914) 313
أولًا: الجيش يستولي على السلطة 313
1- الهجوم على الباب العالي 314
2- نهاية حروب البلقان وإعادة تنظيم الجيش 319
3- اغتيال محمود شوكت باشا 321
4- بعثة عسكرية ألمانية جديدة 322
ثانيًا: مسارات الحرب 325
1- عسكرة المجتمع 326
2- أنور في القيادة 327
3- أسرار تحالف 339
خاتمة 345
المراجع 351
فهرس عام 391

Scanned with CamScanner

قائمة الجداول والصور والخرائط

الجداول

(1-1): مدة الخدمة العسكرية 43

(1-2): القوات العثمانية القابلة للتعبئة وفقًا لوزير الحربية 46

(1-3): توزيع الخدمة العسكرية في عام 1903 57

(1-4): مدة الخدمة العسكرية في عام 1914 63

(2-1): توزع خريجي كليتي الأركان العامة وبانغالتي 87

(2-2): كلية الطب والصيدلة 88

(2-3): كلية هومباراخانه 88

(2-4): مواد السنة الأولى 90

(2-5): مواد السنة الثانية 90

(2-6): مواد السنة الثالثة 91

(3-1): مراكز الأفواج الحميدية 160

(4-1): تركة أحمد مختار باشا 185

(5-1): موازنة عام 1315هـ 218

(5-2): موازنة عام 1320هـ 218

(6-1): الأجور الجديدة 259

(6-2): عديد القوات العاملة 265

(6-3): جيش أوروبا 266

(6-4): جيش آسيا وغيرها 266

(6-5): عدد الضباط والجنود في عام 1909 284

(6-6): حدود سن الخدمة 285

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

(6-7): أجور عام 1912 290
(7-1): فيالق الجيش الجديدة 323
(7-2): أجور الضباط 334
(7-3): أجور ضباط الصف والجنود 335
(7-4): أجور المفتشين في الجيش 336
(7-5): أجور قادة فيالق الجيش 336
(7-6): عدد الطلاب في المدارس العسكرية لعام 1914 337

الصور

(2-1): كبار الضباط العثمانيين الذين شاركوا في الحرب اليونانية - التركية في عام 1897 97
(3-1): تقرير عسكري عثماني مؤرخ في 28 شباط/ فبراير 1909 116
(3-2): ضباط الأفواج الحميدية 140
(3-3): ثكنة أرزينجان 147
(3-4): فوج كتيبة المشاة الحميدية في طرابلس الغرب 163
(4-1): الغازي أحمد مختار باشا 172
(4-2): الغازي سليمان حسنو باشا 188
(4-3): الغازي عثمان باشا 200
(6-1): مناورات عثمانية 260

الخرائط

(مقدمة -1): الدولة العثمانية في مطلع القرن العشرين 17
(مقدمة -2): أراضي الدولة العثمانية قبيل الحرب مع روسيا 18

Scanned with CamScanner

شكر وتقدير

أبصر هذا العمل النور بفضل المركز الفرنسي لدراسات الأناضول (IFEA)؛ إذ استقبلني جورج دوميزيل على مدى سنوات عدة في خلال إعدادي لهذا العمل في تركيا، وأنا هنا أشكر بحرارة مديرَيْه جاك توبي وستيفان بيراسيموس. كما أتوجه بالشكر أيضًا إلى الوحدة البحثية UMR 5609 المتخصصة بدراسة موضوعات الدولة والمجتمع والأيديولوجيا والدفاع، التابعة لجامعة بول فاليري/ مونبلييه الثالثة، والمركز الفرنسي لدراسات الأناضول، الذين دعموا نشر هذا العمل، إلى جانب بيير شوفان الذي ضم هذا الكتاب إلى سلسلة منشورات المركز الفرنسي لدراسات الأناضول الصادرة بعنوان «الماضي العثماني، الحاضر التركي».

أود أن أعرب عن امتناني لجميع الذين رافقوا إنجاز هذا العمل، الذي اقتُطِعَ جزئيًا من أطروحة دكتوراه في التاريخ قُدِّمَتْ في جامعة السوربون (جامعة باريس الرابعة). ينطلق التحقيب في هذا الكتاب من تاريخ القضاء على فيالق الانكشاريين (1826) وصولًا إلى أوائل الحرب العالمية الأولى (1914)، الأمر الذي أدى بنا إلى توسيع النطاق الأولي لهذه الدراسة وترجيح كفة موضوعات التاريخ الاجتماعي.

أود أن أشكر الأشخاص العاملين في المحفوظات والمكتبات جميعهم الذين قمت باستشارتهم، في فرنسا وتركيا وألمانيا، لمساعدتهم الثمينة وجهوزيتهم الطيبة.

في فرنسا، أتوجه بالشكر إلى قطاع الخدمة التاريخية للقوات البرية الفرنسية (SHAT) في فانسين، وإلى وزارة الخارجية في باريس، وإلى المحفوظات القنصلية في نانت، وفي مكتبات اللغات الشرقية في جامعة السوربون، وفي الجمعية الآسيوية، والمكتبة الوطنية...

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

في تركيا، أتوجه بالشكر إلى محفوظات رئاسة مجلس الوزراء (Başbakanlık Arşivi)، وإلى المحفوظات العسكرية في أنقرة (ATASE)، وإلى محفوظات البحرية في اسطنبول، في مكتبات المركز الفرنسي لدراسات الأناضول، وفي معهد الشرق، والمتحف العسكري، والكلية الحربية، ومكتبة أتاتورك البلدية، ومحفوظات مركز الدراسات الإسلامية في اسطنبول (ISAM)، والمحفوظات العسكرية في اسطنبول (ATASE)، والمكتبة الوطنية، وجمعية التاريخ التركية (TTK) في أنقرة...

- في ألمانيا، أتوجه بالشكر إلى المحفوظات العسكرية في مدينة فرايبورغ، وإلى المحفوظات الدبلوماسية في بون ثم في برلين، وفي مكتبات جامعة فرايبورغ، وفي محفوظات السمينار الشرقي في جامعة فرايبورغ، وفي مكتبة الدولة (Stabi)، ومركز دراسات الشرق الحديث (Zentrum Moderner Orient) في برلين.

كما أتوجه بالشكر إلى المشرف على أطروحتي، جاك فريمو، وإلى أعضاء لجنة التحكيم، جان بول شرناي وفرانسوا جورجون وجاك توبي لقراءتهم المتأنية وتصويباتهم وملاحظاتهم المفيدة. كما أوجه امتناني أيضًا إلى أورهان كولوغلو الذي قام بقراءة المخطوطة مرات عدة.

كما أشير إلى أن تفكيري اغتنى بالتبادل الفكري الذي جرى في الحلقات الدراسية وورش العمل وطاولات الحوار المستديرة وحلقات البحث. فالشكر كله للمشاركين والمشاركات فيها جميعًا.

تنتمي الوثائق التصويرية التي يضمها هذا الكتاب إلى مجموعة مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (IRCICA) في اسطنبول، والمجموعة الخاصة بأورهان كولوغلو في اسطنبول، إلى جانب المحفوظات الدبلوماسية الألمانية. وأشكر أكمل الدين إحسان أوغلو وأورهان كولوغلو وبيتر غروب لسماحهم بنشرها.

أخيرًا، أشكر عائلتي وأصدقائي الذين رافقوني في خلال هذه السنوات من البحث، وأهدي هذا الكتاب إلى والدتي تكريمًا لتشجيعها المستمر.

Scanned with CamScanner

مقدمة

تشير عملية القضاء على الجيش الانكشاري في عام 1826 إلى بداية التزام الجيش العثماني مسارًا تغييريًا مستدامًا، ما عكس في الوقت نفسه سياسات النخب الحاكمة والتوترات القائمة في مجتمع مأزوم. عاش المجال السياسي العثماني كثيرًا من الانقطاعات؛ كالانقلاب الذي وقع في عام 1876، وثورات عام 1908، وتلك التي حصلت في عشرينيات القرن الماضي. من ناحية أخرى، تكشف لنا دراسة الإصلاحات استمرارية واضحة في خلال «القرن التاسع عشر الطويل»، بما في ذلك بداية القرن العشرين. ولا تختلف عنها الإصلاحات العسكرية في القرن التاسع عشر حتى قيام الثورة الكمالية في أوائل عشرينيات القرن الماضي، كما تظهر ذلك المراحل المختلفة لعملية التغيير. تمكننا هذه المقاربة من إعادة النظر في المراحل المتعارف عليها، كما من تقديم منظور استكشافي جديد.

من هم رجال «النظام الجديد» العسكري - جيش التجنيد الإجباري الجديد - وما كانت أفكارهم؟ ينبغي الأخذ في الحسبان التنوع القائم في الجيش العثماني، وأوجه التفاوت الموجودة في الجسم العسكري وفي المواقع العسكرية، وبين الضباط والجنود أيضًا. كيف قلب تجنيد الضباط والجنود العقليات والحياة اليومية؟ إلى أي مدى كان الجيش العثماني بوتقة للانصهار الوطني، وصولًا إلى تجنيد غير المسلمين بعد ثورة «تركيا الفتاة» في عام 1908؟ في هذا الصدد، قامت المدارس العسكرية الجديدة في الدولة العثمانية بدور ريادي من خلال توفير ما يسمى المعارف العلمية الحديثة، حيث ستحتفظ بحصريتها عقودًا عدة، وتساهم في تغيير تصورات الأجيال الجديدة من الضباط المتعلمين.

Scanned with CamScanner

سنعتمد معايير تقويم كثيرة، عبر مقاربة اجتماعية مصغّرة للجهات الفاعلة تتقاطع مع مقاربة أكثر شمولًا للإصلاحات العسكرية ضمن إطار الدولة. لقد كانت الإصلاحات العسكرية العثمانية مدفوعة من مركز الدولة، وسوف نحاول إجراء مسح ميداني لها. كما سنقيس بتمعن بروزها أيضًا في أطراف الدولة: في أوروبا، بما فيها البوسنة، في الأناضول الشرقية مع الأفواج الحميدية، وفي أفريقيا مع ولاية طرابلس الغرب، الأمر الذي يسمح لنا بتحليل علاقات القوة بين القوى المحلية والسلطات المركزية. كانت الدولة العثمانية إمبراطورية متصلة جغرافيًا، إلا أنها كانت تخفي حقائق مختلفة، من المنظور الجغرافي والاجتماعي والسياسي والثقافي. لم يكن بالإمكان إخضاع بعض المقاطعات النائية للخدمة العسكرية، أو أنها أُخضِعَتْ لها بشكل جزئي جدًا، غير أنها كانت تُعفى عندما تظهر علامات التمرد. سنقوم أيضًا بتحليل عملية رفع الإعفاءات والتفاوض بين سلطات الدولة والسلطات المحلية.

لتتبع المسارات الحياتية للضباط، قمنا بتقديم صورة عن عدد من الشخصيات العسكرية الرفيعة المستوى، عبر مقاربة الجيش من خلال «شخصيات رئيسة». الشخصيات التي اختيرت من بين أبطال الحرب الروسية - التركية بين عامي 1877 و1878 تكشف لنا عن مسارات متباينة جدًا وتقودنا، بسبب من التزامها، إلى التساؤل عن أشكال الاعتراض في الجيش. يُعبّر الضباط والجنود عن تحديات متعددة سنقوم بتحليلها لفهم كيف اجتمعت في ما بينها لتؤدي إلى «ثورة تركيا الفتاة» في عام 1908، ثم إلى سقوط النظام الحميدي واستيلاء الجيش على السلطة. تقودنا هذه الموازين الجديدة للقوى إلى التساؤل عن توزيع القوى في المجتمع، خصوصًا عن المكانة المسندة إلى الجيش. إن تطور الجيش التركي المعاصر، فضلًا عن دوره الاجتماعي والسياسي، بدأ في أوائل القرن العشرين، في خلال مرحلة مضطربة جدًا، تميزت بانقلابات في القوى وبسلسلة من الحروب.

يتوزع الكتاب على أربعة أقسام: **الأول** مخصص لجنود «النظام الجديد» العسكري: التجنيد الإجباري وإعفاءاته. ما هو دور الثقافة، وكيف كانت المؤهلات عاملًا من عوامل الاندماج والترقي الاجتماعي؟ ويركز **الثاني** على المجالات العسكرية والدمج المحيطي. فمن ناحية، هناك الإنشاء التدريجي للمجال المركزي عبر تأليف هيئات للجيش، ومن ناحية أخرى، تطور المجالات المحيطة، حيث

Scanned with CamScanner

نقدّم ثلاث دراسات حالة: مأسسة أفواج الفرسان البوسنيين (1874)، تأسيس الأفواج الحميدية (1891) ورفع بعض الإعفاءات الإقليمية: طرابلس الغرب (1902). موضوع القسم الثالث هو الضباط والجنود في مطلع القرن العشرين: صورة مصغرة عن الضباط من خلال ثلاث شخصيات، والتحديات القائمة في الجيش في أواخر أيام الدولة العثمانية. أما القسم الرابع[1] والأخير فيتناول كيف استغل الجيش المجال المدني العام في أوائل القرن العشرين (التدخل العسكري في الساحة السياسية عبر الانقلابات العسكرية) وكيف أدى ذلك إلى عسكرة المجتمع والدخول في الحرب العالمية الأولى.

الخريطة (مقدمة - 1)

الدولة العثمانية في مطلع القرن العشرين

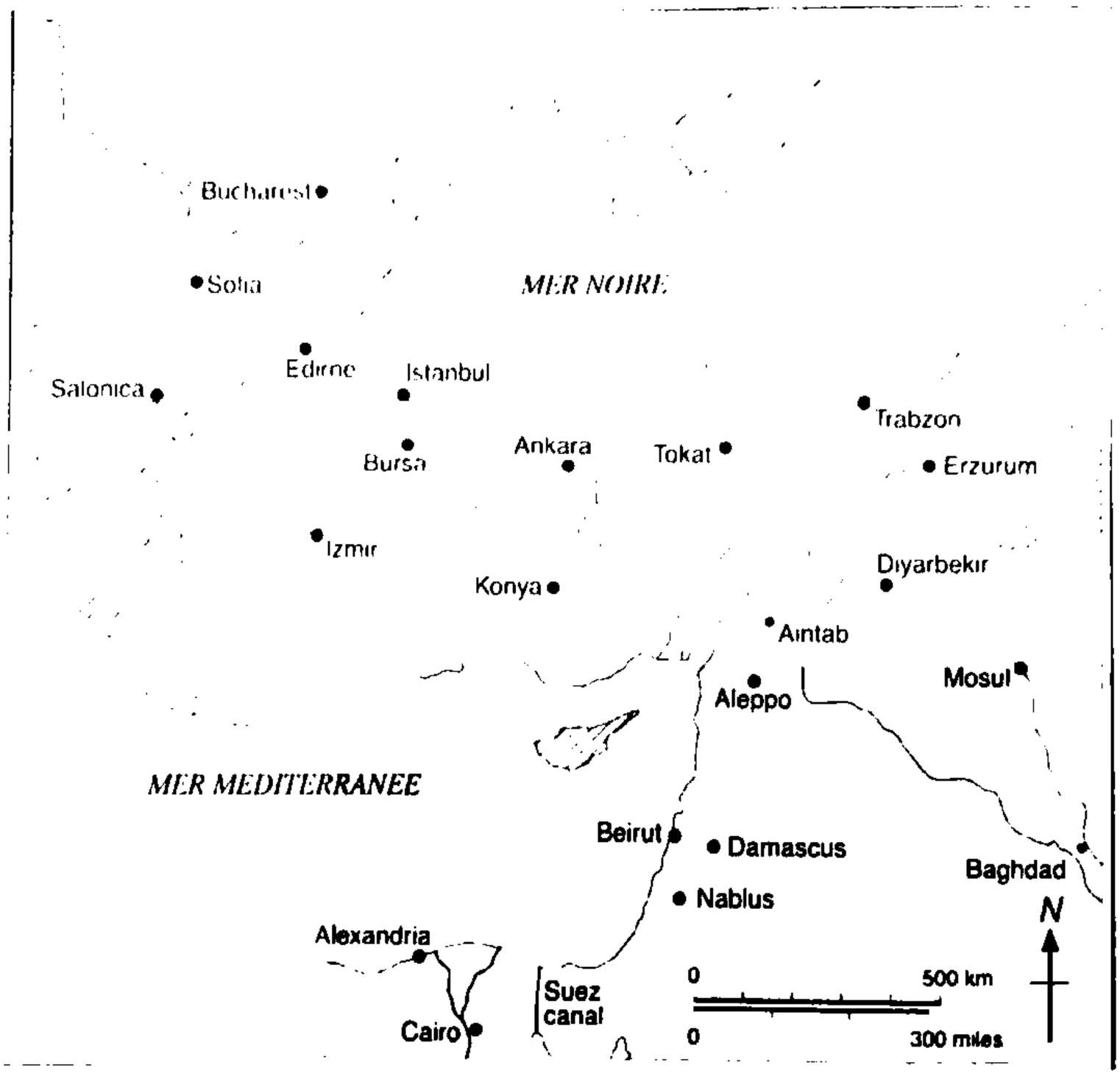

(1) هكذا ورد في الأصل الفرنسي، وهو في الواقع الفصل السابع من هذا الكتاب، المدرج ضمن القسم الثالث. (المراجع)

Scanned with CamScanner

الخريطة (مقدمة - 2)

أراضي الدولة العثمانية قبيل الحرب مع روسيا

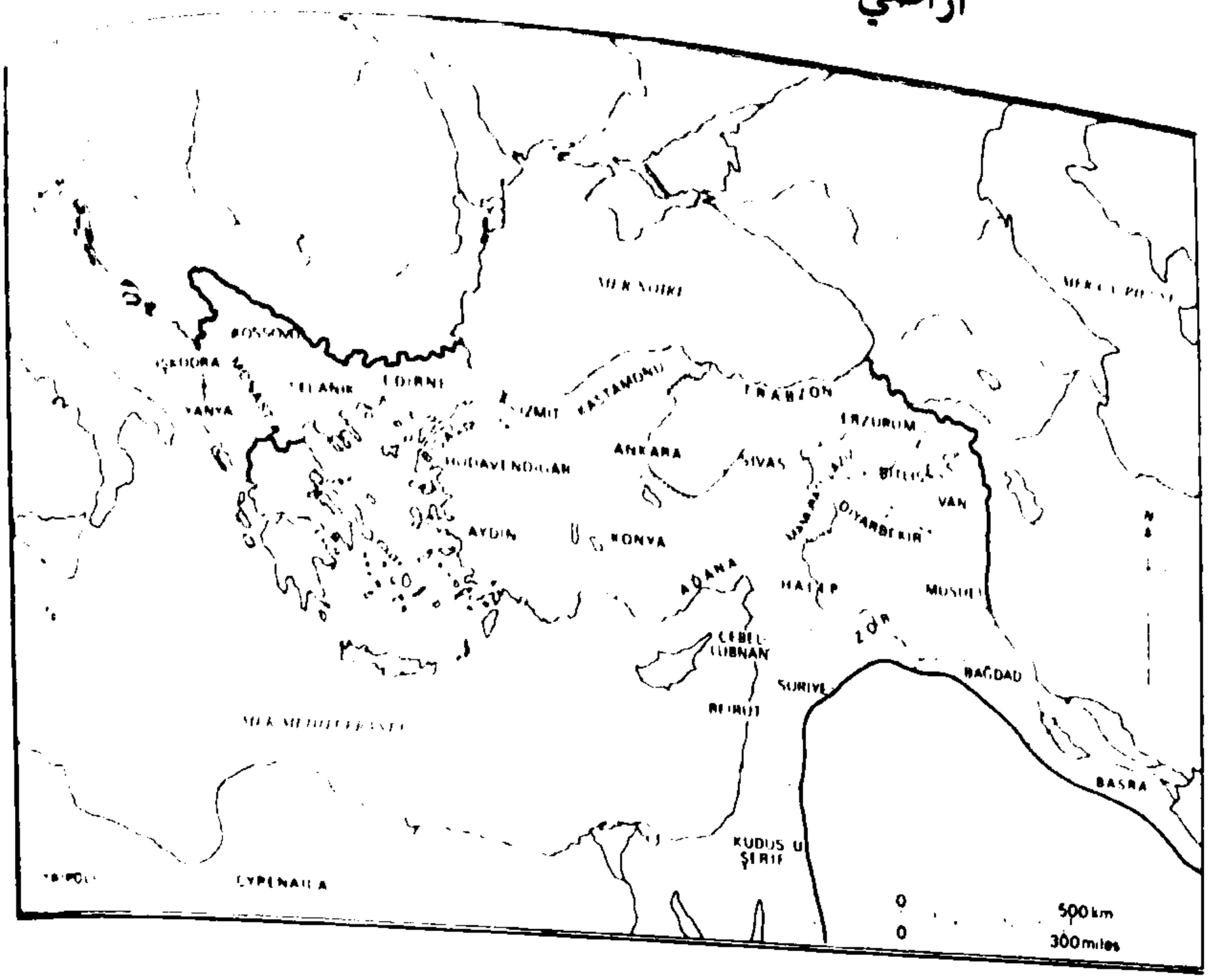

Scanned with CamScanner

استهلال

في أوج قوة الدولة العثمانية انقسم الجيش خمسة أقسام: الفرسان، والمشاة، وسلاح المدفعية، والبحرية، والأفواج الخاصة. تألفت فرقة الفرسان إلى حد كبير من التيمارجيين[1] الذين أمنوا معداتهم من خلال الإيرادات المخصصة لهم من السلطان. أما فرقة الفرسان الخفيفة (akıncı) فجرى تجنيدها بالأساس في الوسط العشائري التركي. وبالنسبة إلى فرقة المشاة، قُسمت إلى تشكيلات عدة. كان جنود المشاة (yaya أو piyâde)[2] يتمتعون بحيازات وامتيازات ضريبية. إلا أن أشهر هذه التشكيلات هي فرقة الانكشاريين (yeniçeri)، المؤلفة جزئيًا من الفتيان المسيحيين الذين جرى تجنيدهم ابتداءً من عهد مراد الأول (1362-1389). وأمكن الذين تميزوا في ساحة المعركة أن يحصلوا على تيمار[3] والمحظوظون أكثر أن يصبحوا من كبار موظفي الدولة، مع إمكان شغل مناصب تصل إلى منصب الصدر الأعظم. شكلت فرقة المشاة في الجيش الانكشاري قوة منضبطة

---

(1) كان السَّنْجَق أحد التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية، ويعني المنطقة أو المقاطعة بالعربية، كما اشتهر باسم لواء، ويعني العلم أو الراية، وهو الاسم الذي أطلقه العرب على هذه التقسيمات الإدارية والتي عُرفت جميعها في ما بعد بالألوية، حيث قُسمت الدولة العثمانية إلى محافظات، عُرفت الواحدة منها باسم الإيالة ثم الولايات في ما بعد، وقُسمت هذه الإيالات داخليًا إلى سناجق، عُرفت كذلك باسم الألوية، وعلى رأس كل منها مُمثل للسلطة العثمانية حمل لقب سنجق بيك، أو المُتصرّف بالعربية. قُسّمت الألوية داخليًا إلى إقطاعات أُطلق على الواحدة منها اسم تيمار، وهي أراضٍ ممنوحة من الدولة العثمانية لعليّة القوم، ويُطلق على مالك هذه الإقطاعية لقب تيمارجي، وهو يقوم بتجنيد فرسان لحاجات الدولة المركزية حين يطلب منه ذلك. (المراجع)

(2) فرق مشاة كانوا غالبًا من أصول مسيحية. (المراجع)

(3) تيمار: الأرض التي يعود دخلها إلى الخيال التيمارجي، عسكريًا كان أم مسؤولًا محليًا.

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

من قوات الصدم[4] ومجهزة تجهيزًا جيدًا، فكان الانكشاريون و«قوات الباب العالي» القوة المركزية المتمركزة بجزء كبير منها إلى جانب السلطان. وهكذا كانت ميليشيات دائمة، مدربة ومجهزة بشكل جيد، وتشكل العنصر الأكثر احترافًا في الجيش العثماني. من جانبها، توزعت القوات الإقليمية في أنحاء السلطنة جميعها، ووافقت تقسيماتها الإدارية والفرعية تقسيمات المقاطعات العثمانية. كانت مؤسسة الـ «تيمار»، وهي امتياز مالي، واحدة من أسس النظام العسكري والاجتماعي - الاقتصادي في السلطنة، ما سمح بالحفاظ على جيش كبير بتكلفة نقدية متواضعة[5].

تطورت الدولة العثمانية من مركزيّة مع السيطرة المباشرة على رعاياها، إلى حالة متوسطة من السيطرة المشتركة المركزية والطرَفية، وانتهت إلى إنشاء نظام للضبط والرقابة غير المباشرة بواسطة الأعيان المحليين[6].

سعت الإصلاحات العسكرية إلى الاقتباس من التقنيات الأوروبية لاستدراك تخلف غدا ملموسًا. وظهر هذا الأخير في النواحي العسكرية، وكانت نتيجته هزائم عدة متتالية. بدأت الإصلاحات في القرن الثامن عشر (1740) حيث سعى العثمانيون إلى إعادة بناء سلاح المدفعية وكسب أسلحة جديدة حاسمة في ميدان المعركة، ما شكل تحديًا تقنيًا ملحًا.

في منتصف القرن الثامن عشر، لم تعد الانكشارية تلك الأداة العسكرية المهيبة مثلما كانت إبان عظمة السلطنة، وباتت الاستعاضة عنها بندًا على جدول الأعمال. منذ عام 1750، قام العثمانيون بتعبئة واسعة أنبأت بالنظم اللاحقة لـ «النظام الجديد» (nizâm-i cedîd) لسليم الثالث (1789-1807)، ومن ثم جيش التجنيد الإجباري لمحمود الثاني (1808-1839). أصبحت الدعوة للقوات

---

(4) N. Beldiceanu, «L'Organisation de l'Empire ottoman,» dans: R. Mantran (éd.), *Histoire de l'Empire ottoman* (Paris: Fayard, 1989), pp. 130-132.

(5) من أجل تنظيم الجيش في الحقبة الكلاسيكية من السلطنة، يُنظر: G. Veinstein, «L'Empire dans sa grandeur (16ème siècle),» dans: Mantran, *Histoire de l'empire*, pp. 191-205.

(6) K. Barkey, *Bandits and Bureaucrats: The Ottoman Route to State Centralization* (Ithaca: Cornell University Press, 1994), p. 2.

Scanned with CamScanner

غير النظامية (*levend, sarıca, sekban*)[7] واسعة ومنتظمة، إلى حد أنه منذ حرب عام 1768، جرى تأليف جيش موازٍ للانكشاريين، أكثر عددًا منهم، مستبدلين بذلك الجنود الذين أصبحوا غير فاعلين (التيمارجيين والسباهية)[8]. استفاد الأعيان المحليون والسباهية[9] وملاكو الأراضي من ضعف السلطة المركزية في المناطق الطرفية، وذلك لتعزيز استقلالهم الذاتي والحفاظ على جيشهم الخاص. وفيما كان عدد الفرق التي يمكن استخدامها مباشرة من «الباب العالي» ينخفض، كانت تحل مكانها قوى محلية موازية[10].

انحرفت الفوائد المرتبطة بوظائف الانكشاريين، ما سبب مشكلات خطرة. فالإفادات الرسمية (esame) التي تسمح بجمع الراتب الشهري والحصص اليومية، كانت تُمرَّر أو كانت وهمية، ما سمح بتحويل الأموال لمصلحة الإداريين، وترك عدد كبير من الجنود بلا موارد. بالتالي، جرى تسجيل مدنيين في الجيش، وأصبح الفساد ظاهرة متفشية، ما أدى إلى إضعاف الجيش بوصفه قوة مقاتلة وإلى إثقال ميزانية الدولة. وذُكر هذا الأمر لسليم الثالث باعتباره إحدى المشكلات الرئيسة التي ينبغي إصلاحها[11].

في نهاية القرن الثامن عشر، شاركت الدولة العثمانية في حربين قاسيتين، واحدة ضد روسيا بين عامي 1768 و1774، وأخرى ضد روسيا والنمسا - المجر بين عامي 1787 و1792. تعتبر معاهدة كجك قينارجه في عام 1774

---

(7) سريجا وسكبان ولاوند هم مرتزقة من أصول فلاحية صار لهم شأن في الجيش العثماني كقوات غير نظامية. (المراجع)

(8) Virginia Aksan, «Ottoman Recruitment in the Late 18th Century,» in: E. J. Zürcher, *Arming the State: Military Conscription in the Middle East and Central Asia 1775-1925* (London: I. B. Tauris, 1999), pp. 21-23.

(9) فرسان خيالة مستقلون في الجيش النظامي أو تابعون للتيمارات والإقطاعات المحلية. (المراجع)

(10) A. Levy, «Military Reform and the Problem of Centralization in the Ottoman Empire in the 18th Century,» *Middle Eastern Studies*, vol. 18 (1982), p. 229; H. Inalcik, «Centralization and Decentralization in Ottoman Administration,» in: T. Naff and R. Owen, (éds.), *Studies in the Eighteen Century Islamic History* (Carbondale: South Illinois University Press, 1977), pp. 39-40, and S. Shaw and E. Shaw, *History of the Ottoman Empire and Modern Turkey* (Cambridge: Cambridge University Press, 1977).

(11) Aksan, «Ottoman Recruitment,» p. 24, and Levy, «Military Reform,» p. 229.

Scanned with CamScanner

الخسارة الإقليمية الأولى للسلطنة، حيث مُنِحَت شبه جزيرة القرم استقلالها. وفي حدث غير مسبوق، سلمت منطقة آهلة بأغلبية من المسلمين إلى دولة أوروبية. الأمر الذي أثار أزمة داخلية خطِرة، وفتح نقاشًا واسعًا حول مستقبل السلطنة. وإذ اختلفت التوصيات المتعلقة بالإصلاحات العسكرية، فإنها أجمعت على ضرورة استخدام الخبرات الأوروبية. تمنى المحافظون العودة إلى العصر الذهبي للسلطنة واستعادة الهياكل العسكرية التقليدية، في حين اقترح تيار آخر طريقًا وسطى مبقيًا على النظام العسكري القديم، مع التدريب والأسلحة الأجنبية. أخيرًا، دعا المتطرفون إلى إلغاء الجيش القديم - الذي اعتبروه غير قادر على إصلاح نفسه - لاستبداله بجيش منظم جديد، مجهز ومدرب وفق النماذج الأوروبية. وإلى حدٍ نصح بيروقراطيون عثمانيون المسؤولين باقتداء مثال «الكفار المنتصرين» إن هم أرادوا الصمود والبقاء. ذلك كله، مع الحفاظ على التقوى والإيمان في القوات العثمانية والتزامها الشريعة[12].

في عقب إبرام معاهدة كجك قينارجه، كَرَّسَ السلطان عبد الحميد الأول (1774-1789) جهده لإنشاء سلاح مدفعية وقوة بحرية مجددة تمامًا. عهد بإصلاح سلاح المدفعية إلى البارون دو طوط (François de Tott) - من أصل هنغاري وكان يعمل في خدمة فرنسا - يساعده في مهمته الاسكتلندي كامبل والفرنسي أوبير. قاموا بتأسيس تشكيل جديد سريع للمدفعية (*Humbaracı Topçuları*) قليل العدد، لكنه مجهز ومدرب بطريقة جيدة[13]. وجدد قوات البحرية جزايرلي حسن باشا، الذي عُين بمنصب الأميرال الأكبر في عام 1774. وأطلق شركة لبناء السفن الحديثة، بعد أن دُمِّرَتْ البحرية العثمانية في خلال معركة تششمه (Çeşme) مستقدمًا تقنيين أجانب برئاسة تقنيين فرنسيين اثنين، لوروا ودوريست. كما سعى أيضًا إلى تأليف طواقم جديدة من خلال افتتاح كلية هندسة للقوات البحرية.

---

(12) Aksan, «Ottoman Political Writing 1768-1808,» *International Journal of Middle East* [illegible] Vol 25 (1993), pp. 53-69.

(13) أنشأوا أساسًا جديدًا للمدفعية في هاسكوي، وأعادوا إحياء كلية الهندسة القديمة بمؤسسة الكونت دو بونفال، يُنظر: الفصل الأول من هذا الكتاب. غادر طوط الدولة العثمانية في عام 1776، وكامبل وأوبير فتابعا المهمة. يُنظر: «Les Débuts de la question d'Orient (1774-1839),» in Henri Mantran (éd.), *Histoire de l'empire*, p. 423.

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

أما بالنسبة إلى الانكشاريين والسباهية، فكان عليهم تقبل روحية جديدة من الانضباط والطاعة، وذلك عبر اتباع دورات تدريبية والحد من تغيب ملاكي التيمار، وأكمل هذا العمل لاحقًا سليم الثالث[14].

اعتُبر سليم الثالث رائد الإصلاح في القرن التاسع عشر، مع إنشاء تشكيل جديد للمشاة سمّاه «النظام الجديد» في عام 1794، مدرَّب على يد خبراء أجانب، ضباط فرنسيين وألمان، بوسائل خاصة[15]. وحصل تجنيد هذا الفيلق أساسًا في الأناضول، وكان في عام 1797 يضم 9200 مجند و27 ضابطًا، وزاد العدد في عام 1806، ليصل إلى 22,685 جنديًا يقودهم 1590 ضابطًا. من ناحية أخرى، أخفقت محاولات سليم الثالث للتجنيد في البلقان نتيجة لمعارضة الأعيان المحليين. وبات تجنيد الانكشاريين في خلال فترة حكمه أكثر صرامة. كما أنشئ تسلسل هرمي، مع رواتب مدفوعة كل شهر تبعًا للرتبة والمهارات. أصبح التدريب إلزاميًا، وجرى الفصل بين المهمات العسكرية والإدارية. كما أصبح توزيع التيمارات على السباهية يتم بطريقة أكثر صرامة وليس من طريق المحسوبيات.

شملت الإصلاحات البحريةَ أيضًا، من خلال تحسين توظيف البحارة وتدريبهم وإعادة تنظيم الترسانات. إلا أنه في أيار/ مايو 1807، واجه سليم

---

(14) Ibid., p. 424.

(15) أنشأ سليم الثالث (1789-1807) في عام 1794 تشكيلًا جديدًا للمشاة سمّاه «النظام الجديد» (nizâm-i cedîd) كان مدربًا على الطريقة الأوروبية على يد ضباط فرنسيين وإنكليز وألمان وممولًا بموارد مالية خاصة ومجندًا بالأساس من الأناضول. نجحت هذه المبادرة في الأناضول، لكنها أخفقت في البلقان بسبب معارضة الأعيان المحليين. في عام 1796، تضمن سلاح المدفعية 2875 مدفعيًا يتوزعون على 15 فرقة، تتألف كل واحدة من 115 مجندًا وضابطًا. يُنظر: Mantran.

في عام 1806، بلغ عددهم 4910، يُنظر: Virginia Aksan, «Breaking the Spell of the Baron de Tott: Reframing the Question of Military Reform in the Ottoman Empire 1760-1830,» *The International History Review*, vol. 24, no. 2 (June 2002) p. 267.

عند سقوط سليم الثالث، كان قد بلغ عدد الجنود المدربين 23,000 عنصر، يُنظر: S. Shaw, *Between Old and New: The Ottoman Empire under Selim III, 1789-1807* (Cambridge: Harvard University Press, 1971), p. 134.

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

الثالث ثورة الانكشاريين الذين طالبوا بإلغاء الإصلاحات وإقالة السلطان[16]، فكانت تلك نهاية النظام الجديد[17].

إضافة إلى مسألة نقل التكنولوجيا، فإن النقاش حول تحويل الجيش العثماني إلى جيش منظم بحسب الأنموذج الأوروبي تطلب تفكيرًا عميقًا وجهدًا لإعادة تعريف هوية العثمانيين[18]. فإنشاء جهاز جديد كليًا كانت له تكلفته الاجتماعية والثقافية، مع ما يتضمنه ذلك من تشكيل قوات منظمة ومنضبطة، وهذا من دون احتساب الجهاز السابق الواسع للانكشاريين المراد حله مع إخراج 500,000 عسكري من الخدمة. علاوة على ذلك، كان إصلاح الجيش يعني أيضًا مراجعة كلية للأسس الأيديولوجية للحكم، وللعلاقة بين الحكام والمحكومين[19]. وفي هذا الصدد، لم يكن الدين إلا واحدًا من الأسس الأيديولوجية للحكم.

وضع هذا الإصلاح حدًا للتنظيم العسكري من النوع الكلاسيكي في الدولة العثمانية، مستندًا إلى «إضفاء الاحتراف على الجيش»، من خلال حل الجيش الانكشاري في عام 1826. هذا القرار الذي اتخذه محمود الثاني، إضافة إلى الترويج لـ «جيش الشعب»، أطلق شكلًا جديدًا من أشكال الاستبداد العثماني، يستند إلى مبدأ مواطنة تركية ومسلمة، محددة بطريقة أكثر صرامة[20].

هذا الجيش الجديد الذي أسسه السلطان محمود الثاني، استند إلى نظام التجنيد الشائع عند الجيوش الأوروبية منذ الثورة الفرنسية، وتولى تدريبه مدربون أوروبيون[21]. أُدخِلَ الكثير من التحسينات على جيش التجنيد الإجباري هذا في خلال حقبات متتالية، وصولًا إلى قيام الجمهورية. غير أن المنافس الروسي كان

---

(16) في خلال القرنين اللذين تليا وفاة عثمان الثاني، أقيل سبعة سلاطين من أصل أربعة عشر. يُنظر:
N. Vatin et G. Veinstein, *Le Sérail ébranlé, essai sur les morts, dépositions et avènements des sultans ottomans (XIVe-XIXe siècle)* (Paris: Fayard, 2003), p. 64.

(17) Mantran, «Les Débuts,» pp. 426-427, 432.

(18) Aksan, «Breaking the Spell,» p. 257.

(19) يُنظر: Ibid., p. 269.

(20) Ibid., p. 258.

(21) Shaw, *Between Old and New*, pp. 112-137.

Scanned with CamScanner

قد أتم إصلاحه الخاص به قبل قرن من الزمن، محتفظًا بجيش التجنيد الإجباري الأكثر عددًا في أوروبا.

شكل إخفاق إصلاحات سليم الثالث والهزائم العسكرية وعدم الاستقرار وحركات التمرد في الولايات إشارات إنذار تؤكد ضرورة استعادة سلطة الدولة وتزويدها بآلة عسكرية موثوقة. جرت محاولة لإعادة التنظيم في الأوّل من حزيران/ يونيو 1826 مع تأسيس فرقة الإشكنجيان (فرسان خيالة)، وهي قوات عسكرية مختارة من الكتائب الانكشارية في العاصمة، هدفها رفع كفاءة الجيش الجديد. إلا أن الانكشاريين انتفضوا، ونهبوا قصر الصدر الأعظم، وطالبوا بإسقاط الإصلاحيين. عندئذٍ اعتمد محمود الثاني على سلاح المدفعية والضباط المؤيدين، وعلى علماء كسبهم لقضيته[22].

في 15 تموز/ يوليو 1826، قُمعت آخر ثورة كبيرة للانكشاريين في العاصمة عبر هجوم مدفعي قضى على تشكيل قديم امتد نفوذه العسكري خمسة قرون. دعي هذا الحل [الإلغاء] بـ«الواقعة الخيرية» (vakayi hayriye)، أي الحدث السعيد. غير أن الانكشاريين قاوموا، ولا سيما في البوسنة، حيث وصلت الانتفاضات إلى حدها الأقصى من حيث العنف والمدة[23]. واعتُبرت الحركة الإصلاحية لمحمود الثاني تهديدًا مزدوجًا، ضد الامتيازات الطبقية التي وضعت موضع المساءلة من جهة، فضلًا عن الطعن بالدين من جهة أخرى من خلال إدخال تدابير غربية.

كان الانكشاريون قد أصبحوا العنصر المركزي في الجيش العثماني، لذا ترك إلغاؤهم فراغًا وجب ملؤه سريعًا، لتفادي ترك السلطنة من دون دفاع. فقد قُضي رسميًا على فرقة الانكشاريين وكذلك على فرقة السباهية. أيضًا، وفي خلال تموز/يوليو، جرت ملاحقة قادة البكتاشية - الداعمة للانكشاريين - واعتقالهم. كما لقيت الفرق كلها التي لها علاقة بالانكشاريين من قريب أو بعيد المصير نفسه.

---

(22) Mantran, «Les Débuts,» p. 443.

(23) A. C. Eren, *Mahmud zamanında Bosna-Hersek* (Istanbul: Nurgök Matbaası, 1965), pp. 72-73.

Scanned with CamScanner

بْني الجيش الجديد بشكل سريع جدًا. وأنشأ السلطان وظيفة جديدة هي السرعسكر (serasker) [القائد العام للقوات المسلحة ووزير الحربية]. شُكّل هذا الجيش الجديد الذي سمي ‘asakir-i mansûre-i muhammediye [الجيش المحمدي المنصور]، من فرقتي المدفعية والفرسان وفرق أخرى جرى تجديدها. أما القادة الجدد فقد جرى اختيارهم خصوصًا من بين أولئك الذين خدموا في تشكيل «النظام الجديد» الذي أنشأه سليم الثالث. ونتكلم هنا على اثنين من القادة الثلاثة الأوائل الذين اختيروا، حيث شكلت أعمارهم وخبرتهم القديمة مشكلة، ما دفع بالسلطان في آب/ أغسطس 1826 إلى التوجّه نحو تابعه المصري محمد علي، طالبًا منه إرسال 12 ضابطًا ليحلوا محل رجالات النظام. وبعد أن قوبل طلبه بالرفض، تحول إلى مدربين أجانب. وفي عام 1828، أُدخلت مصطلحات عسكرية جديدة إلى الجيش العثماني توافق بدورها وظائف جديدة[24].

بعد فترة وجيزة من القضاء على الانكشاريين، أنشأ محمود الثاني كتيبة البلاط السلطاني (enderun-i Hümâyun ağavâti) التي ضمت عبيد السلطان من الشبان وشبانًا مسلمين من العائلات الكبيرة التي تدربت في البلاط. سعت هذه المؤسسة إلى إعادة إحياء النظام التقليدي في مدرسة القصر واتسمت بالطابع المحافظ. في تموز/ يوليو 1826، خدم مئة شخص في سلاح المشاة وأكثر من 50 في سلاح المدفعية، ليبلغ عددهم 400 في عام 1827. في الواقع، لم يتلقوا أي دروس إنما جرى تدريبهم فحسب، ما أعطى بعض الاتساق للمجموعة. كما جاءت الترقيات سريعة وسعى أعيان البلاط لضم أبنائهم إلى هذه المؤسسة الجديدة.

قرر السلطان تأسيس مدرسة تحضيرية عسكرية في سوق تششمه (Soğuk Çeşme) في اسطنبول لتأليف احتياط لكتيبة البلاط. نظمت المدرسة على غرار المدارس «التقليدية» مع علماء يدرِّسون الموضوعات الدينية. إضافة إلى ذلك، استفاد الطلاب من التدريب العسكري. وفي عام 1829، تضاعف عديدها ليتعدى مئتي طالب.

---

(24) C. Özkan, «Tanzimat'tan Cumhuriyet'e ordu,» in: *Tanzimat'tan Cumhuriyet'e Türkiye Ansiklopedisi*, M. Belge (ed.), vol. ٤ ('985), p. 1261

Scanned with CamScanner

غير أن الهزيمة التي تكبّدها الجيش في خلال الحرب ضد روسيا بين عامي 1828 و1829 كشفت أوجه القصور في سلك الضباط. وبُذل جهد لإنشاء تشكيل أكثر مهنية احترافية من خلال تعزيز الجدارة والكفاءة. وابتداء من عام 1831، وجب على كل من جرت ترقيتهم اجتياز امتحان. إلا أن السلطان استمر بتعيين رجال من الحاشية في مراتب رفيعة من دون تدريب عسكري، ولا حتى إجراءات شكلية، معتمدًا في ذلك على المحسوبية.

كان هذا التشكيل الجديد من الضباط الطبقة الأكثر حظوة في الدولة. تلقّى الضباط الكبار التكريمات والأوسمة والهدايا المختلفة، إضافة إلى توزيعهم على الولايات المربحة، كما تمتعوا بمكانة اجتماعية وتقاعد مريح. من وجهة نظر اجتماعية، دُمج القادة الجدد مع النخبة الحاكمة القديمة. كان من الصعب في البداية التعامل مع هذا الوضع، إلا أنه أعطى شرعية وجذورًا اجتماعية لهذه النخبة عندما جرى تغريبها، تفاديًا لتهميشها. وبما أن المناصب العليا كان يشغلها رجال الحاشية والمحميون، كثرت المؤامرات والصراعات بين أعضاء هيئة الأركان. وفقًا لمراقبين أجانب، ترجع هزيمة الجيوش العثمانية أمام الجيوش المصرية أساسًا إلى التخاصم بين القادة. في الواقع، عكست القيادة العليا في ساحة المعركة الانقسامات السياسية للنخبة الحاكمة في اسطنبول (التخاصم بين قائد الحرس أحمد باشا ووزير الحربية خسرو باشا)، الأمر الذي تسبب بانعدام التنسيق بين قادة جيوش مختلفة على أرض الميدان[25]. وتجدر الإشارة إلى مشكلات مماثلة حصلت في خلال الحرب الروسية - التركية في عامي 1877 و1878.

قاد السلطان محمود الثاني سياسة دعائية هجومية لفرض إصلاحاته. تحقيقًا لهذه الغاية، نشر مؤرخ النظام (Sahhaflarşeyhizade) محمد أسعد أفندي في عام 1828 اعتذارًا عن القضاء على الانكشاريين، في كتاب بعنوان: Üss-i Zafer (أساس الحرب)، موجه إلى العلماء والمثقفين التقليديين، حيث ناقش أصول الحرب وميّز بين الحرب العادلة (cihâd) (الجهاد) والتمرد (fitna) (الفتنة)، ناعتًا

(25) A. Levy, «The Officier Corps in Sultan Mahmud II's Ottoman Army, 1826-39,» *International Journal of Middle Eastern Studies*, vol. 2 (1971), pp. 21-39.

بالأخيرة المعارضين لإصلاحات السلطان[26]. وساعدت مساهمته في النقاش الأيديولوجي في عشرينيات القرن التاسع عشر في إضفاء الشرعية على «النظام الجديد» على أساس الجهاد.

في عام 1834، أُنشئت مدرسة عسكرية حقيقية في اسطنبول، بعد المدرسة العسكرية الطبية في عام 1827. وكانت واحدة من العلاجات المقترحة لاستخلاص النتائج من النكسات أمام القوات المصرية المعاد تنظيمها بين عامي 1832 و1839.

كان الحل المقترح لتجديد الجيش تزويده بأسلحة جديدة وتعليم الجنود «المعارف الحديثة» من خلال إنشاء مدارس عسكرية ترسخ روحية جديدة في الجيش. هكذا، وبفضل اكتساب المعارف التقنية والعلمية، شكل هؤلاء الضباط الشبان النخب الجديدة والكوادر المستقبلية، ليس بالنسبة إلى الجيش فحسب، لكن أيضًا بالنسبة إلى المجتمع العثماني ككل.

(26) Heinzelmann, «Die Auflösung des janitscharentruppen und ihre historischen Zusammenhänge: Sahhaflarşeyhizade Mehmed Esad Efendis *Üss-i Zafer*,» *Asiatische Studien Etudes Asiatiques*, LIV/3 (2000), pp. 653-675.

Scanned with CamScanner

القسم الأول

رجال الجيش العثماني المُعاد تنظيمه

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

منذ القرن التاسع عشر اعتُبِرَت جيوش التجنيد الإجباري، إضافة إلى قيمتها العسكرية، الأدوات الأولى لبناء الأمم. كذلك كان الأمر في الدولة العثمانية. جعلت الإصلاحات العسكرية لإعادة التنظيم في القرن التاسع عشر تجديدًا مهمًا شكّل في الوقت نفسه واحدًا من الإجراءات غير الشعبية في لوائح «التنظيمات» التي جنّب إجراء رفع الضرائب، ألا وهو التجنيد الإجباري. لذا، وبالنسبة إلى الشعب، تَلَخَّصَ الإصلاح في الجيش بالخدمة العسكرية الإجبارية الرهيبة. وكما هو الحال في البلدان جميعها، كان تنفيذها صعبًا، إذ استنهضت تحركات المقاومة والتمرد والتملق على الصعيد المحلي لصد إدخال الحداثة العثمانية إلى المناطق البعيدة أو غير المسيطر عليها بشكل جيد. كان ذلك التجنيد رهيبًا؛ إذ هو انتزع الرجال من أعمالهم وعائلاتهم في خلال سنواتهم الأكثر إنتاجًا، مع حجزهم بعيدًا لوقت غير محدد على الجبهة أو في أطراف السلطنة لإعادة النظام إلى المناطق المضطربة.

ثمة عنصر آخر للترويج للجيوش المعاد تنظيمها، هو خلق ثقافة عسكرية مدرسية. تصدى الإصلاحيون للأمر فأنشأوا مدارس عسكرية توفّر تعليمًا علميًا كما هي الحال في أوروبا، كما قاموا باستقدام مدرسين أوروبيين. أما الضباط الذين حضروا فتوافرت لديهم معايير جديدة وكانوا من حاملي الشهادات وأصحاب مهارات وأفكار وخبرات جديدة؛ أي من العناصر الطليعية.

تدريجًا، انتشرت مجموعة متنوعة من المدارس العسكرية من المركز إلى الأطراف، من المستوى الابتدائي حتى المستوى الأعلى. أصبحت الشهادات نقطة ارتقاء اجتماعي للشباب الطموح في أنحاء السلطنة جميعها، لكنها ولدت أيضًا استقطابًا داخل سلك الضباط.

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

الفصل الأول

أن تكون عسكريًا في الدولة العثمانية

أن تصبح عسكريًا في الدولة العثمانية لم يكن بالأمر البسيط، بل كان عبئًا ثقيلًا بسبب سنوات الخدمة الطويلة والمخاطر التي تنطوي عليها الحروب والثورات. وتطورت قوانين التجنيد الإجباري للتخفيف من هذا العبء والحد من السخط العام. وسنرسم أولًا صورة عن المجندين وحياتهم في السلطنة، ومن ثم نتناول الإعفاءات التي اعتُمِدَتْ لتعديل هذه القاعدة.

أولًا: التجنيد الإجباري

في القرن التاسع عشر، بعد حل تشكيل الانكشاريين، ووصولًا إلى «ثورة تركيا الفتاة» في عام 1908، كان العمل العسكري قبل أي شيء محصورًا بالمجتمع المسلم. ثم بدأت مشروعات تعيين غير المسلمين في الظهور منذ اعتماد لائحة إصلاحات خط كلخانه في عام 1839. اقتُرح بداية تجنيد الأرمن ومن ثم البلغار، إلا أن ممثلي الطائفة الأرمنية عارضوا الأمر[1].

عندما قام الجيش الجديد أول مرة في عام 1826، فرض التجنيد الخدمة العسكرية الإلزامية مدى الحياة على المسلمين جميعهم. كان على المجندين أن

---

(1) Service Historique de l'Armée de terre, archives militaires françaises à Vincennes (S.H.A.T.), TN1624, rapport no. 20 du 4 avril 1876.

يخدموا مدة 20 عامًا، في الخدمة الفعلية أولًا، ينتقلون من بعدها إلى الاحتياطي. في الواقع، كان بإمكانهم العودة إلى الحياة المدنية بعد اثني عشر عامًا من الخدمة، من دون الحق في التقاعد. لذا كان عليهم الانتظار لبلوغ سن متقدمة، أو أن يصبحوا معوقين، للحصول على الراتب التقاعدي.

1- جيش محمود الثاني الجديد

شُكّل الجيش الجديد وفقًا لأنموذج مماثل للنظام الجديد الذي أرساه سليم الثالث. ارتكزت بنيته على نظام الأفواج (الترتيب ثم الآلاي) (tertip ثم alay) المؤلف من ثلاث كتائب (طوابير). لم يكن هناك قانون للتوظيف، والديوان السلطاني (divân-i Hümâyun) كان يجتمع كل سنة ليقرر عدد المطلوبين للتجنيد من الولايات بحسب الحاجة. وساعد الأعيان المحليّون المسؤولين عن التجنيد الإجباري في حشد عدد الجنود المطلوب بالقوة. بالنسبة إلى المجندين في ذلك الوقت، كانت الخدمة العسكرية بمنزلة خدمة محكومين على ظهر السفن[2].

أنشئت فيالق جيش احتياط مساعد (رديف) في عامي 1833 و1834، وفقًا للأنموذج الألماني، وبقيت هذه الفيالق في ثكناتها في أوقات السلم. أما في أوقات الحرب، فكانت تدخل في تركيبة جيش الخدمة الفعلية، مكونة أفواجًا تكتيكية منفصلة عن تلك الموجودة في الجيش النظامي (nizâm). وهكذا، سمحت تعبئة الاحتياط بمضاعفة العديد. كما اعتمِد نظام الإعفاءات، وكان على غير المسلمين أن يدفعوا ضريبة الإعفاء (بدل عسكري) للتعويض عن إعفائهم من الخدمة. أما المسلمون فقد كان بإمكانهم الحصول على الإعفاء أيضًا، إما من طريق الاستبدال وإما عبر الرشوة. هذا الفصل بين المسلمين وغير المسلمين استمر بعد صدور خط كلخانه حتى عام 1908، تاريخ «ثورة تركيا الفتاة». أعلن خط كلخانه في عام 1839 المساواة بين المسلمين وغير المسلمين، لكن هذا المبدأ لم يطبق على التجنيد العسكري. كان الدفاع عن الوطن واجبًا مقدسًا على

(2) *Turk Silahli Kuvvetleri tarihi*, vol. 3, 5ème partie (1789-1908) (Ankara: Gnkur Basımevi, 1978), pp. 143-144.

Scanned with CamScanner

كل جندي، لكنه أخذ في الحسبان قساوة الحياة العسكرية والأعباء التي كانت تفرضها على الأسر، ما يعوق الأنشطة الاقتصادية والتجارية والزراعية. بناء على اقتراح من المجلس العسكري (Dâr-ı Şûrâ-yı askerî) الذي أنشئ في عام 1837، أوصى خط كلخانه بخفض مدة الخدمة العسكرية في جيش الخدمة الفعلية إلى أربع أو خمس سنوات[3]. بالتالي، لم يجند فعليًا في الجيش النظامي إلا أتراك الأناضول والروملي[4]. أما بالنسبة إلى سكان البوسنة والهرسك وألبانيا فكانوا معفيين من الخدمة العسكرية لأنهم كانوا يعارضونها بشدة[5].

خفض قانون السلطان عبد المجيد للتجنيد في عام 1843 مدة الخدمة إلى اثنتي عشرة سنة (خمس سنوات في الخدمة الفعلية، ثم سبع سنوات في الاحتياط). هذا القانون كان مستوحى من نظام التجنيد البروسي الأخير في عام 1814 لتنظيم الاحتياط[6] مع تأثير فرنسي[7]. كان عدد المطلوبين للتجنيد في الجيش النظامي (muvazzaf) يجدد بمقدار الخُمس كل سنة في بداية آذار/ مارس. وكان جنود الاحتياط يُتِمّون شهرًا من التمارين والتدريب السنوي. إلا أنه كان ثمة نقص في عدد الجنود النظاميين، لذا جرى إشراك جنود الاحتياط، حيث اعتبِروا جنودًا في الخدمة[8].

مع أن الخدمة العسكرية كانت إلزامية على الجميع نظريًا، إلا أنه لم يكن بالإمكان تطبيقها في كل مكان[9]. فقد تسببت بالثورات في البوسنة والهرسك على وجه الخصوص، ما دفع الباب العالي إلى إرسال القوة المسلحة ست مرات إلى هناك. لم تنعم البوسنة والهرسك بالهدوء لغاية بداية الستينيات من القرن التاسع

---

(3) E. Z. Karal, *Osmanlı tarihi* (Ankara: T.T.K., 1988), vol. 5, pp. 182-183.

(4) Ibid., vol. 7, p. 181.

(5) T.T.T.E. Mec. no. 87 (10), pp. 263-273: Ibid., vol. 8, pp. 354-355.

(6) F. Çoker, «Tanzimat ve ordu yenilikleri», in: *Tanzimat'tan Cumhuriyet'e Türkiye Ansiklopedisi*, M. Belge (ed.), vol. 5 (Istanbul: İletişim yayınları, 1985), p. 1260.

(7) E. J. Zürcher, «The Ottoman Conscription System in Theory and Practice, 1844-1918,» in: E. J. Zürcher (ed.), *Arming the State: Military Conscription in the Middle East and Central Asia 1775-1925* (London: I. B. Tauris, 1999), p. 82.

(8) *Turk Silahlı*, vol. 3, 5ème partie, pp. 145-146.

(9) يُنظر:

Ibid., p. 145.

Karal, *Osmanlı tarihi*, vol. 6, p. 160.

Scanned with CamScanner

عشر، حينها أصبح بالإمكان إدخال نظام التجنيد الإجباري[10]. جرى تثبيت عديد الجيش الدائم في أوقات السلم عند حدود 150,000 رجل. أما بالنسبة إلى قوات الاحتياط، فقد ضمت 120 كتيبة في كل من فيالق الجيش الخمسة، ما جعل عددهم يراوح بين 100,000 و125,000 رجل[11]. استمر هذا النظام العسكري الذي أنشئ في عام 1843 من دون تغيير تقريبًا حتى إصلاح عام 1869.

بدءًا من عام 1847[12]، خدم الجنود الذين اختيروا بالقرعة مدة خمس سنوات متتالية. كان هذا الإجراء يُنفَّذ كل عام في خلال شهر آذار/ مارس، حيث يجري تجديد الدفعة كل عام بمقدار الخمس. كان الرجال يتقدمون بأنفسهم بعد عامهم العشرين، وكان المحظوظون منهم ينتقلون مباشرة إلى جيش الاحتياط الرديف، من دون إكمال الخدمة الفعلية. كان الاحتياط يُستدعى في المبدأ كل سنة[13]. وقد ثُبّت عديد الجيش عند 150,000 رجل، ليصل عدد التجنيد السنوي إلى 30,000 مجند أو متطوع[14]. هذا الاختيار بالقرعة لم ينفذ في جيش بلاد العرب (الجيش السوري السادس) إلا في وقت لاحق، وذلك بفعل المقاومة[15]. بدأ في بعض المناطق في عام 1849، ثم توسع في عامي 1852 و1859. إلا أنه لم يعمم في المنطقة السورية

---

(10) بدأ النظام الجديد يطبق في عام 1281 هـ أي 1864-1865م. يُنظر:

A.E.N., *Petits Fonds*, Sarajevo, vol. 2, dir. pol. no. 65, pp. 8-9, Bosna-Seraï, 3 September 1865,

موجهة إلى وزير الشؤون الخارجية. مع ذلك، فإن واجب الخدمة العسكرية ظهر مع جميع أنواع القيود والامتيازات. واقتصرت مدة الخدمة في النظام على ثلاث سنوات، ارتفعت إلى تسع في الاحتياط. واستُخدم الجنود حصرًا للخدمة المحلية داخل حدود البوسنة. وكان لديهم الحق في أن يشكلوا دائمًا نصف الضباط البوسنيي الأصل. ولم يتم فرز الفائض من المجندين المتوافرين بعد الانتهاء من الجيش في الاحتياط، والجيش التركي، لكن في الميليشيات المحلية.

(11) التقرير المقدم في عام 1869 من وزير الحربية حسين عوني باشا إلى السلطان عبد العزيز، عن الحاجة إلى إعادة تنظيم الجيش في: H. Zboïnski, *L'Armée ottomane* (Paris: Librairie militaire de J. Dumaine, 1877), pp. 13-14.

(12) قانون التجنيد في كانون الثاني/ يناير 1847 (Evaili Sefer 1363), B.B.A., Cevdet Tasnifi, 'askeri kısım, no. 38546.

(13) *Türk Silahlı*, vol. 3, 5ème partie, pp. 146-147.

(14) Çoker, «Tanzimat ve ordu yenilikleri,» p. 1261.

(15) بخصوص المقاومة في سوريا، يُنظر: D. Douwes, «Reorganizing Violence: Traditional Recruitment and Conscription, in Ottoman Syria,» in: Zürcher (ed.), *Arming the State*, pp. 11-128.

Scanned with CamScanner

عشر، حينها أصبح بالإمكان إدخال نظام التجنيد الإجباري[10]. جرى تثبيت عديد الجيش الدائم في أوقات السلم عند حدود 150,000 رجل. أما بالنسبة إلى قوات الاحتياط، فقد ضمت 120 كتيبة في كل من فيالق الجيش الخمسة، ما جعل عددهم يراوح بين 100,000 و125,000 رجل[11]. استمر هذا النظام العسكري الذي أنشئ في عام 1843 من دون تغيير تقريبًا حتى إصلاح عام 1869.

بدءًا من عام 1847[12]، خدم الجنود الذين اختيروا بالقرعة مدة خمس سنوات متتالية. كان هذا الإجراء يُنفَّذ كل عام في خلال شهر آذار/ مارس، حيث يجري تجديد الدفعة كل عام بمقدار الخمس. كان الرجال يتقدمون بأنفسهم بعد عامهم العشرين، وكان المحظوظون منهم ينتقلون مباشرة إلى جيش الاحتياط الرديف، من دون إكمال الخدمة الفعلية. كان الاحتياط يُستدعى في المبدأ كل سنة[13]. وقد ثُبِّت عديد الجيش عند 150,000 رجل، ليصل عدد التجنيد السنوي إلى 30,000 مجند أو متطوع[14]. هذا الاختيار بالقرعة لم ينفذ في جيش بلاد العرب (الجيش السوري السادس) إلا في وقت لاحق، وذلك بفعل المقاومة[15]. بدأ في بعض المناطق في عام 1849، ثم توسع في عامي 1852 و1859. إلا أنه لم يعمم في المنطقة السورية

---

(10) بدأ النظام الجديد يطبق في عام 1281 هـ، أي 1864-1865م. يُنظر:

A.E.N., *Petits Fonds*, Sarajevo, vol. 2, dir. pol. no. 65, pp. 8-9, Bosna-Seraï, 3 September 1865,

موجهة إلى وزير الشؤون الخارجية. مع ذلك، فإن واجب الخدمة العسكرية ظهر مع جميع أنواع القيود والامتيازات. واقتصرت مدة الخدمة في النظام على ثلاث سنوات، ارتفعت إلى تسع في الاحتياط واستُخدم الجنود حصرًا للخدمة المحلية داخل حدود البوسنة. وكان لديهم الحق في أن يشكلوا دائمًا نصف الضباط البوسنيي الأصل. ولم يتم فرز الفائض من المجندين المتوافرين بعد الانتهاء من الجيش في الاحتياط، والجيش التركي، لكن في الميليشيات المحلية.

(11) التقرير المقدم في عام 1869 من وزير الحربية حسين عوني باشا إلى السلطان عبد العزيز، عن الحاجة إلى إعادة تنظيم الجيش في: H. Zboinski, *L'Armée ottomane* (Paris: Librairie militaire de J. Dumaine, 1877), pp. 13-14.

(12) قانون التجنيد في كانون الثاني/ يناير 1847 (Evail Sefer 1363), B.B.A., Cevdet Tasnifi, askeri Kısım, no. 38546.

(13) *Türk Silahlı*, vol. 3, 5ème partie, pp. 146-147.

(14) Çoker, «Tanzimat ve ordu yenilikleri,» p. 1261.

(15) بخصوص المقاومة في سوريا، يُنظر: D. Douwes, «Reorganizing Violence: Traditional Recruitment and Conscription, in Ottoman Syria,» in: Zürcher (ed.), *Arming the State*, pp. 111-128.

Scanned with CamScanner

لغاية عام 1862[16]. أما الإرادة السلطانية (خط همايون) (Hatt-i Hümâyun) في عام 1856 التي نادت بالمساواة بين الحقوق والواجبات بين السكان المسلمين وغير المسلمين، فلم تغير شيئًا في القواعد المعتَمَدَة في الخدمة العسكرية[17].

كانت الحرب المقدسة ضد الكفار (الجهاد) المحرك والقاعدة لتنظيم القوات العسكرية في السلطنة. إلا أن استخدامها تغيّر مع بدء فترة التنظيمات الإصلاحية. سابقًا، ومن حيث المبدأ، كان يدعى إلى الجهاد عند اندلاع أي حرب ضد «الكفار». مع بدء التنظيمات، أصبحت الدولة العثمانية عضوًا في المحفل الأوروبي، أي المجتمع الدولي في ذلك الوقت. في خلال حرب القرم (1853-1856)، كانت السلطنة حليفة لفرنسا وإنكلترا. من هنا، لم تعد الدعوة إلى الحرب المقدسة منهجية. وأصبحت توضع على جدول الأعمال في سياق آخر، هو البروباغندا الإسلامية الشاملة للحرب العالمية الأولى.

في عام 1855، ألغت الحكومة رسميًا ضريبة الخراج (harâc) التي يدفعها غير المسلمين، وثُبّت عدد المجندين الواجب تقديمهم عند 16,000 مجند. ومن ثم استبدلت هذه الحصة الواجب تقديمها من المجندين بضريبة جديدة هي البدل[18] (bedel)، موزعة على الطوائف غير المسلمة جميعها، مع إعفائها

---

(16)

Turk Silahli, vol. 3, 5ème partie, p. 146.

(17) يُنظر إلى الفقرات 14 و15 و16 من خط همايون في عام 1856، 18 شباط/ فبراير 1856 عن الالتزام بجعل الخدمة العسكرية إلزامية لجميع أفراد السلطنة، من دون تمييز في الاعتقاد: «... لقد أمرت وأنا آمر بتنفيذ الإجراءات الآتية:... الضمانات التي وعدنا بها جميع أفراد سلطنتي في خط كلخانه، وتم تأكيد قوانين التنظيمات وتعزيزها، بغض النظر عن الطبقة أو الدين، من أجل أمنهم الشخصي وأمن ممتلكاتهم والحفاظ على شرفهم، وسيتم اتخاذ تدابير فاعلة، حيث تلقي بتأثيرها الكامل... جميع أفراد سلطنتي، من دون تمييز في الجنسية، سيكونون مؤهلين للوظائف العامة، وسيتم استقبالهم من دون تمييز في المدارس الحكومية المدنية والعسكرية... المساواة في الضرائب التي تنطوي على المساواة في التكليف، مثل الواجبات التي يترتب عليها حقوق، وكان على الأفراد المسيحيين وغيرهم من غير المسلمين. كما تم تقريره سابقًا، فضلًا عن المسلمين، تلبية الالتزامات المنصوص عليها في قانون التجنيد... وكان سيتم، في أسرع وقت ممكن، نشر قانون شامل عن طريقة القبول وخدمة الأفراد المسيحيين وغيرهم من غير المسلمين في الجيش...». يُنظر:
Histoire du Congrès de Paris, p. 551.

(18) تعريف bedel: رسم الاستبدال.

من التجنيد الإجباري[19]. ولتبرير هذا الإجراء أمام أوروبا، أعلن الباب العالي أن السكان غير المسلمين أبدوا نفورًا لا يمكن تجاوزه من الخدمة العسكرية، ونتيجة ذلك، كان من المستحيل تجنيدهم في الجيش. لم يُفتح لهم المجال أكثر للوصول إلى المدارس العسكرية، بحجة أنه ما دام الجيش مسلمًا بشكل حصري، فسيكون من السابق لأوانه تأليف فريق ضباط غير مسلمين[20]. مع ذلك، شكّل الباب العالي لواءً من الفرسان، مؤلفًا من فوج من الجنود في سلاح الفرسان وفوج من القوزاق جندوا بشكل رئيس من البلغار والبولنديين عبر التطوّع الشخصي. وبالتالي جرى تعيين ضباط مسيحيين من جنسيات أجنبية[21]. اللواء البولندي للفرسان العثمانيين، الذي أنشأه صادق باشا (ميشال تشايكوفسكي) في خمسينيات القرن التاسع عشر، استدعي في وقت لاحق إلى لبنان من لطفي بيك (لودفيك موناسترسكي). مع ذلك، كنا نجد بصورة محدودة جدًا ضباطًا مسيحيين في الجيش العثماني، مثل فوج الفرسان الثامن والعشرين في بيروت ولبنان[22]، إضافة إلى الأجانب الذين غيروا دينهم ودخلوا في خدمة السلطنة في النصف الأول من القرن التاسع عشر وشغلوا مناصب عليا، مثل القائد العام عمر لطفي باشا[23]، وهو من أصل كرواتي - هنغاري، تخرج في مدرسة الأركان العامة النمساوية ودخل في خدمة السلطنة في عام 1828 وحصل على لقب نادر، حيث كان لدرايته باللغات الأجنبية وتدريبه في أوروبا دور كبير في ترقيته.

بسبب الصعوبات المالية، جرى استخدام الاحتياط النظامي في زمن الحرب كما في زمن السلم، نظرًا إلى المشكلات المستمرة في السلطنة. وعلى غرار رجال جيش الخدمة الفعلية، أمضى جنود الاحتياط خدمتهم كلها تقريبًا في الخدمة

---

(19) تم تحديدها بين 3000 و5000 قرش (أي 650 إلى 1100 فرنك)، بحسب ثروة كل منهم.

(20) يُنظر تصريحات فؤاد باشا في 18 شباط/ فبراير 1866 وفي 15 أيار/ مايو 1867 (SHAT).

(21) *Voennyĭ-Sbornik* (Revue militaire russe), no. 162 (1873).

(22) في عام 1896، وخلال مهمة، تعرف الملحق العسكري الفرنسي في بيروت بالمابجور ديميتراكي، من أصل يوناني، والكابتن سايكفيتش، من أصل صربي، يُنظر:
S.H.A.T., 7N1631, Constantinople, rapport no. 194 du 29 janvier 1896.

(23) Ömer Lutfi Paşa (Plaški, Croatie, 1806. Istanbul, 1871).

Scanned with CamScanner

فعلية. إلا أن هذا الأمر لم يحل من المشكلات، لأنهم كانوا يشكلون كتائب منفصلة في جيش الخدمة الفعلية، ما أضر بتجانسه. علاوة على ذلك، وضعت التعبئة المستمرة في أوقات السلم عبئًا ثقيلًا جدًا على المسلمين، حيث حرمت الأسر من أغلبية الرجال الذين راوحت أعمارهم بين الخامسة والعشرين والثانية والثلاثين، وأبعدتهم باستمرار عن أعمالهم. أثارت هذه الدعوات المتكررة إلى الخدمة مشاعر الاستياء التي تجلت في الفرار الجماعي لرجال الاحتياط، خصوصًا في البلدان الصعبة (مثل لازستان ودرسيم وغيرها)[24]. وإبان التوتر بين الدولة العثمانية واليونان في عامي 1868 و1869، جرت تعبئة ثمانين كتيبة من جنود الاحتياط[25].

اعتلى السلطان عبد العزيز العرش في عام 1861 بعد وفاة السلطان عبد المجيد. وتميزت فترة حكمه بالتأثير الخارجي ذي الحضور المتزايد، عبر القروض الخارجية والإصلاحات الغربية التي دعت إليها معاهدة باريس. إن إعادة تسلح القوى الأوروبية، ومشكلة إبقاء جنود الاحتياط في الخدمة، دفعتا بوزير الحربية حسين عوني باشا إلى إعادة تنظيم الجيش، حيث اعتمد برنامجًا واسعًا من الإصلاحات العسكرية تُرجمت باعتماد قانون للتجنيد في عام 1869.

2- إصلاح عام 1869

يبدأ تقرير وزير الحربية حسين عوني باشا، الموجه إلى السلطان عبد العزيز لحثّه على القيام بإصلاح في الجيش، بالكلام الآتي:

«من المتفق عليه اليوم، أن استقلال الدولة ونفوذها السياسي يأتيان كنتيجة مباشرة لقوتها العسكرية»[26].

---

(24) كانت الجبال البرية في لازستان، ومرتفعات منذر داغ في درسيم التي يسكنها الأكراد المتمردون، بمنزلة الملجأ للفارين الذين هربوا من أرزينجان، المركز القديم للفيلق الرابع والذي نقل بعد ذلك إلى أرضروم.

(25)

(26) يُنظر النص الكامل لهذا التقرير الذي قدمه حسين عوني باشا إلى السلطان عبد العزيز في 12 ربيع الأول 1286هـ (22 حزيران/ يونيو 1869م)، في:

Voennyï-Shornik (Revue militaire russe), no. 164 (1874).

Zboïnski, pp. 13-21.

لا يمكن أن يكون الأمر أكثر وضوحًا وصراحة في ما يتعلق بمخاوف وزير الحربية الذي يرغب في أن تمتلك الدولة العثمانية وسائلها الدفاعية، ويتابع قائلًا:

«نتيجة لذلك، وجدت حكومة السلطنة نفسها مضطرة إلى التفكير بوسيلة لوضع قواتها الموجودة على الأرض في حالة تمكنها من خوض حرب هجومية أكثر منها دفاعية ضد أي دولة من الصف الأول... وتتطلب طبيعة الأشياء والحذر أن تتقدم كل دولة لتنظيم قواتها من حيث الموارد العسكرية التي توفرها لها البلاد والسكان...»[27].

واجه وزير الحربية مشكلة دائمة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر: تقديم التضحيات الممكنة كلها ليكون سيد آلة عسكرية مهيبة، من دون تخطي حدود الممكن، من وجهة نظر مالية وإنسانية على حد سواء. عكست انشغالات وزير الحربية جميع المشكلات المتوالية في الجيش. ففي مسألة الإنفاق على الجيش، لم تتمكن وزارة الحربية، مع أنها كانت الأفضل تجهيزًا، من تغطية المصروفات كلها، تاركة الجنود وحتى الضباط يعانون تأخر رواتبهم شهورًا عدة. رمت مشكلة التجنيد بثقلها وبشكل حصري تقريبًا على العنصر الإسلامي، ليشمل امتدادها في ما بعد غير المسلمين، كما نصَّت عليه نصوص الفرمانات العائدة لعامي 1839 و1856. أخيرًا، طُرحت مسألة تحديث الجيش برمتها، ومساواته بالجيوش الأجنبية الأوروبية، على طاولة البحث. حمل إصلاح عام 1869 في الأساس جوابًا عن التوسع في التجنيد، وذلك عبر خلق نوع من دفعة استدعاء احتياطية ثالثة. بإلهام بروسي، وعلى غرار أنموذج لاندفير (landwehr)، منح هذا الإصلاح السلطنة حامية مستقرة، يمكن استخدامها في موقعها لمواجهة الاضطرابات الداخلية المحتملة، كما وفر جيشًا من احتياطيي الخدمة الفعلية (الاحتياط النظامي)[28] (ihtiyât).

جعل إصلاح التجنيد الذي أرساه حسين عوني باشا في عام 1869 مدة

---

(27) Ibid., p. 13.

(28) S.H.A.T., 7N1650, «Notes sur l'armée turque de R. de Laisle, capitaine au 6ème régiment de cuirassiers,» Senlis, 22 novembre 1874.

Scanned with CamScanner

الخدمة العسكرية الإلزامية للعثمانيين جميعهم عشرين عامًا، توزعت على ثلاث مراحل (المادة 1)[29]: الجيش النظامي (nizâmiye) لمدة ست سنوات، الاحتياط الرديف لمدة ست سنوات أيضًا، ودفعة استدعاء الاحتياط الخلفي (المستحفظة) (mustahfaz) لمدة ثماني سنوات. وهكذا، زادت مدة الخدمة العسكرية ثماني سنوات، لتنتقل من اثنتي عشرة سنة في قانون عام 1843، إلى عشرين سنة[30].

استندت الخدمة العسكرية إلى الاختيار بالقرعة، إلا أنها أبقت على التطوع[31]. من وجهة نظر عسكرية، سمح ذلك بزيادة عديد الجيش النظامي (العدد المتوقع 150,000 رجل)، يساندهم 60 أو 65 ألفًا من جنود الاحتياط في الخدمة الفعلية الذين يعززون العنصر النظامي الدائم، عبر إكمال عديده أو السماح بزيادة عدد الأفواج التكتيكية (المادة 2). كان الاحتياط النظامي أقلّ عددًا من الاحتياط الرديف، لكنه كان أرفع شأنًا منه على المستوى النوعي، وكذلك الحال بالنسبة إلى الجيش النظامي. في الواقع، كان الاحتياط النظامي يتألف بالكامل من الجنود القدامى ذوي الخبرة من الجيش النظامي، مع خمس أو ست سنوات من الخدمة. سمح تأسيس احتياط الخدمة الفعلية بعدم اللجوء إلى تعبئة جنود الاحتياط الرديف عند أقل اضطراب داخلي، ما كان له أثر كبير في الحياة الاقتصادية. في حالة الاضطراب الداخلي، كان يجري جمع الاحتياط النظامي في تشكيلات منفصلة مع تفضيل أن تكون في الجيش النظامي. علاوة على ذلك، جرى تقسيم الاحتياط الرديف إلى دفعتي استدعاء، الدفعة الأولى

---

(29) للإشارة إلى نص القانون، يُنظر: S.H.A.T., 7N1626, Constantinople, 2e annexe au rapport no. 156 du 10 décembre 1879.

(30) مع ذلك، أشار تقرير في عام 1868 (S.H.A.T, 16N50)، إلى أنه في ذلك العام كانت هناك دفعتا استدعاء من الاحتياط: «... سيتم تجنيد الجنود من خلال القرعة، ولديهم خمسة عشر عامًا من الخدمة، وهي: خمس سنوات في الجيش النظامي، وخمس سنوات في الاحتياط الأول (الرديف) الذي غالبًا ما يتم استدعاؤه، ولديه بعض التشابه مع دفعة لاندفير الأولى، وخمس سنوات في الاحتياط الثاني، الذي لا يوجد إلا على الورق ونادرًا ما يتم استدعاؤه...».

(31) G. Aristarchi Bey, *Législation ottomane, ou recueil des lois, règlements, ordonnances, traités, capitulations et autres documents officiels de l'Empire Ottoman*, (Constantinople, 1873) vol. III, pp. 514-519.

الرديف المقدم (redif mukaddem)، والدفعة الثانية الرديف الثاني (redif sani) (المادة 19)[32].

لم يفلح التدريب السنوي لمدة شهر واحد الذي استفادت منه الدفعة الثانية من الاحتياط الرديف في تحقيق معجزات. مع ذلك، وفّر تحسينات كافية للحفاظ على المعارف العسكرية للجنود المسرَّحين من الجيش النظامي، غير أنه لم يتمكن من تعليم الرجال المدرجين بشكل مباشر في الاحتياط الرديف. كان الهدف من زيادة عدد المطلوبين للتجنيد والمخصصين للجيش النظامي تعزيز تكوين الاحتياط الرديف، عبر إدراج عدد من الجنود القدامى في الجيش النظامي والاحتياط النظامي.

في الواقع، كانت زيادة القوى العسكرية على أساس إنشاء الحرس الوطني (المستحفظة) غير فاعلة نسبيًا، لأنه وبحسب أحكام القانون نفسها، لم يكن لدى الدولة الموارد اللازمة لإنشاء الكوادر وبناء المستودعات، ولا الوسائل لدعم تعليم هذه الكوادر. لم يكن لهؤلاء الجنود المنتمين إلى هذه الفئة أي ارتباط ملموس بالجيش، وقد كانوا غير ملزمين بتجمعات دورية، لكن كان عليهم الاستجابة لنداء الحكومة فحسب، في حال كانت البلاد في خطر. بطريقة ما، لم تكن هذه الحامية المستقرة (mustahfaz) إلا احتياطيًا غير منظم، يتألف من جميع المسلمين المتوافرين الذين راوحت أعمارهم بين الثانية والثلاثين والأربعين عامًا، والذين يمكن استخدامهم في مهمات الدفاع الوطني الداخلي.

في 8 آذار/ مارس 1870 اعتُمد قانون جديد للتجنيد[33]، حدد سن التجنيد بعشرين عامًا ومدة الخدمة في الجيش النظامي بخمس سنوات. وأوضح بالتفصيل كيفية وضع التجنيد موضع التنفيذ.

---

(32) بعد قضاء ست سنوات في الجيش الناشط [النظامي والاحتياطي]، كان يدرج الجنود أولًا في دفعة استدعاء الاحتياط الأولى (رديف مقدم)، حيث كانوا يبقون ثلاث سنوات، ومن ثم في الدفعة الثانية (رديف ثاني) حيث كانوا يخدمون مدة ثلاث سنوات (المادة 3). كما كان الاحتياط المستقر أيضًا يسمى أحيانًا دفعة الاحتياط الثالثة (رديف ثالث) (المادة 4). وكانت الدفعة الأولى منظمة ومؤطرة بشكل كامل، أما الدفعة الثانية فقد تلقت تعليمها خلال المناورات السنوية لمدة شهر، ولم تكن منظمة ومؤطرة بشكل كامل.
Zboinski, p. 98.

(33) كانت مؤلفة من سبعة فصول تضم 77 مقالًا.
Qur'a Qânûnnâme-i Hümâyunu (Istanbul, 1286 H.) (1870/71).

الجدول (1-1)

مدة الخدمة العسكرية

	1843	1869
الجيش النظامي (*Nizāmiye*)	5 سنوات	ست سنوات --- {5 سنوات: سلاح الفرسان المدفعية {سنة واحدة: الاحتياط النظامي [*ihtiyāt*] --- {4 سنوات: المشاة {سنتان: الاحتياط النظامي [*ihtiyāt*]
الاحتياط الرديف (*Redif*)	7 سنوات	6 سنوات {دفعة الاستدعاء الأولى: 3 سنوات {دفعة الاستدعاء الثانية: 3 سنوات
المستحفظة (الحرس الوطني) (*Mustahfaz*)		8 سنوات
المجموع	12 سنة	20 سنة

3 - الحرب الروسية - التركية في عامي 1877 و1878

شارك الجيش العثماني في الحرب ضد روسيا في عامي 1877 و1878 من خلال التنظيم الذي وُضع في عام 1869. نظريًا، كان يمكن الجيش حشد 750,000 رجل، لكن عمليًا، لم يجمع إلا ثلث هذا العدد. هذه الحرب، التي دعيت بـ«1293 حربي» [حرب 1293][34]، انتهت بهزيمة العثمانيين وأفضت

(34) كان عام 1876 هو مسرح الأزمات المتعددة التي هزت السلطنة: الأزمة المالية مع إفلاس نهاية عام 1875، والأزمات السياسية المتلاحقة. وتوالى ثلاثة سلاطين في العام نفسه، وتم إصدار =

Scanned with CamScanner

إلى مؤتمر برلين (...). شكلت هذه الحرب صدمة كبيرة للسلطنة التي وجدت نفسها فاقدة لجزء من أراضيها، ما شكل نقطة البداية لـ«هاجس فقدان السلطنة» الذي قضّ مضجع كبار مسؤوليها، بدءًا بالسلطان نفسه. وتُعزى التدابير المتخذة ابتداءً من عام 1879، وعملية الإصلاح برمتها التي نفذت في ثمانينيات القرن التاسع عشر داخل الجيش، في جزءكبير منها إلى هذه الهزيمة. كذلك القرار بدعوة بعثة أجنبية - ألمانية في هذه الحالة - في عام 1882، كان دافعه القلق ومعالجة نقاط ضعف الجيش التي كانت أساس هزيمته. لهذا السبب، من المهم تحليل

= دستور. وبدأت أزمات البلقان مع الاضطرابات في الهرسك خلال صيف عام 1875، التي اتسعت في عام 1876 مع انتشارها في البوسنة ومن ثم بلغاريا والجبل الأسود وصربيا. واندلعت سلسلة من الأزمات الدبلوماسية لأن القوى الكبرى طالبت بتنفيذ الإصلاحات في منطقة البلقان. وبعد فشل مؤتمر اسطنبول في كانون الثاني/ يناير 1877، لاح خطر المواجهة العسكرية مع روسيا في الأفق. وبالفعل، أعلن القيصر الحرب على السلطان في 19 نيسان/ أبريل 1877. وكان هذا الهجوم صاعقًا - وأطبق الخناق على السلطنة - وانقسم إلى جبهتين منفصلتين: البلقان، وشرق الأناضول. وفي منتصف حزيران/ يونيو، احتل الجيش الروسي شمال بلغاريا وتوجه نحو صوفيا وأدرنة. وفي آسيا، احتل أرداهان في 18 أيار/ مايو 1877 ومن ثم بيازيد في 20 حزيران/ يونيو. لكن المقاومة استمرت ستة أشهر، وتم تنظيمها من أحمد مختار باشا على الجبهة الشرقية ومن سليمان باشا وعثمان باشا في البلقان. مع ذلك، انهارت المقاومة في أواخر الخريف. وسقطت قارص في 14 تشرين الثاني/ نوفمبر 1877، ثم بليفني في 10 كانون الأول/ ديسمبر 1877 بعد خمسة شهور من الصمود. وفي اليوم التالي، انسحب سليمان باشا بدوره. كما أعلنت صربيا والجبل الأسود أيضًا الحرب على الدولة العثمانية ما خلق جبهة جديدة. وقد كان تقدم الجيوش الروسية سريعًا جدًا. وأمام خطورة الوضع، وافقت الدولة العثمانية على توقيع هدنة في 31 كانون الثاني/ يناير 1878.

(35) في 3 آذار/ مارس 1878، أملت روسيا على الدولة العثمانية معاهدة سان ستيفانو. لكن هذه المعاهدة لم تطبَّق قط، لأن القوى الأوروبية أجبرت روسيا على التخلي عنها والقبول بعقد مؤتمر جديد في برلين ما شكل فرصة للتفاوض على شروط معاهدة جديدة لأن معاهدة سان ستيفانو لم تنل موافقة القوى الكبرى، وخصوصًا إنكلترا والنمسا اللتين كانتا غير راضيتين عن هذا الأمر بأكمله. كما كانت دول البلقان أيضًا غير راضية. وأمام التهديد بحرب نمساوية، اضطر ألكسندر الثاني إلى قبول الدعوة لمعاهدة برلين. لكن حتى قبل هذا الاجتماع، أسيء إلى معاهدة سان ستيفانو عبر اتفاق سري - اتفاقية قبرص (4 حزيران/ يونيو 1878) - حصلت إنكلترا بموجبه على التنازل عن جزيرة قبرص. في المقابل، تعهدت بضمان انسحاب القوات الروسية من المناطق الشرقية المحتلة قبل تنفيذ الإصلاحات. وكرس مؤتمر برلين (13 حزيران/ يونيو 1878) خسارة الكثير من الأراضي: استقلال الولايات الأوروبية في صربيا ورومانيا وبلغاريا. واحتلال البوسنة والهرسك من النمسا والمجر واحتلال شرق الأناضول من الروس (باطوم، قارص، أرداهان).

Scanned with CamScanner

حرب عامَي 1877 و1878 من خلال توازن القوى القائمة آنذاك، ثم من خلال تنظيم القوات العثمانية، وتقويم الأهداف والوسائل والإنجازات والمعوقات التي واجهتها.

في بداية النزاع، قدم وزير الحربية رديف باشا[36]، بناءً على طلب من السلطان، قائمة بالقوات المسلحة العثمانية. وبدا التقرير الذي قدمه للقصر بعيدًا جدًا من الواقع، وترك انطباعًا بأن مصير الحرب سيكون مواتيًا للعثمانيين.

كان عديد القوات العثمانية الموجودة على جبهات الدانوب - الحدود الأوروبية مع روسيا وباطوم [أو باطومي وهي في جورجيا اليوم] وأرضروم - والحدود الشرقية مع روسيا - تقارب 278,000 رجل. ومع قوات الاحتياط في اسطنبول، يتجاوز عديد القوات 298,000 رجل. مع ذلك، لم يتجاوز عدد الرجال المدرَّبين 150,000 رجل. علاوة على قوات الاحتياط، قام رديف باشا أيضًا بتعبئة المستحفظة أو الحرس الوطني (mustahfaz)، وهم رجال راوحت أعمارهم بين الخمسين والستين عامًا[37].

في خلال مؤتمر اسطنبول[38]، قدم المسؤولون للسلطان أرقامًا متفاوتة جدًا في ما يخصّ الجيش. فقام الصدر الأعظم [رئيس الوزراء] مدحت باشا[39] بتشكيل لجنة استثنائية من الجنرالات لدراسة وضع الجيش العثماني. وكانت دهشته كبيرة؛ إذ لم يكن لدى أي من هؤلاء أي معلومات موثوقة.

---

(36) كان محمد رديف باشا وزيرًا للحربية بين أيلول/ سبتمبر 1876 وتموز/ يوليو 1877.

(37) Mahmud Celâleddin Paşa, *Mir'ât-ı hakîkat*, Prepared for Publication by I. Miroğlu (Istanbul: Berekât Yayinevi, 1983), p. 295.

(38) عقد مؤتمر اسطنبول في 23 كانون الأول/ ديسمبر 1876 برئاسة وزير الخارجية العثماني صافت باشا، ومندوبين عن روسيا وبريطانيا وفرنسا والنمسا وألمانيا وإيطاليا. يُنظر:
P. Dumont, «La Période des Tanzimât 1839-1878», dans: R. Mantran (éd.), *Histoire de l'Empire ottoman* (Paris: Fayard, 1989), pp. 516-517.

(39) قام مدحت باشا، الصدر الأعظم، وللتعامل مع مطالب المحفل الأوروبي، بوضع دستور مع رجال محيطه، وقام بالإعلان عنه يوم افتتاح مؤتمر اسطنبول لإبطال ادعاءات القوى الكبرى. يُنظر:
Dumont, «La Période des Tanzîmât,» pp. 516-517.
مع ذلك، انتهى المؤتمر بالفشل، وأنهيت المفاوضات في 20 كانون الثاني/ يناير 1877.

Scanned with CamScanner

حرب عامَي 1877 و1878 من خلال توازن القوى القائمة آنذاك، ثم من خلال تنظيم القوات العثمانية، وتقويم الأهداف والوسائل والإنجازات والمعوقات التي واجهتها.

في بداية النزاع، قدم وزير الحربية رديف باشا[36]، بناءً على طلب من السلطان، قائمة بالقوات المسلحة العثمانية. وبدا التقرير الذي قدمه للقصر بعيدًا جدًا من الواقع، وترك انطباعًا بأن مصير الحرب سيكون مواتيًا للعثمانيين.

كان عديد القوات العثمانية الموجودة على جبهات الدانوب - الحدود الأوروبية مع روسيا وباطوم [أو باطومي وهي في جورجيا اليوم] وأرضروم - والحدود الشرقية مع روسيا - تقارب 278,000 رجل. ومع قوات الاحتياط في اسطنبول، يتجاوز عديد القوات 298,000 رجل. مع ذلك، لم يتجاوز عدد الرجال المدرَّبين 150,000 رجل. علاوة على قوات الاحتياط، قام رديف باشا أيضًا بتعبئة المستحفظة أو الحرس الوطني (mustahfaz)، وهم رجال راوحت أعمارهم بين الخمسين والستين عامًا[37].

في خلال مؤتمر اسطنبول[38]، قدم المسؤولون للسلطان أرقامًا متفاوتة جدًا في ما يخصّ الجيش. فقام الصدر الأعظم [رئيس الوزراء] مدحت باشا[39] بتشكيل لجنة استثنائية من الجنرالات لدراسة وضع الجيش العثماني. وكانت دهشته كبيرة؛ إذ لم يكن لدى أي من هؤلاء أي معلومات موثوقة.

---

(36) كان محمد رديف باشا وزيرًا للحربية بين أيلول/ سبتمبر 1876 وتموز/ يوليو 1877.

(37) Mahmud Celâleddin Paşa, *Mir'ât-ı hakîkat*, Prepared for Publication by I. Miroğlu (Istanbul: Berekât Yayinevi, 1983), p. 295.

(38) عقد مؤتمر اسطنبول في 23 كانون الأول/ ديسمبر 1876 برئاسة وزير الخارجية العثماني صافت باشا، ومندوبين عن روسيا وبريطانيا وفرنسا والنمسا وألمانيا وإيطاليا. يُنظر:

P. Dumont, «La Période des Tanzîmât 1839-1878», dans: R. Mantran (éd.), *Histoire de l'Empire ottoman* (Paris: Fayard, 1989), pp. 516-517.

(39) قام مدحت باشا، الصدر الأعظم، وللتعامل مع مطالب المحفل الأوروبي، بوضع دستور مع رجال محيطه، وقام بالإعلان عنه يوم افتتاح مؤتمر اسطنبول لإبطال ادعاءات القوى الكبرى. يُنظر:

Dumont, «La Période des Tanzîmât,» pp. 516-517.

مع ذلك، انتهى المؤتمر بالفشل، وأنهيت المفاوضات في 20 كانون الثاني/ يناير 1877.

Scanned with CamScanner

حرب عامَي 1877 و1878 من خلال توازن القوى القائمة آنذاك، ثم من ١٨٧٨، تنظيم القوات العثمانية، وتقويم الأهداف والوسائل والإنجازات والمعوقات التي واجهتها.

في بداية النزاع، قدم وزير الحربية رديف باشا[36]، بناءً على طلب من السلطان، قائمة بالقوات المسلحة العثمانية. وبدا التقرير الذي قدمه للقصر بعيدًا جدًا من الواقع، وترك انطباعًا بأن مصير الحرب سيكون موائيًا للعثمانيين.

كان عديد القوات العثمانية الموجودة على جبهات الدانوب الحدود الأوروبية مع روسيا وباطوم [أو باطومي وهي في جورجيا اليوم] وأرضروم والحدود الشرقية مع روسيا - تقارب 278,000 رجل. ومع قوات الاحتياط في اسطنبول، يتجاوز عديد القوات 298,000 رجل. مع ذلك، لم يتجاوز عدد الرجال المدرَّبين 150,000 رجل. علاوة على قوات الاحتياط، قام رديف باشا أيضًا بتعبئة المستحفظة أو الحرس الوطني (mustahfaz)، وهم رجال راوحت أعمارهم بين الخمسين والستين عامًا[37].

في خلال مؤتمر اسطنبول[38]، قدم المسؤولون للسلطان أرقامًا متفاوتة جدًا في ما يخصّ الجيش. فقام الصدر الأعظم [رئيس الوزراء] مدحت باشا[39] بتشكيل لجنة استثنائية من الجنرالات لدراسة وضع الجيش العثماني. وكانت دهشته كبيرة؛ إذ لم يكن لدى أي من هؤلاء أي معلومات موثوقة.

---

(36) كان محمد رديف باشا وزيرًا للحربية بين أيلول/ سبتمبر 1876 وتموز/ يوليو 1877.

(37) Mahmud Celâleddin Paşa, *Mir'ât-ı hakikat*, Prepared for Publication by I. Miroğlu (Istanbul: Berekât Yayinevi, 1983), p. 295.

(38) عقد مؤتمر اسطنبول في 23 كانون الأول/ ديسمبر 1876 برئاسة وزير الخارجية العثماني صافت باشا، ومندوبين عن روسيا وبريطانيا وفرنسا والنمسا وألمانيا وإيطاليا. يُنظر:
P. Dumont, «La Période des Tanzîmât 1839-1878», dans: R. Mantran (éd.), *Histoire de l'Empire ottoman* (Paris: Fayard, 1989), pp. 516-517.

(39) قام مدحت باشا، الصدر الأعظم، وللتعامل مع مطالب المحفل الأوروبي، بوضع دستور مع رجال محيطه، وقام بالإعلان عنه يوم افتتاح مؤتمر اسطنبول لإبطال ادعاءات القوى الكبرى. يُنظر:
Dumont, «La Période des Tanzîmât,» pp. 516-517.
مع ذلك، انتهى المؤتمر بالفشل، وأنهيت المفاوضات في 20 كانون الثاني/ يناير 1877.

Scanned with CamScanner

الجدول (1 - 2)

القوات العثمانية القابلة للتعبئة وفقًا لوزير الحربية[40]

الجنود القابلون للتعبئة [mumazzal]	عدد الرجال
دوبروكا، سيليستري روسجوك، فيدين، فيومنو تيرنوفا، غابروفا، فارنا أدرنه، نيش، صوفيا (أوروبا)	186.500
البوسنة والهرسك أشقودرة (أوروبا)	107.500
يانينه، ينيشهر (أوروبا)	15.800
كريت	10.300
قارص، أرداهان، بيازيد أرضروم (آسيا)	70.900
باطوم (آسيا)	20.800
اسطنبول	20.500
طرابلس الغرب (أفريقيا) إزمير، الحجاز (آسيا) ومراكز فيالق الجيش الثالث والخامس والسادس والسابع، فضلًا عن ترسخانه[41]	58.000
المجموع	**490.300**

في عقب تحقيقاته، قدَّر مدحت باشا عدد الجنود بحوالى 650,000 جندي، بـ

(40)

the Pays, p. 204.

(41) تعريب Tershane : الترسانة البحرية.

قدّر كل من محمود باشا ورديف باشا العدد بـ 700,000 جندي. مع ذلك، كان مختار باشا قد أبلغ القصر مسبقًا بأن التقدير ينبغي ألّا يتخطى 300,000 جندي. عند إعلان الحرب، قدم رديف باشا قائمة بالجنود. وبحسب هذه المعلومات، كان عدد الجنود 490,000 جندي، بواقع 309,800 جندي في البلقان و101,100 جندي في الأناضول، أي على الحدود الشرقية. في البلقان، توزعت القوات على النحو الآتي: 186,500 جندي في بلغاريا وتراقيا، 107,500 جندي في البوسنة والهرسك والجبل الأسود، وأخيرًا 15,800 جندي في أنحاء يانينه وينيشهر. في شرق الأناضول، كانوا 70,900 جندي في قارص وأرداهان وبيازيد و20,800 جندي في باطوم. وفقًا لهذه الحسابات، كان يمكن 287,000 رجل مواجهة القوات الروسية المتقدمة، من دون إغفال أن 150,000 رجل فقط كانوا مدرَّبين، وكان الباقي من الاحتياط الرديف غير المدرَّبين، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الرجال الذين راوحت أعمارهم بين الخمسين والستين عامًا من الحرس الوطني أو المستحفظة[42]. لذا كانت القوى العثمانية متفاوتة جدًا.

كانت مشكلة تقدير عديد القوى المتوافرة بين عديد اسمي وعديد فعلي مسألة حاسمة؛ إذ كان يجب أن يضم العديد الاسمي لقوات الفيلق الرابع للجيش[43] أكثر من 24 كتيبة للمشاة. أما قانون الخدمة النافذ المفعول، فكان يسمح بالاعتماد على الأربعة أضعاف في حال التعبئة، أي على 96 كتيبة، تتألف كل منها من 900 رجل، مع أربعة أفواج من الفرسان و96 من مدافع الميدان أو المدافع الجبلية. وعلى الرغم من تنظيم خدمة النقل، بدا أن الخيول والبغال قليلة العدد وغير كافية[44].

في الواقع، لم يصل عديد القوى العاملة في كتائب المشاة إلى 900 رجل البتة، وإنما بقي عند حدود 600 رجل. أما أفواج سلاح الفرسان، فلم تجهز من عديدها إلا أكثر من النصف بقليل على الخيول. كذلك كان الأمر بالنسبة إلى

---

(42) Karal, *Osmanlı tarihi*, vol. 8, p. 43.

(43) كان الفيلق الرابع يتمركز في أرزينجان في آسيا.

(44) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, annexe au rapport no. 390 du 4 mars 1912, première conférence de Gâzî Ahmet Muhtar Paşa à l'École militaire.

Scanned with CamScanner

أفواج سلاح المدفعية التي لم يكن بإمكانها تلقي الذخيرة اللازمة نظرًا إلى انعدام وسائل النقل. وكانت حالة الطرق ووسائل الاتصال سيئة. وحدها الأسلحة كانت مكتملة العدد في المستودعات[45].

كان الوضع الذي وجد القائد أحمد مختار باشا نفسه فيه أبلغ مثال على ما ذكرنا. فقد شكل جيشًا متناثرًا، غير مكتمل العدد[46]، سيئ التأطير، معظمه غير مدرَّب، يفتقر إلى وسائل النقل والخرائط. وعندما بوغت بقوة مؤلفة من 125,000 رجل بقيادة الدوق الأكبر ميشال[47]، كان لا يزال يجمع على عجل عديدًا يراوح بين 57,000 و58,000 رجل[48].

يبدو تحديد عدد القوات المساندة أكثر صعوبة من تحديد عدد الجيش النظامي. فجيش الأناضول، على سبيل المثال، كان يتألف من 96 كتيبة من القوات النظامية والاحتياط إلى جانب 32 كتيبة من القوات المساندة. ونتكلم هنا على الجنود الأكراد الذين قام بتسجيلهم والي أرضروم، قرت إسماعيل باشا. عمليًا، ووفقًا لمحمود جلال الدين باشا، كانت هذه الكتائب افتراضية بحت، موجودة على الورق فحسب. والالتزامات التي قطعها زعماء العشائر الكردية ثبت أنها مزيفة[49]. مع ذلك، من المستغرب أنه لم يجر مطلقًا تشكيل أي وحدة كردية مساندة، ما يبدو ضعيف الصدقية. عمومًا، يبرز هذا المثال عدم إمكان الاعتماد على قوات المساندة هذه.

في المقابل، كان يمكن القوات المساندة أن تشغل حيزًا مهمًا داخل الوحدات؛ مثل القوة المكلفة الدفاع عن باطوم، التي كانت تتألف في معظمها من الجنود المحليين واللاز، مشكِّلَةً بذلك فرقة مساندة. إضافة إلى ذلك، جرى

---

(45) في الواقع، كان هناك نوعان مختلفان من البنادق، مارتيني وسنايدر، وقد كانتا أكثر تقدمًا من البندقية التي كانت قوات المشاة الروسية تتسلح بها. يُنظر، المؤتمر الأول للغازي أحمد مختار باشا في المدرسة العسكرية.

(46) كان هناك 10,000 مريض. يُنظر:

(47) هو ميشال ألكسندروفيتش رومانوف (1878-1918). (المراجع)

(48)

(49)

elaleddin Paşa, p. 334.

Scanned with CamScanner

توزيع أسلحة جديدة عليهم. ومع عدد إجمالي للقوات النظامية يناهز 12,000 رجل[50]، كان عدد جنود المساندة ذا أهمية؛ إذ تخطى عتبة الستة آلاف رجل.

تباينت أعمار جنود المساندة إلى حد بعيد. فعلى سبيل المثال، وللدفاع عن أرداهان، طلب الجنرال حسين باشا العون من أرضروم[51]. وأُرسل إليه ما يُقدر بألف من المشاة و140 رجلًا من الفرسان الإضافيين (asakir-i muâvini). غير أن معظم أبناء هؤلاء الجنود هرب من التجنيد، تاركًا الآباء في وضع الرهائن، من دون بديل سوى الذهاب بأنفسهم إلى الحرب. علمًا أن هؤلاء الرجال الذين راوحت أعمارهم بين الستين والسبعين عامًا، لم يكونوا ذوي فائدة تذكر[52]. فضلًا عن القوات المساندة المحلية والميليشيات، جرى استدعاء قوى أخرى مماثلة مستبعدة من مسرح الحرب، نظرًا إلى النقص في عديد القوات، سواء النظامية أم غير النظامية. وعلى الرغم من العيوب المتأصلة كلها في مثل هذه العملية - مشكلات التوجيه والمواعيد المحددة للانتقال - اضطر أحمد مختار باشا إلى أن يطلب بإلحاح مساعدة من قوات إضافية تنتمي إلى تشكيلات أخرى من الجيش. جرى إرسال عدد محدد من المشاة والفرسان إليه من بغداد، عبارة عن كتيبة من المشاة من الموصل، أربع سرايا من سلاح الفرسان من بغداد، وبعض الكتائب من اسطنبول. كانت هذه التدابير محدودة الزمان والمكان، إضافة إلى أن القوات المرسلة غير النظامية لم تتمكن من تغطية الحاجات المطلوبة[53].

ما الحد الذي بلغته القوات المعادية؟ وعلام قام ميزان القوى الميداني؟ اختلف عديد القوات الروسية وفقًا لفترات الحرب. عمومًا، بلغ عديد هذه القوات 250,000 رجل، منهم 160,000 رجل في الأناضول الشرقية. وأضيف إلى القوات الروسية في البلقان أكثر من 60,000 رجل من الرومانيين، كما

---

(50) Ibid

(51) اقترب الروس من أرداهان مع تسعة أفواج من سلاح الفرسان، و20 من كتائب المشاة و27 من كتائب المدفعية. يُنظر:
Ibid., p. 335.

(52) Ibid., p. 336.

(53) Ibid., pp. 357-359

Scanned with CamScanner

قدّم الصرب يد المساعدة في أثناء الدفاع عن بليفني[54]. وذكر المؤرخ العثماني محمود جلال الدين أن 250,000 رجل كانوا في صفوف الجيش الروسي على الجبهة الأوروبية في بداية الحرب[55]. ومن ثم انضمت القوات الرومانية التي ضمت بين 80,000 و100,000 رجل. أما على جبهة الأناضول، فقارب عديد القوات الروسية بقيادة الدوق ميشال، أخ القيصر، 160,000 رجل، ليصل عديد قوى العدو إلى حوالى 500,000 رجل[56].

إذاً، فاق عديد قوات العدو بكثير الـ 150,000 رجل الذين جندتهم السلطنة، ووجدت القوات العثمانية نفسها متخلفة عدديًا في مواجهة الأعداء. كان عديد القوات العثمانية أقل بكثير من عديد القوى المعادية، ما طرح مشكلة تجنيد القوات البرية التركية وضرورة القيام بإصلاح جديد. كان يبدو أنه من الضروري زيادة عدد الجنود، بالتوازي مع ضرورة تعليمهم. وكان امتلاك قوة كبيرة ذات صفات حربية بيّنة، هو الهدف المراد بلوغه.

بعد هذه الهزيمة القاسية، بدأ التفكير في اعتماد إصلاحات بغية العودة إلى المسار الصحيح. ومنذ عام 1879 كان الإصلاح الأكثر أهمية هو اعتماد الفرقة كوحدة أساسية للجيش، على غرار الجيوش الأوروبية. وبقيت مدة الخدمة العسكرية 20 عامًا. جرى خفض مدة الحراسة الوطنية (mustahfaz) من 8 إلى 6 سنوات، فيما زيدت الخدمة الاحتياطية من 6 إلى 8 سنوات. ألغي المجلس العسكري ودمج بوزارة الحربية التي توسع نطاق مسؤولياتها[57]. جرى اتخاذ الخطوة التالية بالتعاون مع البعثة العسكرية الألمانية التي عُيّنت في السلطنة ابتداءً من عام 1882.

---

(54) *Askeri Osmanlı tarihi*, vol. 8, p. 44.

مدينة تقع في شمال بلغاريا على بعد 132 كلم من ناحية الشمال الشرقي للعاصمة صوفيا. (المترجم)

(55) في بداية الحرب، كان الروس يمتلكون 151 كتيبة من المشاة و234 فوجًا من الفرسان و[illegible] فرقة لمدفعية الميدان. وقارب مجموع القوى الـ 250,000 رجل على الجبهة الأوروبية. وتألفت القوات الرومانية من فيلقين للجيش، وكانت في حالة تأهب لمساعدة روسيا. يُنظر: [illegible]alm Paşa, p. 291.

(56) كان عديد جيش الدوق الكبير 159,689 جنديًا، ولديه 336 مدفع ميدان، يُنظر: [illegible]

(57) [illegible] "Tanzimat ve ordu yenilikleri," p. 1265.

4- قانون التجنيد الصادر في 25 تشرين الثاني/ نوفمبر 1886[58]

جرى إعداد قانون عام 1886 بقيادة الجنرال فون در غولتز (Colmar von der Goltz). بقيت مدة الخدمة العسكرية على حالها من دون تغيير: 20 عامًا للقوات البرية (المادة الرابعة). واستُبدلت تسمية الجيش النظامي بالقوات النظامية (Kuvvet-i nizâmiyeh) التي تضم مجتمعة الفئات الثلاث الكبرى في قوات الدولة العثمانية: الجيش النظامي (muvazzaf المطلوب للخدمة العسكرية) لست سنوات، الاحتياط الرديف لثماني سنوات، والحرس الوطني (mustahfaz) لست سنوات (المادة الرابعة). لم تعد فئة الاحتياط الرديف تتكون من دفعتي استدعاء (ميليشيا)، وإنما صار تعيينها وفقًا للأرقام. لا يقوم المجندون بسحب القرعة إلا مرة واحدة، في الحادي عشر من أيار/ مايو. وهكذا، لا يكون على المعفيين العودة في العام الثاني. وكان يتم تعيينهم في فئة من فئات الاحتياط الرديف وفقًا لأرقامهم. تفادى هذا النظام ألا يمر الأكثر حظًا ممن سحبوا ورقة بيضاء «بوش» (boş) كل سنة في الحرس الوطني من دون خدمة، ومن دون تلقي التدريب.

من مساوئ النظام القديم أن 60 في المئة تقريبًا من جنود الاحتياط النظامي كانوا من دون تدريب على الإطلاق[59]. في الواقع، كان الشبان المسلمون المسجلون على قوائم التجنيد يمرون أولًا أمام مجلس مراجعة يقوم بتقسيمهم إلى فئتين: الذين لديهم سبب وجيه للإعفاء أو الذين لم يكن لعائلاتهم أي معيل (muinsiz، من دون معين)، جرى تصنيفهم جنودًا في الاحتياط الرديف أو جرى شطبهم من اللوائح وأرسلوا إلى منازلهم. أما أولئك الذين لدى عائلاتهم معيل (muinli، مع معين)، وكانوا مؤهلين للخدمة العسكرية، فكانوا الوحيدين الذين يدخلون سحب القرعة. أولئك الذين كانوا يقومون بسحب القرعة حملوا اسم «قاف» (qafli)، وذلك أن «القاف» هو الحرف الأول من كلمة «قرعة»[60].

---

(58) *Askeri Kanunnameyi Humayunu, Dustur, Inci tertip, Vinci kasim*, pp. 655-695.

(59) NHAT, TN1629, rapport no 110, Péra, le 10 novembre 1886, pp. 1-3.

(60) بعض الجنود يتقلون إلى الاحتياطي، من الناحية النظرية، كان عليهم أداء أربعين يومًا من الخدمة لرئيس تحرير نحبد الكتاب، بحجة التوفير، ولم يتم استدعاؤهم منذ عام 1882.

= Ibid.

لا تحمل القصاصات التي كان عليهم سحبها أي أرقام. بعضها كان أبيض وفارغًا، وبعضها الآخر كان ممتلئًا (dolu)، يحمل كلمة «asker». من يسحبون القصاصة الممتلئة يجري إلحاقهم بالجيش النظامي، أما الذين يسحبون القصاصات الفارغة فيجري إرسالهم إلى منازلهم ليعودوا لاحقًا على مدى خمس سنوات لإجراء سحب القرعة. فإذا قاموا بسحب قصاصة ممتلئة، يُصنَّفون بحسب سنهم في الجيش النظامي لغاية الثالثة والعشرين أو في احتياط الجيش النظامي لغاية السادسة والعشرين. عند بلوغهم السابعة والعشرين من العمر، يُدرَجون في الجيش الاحتياطي، أما أولئك الذين لم يخدموا قط في القوات المسلحة فقد كانوا يتلقون تدريبًا عسكريًا أوليًا[61].

سعى القانون الجديد إلى تحسين تدريب الجيش العثماني، من طريق إلحاق أكبر عدد من الرجال في الخدمة الفعلية واتخاذ تدابير فاعلة لتدريب الرجال الذين تُركوا في منازلهم. لم يعد الشبان المسلمون يسحبون مجموعة من الأرقام في القرعة أكثر من مرة واحدة. كان يجري استدعاء الأرقام الأولى للخدمة في القوات المسلحة مدة ثلاث سنوات، ما عدا حالات الصرف المبكر. الأرقام الأخيرة كان يجري استدعاؤها تباعًا للخدمة العسكرية لفترات تدريب تختلف بحسب فيلق الجيش، وتراوح بين ستة وتسعة شهور. وكانوا يؤدون خدمتهم العسكرية في الكتيبة الأقرب. وفي حال عدم توافر مواقع عسكرية قريبة كما هي الحال في وسط آسيا الصغرى، على سبيل المثال، كانوا يتدربون في ثكنات التجنيد التابعة لكتائب الاحتياط الرديف. لم تعد الفئات الثمانية للاحتياط الرديف مقسمة إلى دفعتي استدعاء كما في السابق، وإنما جرى تعيينها بحسب أرقامها. كل منطقة للتجنيد (مركز) (merkez) التي كان عليها سابقًا تقديم فوج من الدفعة الأولى من الاحتياط الرديف (redîf mukaddem)، وفوج من الدفعة الثانية (redîf sanî)، باتت تقدم من الآن

= مع ذلك، كان هناك تفسير آخر في الملحق رقم 4 من التقرير رقم 21 في 25 شباط/ فبراير 1889 (S.H.A.T., 7N1630)، يتعلق بأصل الكلمة التركية «kalan» التي معناها الحرفي هو «المتبقي»: أي «المنبقي» من الشباب المعفيين من الخدمة العسكرية، وعلى العكس، أولئك الذين هم غير معفيين. وجميع أولئك الذين عُلّمَت أسماؤهم بحرف «q»، كانوا رجال الدفعة الأولى من الجيش النظامي (المادة 79).

(61) S.H.A.T., 7N1629, Péra, Constantinople, rapport no. 110 du 10 novembre 1886.

Scanned with CamScanner

فصاعدًا لواءً مؤلفًا من فوجين من الاحتياطيين. وهذا من شأنه مضاعفة مراكز الكتائب من دون زيادة التأطير. كما جرى إنشاء مستودعات جديدة للتجنيد مع مخازن للأسلحة والملابس والمعدات، ما أدى إلى تبسيط التعبئة[62]. أما بالنسبة إلى أولئك الذين كانت أسرهم من دون معيل (muinsiz)، فجرى تصنيفهم مباشرة من دون سحب القرعة في عداد الدفعة الثانية من المطلوبين، وكانوا يخدمون، عند استيفائهم الأهلية العسكرية، في قراهم أو في الجوار، كل يوم جمعة منذ صلاة الفجر حتى المساء.

باختصار، حمل هذا القانون الجديد الحد الأدنى من التعليم لجنود الاحتياط جميعهم. وفي أوقات الحرب، جرى تجهيز عدد كبير من الرجال ممن أسرهم بلا معيل والمدربين مسبقًا لملء الثغرات في صفوف الجيش النظامي. إضافة إلى ذلك، كان الجنود جميعهم في الكتيبة الواحدة تقريبًا في السن نفسها، الأمر الذي خلق نوعًا من التجانس. في الواقع، كان يحصل سابقًا، وفي أوقات الحرب، أن يُستكمل عديد الجيش النظامي بجنود الحرس الوطني (mustahfaz). كما توقفت كوادر التجنيد عن الذهاب بعدد من جنود الاحتياط الرديف، وبقيت للإشراف والاهتمام بقوات الحرس الوطني[63]. من ناحية أخرى، تطرق المشرعون إلى إحدى سلبيات القانون القديم التي تسببت في انخفاض نمو السكان. في الواقع، أعفي الرجال الذين سحبوا القرعة من الخدمة لمدة سنة، وذلك خوفًا من دمجهم مع الجيش النظامي، لأنهم كانوا ينتظرون بلوغ سن السادسة والعشرين كي يتزوجوا[64].

في البحرية، خفضت الخدمة العسكرية لتصبح اثني عشر عامًا. ثماني سنوات من الخدمة النظامية (muvazzaflık) وأربع سنوات في الاحتياط (المادة 6). أما الاحتياط الوطني فلم يكن له وجود في سلك البحرية.

---

(62) يُنظر:
يُنظر أيضًا: Ibid.

(63) S.H.A.T., 7N1630, Constantinople, annexe 5 au rapport no. 21 du 25 février 1889.

(64) S.H.A.T., 7N1629, rapport no. 110, Péra, le 10 novembre 1886.
S.H.A.T., 7N1630, Constantinople, annexe 5 au rapport no. 21 du 25 février 1889.

Scanned with CamScanner

مسألة تجنيد غير المسلمين

جرى اقتراح تعيين الأرمن منذ عام 1839 من قائد القوات المسلحة محمد حافظ باشا، بنسبة جندي واحد من كل عشرين. أما مولتكه (Moltke) فاقترح تأليف كتائب منفصلة حيث يمكن الوصول إلى رتبة قائد. إلا أنه اعتمد مبدأ تعيين غير المسلمين في خلال حرب القرم وألغيت الجزية في 14 أيار/مايو 1855. في البداية، عُيّن عدد من غير المسلمين واختير الضباط من بينهم، وفُتحت أمامهم أبواب المدارس العسكرية. غير أن السلطان لم يعط موافقته قبل عام 1863[65]. وإذا كان عددهم مرتفعًا، كان يطلب منهم في مقابل تركهم، دفع ضريبة الإعفاء (bedel-i 'askeri). إلا أن كثيرًا من شبان الروملي فرّ إلى الحدود مع صربيا للهرب من هذا الالتزام الجديد. بعد هذه التجربة غير الحاسمة، وعند اعتماد الفرمان السلطاني لعام 1856، تقرر أن على غير المسلمين جميعهم إيفاء بدل الإعفاء[66].

نظرت في مسألة قبول غير المسلمين في الجيش في عامي 1869 و1870، لجنة خاصة بوزارة الحربية برئاسة القائد العام (serdâr-ı ekrem) عمر باشا. اقترحت هذه اللجنة حصر الخدمة العسكرية بالأرمن والبلغار، أي السكان المسيحيين الأوفياء للسلطة المركزية. وهكذا، استبعد المشروع سكان البوسنة والهرسك واليونانيين باعتبارهم مشاكسين ومولعين بالحرب. أُبقي على عملية اعتماد البديل، وقد كان عدد المسيحيين المجندين على الأرجح قليلًا، نظرًا إلى الرفاهية النسبية السائدة في أوساط السكان المسيحيين. وهكذا استطاعت وزارة المالية إيجاد مورد يعادل في الأقل بدل الإعفاء[67].

مع ذلك، بقي المشروع حبرًا على ورق، بسبب رفض ممثلي الطائفة الأرمنية له، فأُجلت المسألة وحُلت اللجنة من دون إقرار أي شيء. وفي خلال ذلك بقيت

---

(65) لم يتم قبول أي من الطلاب غير المسلمين في التجنيد. يُنظر: Ergun, pp. 730-731.

(66) Gülsoy, *Osmanlı gayrimüslimlerinın askerlik serüveni* (Istanbul: Simurg, 2000) pp 174-177.

(67) SHAT, 7N1624, Constantinople, rapport no. 20 du 4 avril 1876.

Scanned with CamScanner

هذه المسألة معلقة، بانتظار أن يُنظر فيها في وقت آخر ملائم[68]، ورافقتها نقاشات حادة في أوساط الرأي العام والصحافة العثمانية.

في عام 1875، جرى تغيير مفهوم بدل الإعفاء لغير المسلمين؛ إذ نص الفرمان السلطاني الصادر في 12 كانون الأول/ ديسمبر 1875 الذي سن إصلاحات جديدة، بأن يتم إعفاء كل مَن هم تحت سن العشرين أو فوق الأربعين، فضلًا عن المعوقين. غير أن هذا الإصلاح كان وهميًا؛ إذ جرى الإبقاء على الحصة الضريبية التي كان يجب أن تدفع بالكامل إلى وزارة المالية، كما كانت الحال سابقًا. وبالتالي، انخفض عدد دافعي الضرائب، وجرى تغيير القاعدة الضريبية، لتزيد بشكل كبير نسبة ما يدفعه أولئك الذين ظلوا خاضعين لها. ثار زعماء الطوائف غير المسلمة الذين تبلغوا الفرمان بشكل رسمي، ضد مساوئ هذا النظام الجديد وتشاوروا في ما بينهم لتقديم مذكرات متطابقة إلى الباب العالي بخصوص هذا الموضوع، لكن من دون جدوى. طلب السينودوس اليوناني من الحكومة الإبقاء على الوضع السابق، في حين ناشدت جماعات بلغارية عدة هيئاتها الدينية للحصول على إعفاء كامل من البدل والسماح لهم بالخدمة العسكرية أسوة بالمسلمين في صفوف الجيش العثماني[69]. أما البطريركية الأرمنية، فختمت عريضتها بعبارات مباشرة وصريحة، على النحو الآتي: «... يعتبر الأرمن أنه لشرف كبير أن يتم السماح لهم بإثبات تفانيهم وولائهم للسلطان في صفوف الجيش...»[70].

مال الضباط العامون إلى قبول غير المسلمين، الذي أوصى به القائد العام عمر باشا منذ عام 1869[71]. وكانت هناك محاولة جديدة في عام 1877 في أثناء التحضير للحرب الروسية - التركية. بعد عشرين يومًا من بدء النزاع، أعد وزير الحربية تقريرًا أرسله إلى الباب العالي، طالبًا فيه إنشاء قوة احتياطية من

---

(68) *Voennyĭ-Sbornik* (*Revue militaire russe*), no. 162 (1873).

(69) S.H.A.T., 7N1624, Constantinople, rapport du 31 janvier 1876.

(70) S.H.A.T., 7N1624, Constantinople, rapport no. 20 du 4 avril 1876.

(71) Ibid.

Scanned with CamScanner

200,000 رجل. في بداية التقرير، أشار إلى أن مجموع القوات يتمثل بـ 121 كتيبة، إلا أن 300 فقط منها كانت مؤهلة لمواجهة العدو. كانت الثورات في الجبل الأسود وصربيا والبوسنة هي السبب، فضلًا عن الوضع غير المستقر في المناطق الحساسة مثل كريت والحدود الفارسية. وبمجرد استدعاء جنود الاحتياط من الفئة الثالثة، وحرس الإقليم، بَلَغَ عديد هذه القوة 240,000 رجل. لذا طلب وزير الحربية اتخاذ تدابير استثنائية، مقترحًا تجنيد مسلمي اسطنبول وغير المسلمين جميعهم.

قدِّم هذا المشروع إلى مجلس الوزراء (meclis-i vükelâ) حيث ظهرت وجهات نظر مشتركة كثيرة. المؤيدون للحرب أيدوا هذا الاقتراح. وللدفاع عنه، اعتمدوا على قانون عام 1876 الذي أرسى مفهوم المساواة بين المسلمين وغير المسلمين. واقترحوا بدء التجنيد في اسطنبول ومن ثم توسيعه ليشمل الولايات الأخرى جميعها، وكذلك دمج غير المسلمين في الكتائب الموجودة أساسًا. أعرب أيضًا كثيرون عن آراء أقل تقدمية بكثير، بحجة قلة الثقة والولاء للسلطنة التي كان يمكن توقعها من غير المسلمين، حيث اعتبروا أن هذا النقاش قديم، وأنه بالنظر إلى تحفظات الجماعات غير المسلمة والفرار من الخدمة العسكرية، جرى إغلاقه مع استيفاء ضريبة الإعفاء. إضافة إلى ذلك، عارضوا أيضًا تجنيد اسطنبوليي الأصل. مع ذلك، لم تُعتمد هذه الاعتراضات وتقرر تجنيد من هم من غير المسلمين جميعهم. وأعطى السلطان موافقته، إلا أن ممثلي الطوائف غير المسلمة احتجوا بعنف، ليصبح تجنيد غير المسلمين في اسطنبول مستحيلًا. ومن باب أولى، فإن هذا الأمر كان ليصبح أكثر صعوبة في الولايات الأخرى. فأخذ مجلس الوزراء في الحسبان ردات الفعل هذه واستبق العواقب، وقرر التجنيد ضمن قوات الحرس الوطني (المستحفظة) فحسب[72].

بعد ذلك، جرى تعديل قانون التجنيد عبر إرادة سلطانية (irade) في أوائل تشرين الثاني/ نوفمبر 1903. وقسمت سنوات الخدمة العشرين كالآتي:

---

(72) Celâleddin Paşa, pp. 303-304.

Scanned with CamScanner

الجدول (1-3)

توزيع الخدمة العسكرية في عام 1903[73]

	المجموع	المشاة	الفرسان، المدفعية
الجيش النظامي (nizâm)	9 سنوات	3 سنوات	3 سنوات
الاحتياط النظامي (ihtiyât)	–	6 سنوات	5 سنوات
الاحتياط الرديف (redif)	9 سنوات	9 سنوات	9 سنوات
الحرس الوطني (mustahfazlik)	سنتان	سنتان	سنتان

يُعزى هذا التغيير إلى المخاوف من اندلاع حرب جديدة مع بلغاريا[74]. فأراد السلطان رفع عديد كتائب الجيش النظامي والاحتياط الرديف إلى 1000 رجل في كل كتيبة عسكرية[75].

اعتُمد خيار الإعفاء، من خلال دفع ضريبة قدرها 50 ليرة تركية، وكان على الجنود الشبان تلبية شروط معينة معتمدة من السلطات المدنية وأداء ثلاثة شهور من الخدمة في الكتيبة الأقرب إلى مكان إقامتهم. إلا أن هذا الإعفاء لم يكن ينطبق على الاحتياطي الذي كان عليه دفع مبلغ إضافي قدره 50 ليرة تركية[76].

اعتُبر دمج غير المسلمين الإصلاح الرائد لحركة «تركيا الفتاة»، وسمح بزيادة عديد الفرقة بمقدار الربع. واقترحت وزارة الحربية أن يصل العنصر غير المسلم إلى25 في المئة من القوى (12.5 في المئة من اليونانيين، 4.5 في المئة

---

(73) S.H.A.T., 7N1634, Constantinople, rapport no. 649 du 17 novembre 1903.

(74) S.H.A.T., 7N1634, Constantinople, rapports no. 640 du 25 septembre 1903 et no. 645 du 19 octobre 1903.

(75) عندما اعتقد السلطان أن الحرب مع بلغاريا باتت وشيكة، رفع إلى 1000 رجل عديد الكتائب النظامية في الفيلقين الثاني والثالث، ورفع إلى العدد نفسه عديد 80 كتيبة من الاحتياط الرديف الذي تمت تعبئته عبر مرسوم ملكي في 21 أيلول/ سبتمبر.

(76) S.H.A.T., 7N1634, Constantinople, rapport no. 649 du 17 novembre 1903.

S.H.A.T., 7N1634, Constantinople, rapport no. 594 du 8 juin 1903.

Scanned with CamScanner

من الأرمن، 4 في المئة من الصرب والبلغار و4 في المئة من السوريين المشرقيين واليهود)[77]. أحيا هذا الإصلاح آمالًا كبيرة بين السياسيين والضباط. ومع جمع العناصر العثمانية جميعها تحت لواء الخدمة العسكرية، تحققت خطوة إلى الأمام في خطة تأليف الوحدة الوطنية. وكان الانتقال إلى تآخي الثكنات المكون الأساس الأول، بانتظار مجانية التعليم وإلزاميته لاحقًا[78].

مع ذلك، لم يكن من السهل تعيين هؤلاء المجندين الجدد. فقد جرى توزيع المنتسبين غير المسلمين على أفواج موجودة أساسًا في النظام، وذلك لصهرهم في جسم الوحدة العسكرية، لكن المشكلة كانت أكثر صعوبة بالنسبة إلى جنود الاحتياط المجندين محليًا والذين عليهم الانتقال إلى أراضٍ بعيدة. والتعبئة على أساس إقليمي ستؤدي حتمًا إلى تأليف ألوية أو أفواج من غير المسلمين في الفيلقين الثاني والثالث في الجيش (صرب، بلغار أو يونانيين)[79]. كان هناك خياران فقط: تأليف أفواج من غير المسلمين، أو التخلي عن استدعاء هذا الاحتياط والسماح له بالدفاع عن تلك الأراضي المهددة[80].

تمت الموافقة على قانون التجنيد لغير المسلمين في 25 تموز/ يوليو 1909 من مجلس الأعيان، وصُدِّقَ عليه من خلال إرادة سلطانية في 8 آب/ أغسطس 1909. ألغيت ضريبة الإعفاء العسكرية ابتداء من عام 1909-1910. وبات على الرجال جميعهم الذين هم في سن الخدمة العسكرية، مسلمين كانوا أم غير مسلمين، والذين تعود أصولهم إلى الولايات المعفاة سابقًا، أن يتوجهوا لسحب القرعة ابتداءً من عام 1909-1910 (المادة 1)[81].

كانت السلطات الكنسية المحلية شريكة مذاك في مجلس المراجعة الجديد.

---

(77) Ibid.

(78) Ibid.

(79) Ibid.

(80) Ibid.

(81) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 383 du 15 octobre 1909.

Scanned with CamScanner

والإعفاءات الوحيدة الممنوحة كانت للسلطات الدينية[82]. استمر إعفاء تلامذة المدارس العليا المعترف بها من الدولة، ومعلمي المدارس المحلية الرسمية التي تضم معلمًا واحدًا وأول ثلاثة أساتذة في المدارس الابتدائية في المدن[83].

كان يُفترض تطبيق القانون ابتداء من عام 1909. وبدأ إحصاء السكان غير المسلمين تمهيدًا للاشتراك في القرعة المقبلة في اسطنبول وباقي السلطنة. جرت قراءة الفرمان السلطاني المتعلق باستدعاء العناصر غير المسلمة جميعها إلى الخدمة العسكرية في خلال تشرين الثاني/ نوفمبر من عام 1909 في مدن السلطنة الرئيسة ضمن جو من الجدية التامة[84].

عمليًا، لم تُسعد هذه المقاربة أحدًا من اليونانيين أو الصرب أو الأرمن أو البلغار أو اليهود. وسُجلت هجرة كبيرة للشبان عبر موانئ الأرخبيل جميعها والنقاط الرئيسة في الساحل السوري. وقد أخذ هذا التحرك مدى واسعًا دفع بالحكومة إلى التدخل لوقفه[85].

شرع الضباط العثمانيون في عمل تربوي يشرح للجنود أن غير المسلمين هم إخوتهم، ويتقاسمون معهم أعباء الحياة العسكرية، وذلك عبر اجتماعات مسائية. لكن فكرة التضامن هذه كانت صعبة الترسيخ وحصلت حوادث عدة في محاولة لمعارضة دمجهم.

جرت جنازة الجنرال محمد علي، قائد مدفعية الفيلق الثاني، في جو من التفخيم في أدرنة، في أوائل كانون الثاني/ يناير 1910. ورافق الموكب مسؤولو الفرق العسكرية للأسلحة جميعها، مصحوبين بالموسيقى العسكرية. لم يلق هذا الابتكار استحسانًا لدى الجنود الذين اعتبروا هذا الحفل طقسًا مسيحيًا. فقاموا

---

(82) تعلق الأمر بالبطاركة والكاثوليكوس والحاخام الأكبر والمطارنة والأساقفة والحاخامات وكبار الأديرة والكهنة والشمامسة العاملين والنساك الذين يعيشون في الأديرة، والإكليريكيين الذين خضعوا للامتحان. وكذلك الأشخاص الذين يدرسون أو يتعلمون في المدارس الكنسية.

(83) Ibid.

(84) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 404 du 13 decembre 1909.

(85) Ibid

Scanned with CamScanner

في يوم الجمعة التالي بالانتشار في المدينة، حيث شهدت عند المساء بداية تمرد. احتج الجنود بعنف على التجاوزات كلها ضد الشريعة الإسلامية وبشكل خاص على إدراج غير المسلمين في الجيش[86]. ويبين هذا الحادث بوضوح التفكير الذي كان سائدًا في الجيش، كما يؤكد شدة حساسية هذا الإصلاح.

تفاوض بطاركة الطوائف المختلفة حول شروط يُخص بها أبناء طوائفهم. فطلب البطريرك المسكوني[87] تأليف كتائب تتألف من المسيحيين فحسب. كما طالب الحاخام الأكبر بطعام خاص للمجندين اليهود. أما البطريرك الأرمني فطلب فرز الجنود الشبان في الحاميات الموجودة في مناطقهم الأصلية. واقترح مطران بلغاريا إعفاء ذوي المستوى المتوسط من التعليم من الخدمة، ووضع البلغار في أقسام خاصة في الثكنات، مع إجازة يوم الأحد لتأدية واجباتهم الدينية[88].

طبق هذا الإجراء في بداية آذار/ مارس 1910. واستدعيت الفئة من المجندين التي ولدت في عامي 1884 و1885، على أن يشمل هذا الإجراء لاحقًا المجندين المولودين في الأعوام 1881 و1882 و1883. وأُدمج الجنود الشبان الذين يعود أصلهم إلى اسطنبول بشكل أساس في الفيلقين الثاني والثالث من الجيش. أما أولئك الذين تعود أصولهم إلى تراقيا ومقدونيا فجرى فرزهم على مقربة من مكان إقامتهم، وجرى توزيع بضع مئات منهم على تشكيلات عسكرية مختلفة في حامية اسطنبول[89].

كانت هذه الدعوة للخدمة موجهة إلى الشبان الذين راوحت أعمارهم بين 25 و26 عامًا. وكان كثيرون منهم متزوجين، ما تسبب بكثير من التخبط داخل أسرهم. شددت الاتصالات الرسمية على الحماسة التي أظهرها المجندون

---

(86) في وقت متأخر من الليل، تمكنت مجموعة من الضباط، مدعومة من عدد كاف من القوات، من دخول الثكنة واعتقال حوالى خمسة عشر من القادة الذين سجنوا في سجن عسكري، ومن ثم اقتيدوا إلى سالونيك. يُنظر:
S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 413 du 8 janvier 1910.

(87) المقصود بطريرك الروم الأرثوذكس المقيم في اسطنبول ويسمى البطريرك المسكوني لأنه يتقدم على البطاركة المقيمين في القدس وأنطاكيا والإسكندرية. (المراجع)

(88)
S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 404 du 13 décembre 1909.

(89)
S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 432 du 12 mars 1910.

Scanned with CamScanner

الجدد في أثناء مغادرتهم، وعلى الترحيب الحار من السلطات العسكرية المحلية والجنود القدامى[90].

في أضنة، كانت عمليات فرار المجندين المسيحيين كثيرة. فمن أول نيسان/ أبريل ولغاية أول تموز/ يوليو 1912، أبحر 423 مسيحيًا عبر مرسين إلى الخارج[91]. كان هذا الفرار ملموسًا بشكل خاص في بعض المناطق، مثل سوريا ولازستان. واستمر كثير من الناس بدفع بدل الإعفاء[92].

في خلال حرب البلقان الأولى، جرى استدعاء الاحتياطيين المسيحيين جميعهم في جيش الاحتياط النظامي من الدفعات الثلاث المدربة الأصغر سنًا. وجرى دمجهم ليشكلوا ما يناهز 25 في المئة من العديد. وامتثلت الحكومة لطلب البطريركيات والحاخاميات الأساسية: لن يتم استدعاء الرعايا العثمانيين غير المسلمين الذين تراوح أعمارهم بين 29 و45 عامًا[93].

حدد قانون عام 1909 للتجنيد الخدمة العسكرية بثلاث سنوات. وصوّت المجلس العمومي على استثناء الضباط والمجندين الذين يخدمون في «البلدان الحارة»، ذات المناخ غير الصحي، و«المنهك». ضم هذا الاستثناء الفيلق السادس للجيش (بغداد)، الفيلق السابع (اليمن)، قوات الحجاز، قوات نجد (العربية) وقوات فزان (طرابلس الغرب).

حُددت مدة الإقامة في هذه البلدان بسنتين للجنود والضباط حتى رتبة عميد[94]. وتلقى الضباط بدلًا إضافيًا شهريًا يعادل نصف رواتبهم. كما لم يتم

---

(90) Ibid

(91) S.H.A.T., 7N1637, Constantinople, rapport no. 526 du 17 septembre 1912.

(92) في قضاء سالونيك، تم جمع 70,000 ل.ت، 17,000 في إنيبولو، و28,000 في سامسون ورقمًا أكبر في سوريا. يُنظر: S.H.A.T., 7N1637, Constantinople, rapport no. 542 du 17 octobre 1912 et rapport no. 536 du 6 octobre 1912.

(93) S.H.A.T., 7N1637, Constantinople, rapport no. 542 du 17 octobre 1912.

(94) يعود قانون 24 حزيران/ يونيو 1325 – 7 تموز/ يوليو 1909، في مادته الثانية إلى مدة سنتين من الخدمة، في حين طالب وزير الحربية بثلاث سنوات. يُنظر: A. Bilioti and A. Sedad, *La Législation ottomane depuis le rétablissement de la constitution* (Paris: Jouve, 1912), p. 201.

تطبيق تحديد الإقامة هذا على الضباط العامين الذين كانوا يؤدون مهمات سياسية وإدارية على حد سواء[95]. عَدَّلَ قانون 30 أيار/ مايو 1911 تعيين خدمة الضباط العاملين في الفيلق السابع (اليمن) ومدته، وفي الحجاز ونجد وفزان، حيث كان سيتم اختيار الضباط من بين المتطوعين ذوي الأهلية البدنية اللازمة للخدمة، والصفات المطلوبة للترقية، يؤدون الخدمة مدة ثلاث سنوات بدلًا من سنتين. في حال الافتقار إلى المتطوعين، كانت تتم تسمية الضباط الذين بقوا المدة الأطول في اسطنبول في المواقع العسكرية من الفئة الأولى. وفي حال تعذر ذلك، كان يتم نقل المجندين الجدد إلى مواقع أخرى[96].

6- قانون التجنيد لعام 1914

تم تعديل قاعدة التجنيد بسبب الخسائر الإقليمية الكبيرة في حروب البلقان. واعتمد أنور باشا، وزير الحربية، القانون المتعلق بالتجنيد الإجباري لـ 12 أيار/ مايو 1914 (Mükellefiyet 'askeriye kanunu muvakkatı). ولشرح موقفه، قال:

«ليس لدي في هذه المسألة الأفكار نفسها كسلفي. لقد كان يعمل على مشروع قانون يدرسه مجلس شورى الدولة. استلمته وأنا عازم على تغييره. بحسب رأيي إن غير المسلمين عليهم تأدية الخدمة العسكرية تمامًا كالمسلمين. وسوف يتم تطويعهم بعدد لا يتجاوز عُشر العدد الكلي للوحدة. أنا أعلم من تجربة الحرب الأخيرة أنه يمكن تقديم جنود ممتازين، وقد رأيت عثمانيين من عرق بلغاري يحاربون ببسالة ضد إخوان لهم من العرق نفسه. أولئك الذين لن يتم ضمهم لأداء خدمتهم العادية سيدفعون بدل الإعفاء الذي لن يكون هو نفسه بالنسبة إلى الجميع. كل سوف يدفع بما يتناسب مع ثروته. وأولئك الذين يعفيهم تكوينهم الجسدي السيئ من أداء الخدمة العسكرية سيدفعون أيضًا. البدل لا يعفي من الخدمة كلها، لأن الجميع يجب أن يمروا تحت لواء الخدمة ليكونوا قادرين على

---

(95) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 359 du 2 juin 1909.

يُنظر: Biliotti and A. Sedad, La législation ottomane depuis le rétablissement de la constitution, p. 202. المادة 3 حول قانون تعيين كبار الضباط والضباط الثانويين الذين تم إرسالهم إلى البلدان الحارة، التي اعتمدت في تموز/ يوليو 1909، (19 *cemâzi-iil-ahîr* 1327) وأقرت أنه مهما كانت المهمات التي يقوم بها ضابط في الأسلاك المعنية، فإن كل عام سيحتسب له على أنه عام ونصف في ما يتعلق بحقوق الأقدمية والتقاعد. مع ذلك، فإن الضباط العامين الذين كانوا يشغلون وظائف مدنية، والذين كانوا يبقون لأكثر من عامين في منصبهم في تلك البلدان، لم يستفيدوا في السنوات التالية من هذا الامتياز القانوني.

(96) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 438 du 13 mai 1912.

Scanned with CamScanner

المشاركة في زمن الحرب، في الدفاع عن البلاد. أولئك الذين لن يؤدوا الخدمة العسكرية سيقيدون بفترات تعليمية. سيكون من الممكن خفض مدة الخدمة الفعلية لبعضهم ممن يعتبر تدريبهم العسكري أمرًا ضروريًا. لكنهم سيدفعون أيضًا رسومًا تتناسب حسابيًا مع مدّة الخدمة الفعلية التي لم يؤدوها»[97].

قُدم مشروع قانون التجنيد إلى مجلس شورى الدولة الذي عدل فيه نقاطًا عدة، فخُفضت مدة الخدمة الفعلية عامين للمشاة[98]. تجدر الإشارة إلى أن هذا ما كان معتمدًا في فرنسا في عام 1911. إضافة إلى وقع عنصر التقليد، بدا هذا التدبير غوغائيًا بالنسبة إلى قانون يحضّر للحرب، إذ سيتم عند اندلاع الحرب حجز الجنود مدة أطول من تلك بكثير.

ألغى القانون فئة الاحتياط الرديف ورفع مدة الخدمة العسكرية إلى 25 سنة، بما في ذلك 20 سنة من الخدمة الفعلية و5 سنوات في الحرس الوطني (mustahfaz). أما بالنسبة إلى البحارة، فقد كانت 17 سنة، بما في ذلك 12 سنة من الخدمة الفعلية و5 سنوات في الحرس الوطني مع القوات البرية للجيش.

الجدول (1-4)

مدة الخدمة العسكرية في عام 1914[99]

	القوات البرية المشاة	القوات البرية الفئات الأخرى	البحرية
الجيش النظامي (nizâm)	سنتان	3 سنوات	5 سنوات
الاحتياط النظامي (ihtiyât)	18 سنة	17 سنة	7 سنوات
الحرس الوطني[100] (mustahfaz)	5 سنوات	5 سنوات	5 سنوات
المجموع	25 سنة	25 سنة	17 سنة[101]

(97) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 671 du 12 janvier 1914.

(98) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 717 du 11 mai 1914.

(99) *Türk Silahlı*, vol. 3, 6ème partie (1908-1920), livre 1, pp. 236-237.

(100) وردت خطأ في الأصل «احتياط القوات البرية»، والصواب ما ذكرنا. (المراجع)

(101) وردت خطأ في الأصل 7 سنوات، والصواب ما ذكرنا. (المراجع)

Scanned with CamScanner

كانت الأعداد أقل بكثير؛ إذ وصل عدد الجنود في الجيش النظامي إلى 200,000 جندي، ولم يكن هناك غير 36 أو 38 فرقة بدلًا من 43. ولم تعد تقسم أفواج المشاة أكثر من كتيبتين في الخدمة الفعلية. من ناحية أخرى، وعد الوزير بإجازات حصاد طويلة[102].

أخيرًا، أصبحت الخدمة العسكرية ضمن الإقليم لتوفير تكاليف النقل. كما كان هناك تقشف أيضًا في طعام القوات وملابسهم، فاستبدل الأرز بالبرغل. وشمل التقشف أيضًا ملابس جنود الاحتياط في خلال الفترات التدريبية، فاعتمدت للجندي خوذة واحدة وزوجٌ من الأحذية بدلًا من تزويده بالزي الكامل. كما جرى التريث في تشييد المباني العسكرية وخفضه إلى الحد الأدنى. وبلغ مقدار التوفير المراد تحقيقه 69 مليون فرنك، وكان هناك جهد مهم يتعين الاضطلاع به[103].

الغريب في الموضوع، أنه جرى تنفيذ قانون التجنيد قبل أن يتم التصويت عليه. وبما أن كل فيلق يضم رجالًا من مقاطعات السلطنة جميعها، كان يجري إلحاقهم بمنطقة فيلق الجيش الأصلية الخاص بهم. وتسببت هذه التحركات الثقيلة بالفوضى وعدم تنظيم الأفواج وانتشار الأوبئة (التيفوئيد والجدري). فما كان من قادة الفرق - خصوصًا قادة الفيالق الثلاثة الأولى - إلا أن احتجوا على هذا الإجراء، الذي تسبب بخفض كبير في عديد وحداتهم، خصوصًا في وحدات الأسلحة الخاصة[104].

استُجيب للمطالب، لكن بعد فوات الأوان؛ إذ زادت صعوبات التدريب والتعبئة الممكنة عشرة أضعاف نتيجة لهذا الذهاب والإياب المستمرين، إضافة إلى انتقال الوحدات بهدف تغيير موقعها العسكري. كان الوضع الصحي مثيرًا للقلق، وبلغ معدل الوفيات أبعادًا مخيفة. مات ربع الرجال المصابين، وتجاوزت النسبة أكثر من النصف بين الضباط[105].

---

(102) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 671 du 12 janvier 1914.

(103) Ibid.

(104) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 724 du 10 mai 1914.

(105) في اسطنبول، كانت ثكنتا السليمية وطاش قشلة هما الأكثر تلوثًا. وأقيم مستشفى كبير للحجر =

كان عديد الكتائب متغيرًا بشكل كبير، وذلك لأنها فقدت جزءًا من عديدها مع تفاوت كبير بين وحدة وأخرى في خلال حروب البلقان. في بعض الأفواج، جرى دمج ثلاث كتائب في اثنتين. وأضعفت الأوبئة وإجازات النقاهة الصفوف. أخيرًا، استوجب توزيع الرجال في مناطقهم الأصلية تغييرات جديدة. وكانت النتيجة أن ضمَّ بعض الكتائب 500 رجل، في حين ضمّت أخرى 200 رجل فقط أو أقل[106].

تم استدعاء معيلي الأسر من دفعات 1910 إلى 1914 (1326 لغاية 1329هـ) لملء الفراغ. إلا أن استدعاءهم هذا تسبب بانتكاسات خطرة في بعض المناطق، خصوصًا في أرضروم، حيث كانت عمليات الفرار كثيرة. وطلب بعض المعيلين وعدًا بألا يعمل لأكثر من ثلاث أو أربع ساعات في اليوم[107].

ثانيًا: الإعفاءات

تطلّب اعتماد مبدأ التجنيد إحصاءً لتحديد قدرات الرجال الممكن تعبئتهم. وجرى أول إحصاء للسكان بين عامي 1831 و1834. لكنه كان مجرد تقدير لأنه لم يحسب إلا أرباب الأسر. حصل الإحصاء الثاني في عام 1844، لكنه كان مستحيلًا في بعض المناطق بسبب مقاومة العشائر له بشكل خاص. ومن دون احتساب أفريقيا، بلغ مجموع سكان السلطنة 32 مليونًا. أما الإحصاء الثالث الذي حصل بين عامي 1882 و1890 فقدر العدد بـ 17.5 مليونًا، بسبب الخسائر في الأراضي والسكان في خلال حرب عامي 1877 و1878. الإحصاء الأخير الذي أجري في عام 1914 **عشية الحرب العالمية الأولى قدر عدد سكان السلطنة** بأكملها بما بين 23 و25 مليونًا[108]. **صعبت هذه الأرقام التقريبية مهمة السلطات**

= الصحي تحت الخيم في سان ستيفانو، من أجل الفيلق الأول. لكن كان مرض التيفوئيد قد انتشر بشدة، خصوصًا في صفوف قوات الفيلق الخامس (أنقرة)، حيث توفي هناك قائد الفيلق الخامس للجيش فخري باشا. يُنظر:

(106) Ibid.

(107) Ibid.

(108) Zurcher, «The Ottoman Conscription System,» pp. 84-85.

Scanned with CamScanner

العثمانية لسن قوانين التجنيد والإعفاءات والاستبدال بالتعويض. ويمكن تصنيف الإعفاءات في ثلاث فئات: الإعفاءات الإقليمية، الإعفاءات الظرفية، وإعفاءات الاستبدال بالتعويض (البدل التعويضي).

1- الإعفاءات الإقليمية

ارتبطت الإعفاءات الإقليمية بمكان ولادة الأفراد بغض النظر عن مكان إقامتهم. وكان بعض الولايات أو المناطق معفيًا من التجنيد؛ كاسطنبول، العاصمة، بسبب الامتيازات القديمة الممنوحة لها من السلاطين في حقبات مختلفة، ومثلها كريت، وولاية أشقودرة (ألبانيا)، وبعض مناطق الأناضول الشرقية، والسكان الأكراد في الولايات الشرقية، وأفراد العشائر في سوريا والعراق والأناضول الشرقية. حتى عام 1864، كانت ولاية البوسنة معفاة أيضًا من الخدمة[109]. مع ذلك، كان الاتجاه يرمي إلى فرض التجنيد على كامل السلطنة. قاوم بعض الولايات - مثل البوسنة - هذا الفرض بشراسة، فأرسل الباب العالي عددًا من الحملات العسكرية لإعادة الهدوء. تطور ميزان القوى في خلال القرن التاسع عشر لمصلحة السلطة المركزية، ويرجع ذلك جزئيًا إلى إعادة تنظيم الجيش.

في بلاد الشام، فُرض التجنيد الإجباري في عام 1850، ما أثار تمردًا شعبيًا في حلب، قمعته القوات العثمانية التي قامت بنفي بعض أعيان المدينة المسؤولين عن التمرّد. بعد مرور عقد من الزمن، وقعت ثورة مشابهة في دمشق، قمعتها قوات استُقدِمَتْ بالسفن من مناطق بعيدة. بعد عام 1860، بات الجيش العثماني في بلاد الشام يضم 20,000 رجل مدربين ومجهزين بشكل جيد. وفرضت الحكومة العثمانية، منذ منتصف القرن التاسع عشر، سيادتها على المدن السورية. وحاولت في النصف الثاني من القرن فرض سيطرتها على المناطق الداخلية من الولايات، لكنها ووجهت بالثورات في حوران[110].

---

(109) حول «المناطق ذات الامتيازات» المعفاة من الخدمة العسكرية، ينظر لاحقًا.

(110) R. Roded, «Ottoman Service as a Vehicle for the Rise of New Upstarts among the Urban Elite Families of Syria in the Last Decades of Ottoman Rule,» *Asian and African Studies*, vol. 17 (1983), Haïfa, p. 66.

أبقى قانون عام 1886 على إعفاء سكان اسطنبول من الخدمة (المادة 1). لكن علينا ألا ننسى أن سبعة أعشار طلاب المدارس العسكرية كانت من اسطنبول، ما أسفر عن تمثيل قوي جدًا في سلك الضباط. إضافة إلى ذلك، قدم هذا القانون كثيرًا من المتطوعين. أما المدن المعفاة الأخرى فكانت الجزر (قبالة اسطنبول)، كريت، سيزام، تاسوز، عاصمة مقاطعة أشقودرة (ألبانيا) وبعض مناطقها، بعض العشائر على حدود الجبل الأسود، مراكز الإدارة في ولايات الحجاز واليمن وطرابلس الغرب، مديرية الأحساء المرتبطة بالبصرة، بعض عشائر ولاية بغداد ولواء دير الزور في ولاية حلب، حيث ارتبط الإعفاء بمكان ولادة الشخص المعني، واستمر لثبات مكان مسقط الرأس، حتى لو انتقل الفرد إلى مقاطعة أخرى (المادة 30).

2- الإعفاءات الظرفية

تعتمد هذه الإعفاءات (hâl) على حالة الفرد عندما يُستدعى إلى الخدمة. بعض الاستثناءات كان نهائيًا، مثل تلك الممنوحة لـ«رجال الدين» في خدمة الدولة وأساتذة التعليم الديني ومؤسساته. لكن معظم الإعفاءات كانت موقتة للطلاب في المدارس العامة (medrese) الذين كان عليهم الحضور يوم سحب القرعة للخضوع لفحص معارفهم. كذلك الأمر بالنسبة إلى الأولاد الوحيدين عند الآباء المعوزين، والأولاد الأصغر الذين أدى إخوتهم الأكبر الخدمة ولديهم أخ أصغر عمره لا يقل عن 15 عامًا[111].

في وقت لاحق، عاد قانون التجنيد في عام 1886 بالفائدة على «اللاجئين» (المهاجرين) (muhâcir) عبر الإعفاء الظرفي لمدة ست سنوات. لكن بعد ست سنوات من الإقامة، كانوا يُدمجون في النظام العام حيث كان عليهم أن يؤدوا الخدمة العسكرية مثل أي مسلم آخر (المادة 1)[112]. لم يطبق هذا البند إلا في عام 1889 أول مرة، على المهاجرين الذين ولدوا في عامي 1867/ 1868

---

(111) الإعفاءات الإقليمية الواردة في قانون التجنيد في 13 حزيران/ يونيو 1869. يُنظر:
S.H.A.T., 7N1626, Constantinople, 2e annexe au rapport no. 156 du 10 décembre 1879.

(112) في الواقع، وفي ظل القانون القديم، كان «الغجر»، وعلويو الأناضول [أو القزلباش (kızılbaş) ذوو الرؤوس الحمراء]، والمهاجرون اللاجئون المسلمون من البلدان الملحقة بالدول المسيحية، والفرس المولودون في تركيا، والقبائل الرحل أو شبه الرحل، قد أعفوا من القرعة. يُنظر: Ibid.

(1284)، ويقيمون في اسطنبول، بناء على إصرار فون در غولتز باشا. وحتى ذلك التاريخ، تولى السلطان التجديد السنوي لشرط الإعفاء هذا[113]. وكان أطفال الرعايا الأجانب الذين استقروا وتزوجوا في إحدى مدن الدولة العثمانية، معفيين من الخدمة العسكرية طالما أبقوا على جنسيتهم الأجنبية. مع ذلك، لم ينطبق هذا الحكم على الفرس الذين كانوا يخضعون للتجنيد الإجباري (المادة 32).

كان هناك عدد من الإعفاءات للمهن العدلية (قضاة الشرع والقضاة المدنيون...)، والقادة الدينيين (الملا، الشيخ، الواعظ، الإمام...)، والمعلّمين، وخريجي المواد الدينية (المادة 24) والذين درسوا قبل بلوغ سن الخدمة في مدارس المساعدين القضائيين (na'îb) وحصلوا على الشهادات (المادة 25)[114]. ينطبق الأمر نفسه على خدم السلطان (المادة 26) وعلى أفراد الموسيقى العسكرية السلطانية (المادة 27). أما الموظفون في قصور السلطان الذين كانت أسماؤهم مسجلة على اللائحة المدنية كخدم مدفوعي الأجر، فكان عليهم استصدار شهادة خدمة لمدة 14 عامًا، كما لو أنهم قضوها في صفوف الجيش (المادة 26).

كان ثمة إعفاءات أخرى ترجع إلى حالة الشخص وإلى حالته الصحية. هذه كانت حال ذوي الاحتياجات الخاصة (المادة 38)، ومعتنقي الإسلام (المادة 56) ومعيلي الأسر (المواد 40-49)، والمجرمين المحكوم عليهم بالأشغال على متن السفن لمدة خمس سنوات في الأقل (المادة 57). أما الإعفاءات الجزئية فتناولت طلاب المدارس العليا في كليات القانون، الطب، التعليم، إدارة الأعمال (mülkiye)[115]، الهندسة، الفنون الجميلة والزراعة. هؤلاء كانوا يستفيدون من فترة ثلاثة شهور لتقديم طلب تأجيل، ويتم فرزهم إلى الدفعة الثانية من المطلوبين. وبما أنه كان يُوظَّف خريجو الكليات في خدمة الدولة، فقد جرى وضعهم في

---

(113) H.A.T., 7N1630, Constantinople, rapport no. 30 du 11 avril 1889.

(114) جرى أيضًا إعفاء أصحاب المكاتب التي تحظى بامتياز ملكي في الأماكن المقدسة، مثل أولئك الذين كان لديهم مكتب الوصاية على الأماكن المقدسة (المادة 22)، ورجال Seye ocak (قوة خاصة من الانكشارية بعد حلها) وعددهم خمسة وعشرون، الذين كانوا مسجلين في سجل خاص في الإدارة العسكرية، وجميع أولئك الذين كانوا معفيين من خلال فرمان ملكي من الالتزام العسكري (المادة 21). وانتقلوا مباشرة إلى الاحتياط النظامي (ihtiyât).

(115) هي مدارس مدنية لإعداد موظفي الإدارة العامة.

الفئة الثانية (المادة 28). أما خريجو المهن الطبية (الأطباء البيطريون والجراحون والصيادلة وخريجو المدارس الإعدادية والتابعة للسلطنة) فلا يمضون إلا ستتين من الخدمة العسكرية. أما بالنسبة إلى طلاب العلوم الدينية، فكانوا يعتبرون في إجازة عند كل سنة. وكانوا يُنقلون في السنة الدراسية السادسة، بعد الامتحان النهائي، إلى الاحتياط الرديف (المادة 33). مع ذلك، فإن أولئك الذين كانوا لا يزالون يترددون إلى الكليات، يُعفون من التجنيد (المادة 37).

فتح مجال التطوع أمام الرجال الذين راوحت أعمارهم بين ثمانية عشر وستة وثلاثين عامًا، الذين لا يعانون أي عجز أو مرض، ولم يرتكبوا أي جرم خطِر يتعارض مع الشرف، ولديهم موافقة من أهاليهم. في البداية كانوا يخدمون كاحتياطيين. بعد خدمة الاحتياط الرديف والخدمة في الحرس الوطني (المستحفظة)، كان يُسمح لهم بالخدمة في الجيش النظامي. بعد ذلك، كانوا يعودون من جديد إلى الاحتياط الرديف ومن بعد إلى الحرس المقيم (المستحفظة)، ليتم تحريرهم من كل التزام في عمر الخامسة والخمسين.

3 - البدل التعويضي

خلقت الاستبدالات بالتعويض حالة من عدم المساواة بين السكان المسلمين، حيث كانت تُعفى بذلك الطبقات الميسورة، بينما يُرمى بثقل التجنيد أساسًا على الفلاحين، ما تسبب بمشكلات خطرة في قطاع الزراعة.

سمح البدل الشخصي (bedel-i şahsi) بإعطاء المال لشخص آخر لإرساله من أجل أداء الخدمة الفعلية مكانه. وكان الجنود الذين يريدون الاستفادة من هذا الأمر يسددون بثمن يتغير وفق ما إذا كان زمن سلم أم حرب. ألغت المادة 118 من قانون التجنيد لعام 1886 البدل الشخصي في الخدمة النظامية (bedel-i şahsi)، إلا أنه أبقي هذا النظام بالنسبة إلى الاحتياط الرديف والحرس الوطني (mustahfaz)، في ظل أوضاع مماثلة. أما التجديد الذي حمله قانون عام 1886، فتمثل في إنشاء البدل النقدي (bedel-i nakdi)، وذلك عبر مبلغ يُدفَع للتخلص من الخدمة العسكرية أو لتقصير مدتها.

بداية جرى تثبيت سعر البدل الشخصي على 15,000 قرش، ما بدا أنه سعر

Scanned with CamScanner

مرتفع قليلًا، فاستبدله قانون محرم بخمسين ليرة ذهبًا (المادة 118)، ما كان يعتبر أيضًا مبلغًا كبيرًا في تلك الحقبة. وكان يجب تقديم دليل على ثروة معينة (عقارات، ممتلكات...) عبر وثيقة رسمية[115]. ولم يكن مسموحًا بيع الممتلكات لدفع هذه الضريبة[116].

جرى الإبقاء على رسوم البدل التعويضي لغير المسلمين (البدل العسكري) (bedel-i asheri). في كل عام، كان على الأغنياء دفع 60 قرشًا، فيما متوسطو الحال كانوا يدفعون 30 قرشًا والفقراء 15 قرشًا. لم تسر هذه الضريبة على النساء أو الأطفال أو الكهنة. وابتداء من عام 1877، جرى أيضًا إعفاء الذكور دون سن الخامسة عشرة وفوق الخامسة والسبعين، إلى جانب المعوقين والفقراء ورجال الدين[118]. وجرى إلغاء هذه الضريبة في آب/ أغسطس 1909 عند إصدار قانون التجنيد الشامل[119].

في عام 1912، دفع 15 في المئة من المطلوبين للخدمة بدل الإعفاء، أي ما يقدر بـ 20,000 رجل. أغلبية المعفيين كانت من أصول مدينية. فقرر وزير الحربية أنه في وقت الحرب، لم يعد بمقدور احتياطي الجيش النظامي أو دفعة الاستدعاء الثانية إعفاء أنفسهم من الخدمة[120].

أما بالنسبة إلى البدل التعويضي بالحيوانات (bedel-i hayvani)، فهو ضريبة مطبقة على الاحتياط الرديف والمستحفظة، حيث يمكن أي رجل جرى استدعاؤه للاحتياط الرديف، أن يرعى لتجنّب ذلك رأسين من الماشية في خلال فترة خدمة الاحتياط، مع الخضوع لتدريب محدد في خلال هاتين السنتين[121].

رأينا شروط تطويع المجندين. وهناك جزء آخر مهم جدًا في هيكلة هذا النظام العسكري الجديد وهو تعليم الجنود وتدريبهم. وسوف نتناول الآن الثقافة الجديدة التي غدت تنتشر انطلاقًا من المدارس العسكرية.

Ehl-i servet mukhalasi. (116)

Türk Silahlı, vol. 3, 5ème partie (1793-1908), p. 152. Siddik Sami Onar, «Bedel-i nakdi.» *Islam Ansiklopedisi*, vol. II, p. 440. (117)

Türk Silahlı, vol. 3, 5ème partie, p. 155. (118)

Gülsoy, *Osmanlı*, p. 182. (119)

S.H.A.T., 7N1036, Constantinople, rapport no. 382 du 11 février 1912. (120)

Ibid., p. 153. (121)

Scanned with CamScanner

الفصل الثاني

الثقافة والشهادات

كان إنشاء المدارس العسكرية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، حدثًا حاسمًا ذا عواقب ثقيلة في الحركة الإصلاحية. كانت المدارس العسكرية متقدمة على المدارس المدنية التي أنشئت بكثرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وكانت لها أسبقية تعليم المواد المسماة «حديثة»، أي العلمية. من جهة أخرى، طورت شبكةً غطت بشكل سريع الولايات العثمانية ما أتاح نشر الإصلاحات. كانت شهادات هذه المدارس بمنزلة الوسيلة السحرية لتحقيق مستقبل مهني ناجح وتحقيق النهوض الاجتماعي. وفتحت بالتالي قناة فريدة من نوعها أمام أبناء الولايات المبعدين عن الدوائر الحاكمة. قاتل الضباط ذوو الشهادات طوال القرن التاسع عشر للتعريف بأنفسهم ولفرض أنفسهم بين ضباط الأفواج الرئيسة. هذا الصراع نفسه هو الذي نشب في عام 1908، في أثناء ثورة تركيا الفتاة.

أولًا: الموارد العلمية الغربية ودورها في تحديث الجيش العثماني

رسم عهد السلطان سليم الثالث في أواخر القرن الثامن عشر الخطوط العريضة لحركة مزدوجة في الدولة العثمانية بدأت في الجيش، لتنتشر في المجتمع بأسره في فترة إصلاحات إعادة التنظيم، المسماة «التنظيمات». في مجال العدل، أنشئت المحاكم النظامية (nizamiye) إلى جانب المحاكم الشرعية الدينية (şer'i).

Scanned with CamScanner

لم يُذكر التعليم في فرمان التنظيمات، لكنه كان موضوع اهتمام رئيس بالنسبة إلى السلاطين. وإلى جانب المدارس التقليدية (medrese) ذات الصبغة الدينية، جرى افتتاح مدارس «من النوع العلماني».

قامت المدارس المدنية بدور مركزي وموحِّد في الدولة العثمانية. كما جرى تأسيس بنية تحتية إدارية تعتمد على جهاز الدولة وليس على المؤسسات الوقفية (vâkıf)، مثلما هي الحال في المدارس الدينية. ومع ذلك، فإن مضمون الدروس كان له توجّه مختلف تمامًا عن برنامج المدارس التقليدية، مع إدخال الموضوعات المسماة حديثة ضمن البرامج: الرياضيات والفيزياء واللغات الأجنبية: الفرنسية والإنكليزية والألمانية. واقتصر التعليم الديني على حوالى ست ساعات أسبوعيًا. وتغيرت طرائق نقل المعرفة بشكل تام، مع وضع حد لتراث سلسلة ناقلي المعرفة، حيث العلاقة الشخصية، من فرد إلى فرد، ومن أستاذ إلى متلق. وحلت في المدارس المدنية سلسلة جديدة، حيث ينقل المعلم معرفته مباشرة إلى مجموع تلامذة الصف[1].

وضعت الدولة العثمانية لنفسها هدفين رئيسين: تدريب الرجال المتعلمين على اللغات الأجنبية والعلوم التقنية، وتلقين فلسفة معينة لطلابها. سعت هذه المدارس المدنية بطريقة أو بأخرى لخلق رجل جديد يكون انتماؤه عثمانيًا قبل مطالبته بانتماء طائفي أو إثني. كان الأمر بمنزلة ترسيخ شكل من الروح العثمانية عند الشبان لتحجيم آليات التضامن القديم مع الطوائف الدينية أو اللغوية[2]. شكلت طموحات السياسة الإصلاحية الجديدة ثورة فعلية في الأعراف الإسلامية وغير الإسلامية. وحلت أول مرة الهوية العثمانية مكان الهوية الإسلامية. وعكس التوسع العام للتعليم العمومي في خلال القرن التاسع عشر مستوى غير مسبوق من استثمار الدولة في حياة رعاياها[3].

---

(1) Ş. Mardin, «The Ottoman Empire,» in: K. Barkey and Mark von Hagen (ed.), *After Empire, Multiethnic Societies and Nation-Building* (Boulder: Westview Press, 1997), p. 123.

(2) يُنظر: C. V. Findley, *Bureaucratic Reform in the Ottoman Empire: The Sublime Porte, 1789-1922* (Princeton: Princeton University Press, 1980).

(3) B. Fortna, *Imperial classroom: Islam, the State and Education in the Late Ottoman Empire* (Oxford: Oxford University Press, 2002), p. 46.

Scanned with CamScanner

أولى المدارس ذات الطابع الأوروبي في السلطنة كانت المدارس العسكرية، وذلك بسبب الهزائم العسكرية في البر والبحر. منذ أوائل القرن الثامن عشر، لجأت السلطنة إلى متخصصين أجانب جرى استخدامهم بصفة فردية: فخدم الكونت دو بونفال (Claude Alexandre de Bonneval) (1675-1747) في عهد محمود الأول (1730-1754) وخدم البارون دو طوط في عهد مصطفى الثالث (1757-1774). وهما أضفيا التأثير الفرنسي وشاركا في إعادة التنظيم وفقًا لنماذج أوروبية. وأشرف الكونت دو بونفال على مدرسة الرياضيات (هندسة خانه) (Hendesehane) التي أُسست في عام 1734[4].

سرعان ما عرّضت المقاومة الانكشارية أولى محاولات فتح مدارس على الطراز الأوروبي للانتكاسة. فكانت هذه هي حال كلية المدفعية (هومبارا خانه) (Humbarahâne) وكلية الهندسة (مهندس خانه) (Mühendishâne) في عام 1731، في عهد محمود الأول (1730-1754). ثم لاقت محاولة أخرى المصير نفسه في قره آغاج في حقبة مصطفى الثالث.

أُسست في عام 1773 كلية الهندسة البحرية (Mühendishâne-i Bahrî-i Hümâyun)، بدفع من جزايرلي غازي حسن باشا، كردة فعل على هزيمة القوات البحرية العثمانية في تششمه في عام 1770. كانت أول مدرسة لتعليم التقنيات المعروفة في أوروبا، وهدفت إلى تكوين عدد من ضباط البحرية ملم بعلوم الهندسة والجغرافيا، ورسم الخرائط وبناء السفن. كان أول معلم فيها - أو باش خوجه (başhoca) - سيد حسن أفندي، وهو عالم في الرياضيات وملم باللغات العربية والفارسية والإيطالية والإنكليزية والفرنسية[5]. استقطبت هذه المدرسة رعايا أوروبيين وظفتهم بصفة فردية. ودُمجت لاحقًا في عام 1795 بكلية الهندسة العسكرية (Mühendishâne-i Berri-i Hümâyun) الجديدة، التي كانت تهدف إلى تدريب ضباط متخصصين، خصوصًا على سلاح المدفعية. كانت هاتان الكليتان

A. Levy, «The Officier Corps in Sultan Mahmud II's Ottoman Army, 1826-39», *IJMES*, vol. 2 (4) (1971), p. 32.

E. Dölen, «Mühendislik eğitimi,» in: *Tanzimat'tan Cumhuriyet'e Türkiye Ansiklopedisi* (5) (Istanbul: İletişim yayınları, 1985), vol. 2, p. 511.

Scanned with CamScanner

أول مدرستين عسكريتين مفتوحتين لتدريب المهندسين على «الأسلحة العلمية»، أي في الهندسة العسكرية، وكانتا فريدتين في تدريس علم الفلك (ilm-i hey'et) في ذلك الوقت. وبدأ تدريس هذا الفرع لاحقًا في المدارس الثانوية العسكرية ('askerî rüşdiye) ابتداءً من عام 1838، وفي المدارس الإعدادية العسكرية ('idâdi-i ümûmî askerî)، بعد عام 1869[6]. جرى تدريس اللغة الفرنسية في هاتين المدرستين وأصبح إلزاميًا في كلية الهندسة العسكرية. وأدى خريجو هذه المدارس من الضباط دورًا مهمًا، مثل درويش باشا[7] الذي تلقى تعليمه في كلية الهندسة العسكرية، ثم في أوروبا. لدى عودته، قام بتدريس الفيزياء والكيمياء في الكلية الحربية، وأول مرة في الجامعة. وبصفته مفتشًا في المدارس العسكرية وعضوًا في مجلس شورى الدولة (Şûrâ-yi Devlet)، قام أيضًا بتأليف كتابين علميين، أحدهما له علاقة بالعلوم الطبيعية هو **أصول العلوم الطبيعية** (*Usul-i Hikmet-i Tabiiye*) (1865) والآخر في الكيمياء وهو **أصول الكيمياء** (*Usul-i kimya*) الذي نشر في عام 1848، ليكون أول كتاب تركي في الكيمياء[8].

إلا أن استقدام المعلمين الأجانب اتخذ في القرن التاسع عشر بُعدًا آخر بفعل زخم العمل التحديثي. في الواقع، وفي خلال هذا القرن، بدا استقدام الموارد العلمية من الغرب، ومن بينها استقدام الخبراء الأجانب من أجل تحديث الجيش،

---

(6) E. Dölen, «Tanzimat'tan Cumhuriyet'e Bilim,» in: *Tanzimat'tan Cumhuriye'e*, vol. 1, pp. 165-166.

(7) كان والد الكيميائي محمد أمين درويش باشا (1817-1878) إمامًا في الحي ومدرسًا في المدرسة الابتدائية. دخل درويش باشا مدرسة الهندسة العسكرية وهو في الثانية عشرة من العمر ثم أرسل إلى أوروبا لإكمال دراسته بعد حصوله على رتبة ضابط (1834). درس ثلاث سنوات في إنكلترا ثم في جامعة باريس، وعند عودته إلى تركيا درّس العلوم الطبيعية والكيمياء في الكلية الحربية. انتبه السلطان عبد المجيد إلى كفاءاته خلال زيارة له إلى المدرسة وقام بترقيته إلى رتبة عميد ثم مديرًا للكلية الحربية في عام 1848. صاغ نظامًا داخليًا للكلية استوحاه من كلية سان سير الفرنسية. كان رائدًا في مجالي الفيزياء والكيمياء وقام بتدريسهما في المدارس المختلفة وفي الجامعة أيضًا عند افتتاحها في عام 1863. وكانت له سيرة مجيدة، حيث عُيّن سفيرًا في سان بطرسبرغ في عام 1861 ثم واليًا على حلب ثم على أنقره وعضوًا في مجلس شورى الدولة. وكان يشغل في عام 1862 منصب وزير التعليم، ثم صار مديرًا للمدارس الحربية كلها في السلطنة. يُنظر: "Derviş Paşa (Kimyager)," *Osmanlılar Ansiklopedisi*, vol. 1, pp. 375-376.

(8) Ibid., p. 178.

أحد الرهانات الكبرى للسلطة العثمانية التي لجأت إلى البعثات العسكرية المعتمدة لدى الباب العالي للإشراف على مشروعاتها. بالتالي، وكردة فعل على الهزائم العسكرية في البر والبحر، كانت أولى المدارس ذات الطابع الأوروبي في السلطنة هي المدارس العسكرية. وبدأ المصلحون من خط التنظيمات استثمارًا كبيرًا جدًا في مجال التعليم لتحديث الجيش والمجتمع، استمر طوال القرن التاسع عشر. في الوقت نفسه، كان التعليم معركة على جبهتين، تهدف إلى كسب قلوب الشبان وعقولهم في آن. كانت هذه هي الحال بصفة خاصة في الحقبة الحميدية، حيث كانت المدارس أيضًا مكانًا لتعلم الولاء للسلطنة. واستخدم عبد الحميد الثاني بصورة متزايدة المدارس العمومية كوسيلة لتعزيز التزام رعاياه بشخصه وبالسلطنة العثمانية ومؤسسة الخلافة[9]. وشاركت هذه المدارس الموجودة في أركان السلطنة الأربعة، في عملية مركزة الدولة وتجذيرها بعمق بين السكان المحليين.

أُنشئ تدريجًا هرم من المدارس العسكرية يبدأ من المرحلة الابتدائية وصولًا إلى المستوى الأعلى من التعليم: المدارس الثانوية (rüşdiye) (1838)، المدارس الإعدادية ('idâdiye) (1846)، كلية طبية عسكرية (mekteb-i Tibbiye) (1827)[10]، الكلية الحربية (mekteb-i Harbiye) (1834)، كلية الأركان (Erkân-i Harbiye) (1845) إضافة إلى الكلية البحرية (mekteb-i Bahriye) (1838).

كانت الكلية الطبية العسكرية هي الثالثة التي أُنشئت على الطراز الأوروبي بعد كليتي الهندسة البرية والبحرية. في السابق، كان يجري تكوين الأطباء ميدانيًا. وكانت الدروس كلها تعطى بلغة أجنبية حتى عام 1870، حين أصبح التدريس باللغة التركية. ولم تفتح أول كلية طبية مدنية أبوابها حتى عام 1866 في اسطنبول[11] (mekteb-i Tibbiye-i Mülkiye).

---

(9) F. Georgeon, *Abdül Hamid II: Le Sultan calife (1876-1909)* (Paris: Fayard, 2003), p. 253.

(10) O. Ergin, *Türkiye Maarif Tarihi* (Istanbul, 1940), vol. 2, pp. 280-285, and R. T. Gencer, *Mirat-ı Mekteb-i Tıbbiye*, 2 vols. (Istanbul, 1328-1330) (1910-1912), vol. 1, p. 4.

(11) E. Yolalıcı, «Education in the Ottoman Empire in the 19th Century,» in: *The Great Ottoman Turkish Civilisation* (Ankara, 2000), vol. 2, p. 658.

Scanned with CamScanner

جرى التعامل مع مسألة تدريب الكوادر العسكرية على نحو تأسيسي، حيث بدأ الطامحون تعليمهم العسكري في وقت مبكر جدًا، فكان السلك العسكري هو أسرتهم الجديدة حين يبلغون الحلم. وفي حين كان أغلب المجندين يُختارون من الأسر المتواضعة في الأناضول، كانوا يتابعون تعليمهم العسكري بين سن الاثنتي عشرة والخامسة والعشرين. وكانت هذه أيضًا وسيلة لبناء صلة غير قابلة للكسر بينهم وبين الدولة[12]. ومثل الانكشاريين في العهود الكلاسيكية للسلطنة، لم يعد لدى هؤلاء روابط عائلية حقيقية. بهذه الطريقة، كان يمكنهم تحصيل هذه العلوم والتقنيات الحديثة في أفضل شروط، فضلًا عن روح الجماعة والأمل بتحقيق تقدم اجتماعي واقتصادي. أتاح هذا الحضور المشترك في المدارس تضامنًا جديدًا بين الطلاب. وهكذا كانت تُنسج علاقات اجتماعية جديدة، من خلال خلق فئات عمرية وجيلية جديدة.

بعد حل الانكشاريين، كان تدريب الكوادر الجديدة في الجيش المعاد إصلاحه بحسب الأنموذج الأوروبي إحدى المشكلات المتكررة الأكثر أهمية. أعطت «التنظيمات» أول دافع قوي لتدريس العلوم الحديثة في المدارس العسكرية في النصف الأول من القرن التاسع عشر. وفي نهاية القرن نفسه، تبنى المدرس الألماني فون در غولتز إصلاحات مهمة بشأن إعادة التنظيم العامة للجيش والمدارس العسكرية. وكان الجيش العثماني حريصًا على اكتساب العلوم الجديدة ككل، ومنها التصوير الفوتوغرافي.

كانت معرفة اللغات الأجنبية شرطًا لا مناص منه للانفتاح على الغرب. في الواقع، كان يجب أولًا تعلم اللغات الخاصة بهذه العلوم، للتمكن من استيعابها لاحقًا. ومع أن هذه المعارف كانت تُدرَّس في البداية من مدرسين أجانب، إلا أنها أصبحت تُدرَّس لاحقًا بالتركية من الإصلاحيين الذين ترجموا كتبًا عدة. كانت حركة الترجمة هذه غاية في الأهمية لاكتساب المعرفة الآتية من الخارج. وكان هناك كثير من العسكريين بين مترجمي المؤلفات العلمية. على سبيل المثال،

(12) Ş. Mardin, *Jön Türklerin siyasi fikirleri 1895-1908*, 4ème éd. (Istanbul: İletişim Yayınları, 1992).

ترجم إبراهيم أدهم باشا[13] (1785-1865) إلى اللغة التركية كتاب **أصول الهندسة** (*Kitab-i usû'l-hendese*) لأدريان لوجاندر (Adrien Legendre) (1752-1833) الصادر في عام 1794، وجداول اللوغاريثم لجان فرانسوا كاليه (Jean-François Callet)، الصادرة في عام 1805[14].

تُرجِمَتْ كتب جغرافيا من الفرنسية لاعتمادها في المدارس الابتدائية والثانوية في حقبة التنظيمات. وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وُضعت كتب من أجل المدارس الإعدادية. وقام أحمد مختار باشا بتأليف كتاب في الجغرافيا للمدارس الإعدادية العسكرية (**فن الجغرافيا**، إسطنبول 1286هـ/ 1869-1870م)، كما قام عبد الرحمن شرف بيك بكتابة **الجغرافيا العامة** (إسطنبول، جزءان، 1301هـ/ 1885-1886م)[15].

في مجال رسم الخرائط، استُعيرت الخرائط الملاحية الحديثة الصادرة في أوائل القرن التاسع عشر من فرنسا وإنكلترا. ونفذ أجانب خرائط الدولة العثمانية البحرية والبرية، مثل الألماني هاينرش كيبرت (Heinrich Kiepert) في خلال أربعينيات القرن التاسع عشر. وجرى إعطاء دروس في علم الأرض والجيوديسيا (علم مساحة الأرض) وعلم الفلك في كلية الهندسة العسكرية والكلية الحربية. وفي وقت لاحق، بدأ العثمانيون رسم خرائط من النوع الحديث. وعلى سبيل المثال، أنجز جودت باشا خريطة لشرق الأناضول وبلاد الشام[16]. وابتداء من عام 1834، انتشرت دراسة اللغات الأجنبية مثل العربية والفارسية والفرنسية في المدارس العسكرية. وفي المدارس الإعدادية، كانت تدرس اللغتان العربية والفارسية مدة سنتين أو ثلاث سنوات من المنهج الدراسي. وكانت معرفة هاتين اللغتين ضرورية للتأهل إلى الكلية

---

(13) كان إبراهيم أدهم باشا (اسطنبول 1785 - القاهرة 1865) المدير الثاني لكلية الهندسة في اسطنبول. سافر إلى القاهرة حيث قام بالتدريس في كلية الهندسة. بعد ابتعاثه إلى أوروبا حقق في إيرلندا اختراع تلسكوب يحمل أكبر منظار في العالم. خاض في التدريس والتدريب على الرياضيات والجيوديسيا (علم مساحة الأرض)، وفي الأوزان والمكاييل. وإضافة إلى مؤلفاته في اللوغاريثم والجيوديسيا، باشر ترجمة مؤلف في الجبر من جزئين، لكن لم يمهله العمر ليكمله. يُنظر: *Osmanlılar Ansiklopedisi*, vol. 1, p. 620

(14) Dölen, «Tanzimat'tan Cumhuriyet'e Bilim,» p. 154.

(15) Ibid., p. 191.

(16) Ibid., pp. 194-195.

Scanned with CamScanner

الحربية. وكان تدريس اللغة الفرنسية قد بدأ قبل ذلك بكثير، لكن في عام 1827 أعلن محمود الثاني، في خلال افتتاح كلية الطب، ضرورة تعلم هذه اللغة من أجل إتقان «العلوم الحديثة»[17]. ودُرِّسَتْ بعد ذلك في الكلية الحربية ابتداء من عام 1840.

في المجال البحري، كان لتفوق إنكلترا العسكري، كما لشيوع انتقادات شديدة عن المدارس البحرية العثمانية في أدب الرحلات، أن يدفعا العثمانيين إلى اللجوء إلى هذه القوة المتفوقة. فبدأ تدريس اللغة الإنكليزية مكان الفرنسية في المدرسة البحرية[18].

لاحقًا، وابتداء من عام 1867، انقسمت المدارس الإعدادية العسكرية بين المدرسة الإعدادية البحرية على جزيرة قبالة اسطنبول، والمدرسة التابعة لقوات الجيش البرية في كوليلي، على الجانب الآسيوي من اسطنبول[19]. وجرى تخطي عقبة أخرى في تاريخ التعليم العسكري في عام 1873؛ إذ خُفضت مدة التدريس في المدارس الإعدادية من أربع إلى ثلاث سنوات، كما أُلغيت الاختبارات الشفوية لتحل محلها الاختبارات الخطية. واعتُمدت تدابير مختلفة لرفع مستوى الكلية الحربية بغية جعله قريبًا من مستوى المدارس الأوروبية. وأُدخلت دروس أكثر حداثة بشكل خاص[20]. ولم يقتصر الأمر على المجال العلمي، بل امتد إلى الأدب والثقافة العامة، ويعود الفضل جزئيًا في ذلك إلى سليمان باشا (1838-1892).

ثانيًا: شهادات المركز

الشهادات التي يمنحها المركز هي تلك التابعة للمدرسة العسكرية وكلية الأركان العامة. ولإتمام هذه الدراسات، جرى إرسال ضباط إلى الخارج، وتعيين مدرسين أجانب في الدولة العثمانية لتدريبهم أيضًا.

---

(17) K. I. Gürkan, *Türkiye'de Hekimliğin Batıya dönüşü* (Istanbul: Yenilik Basımevi, 1967), pp. 7-8.

(18) A. Avcı, *Türkiye'de askeri yüksek okullar tarihçesi* (Ankara: Genelkurmay Basımevi, 1963), p. 49.

(19) Ibid., p. 31.

(20) Ibid.

Scanned with CamScanner

1 - الكلية الحربية

كانت شهادة الكلية الحربية بالطبع شهادة من «المركز» بامتياز. ففي صيف عام 1834، شكلت «كلية العلوم العسكرية» كتيبة تابعة للواء حرس نامق باشا، وكانت بإشراف مقر «الحرس السلطاني» (Hassa ordusu)، لمنع تدخل وزير الحربية الذي لم يكن مؤيدًا له. في البداية، كان هناك كثير من الصعوبات التي يجب التغلب عليها، منها الافتقار الكامل إلى الكتب والمدرسين المؤهلين والمعدات التعليمية. في عام 1837، لم يكن أي من المعلمين عسكريًا، ما عدا واحدًا. وبالمثل، كانت المباني المخصصة لهم في منطقة ماجكا (Maçka) [من ضواحي اسطنبول] غير ملائمة فجرى توسيعها في عام 1835[21].

في أثناء إنشاء الكلية الحربية (1834)، كان الجنود المتقدمون إليها أميين عمليًا. في الواقع، لم يكن هناك أي مدرسة ابتدائية أو ثانوية تعدّهم للدخول إليها، وهذا يدل على حجم المهمة التي يتعين على الإصلاحيين من التنظيمات القيام بها. مرَّ التحدي المتمثل في تعلُّم المعارف العلمية الجديدة بمعرفة القراءة والكتابة أولًا، ومن ثم اكتساب اللغات الأجنبية. كان على التلامذة الضباط إتقان اللغتين العربية والفارسية، وأن تراوح أعمارهم بين الستة عشر والسبعة عشر عامًا. ابتدأت الدروس في عام 1836 بمئة طالب وُزّعوا على أربعة صفوف في عام 1837. وازداد عددهم تدريجًا، ليتخطى 150 طالبًا في عام 1838 و200 طالب في عام 1839.

كان ينبغي تدريس الفيزياء والكيمياء منذ تأسيس الكلية الحربية في عام 1834، إلا أن هذه المواد لم تُعتَمَد في كلية الأركان العامة حتى وقت لاحق، بعد عام 1867[22]. ووفقًا لمراقبين أجانب، كان يتم في البداية تدريس مواد أكثر أساسية مثل القراءة والكتابة والحساب واللغة العربية والتكتيكات العسكرية[23]. وعندما بات أمين باشا (1841-1845) مديرًا للمعارف، أعطى زخمًا لتحديث

---

(21) Lévy, «The Officier Corps,» p. 33.

(22) Dölen, «Tanzimat'tan Cumhuriyet'e Bilim,» p. 178.

(23) Lévy, «The Officier Corps,» p. 34.

Scanned with CamScanner

التعليم، فشكل في عام 1845 لجنة مسؤولة عن إصلاح الدروس[24]. كما خصص أيضًا للكلية الحربية ضابط أركان مهندسًا (درس في كلية الهندسة) هو بويوك طاهر أفندي، علّم فيها الحساب والهندسة. أصبح تقدم الطلاب ملموسًا ابتداءً من عام 1842، وبدأ اعتماد امتحان تخرج على الطلاب أن يجتازوه للحصول على الدرجات (ملازم أول وملازم ثان). في عام 1847، أصبحت دراسة الهندسة تتم ضمن كلية المدفعية (Topçu Harbiye Mektebi)، التي جرى دمجها في عام 1871 بالكلية الحربية.

في وقت لاحق، في عام 1864، ركز غالب باشا، مدير الكلية الحربية (1864–1871)، بشكل خاص على تدريس اللغة الفرنسية، وجرى استقدام معلمين من فرنسا لتحسين مستوى الفرنسية عند الطامحين، وتدريسها ابتداء من صفوف المدارس الإعدادية[25]. لكن الإصلاح التعليمي الحقيقي حصل بعد ذلك بكثير، في خلال حقبة فون در غولتز في ثمانينيات القرن التاسع عشر.

بعد الحروب الروسية – التركية (1877–1878)، شُرع بإجراء إصلاحات كبيرة في المدارس العسكرية. في بداية ثمانينيات القرن التاسع عشر، استُدعيَ فون در غولتز الذي كان يدرّس التاريخ العسكري في أكاديمية برلين الحربية، ودخل في خدمة الدولة العثمانية برتبة جنرال (لواء) في المفتشية العامة للمدارس العسكرية، وساهم في تعزيز المكانة المعنوية التي تتمتع بها هذه المدارس[26].

بعد ترقيته إلى رتبة جنرال في عام 1874، أصبح سليمان باشا مدير الكلية الحربية وكرس نفسه لإعداد برامج المدارس والكليات العسكرية. كان شاعرًا وكاتبًا، ألّف الكثير من الكتب المطلوبة للتدريس في المدارس العسكرية والمدنية. كما كانت له أعمال في الأدب والبلاغة وقواعد اللغة التركية على وجه الخصوص. أعطى مكانة مهمة للأدب الفرنسي ولأفكار الثورة الفرنسية التي أطربت أذهان طلاب المدرسة العسكرية، حيث ساهمت هذه الكتب في

---

(24) Ergin (1939), p. 427.

(25) Ergin, *Turkiye maarif tarih*, p. 427.

(26) Ibid.

Scanned with CamScanner

الأدب الأوروبي في نشر الأفكار الليبرالية والغربية[27]. فمفهوم الوطن (vatan) الذي طوره «العثمانيون الشباب» كان يدرّس في المدارس العسكرية بفضل سليمان باشا[28].

في عام 1864 أصبح غالب باشا مدير الكلية الحربية[29]، فأعطى تعليم اللغة الفرنسية مكانة رئيسة. واستدعى لهذه الغاية معلمين من فرنسا. وفي كل صف، جرى تقسيم الطلاب إلى ثلاثة مستويات. لاحقًا، ومنذ عام 1867، انقسمت المدارس الإعدادية العسكرية بين المدرسة الإعدادية البحرية في هيبليادا، وهي جزيرة تقع قبالة اسطنبول، وتلك التابعة لقوات الجيش البرية في كوليلي، في الجانب الآسيوي من اسطنبول[30].

حدثت نقطة التحول الثانية في تاريخ التعليم في عام 1873، حين اختُصرت دروس المدارس الإعدادية بثلاث سنوات، وألغيت الاختبارات الشفوية لتحل محلها الاختبارات الخطية. كما اعتُمدت تدابير مختلفة لرفع مستوى الكلية الحربية، ليقترب من مستوى المدارس الأوروبية، وجرى بشكل خاص إدخال دروس أكثر حداثة.

منذ بداية ثمانينيات القرن التاسع عشر، عزل السلطان عددًا من الضباط من الجيل القديم لأسباب سياسية، ومنتقدي الأنموذج الفرنسي. وبعد الهزيمة الفرنسية أيضًا في عام 1870 أمام ألمانيا، جرى التخلي عن النظام العسكري الفرنسي كمرجع وحيد، وأُدخلت الأساليب والتقنيات الألمانية بعد الحرب الروسية - التركية (1877-1878). شكل وصول فون در غولتز كمفتش عام للمدارس العسكرية في عام 1883 نقطة تحول في هذا الصدد. وكونه كان يدرّس سابقًا التاريخ العسكري في الأكاديمية الحربية في برلين، ساهم في تعزيز المكانة

---

(27) Mardin, *Jön Türklerin*, p. 67.

(28) S. Aydemir, *Suyu arayan adam* (Istanbul: Remzi Kitabevi, 1961), p. 4.

يُنظر الفصل الثالث من هذا الكتاب.

(29) كان مديرًا للكلية الحربية بين عامي 1864 و1871.

(30) Avcı, p. 31.

Scanned with CamScanner

المعنوية التي كانت تتمتع بها أساسًا المدارس العسكرية، وأدخل إصلاحات كبيرة. وظل النفوذ الألماني في المجال العسكري نهجًا مستمرًا حتى إعلان الجمهورية[31]. تنامى إرسال الطلاب إلى أوروبا، وتركز في التبادلات مع ألمانيا. وأُعيد إصلاح هذا البرنامج في عام 1889، وفقًا للبرامج الفرنسية والألمانية والبلجيكية، ورُفِعَ عدد الطلاب المسموح به للدراسة في كلية الأركان العامة من 15 إلى 40 طالبًا.

تم تعزيز برنامج المدارس الابتدائية (rüşdiye) في الحقبة الحميدية. في السنة الأولى، تلقى الطلاب دروسًا في قراءة القرآن باللغة العربية، ودروسًا في اللغتين العربية والفارسية، إضافة إلى اللغتين العثمانية/ التركية والفرنسية. وأضيفت إليها دروس في الحساب والهندسة والجغرافيا. هذه الدروس كانت تعطى باللغة التركية، وكان على أولئك الذين لا يتقنونها القيام بسنة تحضيرية. كما جرى تدريس التخصصات العلمية والتقنية والتاريخ العسكري والتاريخ العثماني والأوروبي والأميركي، بينما لم يكن هناك من مواد تعليمية عسكرية بحت[32].

بدأت دروس الكلية الحربية بالتقدم تدريجًا، نظرًا إلى مستواها الضعيف في البداية. في خلال إنشائها، جرى تنظيمها على شكل كتائب أو طوابير (tabur mahiyeti)، تنقسم ثمانية أجزاء. وكان مستوى الجنود المقبولين في الكلية متواضعًا جدًا، نظرًا إلى كونهم أميين أحيانًا. في الواقع، لم يكن هناك مدارس ابتدائية وثانوية لإعدادهم لدخول الكلية. وفي عام 1845، شكل أمين باشا لجنة مسؤولة عن إعادة إصلاح الدروس[33].

بما أن تدريس اللغة الفرنسية كان في برنامج الكلية الحربية منذ عام 1840، جرى افتتاح مدرسة عثمانية (mekteb-i Osmâniye) في باريس في عام 1855،

---

(31) Ibid.

(32) M. A. Griffiths, «The Reorganisation of the Ottoman Army under Abdülhamid II (1880-1897)» (PhD., University of California, Los Angeles, 1966), pp. 95-96.

(33) يُنظر: Ayni, pp. 36-37.

Scanned with CamScanner

واستضافت طلابًا من الكلية الحربية، ومن كلية الطب البيطري وكليات عسكرية أخرى. وتولى تقديم الدروس التي كانت تعادل الدراسة الثانوية، مدرسون فرنسيون وأتراك[34]. أُغلقت هذه المدرسة في عام 1875 وافتُتحت تسع مدارس إعدادية للتعويض عنها. وافتتحت في العام نفسه مدرسة لتدريب المدرّسين المدنيين والعسكريين للمدارس العسكرية (mensе-i muallimin)[35].

في عام 1895، وفي قسم المشاة والفرسان، كانت مدة الدروس ثلاث سنوات. وجرى التجنيد من بين خريجي الكليات العسكرية والطلاب المسلمين في ثانوية غلطة سراي، أو المدارس المدنية الأخرى التي كانت تفرض امتحانًا للدخول، على أساس اختياري. كان يتم التوزيع بين الأسلحة عبر سحب القرعة. وكان الطالب يتخرَّج برتبة ملازم في فرقة المشاة أو الفرسان. وفي حال الرسوب مرتين متتاليتين، كان يرسل كجندي عادي في السلاح الذي ينتمي إليه.

في عام 1889، افتُتِح في الكلية الحربية ما يشبه «مدرسة النبلاء»، خُصصت بشكل حصري لعائلة السلطان أو لأبناء كبار الشخصيات وكبار المسؤولين الذين يعملون في خدمة البلاط. كانوا يتابعون دروسًا مماثلة لتلك المعطاة في الكلية العسكرية في بانغالتي. مع ذلك، لم يعش هؤلاء في مدرسة داخلية، لكنهم كانوا ملزمين فحسب بمتابعة بعض الدروس والمشاركة في التدريبات. كان مستوى تعليم الضباط المتخرجين من «مدرسة النبلاء» أدنى بكثير من أقرانهم المدربين في بانغالتي[36] الذين كانوا يتخرجون في المدرسة برتب عسكرية رفيعة جدًا[37]، الأمر الذي أثار سخط الطلاب الآخرين. في عام 1902، تخرّج ضابط في المشاة كان قد تقدّم لمتابعة الدروس في كلية الأركان العامة، وكذلك ثلاثة ضباط من سلاح الفرسان معيّنون كمساعدين للسلطان، إضافة إلى أن ضابطًا من المشاة

---

(34) يُنظر:
O. Ergin, *Türk maarif tarihi* (Istanbul: MEB Yayınları, 1941), p. 427.

(35)
Ibid., p. 432.

(36) عبارات قالها الماريشال زكي باشا، وهو أستاذ كبير في المدفعية، وكان في الوقت عينه المدير العام للمدارس الحربية، قالها للملحق العسكري الفرنسي. يُنظر:
Ibid.

(37)
A. de la Joncquière, «*L'Armée ottomane et l'épuration des grades*,» dans: *Le Bosphore*, no. 48 (4 septembre 1908).

Scanned with CamScanner

وواحدًا من فرسان الجيش الفارسي كانا قد تخرجا أيضًا من هذه المدرسة برتبتين مختلفتين[38].

بعد «ثورة تركيا الفتاة»، فتحت الأكاديمية الحربية العسكرية أبوابها امام الطلاب غير المسلمين في عام 1910. وفي عام 1912، رُقيت المجموعة الأولى من غير المسلمين في نهاية المنهج الجديد الذي كان يمتدّ على سنتين. من بين 394 ضابطًا، كان هناك ثلاثة يونانيين، أربعة أرمن ويهودي واحد. واحد من اليونانيين كان مصنفًا من بين الستة عشر الأوائل الذين أهداهم السلطان ساعة من ذهب. وحضر الحفل السلطان وولي العهد والوزير وكبار المسؤولين العسكريين، إضافة إلى البطريرك المسكوني والحاخام الأكبر وممثلي كبير مطارنة بلغاريا والبطريرك الأرمني[39]. وكانت صيغة قسم اليمين على النحو الآتي:

«في البر والبحر والجو، سأكون دائمًا وفيًا لسلطاني وبلدي. سأحترم دائمًا وفي كل مناسبة الدستور والقوانين العسكرية. وسيكون الشرف والمجد العسكري بالنسبة إليّ أغلى من وجودي الخاص. ولن أدخر شيئًا، حتى حياتي، في سبيل الدفاع عن وطني»[40].

كان المسلمون يقسمون «والله بالله» (vallâhi bi-Allâhi) على القرآن، أما المسيحيون فيقسمون اليمين على الإنجيل، واليهود على التلمود[41]. في عام 1912، جرى تعديل صيغة قسم اليمين على النحو الآتي، لمنع أي دور سياسي للضباط. كان عليهم قول ما يلي:

«أقسم أن أخدم بإخلاص، في كل مكان وفي جميع الظروف وضمن حدود القانون الدستوري، سلطاني وبلدي، وأن أطيع بدقة أوامر رؤسائي، وأن أحترم

---

(38) Service historique de l'armée de terre, archives militaires françaises à Vincennes (S.H.A.T.), 7N1633, Constantinople, rapport no. 274 du 5 février 1900.

(39) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 417 du 13 avril 1912.

(40) Ibid

(41) Ibid

Scanned with CamScanner

قوانين السلطنة، وألا أنخرط في أي حزب أو جمعية سياسية ما دمت أنتمي إلى الخدمة العسكرية، كما أنني لن أتدخل أبدًا وبأي شكل من الأشكال في الشؤون السياسية الداخلية والخارجية للحكومة العثمانية»[42].

حضرت بعثة إصلاحية ألمانية إلى السلطنة في نهاية عام 1913. واتُخِذَ هذا القرار عقب الهزيمة في حروب البلقان بتأثير من أنور باشا الذي أصبح القائد الأعلى. وقامت هذه البعثة ببعض التغييرات في الدروس والتنظيم الإداري. أما الكلية الحربية فوُضِعَتْ تحت سلطة المفتشية العامة للتربية والتعليم (terbiye ve tedrisat-i 'umûmiye mûfettişliği) لغاية عام 1914، تاريخ إلغاء هذه المفتشية وإنشاء المديرية العامة للمدارس العسكرية (askerî mektepler 'umûm müdürlüğü). أصبح الكولونيل الألماني باك فون إرليك (Back von Erlick) المدير العام للمدارس. وجرى تقسيم الصف الأول مجموعتين، الأولى تتضمن الدروس العادية (kidemsiz)، والثانية تتضمن دروسًا مخصصة لضباط الصف (kidemli) القدامى في الترتيب التسلسلي الهرمي. أُغلِقَتْ الكلية الحربية في 4 آب/ أغسطس 1918 بسبب الحرب العالمية الأولى، لتعود وتفتح أبوابها في أول كانون الثاني/ يناير 1920[43].

2- كلية الأركان العامة

أُسست كلية الأركان العامة (Erkân-i Harbiye) في عام 1845، على غرار أنموذج الكلية التطبيقية للأركان العامة الفرنسية، متوجة البناء التعليمي العسكري العثماني. في هذه الأكاديمية العسكرية، تأمن التعليم في البداية عبر خبراء أوروبيين، فرنسيين أو بروسيين. لكن تأسيسها الحقيقي كمؤسسة أتى في وقت لاحق. في الواقع، اتُخذ اسم كلية الأركان الحربية في عام 1864[44]. وكانت نوعًا ما مدرسة للمهندسين في الأركان العامة[45]. رُقي الخريجون الخمسة الأوائل من المدرسة في عام 1849.

---

(42) S.H.A.T., 7N1637, Constantinople, rapport no. 509 du 19 août 1912.

(43) يُنظر: Avcı, pp. 33-35.

(44) *Mekteb-i fünun-u harbiye-i şahâne Erkân-harbiye sınıflar.*

(45) Ergin, *Türk maarif tarihi*, pp. 426-427.

Scanned with CamScanner

سواء من حيث الدروس أم الإدارة، اعتُبِرَتْ صفوف الطلاب في كلية الأركان جزءًا لا يتجزأ من الكلية الحربية، حتى عهد الملكية الدستورية الثانية. كانت مدة الدروس سنتين حتى عام 1878، حيث أصبحت ثلاث سنوات. كان الطلاب يتخرجون برتبة نقيب (يوزباشي) (yüzbaşı)، أما رتبة الصاغ أو الرائد (كول آغاسي أي رئيس كتيبة) (Kolağası) فكانت تُمنح لهم لاحقًا بعد سنتين[46]. في عام 1868، جرى إصلاح الدروس بحسب الأنموذج الأوروبي. فبعد النجاح في امتحان الدخول إلى المدرسة، كان التلامذة يتلقون المواد الآتية: الحساب، الجبر، اللوغاريثم، الهندسة العادية، الهندسة، العلوم الطبيعية، الجغرافيا العامة، التاريخ والأدب العثماني. استند هذا الترتيب إلى النتائج التي يتم الحصول عليها، مع الإشارة إلى الرقم ورتبة التخرّج والصف. واستمر هذا النظام أحد عشر عامًا[47].

في عام 1880، جرى تقسيمها سبعة أقسام. وبعد الحروب الروسية-التركية، لم تعد تستقبل طلابًا من كلية الهندسة. لاحقًا، في عام 1881، قُسِمَتْ ثلاثة صفوف[48]. في الكلية الحربية العليا أو كلية الأركان، بلغ التطويع السنوي في القسم خمسة عشر ضابطًا كمتوسط عام – وهو عدد قليل جدًا – وذلك بين الضباط المساعدين المتخرجين في كليات المشاة والفرسان والمدفعية، الذين يصبحون طلابًا في كلية الأركان، إذا حصلوا، من دون تمييز في اختصاص الأسلحة، على أعلى الدرجات في خلال السنوات الثلاث الأخيرة من الدراسة[49].

في عام 1899، تخرج خُمس الضباط في الكلية الحربية فقط، في حين لم يتلق الجنود النظاميّون، في الحقيقة، إلا تعليمًا بدائيًا جدًا[50]. ومنذ تأسيسها في عام 1834 ولغاية عام 1907، تخرج في الكلية 807 ضباط مع شهاداتهم، ومن ثم 593 ضابطًا في عام 1902. وهذا يعني انخفاض عدد الضباط ذوي الشهادات داخل هذه الهيئة، على الرغم من الجهد المبذول لزيادة نسبتهم[51].

---

(46) يُنظر: Avci, pp. 45-47.

(47) Ibid., p. 48.

(48) يُنظر: Ibid., p. 48.

(49) S.H.A.T., 7N1631, Constantinople, rapport no. 144 du 12 avril 1895.

(50) S.H.A.T., 7N1632, Constantinople, rapport no. 225 du 4 juillet 1899.

(51) S.H.A.T., 7N1634, Constantinople, rapport no. 536 du 3 janvier 1903.

Scanned with CamScanner

الجدول (2 - 1)

توزع خريجي كليتي الأركان العامة وبانغالتي

الدفعات/ الأعوام	1900[51]		1902[52]	
كلية الأركان العامة	16 مقبولًا لرتبة نقيب في الأركان العامة		32 مقبولا 11 نقيبًا في الأركان العامة 21 ملازمًا في الفرق العسكرية 521 ملازمًا	
كلية بانغالتي المشاة	442 ضابطًا التشكيل العسكري الفيلق الأول: الفيلق الثاني: الفيلق الثالث: الفيلق الرابع: الفيلق الخامس: الفيلق السادس: الفيلق السابع: فرقة طرابلس: المجموع:	كلية الأركان العامة 62 76 68 98 61 19 1 7 392[54]	وجهة التعيين: الفيلق الأول: الفيلق الثاني: الفيلق الثالث: الفيلق الرابع: الفيلق الخامس: الفيلق السادس: الفيلق السابع: فرقة طرابلس:	4 5 98 8 6 2 30
كلية بانغالتي الفرسان	84 ضابطًا التشكيل العسكري الفيلق الأول: الفيلق الثاني: الفيلق الثالث: الفيلق الرابع: الفيلق الخامس: الفيلق السادس: الفيلق السابع: فرقة طرابلس: المجموع:	كلية الأركان العامة 16 17 10 17 15 7 – – 82[55]	72 ضابطًا وجهة التعيين: الفيلق الأول: الفيلق الثاني: الفيلق الثالث: الفيلق الرابع: الفيلق الخامس: الفيلق السادس: 2	1 – 1 – – – 18 16 15 7 8 8

يتبع

(52) S.H.A.T., 7N1633, Constantinople, rapport no. 274 du 5 février 1900.

(53) S.H.A.T., 7N1634, Constantinople, rapport no. 536 du 3 janvier 1903.

(54) أُرسلوا برتبة ملازم ثانٍ في فيالق القوات.

(55) Ibid.

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

تابع

دلية باشه الذي للطب الدطوني	15 ضابطًا	15 ضابطًا وجهة التعيين: الفيلق الثاني: 3 الفيلق الثالث: 4 الفيلق الرابع: 3 الفيلق الخامس: 4 الفيلق السادس: 4

الجدول (2-2)

كلية الطب والصيدلة[57]

الدفعة/ العام	1902
طب	58
صيدلة	16

الجدول (2-3)

كلية هومباراخانه[58]

الدفعة/ العام	1902	
مدفعية الميدان	45 ضابطًا	
	وجهة التعيين:	
	الفيلق الأول:	8
	الفيلق الثاني:	13
	الفيلق الثالث:	13
	الفيلق الرابع:	4
	الفيلق الخامس:	2
	الفيلق السادس:	4
	الفيلق السابع:	1

ينج

(56) كانوا قد تخرجوا في مدرسة بانغالتي برتبة نقيب.

(57) Ibid.

(58) S.H.A.T., 7N1634, Constantinople, rapport no. 536 du 3 janvier 1903.

Scanned with CamScanner

تابع

مدفعية القلعة	13 ضابطًا	
	وجهة التعيين:	
	الفيلق الأول:	6
	الفيلق الثاني:	2
	الفيلق الثالث:	1
	الفيلق الرابع:	2
	الفيلق الخامس:	2
هندسة	11 ضابطًا	
	وجهة التعيين:	
	الفيلق الأول:	4
	الفيلق الثاني:	1
	الفيلق الثالث:	1
	الفيلق الرابع:	1
	الفيلق الخامس:	1
	؟:	3

بقي طلاب السنة الأولى برتبة ملازم، وطلاب السنة الثانية كانوا برتبة ملازم أول. أما طلاب السنة الثالثة الذين اجتازوا امتحان التخرّج، فكانوا ينالون شهادة نقيب ويدخلون بهذه الرتبة الخدمة في جيش السلطنة[59]. كما جرى أيضًا استقدام معلمين من ألمانيا. وعُيّن الطلاب الذين أنهوا كلية الأركان العامة بعد تدريب لمدة عامين في هيئة الأركان العامة في القوات المسلحة برتبة صاغ (رائد). بقي هذا النظام ساريًا حتى إقرار الملكية الدستورية الثانية.

بعد ثورة تركيا الفتاة، جرى الحفاظ على النظام القائم بمعظمه. وفي عام 1908، ارتبطت الكلية الحربية وكلية الأركان العامة بوزارة المدارس العسكرية، ووُضعت كلية الأركان تحت سلطة رئاسة الأركان. في عام 1909، تقرر أن من هم برتبة ملازم أول وثانٍ هم وحدهم من يستطيعون دخول هيئة الأركان. لم يطبق

(59) Ibid.

Scanned with CamScanner

هذا النظام إلا مدة عامين فقط. كما حصل بعض التغييرات قبل الحرب العالمية الأولى حيث أُعطيت دورات اللغة أهمية كبرى[60].

الجدول (2-4)
مواد السنة الأولى[61]

المواد	عدد الساعات الأسبوعية
التنظيم العسكري	4
تاريخ الحرب	4
الأسلحة	2
التحصينات الثقيلة	2
القوانين العسكرية	1
تاريخ	2
الجغرافيا الاستراتيجية والإثنوغرافيا	2
لغة فرنسية	3
لغة روسية أو ألمانية	3

الجدول (2-5)
مواد السنة الثانية[62]

المواد	عدد الساعات الأسبوعية
التنظيم العسكري	4
تاريخ الحرب	3
تاريخ التحصينات الثقيلة	2
الطوبوغرافيا ورسم الخرائط	2
التموين في زمن الحرب	1

يتبع

(60) يُنظر: Avci, pp. 51-52.

(61) يُنظر: Ibid., pp. 54.

(62) Ibid.

Scanned with CamScanner

تابع

تاريخ	2
لغة فرنسية	3
لغة روسية أو ألمانية	3
الفتوحات العثمانية	3

الجدول (2-6)

مواد السنة الثالثة[63]

المواد	عدد الساعات الأسبوعية
التنظيم العسكري	3
تاريخ الحرب	4
التواصل بين المواقع العسكرية المحصَّنة	3
مهمات الأركان العامة	3
التعليم البحري	1
القانون الدولي	2
ترسيم الحدود	1
لغة فرنسية	3
لغة روسية أو ألمانية	3

3- الإصلاحات التي أدخلها فون در غولتز

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وبعد الهزيمة الفرنسية في عام 1870 أمام ألمانيا، جرى التخلي عن النظام العسكري الفرنسي كمرجع وحيد كان معتمدًا بعد الحرب الروسية - التركية (1877-1878)، حيث أدخلت الأساليب الحربية والتقنيات الألمانية.

---

(63) يُنظر: Ibid., p. 54.

Scanned with CamScanner

حتى عام 1870، اعتمدت الكلية الحربية البرنامج العسكري الفرنسي. لكن بعد وصول فون در غولتز في أوائل ثمانينيات القرن التاسع عشر، أصبح النظام المعمول به في الكلية الحربية في برلين هو المرجع. وأولي اهتمام أكبر للرسم والرياضيات. وجرى توزيع الدروس على مجموعتين؛ المواد العلمية والمواد العسكرية التي تُدرَّس في الأركان العامة[64]. إضافة إلى ذلك، وعندما وصل فون در غولتز إلى تركيا، كان التعليم العملي هو أكثر ما يحتاج إليه الطلاب[65]. وافق وزير الحربية على اقتراح فون در غولتز الداعي إلى توفير دورات تدريبية عملية، كما أدخل مواد جديدة عسكرية وغير عسكرية، مثل مهارات الأركان العامة، المعلومات عن الأسلحة، تاريخ الحرب، تاريخ الفن العسكري، تنظيم الجيوش الأجنبية، فن الجيش العثماني، الجغرافيا الاستراتيجية والإحصائية، التكتيكات المطبقة، خدمة الأركان الميدانية، فضلًا عن مادة في الأدب العسكري[66].

عَلَّمَ فون در غولتز وأصدر ونشر كتبًا عسكرية ألمانية في المدارس العسكرية. من هذا المنطلق، قام بدور مهم جدًا في تعليم الضباط العثمانيين الشبان. ولوضع حد للدراسة في الكتب الفرنسية، أصدر كتبًا مخصصة للكلية الحربية. وجرى تدريس العقيدة الألمانية، ومبادئ فون كلاوزفيتز. ففي خلال أول بعثة عسكرية له (من 12 سنة) في السلطنة ما بين عامي 1883 و1895، نشر أكثر من 4000 صفحة من الأعمال الألمانية باللغة التركية[67]. وعمّم فون در غولتز تدريس اللغة الألمانية في المدارس العسكرية، وفقًا لأنموذج المدرسة الحربية الألمانية. أما اللغة الفرنسية، التي كانت إلزامية من قبل، فأصبحت اختيارية بعد ذلك. عمل در غولتز على تأليف هيئة أركان ذات كفاءة، وأسس أكاديمية عسكرية على غرار أكاديمية برلين الحربية (Berliner Kriegsakademie).

في عام 1884، عُيّن فون در غولتز في هيئة تفتيش المدارس العسكرية، فعزم

---

(64) Ibid., p. 32.

(65) C. v. d. Goltz, *Denkwürdigkeiten*, préparé et publié sous la dir. de F. von der Goltz et W. Förster (Berlin: Mittler, 1932), p. 113.

(66) J. L. Wallach, *Anatomie einer Militärhilfe: Die preußisch-deutschen Militärmissionen in der Türkei 1835-1919* (Düsseldorf: Droste, 1976), p. 58.

(67) Goltz, *Denkwürdigkeiten*, p. 114.

Scanned with CamScanner

على إعادة تنظيم المدرسة وفقًا للأنموذج الألماني، مع «عسكرة» المواد. وبسبب غياب تعليم الهندسة والرياضيات في المدارس الأخرى، لم تُلغَ هذه المواد، الأمر الذي يبرز الأهمية الكبرى لكلية الأركان بالنسبة إلى الضباط، وهيبتها[68].

في العام نفسه، قُسمت المواد التي تدرس إلى فئتين، علمية وعسكرية، بناء على مبادرة من فون در غولتز[69]. وجرى التركيز على المواد العسكرية الصرف، في حين اعتُبِر القسم العلمي ضروريًا للمهندسين فحسب. واستمر هذا الوضع حتى عام 1895. في الواقع، كانت بداية الاحتراف في كلية الأركان العامة في عام 1894. وجرى نقل مواد الهندسة التي كانت تعطى سابقًا في كلية الأركان إلى «كلية الهندسة المدنية» (hendese-i mülkiye mektebi) التي أنشئت في عام 1883 وتتصل بكلية الهندسة العسكرية (Mühendishâne-i Berri Hümâyun). ومنذ عام 1895، أصبحت كلية الأركان مشابهة تمامًا في مناهجها للنظام الألماني.

كان للنفوذ الألماني أيضًا تأثير في التغيير الذي طرأ على تجنيد ضباط الأركان في عام 1899، وفقًا لنظام التجنيد البروسي. واعتُبِر الضباط المقبولون في كلية الأركان متدربين، وارتفع عددهم إلى خمسين. كانت شهادة الأركان العامة تستغرق ثلاث سنوات من الدراسة في الكلية. ثم كان على المنتسبين الخضوع للتدريب مدة عامين في أحد الأفواج. أغنت مدة الدراسة هذه المناهج. كما قدمت إلى الطلاب الضباط خبرة قيمة[70].

من جهة أخرى، كان فون در غولتز الخبير الألماني الذي يعرف الجيش العثماني على أفضل وجه، لا بل كان الأكثر تأثيرًا فيه. في الواقع، وعبر الإصلاحات والمواد وتنفيذ الأنموذج الألماني الذي أظهر تفوقه، أحدث هذا الشخص أثرًا في جيل الضباط الشبان الذين عرفوه، فباتوا من المنحازين المتشددين إلى النظام الألماني. وامتد التأثير إلى مؤسسي «ثورة تركيا الفتاة في عام 1908»، فبادروا إلى اعتماد الإصلاحات العسكرية.

---

(68) يُنظر: Avcı p. 49.

(69) Ibid., pp. 48-49.

(70) S.H.A.T., 7N1632, Constantinople, rapport no. 246 du 23 novembre 1899.

Scanned with CamScanner

يؤكد الطابع الحصري لبعض الإصلاحات في المدارس العسكرية الدور الريادي للجيش تجاه المجتمع. ويمكننا أن نذكر مثالين أكثر تحديدًا. يتعلق الأول بالإصلاحات في مجال الهندسة التي ناقشناها في الأعلى، فيما يتعلق الثاني بتعليم التصوير الفوتوغرافي.

4- التصوير: علم حديث في الجيوش

ينبغي لفت النظر هنا إلى الأهمية التي احتلها التصوير، أكان ذلك من خلال تدريسه المبكر في الجيش أم من خلال الموقع الذي احتله المصورون. بدأ تدريس التصوير أولًا ضمن الأسلحة العلمية في الجيش، في كلية الهندسة العسكرية. ومنذ عام 1805 جرى استيراد حجرة تصوير مظلمة من بريطانيا، وأضيفت دروس في التصوير إلى دروس الرسم[71]. ثم صار تدريس التصوير لاحقًا في القوات البرية والبحرية. تخرج المصورون العسكريون الأوائل من الكلية السلطانية للهندسة والمدرسة العسكرية في ستينيات القرن التاسع عشر: النقيب حسنو بيك (1844-1896)، سرويلي أحمد أمين (1845-1892)، وأشقودرلي علي رضا باشا (؟-1907)[72]. وترجم هؤلاء عددًا كبيرًا من الكتب التي لها علاقة بالتصوير. وأنجز أول ترجمة حتى ذلك التاريخ في عام 1873 النقيب حسنو بيك: *Usul-ü Fotograf Risalesi* [**أصول التصوير الفوتوغرافي**][73].

كانت مهنة المصور العسكري، مثلها مثل مهنة الرسام العسكري، تحظى بشعبية كبيرة وصيت منتشر. وكونهم أصحاب معارف جديدة، اعتبر المصورون ضباطًا رائدين، حيث كان المصورون العسكريون ضباطًا رفيعي المستوى، قريبين من السلطة ويضعون مواهبهم في خدمة السلطان. وشكل الضابطان بحريلي علي سامي وعلي سامي أكوزر مثلَين مهمَّين في هذا المجال.

---

(71) E. Çizgen, «Fotgrafçılık,» in: *Dünden bugüne İstanbul Ansiklopedesi*, vol. 3 (Istanbul: Kültür Bakanlığı ve Tarih Vakfı, 1994), p. 329.

(72) *Yıldız Fotograf Albümleri Kataloğu*, 1ère partie (Istanbul, 1992), p. IV.

(73) Hüsnü Bey, *Risale-i fotoğrafya* (Istanbul: Ceride-i Askeriye Matbausi, 1289/90 H. (1873).

Scanned with CamScanner

بعد تخرجه في عام 1892 برتبة ملازم في القوات البحرية وهندسة البناء، شغل بحريلي علي سامي منصب رئيس المصورين في دار العجزة (Darüaceze) وأستاذًا في التصوير الفوتوغرافي في الكلية البحرية. ونشر في عام 1893 كتابًا بعنوان مبادئ التصوير الفوتوغرافي وأصوله (*Mebadi-i usulu fotografya*). وعُيّن في منصب المصور السلطاني في العهد الحميدي، حيث أنجز الكثير من الألبومات للسلطان، لينكفئ في البحرية في عام 1909.

أما بالنسبة إلى علي سامي أكوزر، فكان واحدًا من 24 ضابطًا تخرجوا في سلاح المدفعية في الكلية السلطانية للهندسة في عام 1886. وعلّم الرسم والتصوير في هذه الكلية. وبعد تعيينه عميدًا في سلاح المدفعية، أصبح أستاذًا للتصوير الفوتوغرافي في القصر، وأعطى دروسًا للأمير برهان الدين لأعوام عدة. في عام 1898، اختير مصورًا عسكريًا ليرافق الإمبراطور الألماني فيلهلم الثاني خلال زيارته الدولة العثمانية، من اسطنبول إلى القدس. وعند تعيينه ياورًا [مرافقًا خاصًا] للسلطان في عام 1899، حصل على مهمة تأريخ الزيارات الرسمية في السلطنة جميعها[74].

كان بعض المصورين مواليًا للقصر واستفاد حتى من الحصول على الرتب العسكرية، مثل المصور كنان باشا الذي أصبح، مع مواصلته أعماله الفوتوغرافية، المستشار الرئيس لعبد الحميد الثاني في اللجنة التي أنشئت في عام 1897 للتعويض عن أضرار الحرب اليونانية - التركية. وتُوجت حياته المهنية بترقيته إلى رتبة جنرال في عام 1900[75]. وسمح إتقان هذا العلم الجديد بشق طريق لمستقبل مهني لامع، وحتى للترقي في الرتب العسكرية، والتمتع بتقدير خاص في ذلك الوقت. لكن أبعد من الدراسة في المدرسة، تبعت حركة هذا العلم أيضًا حركة الرجال الذين كانوا يتنقلون بهدف اكتسابه ونشره. واتخذ تدفق الأشخاص المهتمين أشكالًا عدة، حيث كان ذا طابع تقليدي في البداية، وجرى إرسال طلاب

---

(74) Çizgen, *Photography in the Ottoman Empire 1893-1919* (Istanbul: Haset Kitabevi, 1987), p. 134.

(75) Moreau, «19 yüzyıl sonunda Osmanlı Ordusunun görüntüsü nasıldı,» *Tarih ve Toplum*, no. 215 (2001), pp. 26-30.

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

عثمانيين للتدرب في الخارج، ثم وفي إبان المهمة العسكرية الألمانية، اعتبارًا من عام 1880، جرى تعيين ضباط ألمان في الجيش العثماني، وأُرسِلَ متدربون عثمانيون إلى الخدمة في الجيش الألماني.

5 – إيفاد الطلاب العثمانيين إلى الخارج

تجلت الإصلاحات عبر إرسال الطلاب إلى أوروبا ابتداءً من عام 1834، فضلًا عن استدعاء المدرسين والمهندسين الآتين من أوروبا. تم ابتعاث الدفعات الأولى من الطلاب بين عامي 1834 و1838، حيث غادر خمسة طلاب إلى لندن في عام 1834، ثم خمسة طلاب آخرين إلى فيينا في عام 1835. وفي عام 1836، أُرسِل طالب إلى باريس، أربعة إلى فيينا وواحد إلى لندن. ومع العشرة الذين ذهبوا إلى فيينا في عام 1838، بلغ تعداد دفعة الموفدين الأولى 26 طالبًا[76].

بما أن تعليم اللغة الفرنسية كان معتمدًا في برنامج الكلية الحربية منذ عام 1840، جرى افتتاح مدرسة عثمانية (mekteb-i ‘Osmâniye) في باريس في عام 1855، وبقيت تعمل لغاية عام 1874. استقبلت هذه المدرسة ستين طالبًا من الكلية الحربية وكلية الطب البيطري والمدارس العسكرية الأخرى. واتبعت في دروسها برنامج المدرسة الإعدادية للكلية الحربية، حيث كان يُدرّس موادها معلمون فرنسيون وأتراك[77]. إلا أنها فقدت أهميتها بعد افتتاح ثانوية غلطة سراي السلطانية (mekteb-i sultanî) في اسطنبول في عام 1867[78]. ثم أُغلقت في عام 1874 وافتُتحت تسع مدارس رشدية [متوسطة] (rüşdiye) حكومية للتعويض عنها. كما افتُتحت في العام نفسه مدرسة لتدريب المعلمين المدنيين والعسكريين للمدارس العسكرية[79] (menşe-i muallimin).

---

(76) Akyol, p. 28.

(77) Ergin, *Türkiye maarif tarihi*, p. 427.

(78) İ. Tekeli (éd.), *Dünden bugüne İstanbul Ansiklopedesi*, vol. 8 (İstanbul: Kültür Bakanlığı ve Tarih Vakfı, 1995), p. 467.

(79) Ergin, *Türkiye maarif tarihi*, p. 432.

Scanned with CamScanner

الصورة (2-1)

كبار الضباط العثمانيين الذين شاركوا في الحرب اليونانية - التركية في عام 1897 (مجموعة خاصة بأورهان كولوغلو)

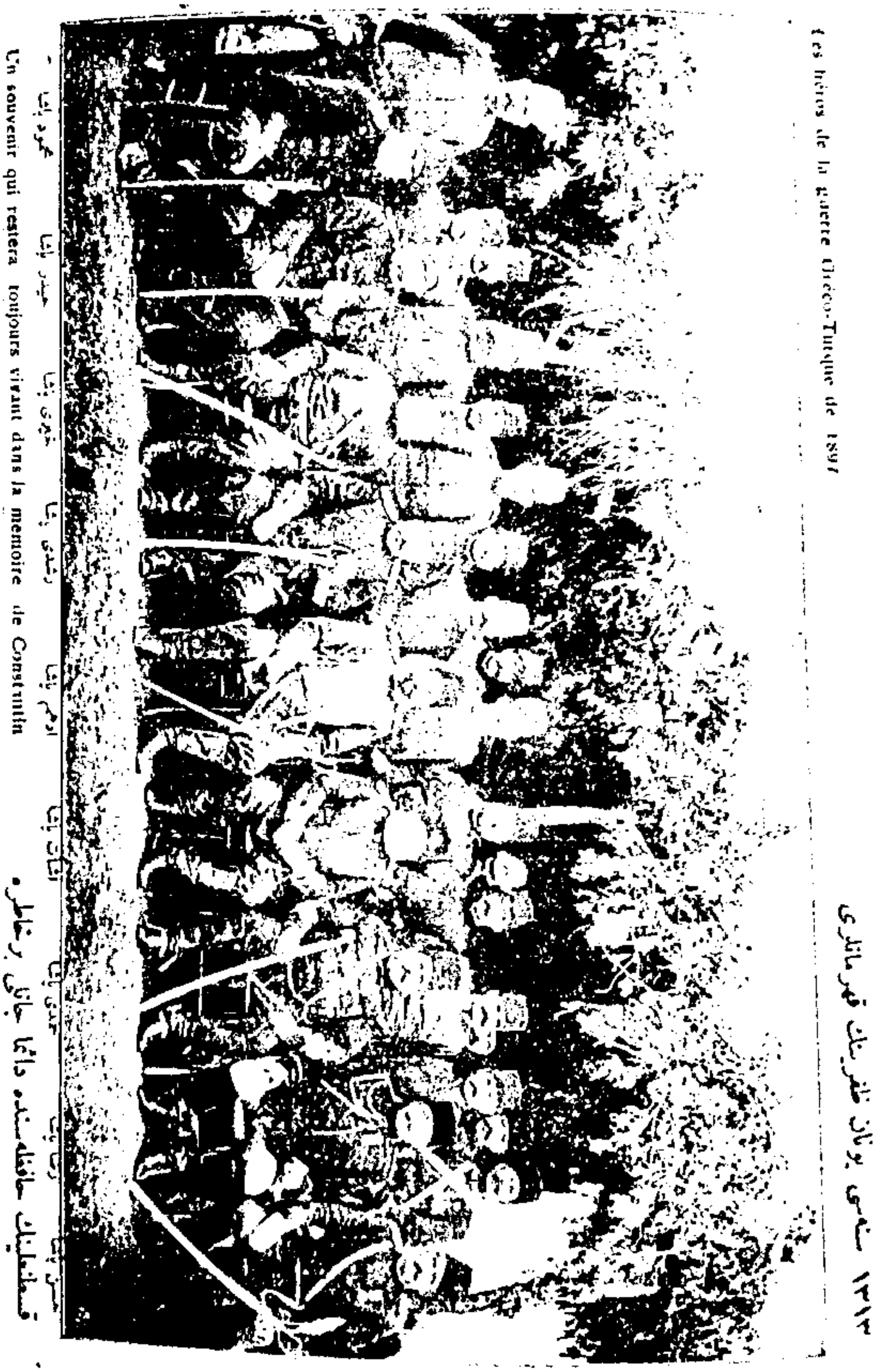

Les hauts officiers de la guerre Gréco-Turque de 1897

Un souvenir qui restera toujours vivant dans la mémoire de Constantin

حيدر باشا خيري باشا رشدي باشا ادهم باشا رفعت باشا حمدي باشا رضا باشا

ذكرى حافظه سنده دائما جانلى برخاطره.

Scanned with CamScanner

إبان معاهدة باريس، في عام 1856، أُرْسِلَ 46 طالبًا عثمانيًا إلى فرنسا لإكمال دراستهم. عشرون منهم كانوا من كلية الهندسة لقوات الجيش البرية. وأُرسل خمسة عشر طالبًا إلى بريتانيه دي لا فليش (Prytanée de la Flèche) من كانون الأول/ ديسمبر إلى حزيران/ يونيو 1856، ليتم جمعهم كلهم لاحقًا في المدرسة العثمانية التي أُسست في باريس. وبعد أن أحرزوا تقدمًا جيدًا في اللغة الفرنسية، أصبح ثمانية من بينهم طلابًا في مدرسة سان سير بين عامي 1862 و1864[80].

لكن بعد وصول البعثة العسكرية الألمانية إلى الدولة العثمانية في عام 1882، فضل الطلاب أن يرسلوا إلى ألمانيا كمتدربين في الجيش الألماني.

6- المتدربون العثمانيون في الجيش الألماني

بعد وصول فون در غولتز، زادت نسبة إرسال الطلاب إلى أوروبا، مع أفضلية للتبادلات مع ألمانيا، حيث أُرسلت أول مجموعة مؤلفة من عشرة ضباط عثمانيين في عام 1883، ومن بعدها المجموعة الثانية المؤلفة من اثني عشر ضابطًا في عام 1887[81]. وجاء إرسال المتدربين العثمانيين إلى الجيش الألماني نتيجة لنشر العقيدة الألمانية. وبغض النظر عن رتبتهم في الجيش العثماني، حصلوا على الرتبة واللباس الموحد لملازم ثانٍ في الجيش الألماني، ولم يكن متاحًا لهم أن يترقوا إلى رتبة ملازم أول إلا بعد عامين من الانخراط في الفوج. عند عودتهم إلى تركيا، كانوا يحصلون مباشرة على رتبة أعلى من تلك التي كانت لهم عند مغادرتهم إلى ألمانيا.

قوبلت الفوائد التي جناها هؤلاء الضباط من تفوقهم الحقيقي على أقرانهم بالشكوك في أنهم أتوا بأفكار ليبرالية من الخارج. غير أن هذه البعثات كانت مرغوبة بحد ذاتها، ربما أيضًا لأنها لامست بانتظام راتب 38 ليرة تركية (874

---

(80) S. Yerasimos, «Les Ingénieurs ottomans,» dans: *Bâtisseurs et bureaucrates. Ingénieurs et société au Maghreb et au Moyen-Orient*, E. Longuenesse (dir.), Études sur le Monde Arabe, no. 4 (Lyon: Maison de l'Orient, 1990), pp. 58-59.

(81) Avci, p. 32, and Wallach, pp. 60-61.

فرنكًا فرنسيًا) لضباط سلاح الفرسان و33 ل.ت. (759 فرنكًا) للآخرين[82]. وعندما عاد هؤلاء الضباط إلى بلدهم، كان بانتظار معظمهم خيبة أمل مريرة، حيث استبعدهم السلطان بشكل شبه منهجي. وفي الوقت الذي تدهور فيه مستوى الجيش العثماني، شارك بعضهم في اللجان الثورية[83].

في عام 1905، أعرب السلطان عن رغبته في إرسال متدربين من ضباط الصف الأتراك إلى ألمانيا لتعلم طريقة استخدام المدفعية ذات الطلقات السريعة. كما أراد أيضًا أن يأتي ضباط صف ألمان إلى تركيا للمساعدة على استقدام هذه المدافع إلى السلطنة. إلا أن هذه الفكرة لم تُعتمد، جزئيًا بسبب مشكلة اللغة. وأرسل الملحق العسكري الألماني عددًا كبيرًا من ضباط المدفعية الألمانية إلى تركيا في بعثات قصيرة الأجل[84]. وفي غضون خمسة وعشرين عامًا، تدرب مئة من الضباط العثمانيين الشبان في الجيش الألماني[85]. وأصبح هؤلاء الضباط في وقت لاحق أهم داعم للتيار الألماني في الجيش العثماني.

7- ضباط ألمان في الجيش العثماني

في خلال الحقبة الحميدية جرى تعيين ضباط ألمان في وظائف في الجيش العثماني، وأثار وضعهم الاهتمام، لأنهم لم يكونوا خبراء أجانب معتمدين من الباب العالي، وإنما ضباط فنّيون وضعوا من الجيش الألماني في تصرّف الجيش العثماني. وكانوا يتمتعون بامتيازات منها الترفيع السريع، حيث كان هناك التباس دائم حول وضعهم والسلطات المراد منحها لهم.

عندما وصل الكولونيل كيهلر (Kaehler)[86] إلى اسطنبول، رُقي إلى رتبة لواء

---

(82) S.H.A.T., 7N1633, Constantinople, rapport no. 170 du 13 mars 1899.

(83) *Politisches Archiv-Auswärtiges Amt* (P.A.-A.A.), Türkei no. 139, A. 14516, amb. no. 196, Thérapia, le 3 septembre 1908, Marschall à M. le chancelier, le comte von Bülow.

(84) P.A-A.A., Türkei no. 139, A. 14409, Thérapia, le 11 août 1905, Bodman à M. le chancelier, le comte von Bülow.

(85) P.A.-A.A., Türkei no. 139, ad A. 12635, *Militärbericht*, no. 105 du 5 août 1908.

(86) Otto Kaehler (Neuhausen 1830-Istanbul 1885) avait fait toute sa carrière dans la cavalerie. يُنظر: *Militär Wochenblatt*, no. 97 (1885), pp. 1967-1974.

وأصبح باشا. وبناء عليه رقّاه الجيش الألماني إلى رتبة جنرال. فأصبح قائد لواء (فريق) في الجيش العثماني، ومن ثم ياورًا [مرافقًا] للسلطان. وعند وفاته، في عام 1885، كان برتبة مشير (müşir). ثم وصل النقيب كامبهوفنر (Kamphövener) في عام 1882، وبلغ رتبة مشير في عام 1895. وحيث إنه كان معتدًا جدًا بنفسه، صار لديه كثير من الأعداء، وقوبلت هذه الترقية بشكل سلبي[87]، لأنه لم يكن يتم منح هذا اللقب إلا بصورة استثنائية جدًا في الدولة العثمانية. وهكذا وضع كامبهوفنر في مستوى وزير الحربية الغازي عثمان باشا نفسه، بطل حصار بليفني [في بلغاريا اليوم]، لكنهم كانوا جميعًا يتساءلون عن ماهية الخدمات الكبيرة التي أمكنه تقديمها إلى السلطنة[88]. مع ذلك، جرى تعيين فون در غولتز أيضًا برتبة مشير في الحقبة نفسها، من دون أن يثير ذلك موجة من الغضب، نظرًا إلى مزاياه وشخصيته[89].

لم تخل هذه الترقيات السريعة من تشجيع للكفاءات والأمل بحياة مهنية لامعة، إلا أنها لم تخل أيضًا من الغيرة والاستياء من ضباط عثمانيين أحسوا بالغبن. كان هناك شكل من أشكال سوء الفهم أو الخلاف، الذي وقع تدريجًا بين الضباط الألمان ونظرائهم العثمانيين، فضلًا عن الجنود. فمعظمهم لم يتعلم اللغة التركية، لذا لم يكن من المستغرب أبدًا ألا يفهمهم رجالهم.

كانت هناك مكافآت استثنائية جدًا نتيجة هذه الترقيات السريعة، وقد أتت صادمة للعسكريين العثمانيين الذين لم يكونوا ليقبضوا دومًا كامل رواتبهم. ففي عام 1885، حصل كل ضابط ألماني على 30,000 فرنك[90]. وعند تسميته مشيرًا (müşir) في تموز/ يوليو 1893، تلقى فون در غولتز 70,000 فرنك كراتب، فضلًا

---

(87) يبدو أن الفريق شاكر باشا قال عنه هذا المثل التركي: «مهما حاولنا أن نضع طقم حصان من الذهب على ظهر حمار، فهذا لا يجعل منه فرس سباق». والفريق شاكر باشا هو المدير الخفي لمكتب السلطان العسكري، وقال هذا الكلام في مكتبه في بلدز، للملحق العسكري الفرنسي وأمام جمع من كبار الأتراك. يُنظر:

(88) *Sultan Abdulhamid Döneminde Osmanlı İmparatorluğunda Alman Nüfuzu* (Ankara: [illegible] Basımevi, 1981), p. 63, and Wallach, p. 43.

(89) [illegible]N1631, Constantinople, rapport no. 154 du 12 juin 1895.

(90) [illegible], p. 70

Scanned with CamScanner

عن المزايا الأخرى[91]. في الواقع، كانت الأجور غير المدفوعة، أو التي كان يدفع جزء منها بعد تأخير طويل، أمرًا شائعًا جدًا في عهد عبد الحميد الثاني، حيث كان وسيلة متعمدة لخفض الدين العام.

ازداد عدد الضباط الألمان المرسلين إلى تركيا على حساب معايير التميز. وكان بعضهم من غير المرغوب فيهم الذين كان يتم إبعادهم عن المجالات الألمانية الداخلية[92]، وبعضهم الآخر من الضباط ذوي الرتب المتدنية. وقد استدعي عدد من الضباط إلى ألمانيا، مثل الكابتن فون مسمر (von Messmer) في عام 1901، حيث حُكم عليه بعقوبة شديدة لتبذيره الأموال[93].

إلى جانب تدريب القوات البرية العثمانية، كان للألمان نوع من السيطرة على مجموع البناء العسكري العثماني. على سبيل المثال، عُهِدَتْ مهمة إصلاح الدرك في مقدونيا، في منطقتي سالونيك ومناستر، في عام 1909، إلى الكولونيل فون رودغيش (von Rüdgisch)، في حين لم تكن ألمانيا تمتلك أي معارف استثنائية في هذا المجال. وفي وقت لاحق، عُهِدَت إعادة تنظيم الدرك كاملة إلى الجنرال الفرنسي بومان (Baumann)، وأوكل إليه منصب مشابه لمنصب القائد الأعلى حتى الحرب العالمية الأولى[94]. فقد أراد قادة «تركيا الفتاة» من العلاقة مع فرنسا إعادة التوازن في سياستهم حيال القوى الأوروبية.

طُرِحَت المشكلة نفسها بالنسبة إلى القوات البحرية، حيث عمل الكولونيلان الألمانيان ستاركه (Starke) وكالاو فوم هوفه (Kalau vom Hofe) منذ عام 1891

---

(91) S.H.A.T., 7N1631, Constantinople, rapport no. 80 du 13 juillet 1893.

(92) كان فون در غولتز المثال الأنموذجي للضابط صاحب الفكر غير الامتثالي، الليبرالي جدًا وبالتالي المزعج بسبب تطلعاته الثقافية، الذي كان سعيدًا بأن تسند إليه مهمة في الدولة العثمانية.
S.H.A.T., 7N1633, Constantinople, rapport no. 384 du 30 mars 1901.

(93) لاحظ الملحق العسكري الفرنسي:... «إن هذا التفصيل يؤكد ما كان لي شرف إبلاغكم إياه في مرات عدة، وهو ينم عن الوقاحة التي يعامل بها الألمان الأتراك. فهم لا يكتفون بأن يرسلوا إليهم خرطوشًا وقذائف شرابنل سيئة النوعية فحسب، إنما يرسلون إليهم أيضًا ضباطًا متوسطي الكفاءة ومعيوبين أحيانًا».
I. Ortayli, *Ikinci Abdülhamid Döneminde*, p. 70.

(94)

مستشارين لوزارة البحرية. في خلال الحرب اليونانية – التركية في عام 1897، دخل الأميرال كالاو فوم هوفه في صراع مع وزير البحرية حسن باشا الذي كان قد أمر أسطوله الموجود في الدردنيل بمهاجمة السفن اليونانية في بحر إيجه. فعارض هذا الأمر، بحجة أن أيًا من هذه السفن ليس لديه القدرة على إتمام هذه المهمة[95]. في أي حال، بقي المدربون الألمان في مناصبهم في البحرية العثمانية حتى قيام الملكية الدستورية الثانية، التاريخ الذي أخذ فيه وزير البحرية الجديد جمال باشا المبادرة لإصلاح شامل، وقام باستدعاء مستشارين إنكليز.

أدّى التدريب على العلوم الحديثة إلى تغيير في تصوّرات الضباط المتخرجين ونظرتهم إلى العالم، حيث أدى تدريس هذه المعارف باللغات الأجنبية التي تتطلب التدرّب عليها، إلى تقديم تصوّر جديد للعالم، وانفتاح على أشكال من الغيرية تسببت بابتعاد هؤلاء الضباط الشبان عن مجتمعهم. وأصبحوا بعد ذلك وسطاء ثقافيين بين الغرب والسلطنة، ينقلون الحداثة والأفكار الجديدة. كما شكّلت المدارس العسكرية موئلًا للوطنية أيضًا.

ثالثًا: شهادات الولايات

كانت السياسة التعليمية ذات أهمية كبيرة بالنسبة إلى إصلاحيي «التنظيمات». وفي نهاية القرن التاسع عشر، أعطاها السلطان عبد الحميد الثاني أهمية خاصة. ووسّع بطريقة مذهلة شبكة المدارس في الولايات كلها.

1 – مدارس عسكرية في الولايات

افتُتحت مدارس متوسطة عسكرية جديدة (askerî rüşdiye) في عام 1874 في مراكز الفيالق في اسطنبول والأناضول والروملي لإعداد الطلاب للكليات العسكرية[96] (askerî idadi). ومنذ عام 1877، افتُتحت مدارس إعدادية جديدة في الولايات، حيث كانت الثلاث الأولى في دمشق وبيروت وبغداد[97].

---

(95) Wallach, p. 103.

(96) Ibid, pp 31-32.

(97) Griffiths, p 103.

Scanned with CamScanner

في عام 1893، افتُتحت 21 مدرسة إعدادية عسكرية على كامل الأراضي في السلطنة. وكانت هذه المدارس المتوسطة موجودة على حد سواء في الأناضول في مدن بورصة، إلازغ (معمورة العزيز)، أرزينجان، أرضروم، طرابزون، ديار بكر، سيواس، قسطموني، فان وبدليس، كما في الروملي في مدن أدرنة، سالونيك، مناستر وأُسكب، وفي الولايات العربية من دمشق إلى بيروت وبغداد وحلب وصنعاء وطرابلس الغرب[98].

تجسد مستوى التعليم الأعلى في الكلية العسكرية. وفي مناسبات عدة، افتتحت أيضًا المدارس الإعدادية لدخول الكليات الحربية في الولايات، خصوصًا، في عام 1845، في بورصة ومناستر وأدرنة مع مدة خمس سنوات من التعليم المدرسي[99]. بدأت الدروس في عام 1846 وتخرجت أولى الدفعات في عام 1848. ومن ثم افتُتحت من جديد مدارس متوسطة وإعداديات جديدة في عام 1864 في كل من أرضروم والبوسنة وبغداد.

تمركزت كليات الإعداد العسكري في مراكز الفيالق في اسطنبول، أدرنة، مناستر، أرضروم، دمشق، وبغداد. وحده الفيلق السابع، ومركزه في صنعاء، لم تكن لديه كليات عسكرية بسبب وضعه الخاص. إضافة إلى ما سبق، نجد مدارس عسكرية في كل منطقة عسكرية تقريبًا.

ظهر مشروع افتتاح كلية حربية في كل مركز فيلق، في أدرنة، مناستر، أرزينجان، دمشق، وبغداد مرة أخرى في أوائل القرن العشرين[100]. وفي عام 1907، نُظمت الكلية الحربية على مستوى إقليمي في فيالق الجيش جميعها. واستُبدلت المدرسة العسكرية في اسطنبول، بانغالتي، بمنشآت جديدة افتتحت في أدرنة (الفيلق الثاني)، مناستر (الفيلق الثالث)، أرزينجان (الفيلق الرابع)، دمشق (الفيلق الخامس) وبغداد (الفيلق السادس)، بغية تدريب ضباط المشاة والفرسان اللازمين لهذه الفيالق. لكن كان لهذا الإصلاح دافع سياسي أيضًا: إبعاد الطامحين

---

(98) Ibid., pp. 93-94.

(99) Avci, p. 28.

(100) Griffiths, p. 103.

Scanned with CamScanner

في أنحاء السلطنة جميعها لمنع أي خطر تآمري. من وجهة نظر عسكرية، لم يعط هذا الإجراء سوى نتائج ضعيفة، وذلك بسبب قلة عدد الطلاب في بعض المناطق وصعوبة توظيف المعلمين والمدربين. أُقفلت المدارس الإقليمية للفيالق الرابع والخامس والسادس في الجيش في عام 1909، وأُرسل الطلاب إلى اسطنبول لمتابعة دروس المدرسة العسكرية في بانغالتي. جرى الحفاظ على مدرستي أدرنة (الفيلق الثاني) ومناستر (الفيلق الثالث) وحدهما وبصورة موقتة حتى نهاية المنهج الدراسي للطلاب. ومن ثم، اعتُمِد مجددًا النظام القديم لمدرسة عسكرية واحدة للسلطنة كلها[101].

كان هناك اتجاه آخر يرمي إلى جعل الشبان من الولايات يدرسون في العاصمة. توجهت الدفعة الأولى إلى المدرسة العسكرية، ومن ثم أُنشِئَت مدرسة للعشائر افتتحت خصيصًا لأبناء العائلات الكبيرة القاطنة في الولايات النائية. في عام 1886، جرى استقدام 48 شابًا من الحجاز واليمن وطرابلس الغرب لمتابعة الدروس في المدرسة العسكرية مدة ثلاث سنوات. بعد الدراسة، كانوا يعودون إلى بلادهم برتبة ملازم ثانٍ، وبحوزتهم الزي الرسمي ومرتب ياور [مرافق] فخري (yaver-i fahri) للسلطان[102]. إلا أن بعضهم أخفق بسبب ضعف إلمامه باللغة التركية. لهذا السبب، كانت فكرة فتح مدرسة للعشائر – مخصصة للولايات العربية في الحجاز واليمن وطرابلس الغرب، وبعد ذلك لعشائر شرق الأناضول – قد شقت طريقها إلى التنفيذ.

2 – مدرسة العشائر

اختلفت مدرسة العشائر (aşiret mektebi) عن باقي المدارس الحكومية، سواء بالنسبة إلى الالتحاق بها والدروس المقدمة، أم للأهداف التي خُصصت لها. هذه المدرسة الإعدادية للكليات المدنية والعسكرية كانت مخصصة لأبناء شيوخ العشائر الكبيرة ووجهائها، ولذلك فهي لم تكن مدرسة عسكرية محض.

---

(101) SHAT, 7N 1636, Constantinople, rapport no. 310 du 11 février 1909.

(102) يُنظر: *Terdjuman-i hakikat*, 18 juillet 1890 (30 *zilkâde* 1307H.), Ergin, *Türk maarif tarihi*, vol. III, p. 1181.

Scanned with CamScanner

عبر «تلقين» أبناء وجهاء العشائر، سعت هذه المدرسة، من وجهة نظر سياسية، لمنع تطور النزعة القومية، والحد من نفوذ الإمبريالية الأجنبية على سكان الأطراف من غير الأتراك، عبر الترويج للتعليم الذي من شأنه أن يحد من جهل العشائر. وكان إنشاء مثل هذه المدرسة جزءًا من تنفيذ مبدأ الاتحاد الإسلامي. وعلى المستوى الإداري، كان ذلك مظهرًا من مظاهر المركزية العثمانية التي سعت لتعزيز سلطتها على هذه الأطراف وتوسيعها[103].

أصبح عثمان نوري باشا[104]، المؤيد المخلص للسلطان، مسؤولًا عن إعداد البرامج الدراسية وتنظيمها. فقام بصوغ مشروع قانون (لائحة) (lâyiha)[105]. تقرر إنشاء مدرسة العشائر بإرادة سلطانية[106] في عام 1892، وفتحت أبوابها في أوائل خريف 1892. بحسب نظامها الداخلي[107]، كان التعليم لمدة سنتين مقررًا أصلًا. وكانت حالها من حال المدرسة الحكومية، مجانية وتتخذ شكل المدرسة الداخلية، ومدة الدراسة فيها خمس سنوات. راوحت أعمار طلابها بين

---

(103) يُنظر: B. Kodaman, *Sultan II: Abdül Hamid devri doğu Anadolu politikası* (Istanbul: Kardeşler matbaası, 1983), pp. 97-100.

(104) كان عثمان نوري باشا ضابطًا في هيئة الأركان العامة. ولد في اسطنبول في عام 1840 (1256هـ)، تولى مناصب عدة في الولايات العربية، خصوصًا قائدًا لفرقة الحجاز في عام 1881، وكان يحمل رتبة فريق، حيث عُرف عنه قيادة الفرقة بحزم وكفاءة. في عام 1882 عُيِّن واليًا على الحجاز ورفع في عام 1884 إلى رتبة مشير (مارشال). ثم عُين في عام 1886 واليًا على حلب، ثم في عام 1890 واليًا على سوريا [الشام]. يُنظر: M. Hülagü, *Topal Osman Nuri Paşa* (Ankara: O.T.A.M., 1989), pp. 145-153.

وكما نرى من سيرته العملية هذه فإن عثمان نوري باشا كان رجلًا عمليًا مجربًا وعارفًا بشؤون المنطقة العربية، ولهذا أُسندت إليه مهمة إنشاء مدرسة العشائر.

(105) Archives ottomanes placées sous l'autorité de la Présidence du conseil (Başbakanlık Osmanlı Arşivi), à Istanbul (B.O.A.), *meclis-i mahsus iradeleri*, no. 5638,

وردت في: A. Akpınar, *Osmanlı devletinde 'aşiret mektebi* (Istanbul: Göçebe yayınları, 1997), p. 22.

يُنظر: Ergin, *Türk maarif tarihi*, vol. III, pp. 973-981.

(106) Rescrit impérial [*Yıldız sarây-ı Hümâyumu*] en date du 3 juillet 1892 (21 juin 1308), B.O.A., *irade, Dâhiliye*, no. 101021, 21 juin 1308,

وردت في: Kodaman, *Sultan II. Abdülhamid*, p. 102.

(107) قُدّم القانون الأساسي والنظام الداخلي لمدرسة العشائر في 20 تموز/ يوليو 1892 وصودق عليه في 23 تموز/ يوليو من العام نفسه. وهو يتضمن 12 مادة. يُنظر: B.O.A., *irade, meclis-i mahsus*, no. 5641, and *Düstur*, I. *tertib*, 6 *cilt*, pp. 1256-1258.

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

12 و16 عامًا (المادة 4). وكان يختارهم السلطان من بين أبناء العشائر (المواد 1 و2 و4). في السنة الأولى قُبل 50 طالبًا، ومن ثم 40 طالبًا في السنوات الأخرى. وقد تقرر أن يكون العدد الإجمالي لطلاب المدرسة 210 تلامذة (المادة 3)، كانوا يحصلون على راتب شهري قدره 30 قرشًا (المادة 5). بعد التخرج، كانوا يعودون إلى عشائرهم، حيث أصبحوا مدرسين في المدارس التي ستُفتح، أو شغلوا وظائف إدارية أخرى (المادة 9)[108].

مع ذلك، وفي نهاية السنة الخامسة، بلغ عدد الطلاب 250 طالبًا[109]. وارتدوا الزي المدرسي، وكان الانضباط مماثلًا للانضباط السائد في الكلية الحربية وكلية الإدارة (mekteb-i mülkiye). وذُكر بصراحة أن المدرسة مخصصة لأبناء العشائر العربية. وذُكرت المناطق الآتية: سوريا، حلب، بغداد، البصرة، الموصل، طرابلس الغرب، اليمن، الحجاز، ديار بكر، فضلًا عن لوائي دير الزور والقدس (المادة 6).

كانت الدروس تعادل المستوى الأساسي للمدارس الابتدائية والمتوسطة مع تكثيف المنهج الدراسي لسبع سنوات في خمس. كما أوليت أهمية كبرى لاكتساب اللغة التركية. وتمكنّا من معرفة برنامج الدروس للسنوات الأربع ابتداءً من عام 1895، من طريق دفتر علامات الطلاب، في خلال امتحان حزيران/يونيو[110]. في السنة الأولى، كان يُدرَّس القرآن والحضارة (علم الحال) والفهم الشفوي (السماعي) للغة التركية، واللغة والحساب والإملاء وفن الخط العثماني. في السنة الثانية، كان يتم تعلم القرآن وتلاوته، والعلوم الدينية واللغة والحساب وقراءة اللغة التركية، والإملاء، وخط الرقعة (rik'a)[111]. في السنة الثالثة، يكرس الطلاب أنفسهم لدراسة القرآن وتلاوته والعلوم الدينية وقواعد اللغة العثمانية والحساب وقراءة اللغة التركية والجغرافيا العثمانية وتاريخ الإسلام والإملاء

---

(108) يُنظر: Kodaman, *Sultan II. Abdülhamid*, p. 106.

(109) يُنظر: Ergin, *Türk maarif tarihi*, vol. III, p. 1185.

(110) B.O.A., Yıldız Esas Evrakı (Y.E.E.), K. 36, E. 140/80, Z. 140, K. XXIII.

(111) شكل من أشكال الخط العثماني.

Scanned with CamScanner

وخط الرقعة. في السنة الرابعة، كانت تُدرَّس تلاوة القرآن والعلوم الدينية العربية والفارسية وقواعد اللغة العثمانية وأصول الكتابة والإملاء (usûl-i kitâbet ve imlâ) والجغرافيا العامة والحساب والمعارف الجديدة (المعلومات المتنوعة) (mâlûmât-ı mütenevvia)[112] وفنون الخط (hutût)[113]. في السنة الخامسة، كان يتم تدريس القرآن وتلاوته، والعلوم الدينية، واللغة العربية والفارسية والتاريخ العثماني وتاريخ السلالات العثمانية وفن الخط وقراءة اللغة التركية وكتابتها والجغرافيا والحساب والهندسة والكتابة والمعارف الحديثة والنظافة وحفظ السجلات أو الدفاتر (usûl-i defteri) واللغة الفرنسية والكتابة الفرنسية والرسم والحفر (ayak talimi)[114].

في 4 تشرين الأول/ أكتوبر 1892، في ذكرى المولد النبوي، فتحت مدرسة العشائر أبوابها في قصر عصمه سلطان[115] في منطقة كاباتاش بمدينة اسطنبول. وألقى وزير المعارف كلمة الافتتاح باللغة العربية، لجمهور يفهم القليل من اللغة التركية. في بدايتها، قامت وزارة المعارف (maarif nezâreti) بإدارة مدرسة العشائر. وفي عام 1895، انتقلت المدرسة إلى إدارة وزارة المدارس العسكرية[116] (umûm mekteb-i askeriye nezâreti)، ولا نعرف إن كان ثمة علاقة في ذلك بين سبب ونتيجة، لكن شجارًا كان قد وقع، عشيّة الافتتاح، بين الطلاب الأكراد والعرب.

كان الأمر بالنسبة إلى معظم هؤلاء الشبان أشبه بأول رحلة لهم، حيث جاؤوا إلى اسطنبول على متن سفن حديثة، وقاموا باكتشاف العاصمة المتنوعة الأعراق للسلطنة. وتقرر تقديم هذا التعليم في العاصمة العثمانية، ليُحشدوا فيها بعد

---

(112) أي العلوم.

(113) B.O.A., Y.E.E., K. 36, E. 140/80, Z. 140, K. XXIII.

غير أن بعض المواد يكون قد أضيف لاحقًا، مثل مادة الرسم (للسنة الرابعة) واللغة الفرنسية (للستين الثالثة والرابعة) والكتابة الفرنسية (للستين الثالثة والرابعة). يُنظر: Ergin, *Türk maarif tarihi*, vol. III, p. 1187.

(114) يُنظر: Ergin, *Türk maarif tarihi*, vol. III, p. 1187.

(115) هي ابنة السلطان عبد العزيز ويقع القصر وهو عزبة صيفية على ضفة البوسفور الأوروبية في ضاحية أورته كوي من مدينة اسطنبول. (المراجع)

(116) صدر هذا القرار بإرادة سلطانية بتاريخ 8 شباط/ فبراير 1895. يُنظر: B.O.A., I.H. (hususi iradeler), no. 114, in: Akpınar, *Osmanlı devletinde*, p. 34.

Scanned with CamScanner

إبعادهم عن بلادهم وعائلاتهم. في الواقع، لم يكن يُسمح للطلاب الذين كانت لهم أسر في اسطنبول بزيارتها أيام الإجازة، مثل يوم الجمعة على سبيل المثال، في حين كان يُسمح بذلك في المدارس الأخرى الداخلية المتوسطة والإعدادية وفي الكليات العسكرية[117]. كان بلوغ العالم الخارجي مراقبًا بصرامة، وكان الانضباط صارمًا، وحياتهم الجديدة متقشفة ومليئة بالمحظورات. كما أن الغذاء الهزيل واللباس المخصص لهم أثارا استياءً مستمرًا، إلى حد أنه بعد سنوات، ألقى طالب سابق باللوم على السنوات الخمس التي أمضاها في هذه المدرسة لأنها كانت السبب في إيذاء صحته[118]، ما جعل المدرسة أقل جاذبية بالنسبة إلى هؤلاء الشبان.

علاوة على ذلك، خضعت حدود السن للاستثناءات. على سبيل المثال، لم يكن عبد السلام أفندي، من مواليد طرابلس الغرب، في العشرين من العمر فحسب، بل كان متزوجًا أيضًا من امرأتين تنتظرانه في بلده. هذا الطالب كان مثالًا سيئًا لزملائه، عبر امتناعه عن العمل في أثناء الدروس، وإطلاعهم على حياته الليلية في بيوغلو[119]. لذا أُرسل إلى مدرسة عسكرية، لكنه قرر لاحقًا العودة إلى ديارة[120]. كما جاوز طالب آخر حدود السن. كان سعد الله ابن آغا كولوغلو في درنة (الليبية) قد غادر عائلته في سن العاشرة، وكان بالتأكيد واحدًا من القليلين جدًا الذين زاروا اسطنبول من قبل، حيث زارها مع والده وجرى تقديمه إلى السلطان الذي اختاره، من بين آخرين، لمعرفته باللغة التركية[121].

---

(117) Gazi Ahmed Muhtar Paşa, *Anılar, Sergüzeşt-i hayatım'ın, cild evveli*, yayına hazırlayan Nuri Akbayar (Istanbul: Tarih Vakfi Yurt yayınları,1996).

(118) E. Rogan, «Aşiret Mektebi: Abdülhamid II's School for Tribes (1892-1907),» *International Journal for Middle East Studies*, vol. 28 (1996), pp. 83-107, and *'aşiret mektebi*, p. 94.

(119) O Kuloğlu, *Arap Kaymakam: Libya'ya Basbakan olan Türk kaymakamin yasam oyküsü* (Istanbul: Aykın Yayıncılık, 2001), p. 18.

(120) كان سلوك عبد السلام أفندي مدعاة للريبة في ما يتعلق بالأخلاق العامة في المدرسة وذلك بسبب أقواله وأفعاله. وكان غالبًا ما يهرب من المدرسة للتمتع بما يريد خارجها قبل أن يعتقله الدرك للعودة إليها. يُنظر: BOA Yildiz sadâret husûsi mâruzat evrakı (Y.A.-H.U.S.), no. 270/26, and B.O.A., Y.M.T.V. (*Yıldız matbaası mâruzat evrakı*), no. 75/71, dans: Akpınar, *Osmanlı devletinde*, p. 33.

(121) K.oğlu, *Arap Kaymakam*, pp. 14-19.

Scanned with CamScanner

صدرت طلبات القبول أيضًا عن القادة الأكراد، مثل أيوب باشا، شيخ عشيرة زيلان، وقادة الأفواج الحميدية، حسن وعلي بيك اللذين أشارا في برقية إلى أنه لم يتم قبول أي ولد من عشائرهم[122]، متمنين أن يتم قبول ولدين من كل عشيرة في كل عام، من الأفواج الحميدية الأربعة عشر الموجودة في بيازيد، فاستُجيب لمطلبهم[123].

على الرغم من أنها أنشئت في البداية من أجل أبناء شيوخ العشائر العربية، أصبحت مدرسة العشائر لاحقًا متاحة للأكراد والألبان، حيث التحق بها عشرون طالبًا في عام 1902[124]. جرى قبول عدد من الطلاب الأكراد، لكن بأي نسبة؟ أربعة أخماس الطلاب كانت أصولهم من ولايات عربية، وخُمس من الأناضول الشرقية[125]. في السنة الأولى تقدم 13 طالبًا من الولايات الشرقية، في السنة الثانية أربعة طلاب، في الثالثة ثلاثة طلاب، وفي الرابعة طالب واحد، وفي الخامسة لا أحد[126]. كان الطلاب، في ما عدا بعض الاستثناءات النادرة، أبناء شيوخ العشائر. لكن في الواقع، لم يتم قط بلوغ عدد الطلاب المتوقع، ولا حتى عدد الخمسين طالبًا في الصف الواحد. في السنة الثالثة، كان عدد الطلاب ثمانين طالبًا بدلًا من 130. وفي عام 1901، بلغ مجموع الطلاب في خمسة صفوف 139 طالبًا، ثم 120 طالبًا في عام 1903[127]. ولعل السبب في هذا هو النقص في المرشحين من الأسر الكبيرة. وواجه الحكام العامون صعوبة كبيرة في التشجيع على هذا التوجه.

دفعت مدة حياتها القصيرة، خمسة عشر عامًا، إلى الاعتقاد أن هذه القفزة التجريبية الأولى لم تُعتبر مثمرة، فجرى إقفال المدرسة في نهاية شباط/ فبراير

---

(122) B.O.A., Y.E.E., K. 14, E. 2287, Z. 126, K. 11. Ces Régiments étaient formés par les tribus Zilan et Karapapak.

(123) B.O.A., I. H., no. 77.

(124) Akpınar, *Osmanlı devletinde*, p. 46.

(125) Kologlu, *Arap Kaymakam*, p. 17.

(126) Akpınar, *Osmanlı devletinde*, p. 43.

(127) Rogan, «Aşiret Mektebi,» p. 91.

ويستند هذا النص إلى الكتب السنوية لوزارة المعارف.

Scanned with CamScanner

1907 (1325هـ). وبقيت النتائج المتوقعة عبر إنشاء هذه المؤسسة قيد الانتظار. وعلى الرغم من الولاية على أبناء زعماء العشائر وتدريبهم وتدليلهم وكأنهم «رهائن بالاختيار» في العاصمة العثمانية، إلا أن الانتفاضات لم تختفِ[128]. إضافة إلى ذلك، كان هناك عبء مالي كبير واجه وزير المعارف مشكلة في معالجته، وفق لالتماسات مختلفة كان قد أرسلها إلى القصر[129]. مع ذلك، لم يتحقق المشروع الأساس بإنشاء مدارس للعشائر في الولايات.

يمكن أن يتحدث المرء عن «منهج دراسي هامشي»، حيث ظل هؤلاء الطلاب بعيدين عن الطلاب الآخرين، مع أن أحوالهم الاجتماعية جيدة وإنما يبقون مع بعضهم بعضًا في حالة هامشية. هنا أيضًا، كانوا كآبائهم مساعدين للجيش العثماني، ورثوا منهم هذه الحالة الهامشية بعد اتباعهم «دراسة هامشية» في مدرسة العشائر، ومن ثم في صفوف منفصلة في الكلية الحربية أو كلية الإدارة. ولا يمكن مثل هذا النظام أن يؤدي إلى إنهاء العشائرية، وإنما إلى تقنينها. لم تكن هناك إلا مدرسة واحدة للعشائر، وإضافة إلى ذلك كانت في اسطنبول. فأثارت الغيرة بين العشائر.

كيف كان مستقبلهم المهني عند تخرجهم من مدرسة العشائر؟ قام معظمهم بشغل مستويات متوسطة من المسؤولية، مثل منصب نقيب وموظفين حكوميين وحكام أقضية ومديري أحوال مدنية ومفوضي شرطة وضباط شرطة...[130]. من بين اللامعين منهم، شغل اثنان منصب باشا وانتُخِبَ خمسة لمجلس العموم العثماني.

نجح اللامعون بينهم في الارتقاء اجتماعيًا، حيث تبوأوا مناصب في قلب السلطنة. وفي عام 1896، سمح السلطان بنقل ستة وعشرين خريجًا وخمسة وعشرين طالبًا من مدرسة العشائر إلى صفوف خاصة في الكلية الحربية وكلية الإدارة. واختارت الأغلبية منهم المهنة العسكرية. في عام 1897، تخرج [45]

---

(128) Ergin, *Türk maarif tarihi*, vol. III, p. 1188.

(129) Akpınar, *Osmanlı devletinde*, p. 77.

(130) Ibid., p. 46.

Scanned with CamScanner

من قدامى الطلاب في مدرسة العشائر في هاتين الكليتين، من بينهم 33 ضابطًا في المشاة والفرسان. وعُيّن 13 ضابطًا برتبة نقيب (yüzbaşı)، ومرافقين فخريين للسلطان.

خدم نواف الصالح، نجل شيخ عشيرة الحديديين في ولاية حلب في الجيش العثماني برتبة نقيب. وفي عام 1907، طلب والده الإذن لابنه لتزعُّم قبيلته. وسُمح له بذلك مع الاحتفاظ برتبته ومرتبه لغاية الاحتلال البريطاني في عام 1918[131].

خريج آخر، عبد المحسن بن فهد السعدون من ولاية البصرة، كانت له مسيرة مهنية لامعة. تزوج بامرأة تركية وكان برتبة عقيد عندما انتخب للمجلس العمومي في عام 1908، حيث بقي حتى عام 1918. ثم صار رئيسًا للوزراء لأربع دورات في مملكة العراق في العشرينيات من القرن العشرين[132]. أما بالنسبة إلى أصغر طالب، سعد الله كولوغلو، فأنهى كلية الإدارة الأول على دفعته. وعُيّن محافظًا في ولايات مختلفة في تركيا بين عامي 1909 و1938، مع لقب «القائمقام العربي» (Arap Kaymakam)، وأنهى مسيرته بلقب الحاكم العام أو الوالي (vâlî).

في أثناء التقاعد، وعلى الرغم من الصعاب كلها، دعي كولوغلو ليصبح رئيسًا للوزراء في ليبيا، حيث كان يلقب بـ«الوزير التركي الكبير» (وزير الوزراء التركي)[133] (Türk Vezir ülvüzera).

في المجمل، ارتاد 400 طالب هذه المدرسة حتى عام 1907، أي أقل من المتوقع. لكنها كانت محاولة مبتكرة لإخضاع العشائر ودمجها من خلال التعليم، لا من خلال القوة، من طريق سياسات التوطين القديمة[134]. في النهاية، كانت تلك واحدة من التجارب العثمانية الأكثر طموحًا لدمج العشائر في السياسة العثمانية وجهاز الدولة[135].

---

(131) E. Rogan, «Aşiret Mektebi,» *'aşiret mektebi*, p. 97.

(132) Ibid., p. 98.

(133) Kologlu, *Arap Kaymakam*, pp. 14-18.

(134) Georgeon, *Abdül Hamid II*, p. 270.

(135) Rogan, «Aşiret Mektebi,» p. 83.

Scanned with CamScanner

رابعًا: الشهادات عامل اندماج وارتقاء اجتماعي

كانت اسطنبول أكبر خزان بشري للمدارس العسكرية في الوسط. وسعت النخبة العسكرية إلى إعادة إنتاج نفسها، لكنها لم تحتكر المناصب جميعها. ولنقل إن الميل إلى الأسلحة تنقل في عائلات العسكريين، إلا أن الوراثة كانت قليلة، فيما الحراك الاجتماعي كان مرتفعًا. وكان المبدأ الذي أنشأته هذه المدارس العسكرية الجديدة هو الجدارة. وفي استثناء للقاعدة، سعت المدرسة التي أنشأها السلطان في بداية تسعينيات القرن التاسع عشر إلى خلق منهج دراسي لمصلحة أمراء العائلة المالكة وأبناء الباشاوات العاملين في البلاط. أما الضباط الآتون من المناطق، فأصبحوا كوادر في الجيش، ونقلوا من ولاية إلى أخرى. وكانت لمسيرتهم المهنية كما ولجزء من قوتهم قاعدة محلية.

لنأخذ على سبيل المثال الشبان من الولايات العربية في سوريا والعراق. قلة من السوريين انخرطت في الجيش العثماني وشغلت مناصب حكومية. وأصبح 18 منهم ضباطًا عثمانيين، وهي نسبة منخفضة، لكنها في الوقت نفسه شديدة الأهمية، حيث إنهم كانوا مبتكرين جدًا، ومنخرطين في الحياة العثمانية، وكانوا قد عرفوا وقتها ارتقاءً اجتماعيًا ملحوظًا (60 في المئة شغلوا مناصب أعلى من مناصب آبائهم، و40 في المئة من الدرجة نفسها)[136]. معظمهم تحدّر من عائلات عسكرية أو في الإدارة. ونصفهم كان آباؤهم أو أحد أفراد أسرتهم موجودًا أساسًا في الجيش. لكن الأمر الأكثر جدة هو أن 95 في المئة من بينهم درس وتدرب في المدارس العثمانية، و88.9 في المئة تابع دراسة عليا في اسطنبول. 12 ارتادوا الكلية الحربية، واحد درس الحقوق وآخر درس الطب. وكانت ميزة هذه المجموعة من الشبان بالتحديد في اندماجهم، من ناحية منهجهم الدراسي ومسيرتهم المهنية، باسطنبول وباقي السلطنة. من هذا المنطلق، كان اندماجهم ناجحًا، وزاد عددهم؛ إذ مثّل الضباط العثمانيون 5.2 في المئة من الوجهاء

---

(136) خمسة منهم في الأقل وصلوا إلى رتبة باشا وثلاثة إلى رتبة بيك. كان والد واحد منهم فقط هو أيضًا باشا، وستة كانوا بيكوات واثنان من الأفندية. يُنظر: Peter Ruded, «Ottoman Service as a Vehicle for the Rise of New Upstarts among the Urban Elite Families of Syria in the Last Decades of Ottoman Rule,» *Asian and African Studies*, vol. XVII/1-2 (1983), p. 77.

Scanned with CamScanner

السوريين في عهد عبد الحميد الثاني، ومن ثم 12.9 في المئة في خلال حقبة تركيا الفتاة. وشغلوا مناصب في أنحاء السلطنة كلها، ووفقًا للقاعدة المتبعة، لم يخدموا في منطقتهم الأم. معظمهم كان مواليًا، أكثر منه وطنيًا. ولم يكن عددهم كبيرًا، مثل العراقيين، للمشاركة في «الثورة العربية» في عام 1916[137]. ومن المعروف أن تسعة ضباط على عشرة من أعضاء المنظمة السورية السرية المعارضة (العهد)، كانوا من الأسر العادية التي لم تذكر في قواميس السير الذاتية[138].

هناك دمشقي عُرف لاحقًا بلقب «عزت العربي» (أحمد عزت باشا)، ذو مهنة مرموقة، وهو نجل أحد وجهاء دمشق، هولو باشا، كان رائدًا بمتابعة الدروس في المدارس الكاثوليكية في دمشق ثم في بيروت. ترقى في الرتب العسكرية، وأصبح سكرتير السلطان عبد الحميد ومستشاره. وبسبب تأثيره الكبير في العاصمة وسوريا، اضطر إلى ترك السلطنة بعد «ثورة تركيا الفتاة».

يبدو أن عدد العراقيين الذين ارتادوا المدارس في العاصمة كان أعلى. ففي عام 1903، نجد أن سبعين شابًا ذهبوا للدراسة في المدرسة العسكرية في العاصمة. في هذه السنة، مَثَّلَ العراقيون 10 في المئة من المقبولين في المدرسة، وهو رقم كبير. بالنسبة إلى الآتين من الولايات، كان كل شيء أكثر تعقيدًا. جودت علي - ضابط عراقي شارك لاحقًا في ثورة الشريف حسين، ثم أصبح رئيسًا للوزراء - كانت تستغرقه الرحلة من منطقة الموصل ثمانية أيام[139]. كان الانطباع العام أن الشبان العراقيين الذين يرتادون المدرسة العسكرية في اسطنبول، قد جاؤوا من بيئات أكثر تواضعًا وأسر أقل شهرة من الطلاب في المدارس الأخرى. لذا يبدو أن هناك تشابهًا في الخلفية الاجتماعية للتلامذة الضباط السوريين

---

(137) Ibid., pp. 74-81.

(138) E. Dawn, «The Rise of Arabism in Syria,» *Middle East Journal*, vol. 16 (Spring 1962), pp. 145-168.

(139) A. Jawdat, *Dhikrayât 1900-1958* (Beyrouth: Matbaa'al-Wafd, 1967), p. 18, وردت في: D. Pool, «From Elite to Class: The Transformation of Iraqi Leadership 1920-1939,» *IJMES*, vol. 12 (1980), p. 333.

Scanned with CamScanner

والعراقيين[140]. في المقابل، اختلف الأصل الاجتماعي «للقوميين» السوريين والعراقيين المنخرطين في الحركة الشريفية. ففي سوريا، كانوا جميعًا ينتمون إلى «النخبة العربية الوطنية الأصيلة»[141]، بينما في العراق كان 35 من أصل 51 من الخريجين الذين ارتادوا المدرسة العسكرية في اسطنبول، في معظمهم من أصل متواضع. أما القاسم المشترك بين البيروقراطيين والضباط «الشريفيين» فكان بدء حياتهم العامة في قلب السلطنة[142].

---

(140) Ibid.

(141) Ibid.

(142) Ibid, pp 336-337.

Scanned with CamScanner

الفصل الثالث

مجالات القطاع العسكري نحو استيعاب الأطراف

تمتعت القوات العسكرية في «المناطق المميزة» بوضع خاص، مثل اليمن وطرابلس الغرب وكريت، فاعتُبرت قوات محلية، لا تتم تعبئتها في زمن الحرب. وجرى التجنيد في الولايات الأخرى من السلطنة، لأن هذه المناطق كانت معفاة من الخدمة العسكرية. تدريجًا، كانت هناك محاولات لضم هذه «المناطق المميزة» عسكريًا إلى الاحتياط أو القوات المساندة. وسوف نقدم ثلاثة أمثلة مختلفة لهذه الإعفاءات الملغاة، من التشكيلات المختلطة بين النظام الجديد للجيش النظامي والنظام القديم (الإقطاعي): التيمارجيون البوسنيون، وسلاح الفرسان الحميدي في الأناضول الشرقية، ونهاية خدمة الكولوغلو في طرابلس الغرب.

قُسمت البلاد دوائر إقليمية توافق تقسيمات فيالق الجيش منذ عام 1827. وشكلت كل دائرة منها داخل حدودها فيلقًا للجيش النظامي. إلا أن ميزة التدابير التي وضعت بين عامي 1833 و1834 تكمن في تنظيم عدد متساوٍ من الاحتياط الرديف في الدوائر نفسها. وفي زمن السلم، يبقى هذا الاحتياط في المنزل، من دون أن يكون على نفقة الدولة. علمًا أن هذا التوزيع للقوى العسكرية على الأرض استوحي من تنظيمات لاندفير للجيش البروسي. في عام 1838، أعيد تنظيمهم في ألوية مشاة (ما يعادل الفوج اليوم) (alay) بعد الهزيمة أمام قوات محمد علي باشا في مصر.

Scanned with CamScanner

الصورة (3 - 1)

تقرير عسكري عثماني مؤرخ في 28 شباط/ فبراير 1909

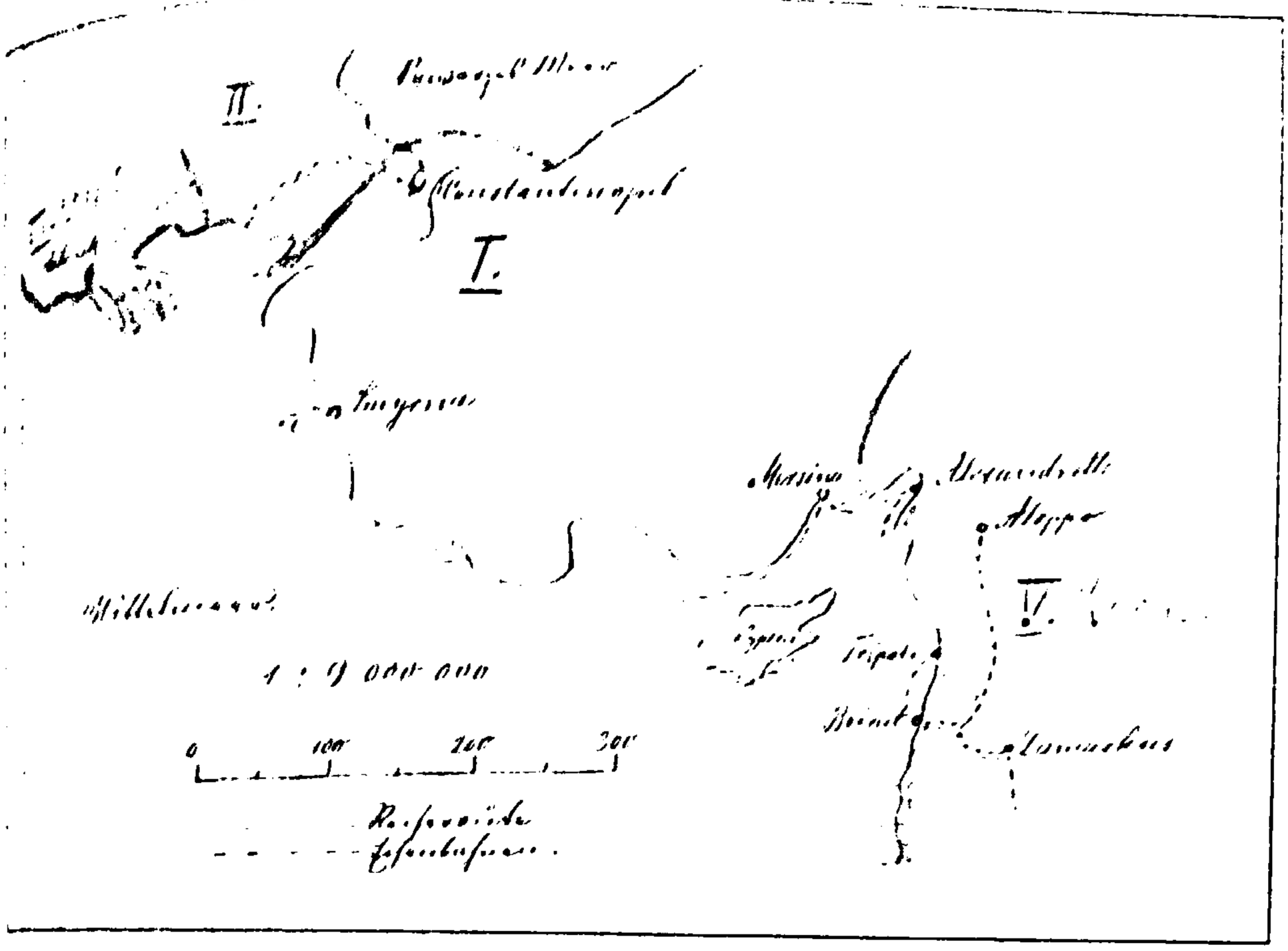

المصدر: Archives Archiv-Auswärtiges Amt, Berlin, rapport militaire no. 148 du 28 février 1909, 191).

في الأصل، كانت البلاد مقسمة أربع دوائر إقليمية لفيالق الجيش النظامي [الفيلق وحدة عسكرية مشكلة من فرقتين إلى خمس فرق]. تمركز الفيلقان الأول والثاني للجيش في اسطنبول: الحرس السلطاني (Hassa ordusu)، وجيش اسطنبول (Dersaadet ordusu). الفيلق الثالث كان في مناستر (جيش الروملي)، والرابع (جيش الأناضول) في إلازغ [وهي بالعربية معمورة العزيز أو خربوط الكردية][1]. أنشئ إصلاح عام 1843 فيلقًا خامسًا للجيش في دمشق، سوريا (جيش بلاد العرب). وأعاد هذا النظام تنظيم الفيالق بصورة متطابقة بالنسبة إلى الفيالق الثلاثة الأولى، في حين تمركز الرابع في أرضروم. ومن ثم، في عام 1848، جرى إنشاء فيلق سادس في بغداد (جيش العراق والحجاز)[2]. وجاء هذا الإصلاح ليعطي هذه

(1) F. Torokhtiy, *L'Armée ottomane* (Paris: Librairie militaire de J. Dumaine, 1877), pp. 41-42.

(2) İ. H. Uzunçarşılı, *Osmanlı tarihi*, 8 vols. (Ankara: T.T.K. Yayınları, 1988), vol. 6, p. 162.

المؤسسة فيلقًا أخيرًا متمركزًا في صنعاء (السابع، جيش اليمن). أما بالنسبة إلى القوات الموجودة في اليمن وطرابلس الغرب وكريت، فكانت تعتبر قوات محلية غير معنية بالتعبئة في زمن الحرب. وأرسلت القوات المشكلة عبر التجنيد إلى الولايات المعفية من الخدمة العسكرية.

شكل قانون الحكم الذاتي للولايات المعتمد في عام 1864 خطوة إضافية في عملية المركزة التي أطلقتها «التنظيمات»، بهدف وضع حد للحكم الذاتي. إلا أن التفاوت بقي بين ولاية وأخرى، وكذلك وضع الجنود. ففي حين كان الجنود في بعض الولايات يتقاضون رواتبهم بشكل منتظم، كانوا في ولايات أخرى ينتظرون متأخرات رواتبهم من 10 إلى 15 شهرًا. وبالمثل، تكشف المقارنة بين فيالق الجيش المختلفة اختلافات كبيرة.

تميز الفيلق السادس للجيش الموجود في بغداد، في نهاية القرن التاسع عشر، بسوء التنظيم، وكانت أحوال عديده الضئيل بائسة. وكان السلطان قلقًا بشكل خاص من اختراق الشيعة له. في المقابل، كان الفيلق الخامس المجاور له في دمشق، يتمتع بوضع أفضل، مستفيدًا من اهتمام أكبر، ولا سيما لجهة إنشاء بنى تحتية عسكرية. فعلى سبيل المثال، جرى بناء ثكنة رائعة في بيروت في العهد الحميدي[3]. وحتى في المدن المحلية الصغيرة، كان تحسين حياة الجنود ملموسًا كما يتضح من حالة الثكنة الصغيرة في حمص بسوريا بين عامي 1880 و1896[4].

كان بعض المناطق معفى من التجنيد. وشملت هذه الفئة العاصمة بفعل الامتيازات القديمة الممنوحة لها في حقبات مختلفة من السلاطين، وكذلك سكان جزيرة كانديا وولاية أشقودرة (ألبانيا) ومقاطعات بأكملها في الأناضول الشرقية (جبال درسيم؛ موتكا وشويت، جنوب وادي موش)، والسكان الأكراد أيضًا في الولايات الشرقية، وكثيرًا من عشائر سوريا والعراق والأناضول الشرقية. أما ولاية البوسنة، وفي الوقت الذي كان يتوافر فيها عدد من المجندين منذ عام

---

(3) Service historique de l'armée de terre, archives militaires françaises à Vincennes (S.H.A.T.) 7N1631, Constantinople, rapport no. 194 du 29 janvier 1896.

(4) تقارير الملحقين العسكريين الفرنسيين الذين كانوا في مهمة في المشرق في هذين التاريخين.

1864، فقد كانت لا تزال بين الولايات المميزة؛ إذ إنه لم يتم استدعاء دفعتها إلى الخدمة خارج الولاية، إلا في زمن الحرب.

تجلت فائدة القوات غير النظامية بمرونتها، لأنها كانت تتحرك تبعًا للظروف. وكان استخدام المتطوعين غير النظاميين (شبه فوضويين من دون رأس ونظام - başıbozuk) صعبًا وقليل الحسم في خلال الحرب الروسية - التركية في عامي 1877 و1878؛ إذ كانت القوات قليلة الانضباط كما كان التحكم فيها صعبًا في زمن الحرب. وكان هناك اتجاه لحلها، باعتبارها من بقايا النظام القديم، ولتعزيز التشكيلات النظامية أو حتى الاحتياط المنظَّم.

في مفترق الطرق بين التقليد والحداثة، أنجب النظام القديم وجسمه الإقطاعي، وكذلك النظام الجديد للجيش النظامي والاحتياطي، تشكيلات مختلطة. ويتعلق الأمر بالتابعين المستدعون إلى الخدمة من أسيادهم، المستخدمين كطبقات «شبه إقطاعية». وإلى جانب الفرسان الحميديين الذين كانوا الأكثر شهرة، أُجريَت تجارب أخرى في الولايات النائية من السلطنة. كمثال على ذلك، حالة التيمارجيين البوسنيين في عام 1874، وإنشاء فوجين من الاحتياط الرديف في سلاح الفرسان. كان يمكن أن يكون لهذه التشكيلات دور كبير، وأن تكون بمنزلة القوات المحلية الإضافية، حيث كانت تُشكَّل وتُحَل بحسب التهديدات المحلية.

أولًا: مأسسة أفواج الفرسان البوسنيين في عام 1874

كانت سلطة الدولة نسبية تمامًا في الولايات الأوروبية في أوائل القرن التاسع عشر، وكذلك نفوذها في البوسنة. وكما هي الحال في دول البلقان الأخرى، في صربيا والجبل الأسود واليونان، نظّمت الحركات القومية انتفاضات. ففي القرن الثامن عشر، كانت العناصر البوسنية في كثير من الأحيان في صراع مع السلطة المركزية، وفي ما بينها أيضًا أحيانًا. كما تورطت أيضًا في الحوادث التي وقعت في الجبل الأسود وألبانيا[5]. على مدى نصف قرن، تعاقبت الإصلاحات لفرض

(5) B. Jelavich, *History of the Balkans, Eighteenth and Nineteenth Centuries*, vol. 1 (Cambridge: Cambridge University Press, 1983), p. 348.

Scanned with CamScanner

الخدمة العسكرية الإجبارية في الأراضي الأوروبية للسلطنة، لكنها لم تنجح إلا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. وأثر تأليف جيش حديث بشكل مباشر في الامتيازات والمكانة الاجتماعية للجيش البوسني. كانت الأرض ملكية حصرية لطبقة النبلاء، مع استثناءات قليلة، وتسمى «السباهيليك» (sıpâhîlik) [حيازات السباهيين]. وقُسمت البوسنة بين عدد من الإقطاعيين، الكبار منهم والصغار، من أسر البلاد النبيلة. حافظ هؤلاء الإقطاعيون على التوريث، تبعًا للأعراف الشرقية، بمعنى أن نقل الملكية إليهم كان يحصل ليس من خلال حق البكورة، وإنما بطريقة غير قابلة للتجزئة لمصلحة أفراد العائلة الواحدة جميعهم الذين كانوا يختارون كزعيم الأشجع أو الأكبر سنًا بينهم، فكان يحمل عند الحاجة مسؤولية قيادتهم إلى المعركة[6]. كان يُنظر إلى هذا الأمر على أنه تهديد مزدوج، لأنه موجَّه ضد الامتيازات الطبقية أولًا، لكن أيضًا لأنه كان يُعتبر خرقًا للدين، نظرًا إلى إدخاله إجراءات تغريبية. تم تأليف جيش احتياط في ثلاثينيات القرن التاسع عشر، فضلًا عن احتياط من سلاح الفرسان، في عام 1836[7]. وكان البوسنيون أكثر من قاوم ولمدة طويلة حل تشكيل الانكشاريين (7 سنوات).

قامت انتفاضات عدة ضد التجنيد العسكري. ففي عام 1831 شارك البوسنيون المسلمون أنفسهم وأصحاب الأراضي والعسكريون، بقيادة حسين غراداتشيفيش، في انتفاضة مفتوحة ضد الباب العالي. وطالبوا باستقلال البوسنة والهرسك وانتخاب حكومة محلية، مع الاعتراف بسيادة الباب العالي ودفع الجزية له. في عام 1832، وبعد قمع التمرد، جرى إلغاء الكابودانلك[8]

---

(6) يُنظر: *Archives diplomatiques du ministère des affaires étrangères français à Paris* (A.E.), C.C.C. (correspondance commerciale et consulaire), Bosna-Seraï, vol. 1, p. 67, dir. cons. et aff. cons. et aff. co., annexe à la dépêche no. 7, Bosna-Seraï, le 21 février 1863.

(7) يُنظر: G. Haberer, «*Die Aufstellung von Redif Truppen in der frühen Tanzimatzeit*» (Maîtrise présentée à l'Université de Munich, 1984), p. 88, and A. C. Eren, *Mahmud II zamanında Bosna-Hersek* (Istanbul: Nurgök matbaası, 1965), p. 153.

(8) إيالة قبطان البحر والمقصود بها إيالة جزر البحر الأبيض المتوسط التي كانت تحت إمرة القبطان باشا. (المراجع)

Bosna-Hersek ile ilgili arşiv belgeleri (1516-1919) (Ankara: T.C. Başbakanlık Arşivleri Genel Müdürlüğü, 1992), p. 13.

Scanned with CamScanner

(kapûdânlik)، وكانت هذه الانتفاضة نذيرًا باضطرابات لاحقة. كما قامت أيضًا انتفاضات أخرى في الأعوام 1836 و1837 و1839[9]. أعفي شعب البوسنة والهرسك وألبانيا، على وجه الخصوص، من الخدمة العسكرية[10]. وكان إصلاح الخدمة العسكرية الذي أدخله السلطان عبد المجيد في عام 1843 قد فرض الخدمة العسكرية الإلزامية على الجميع. وأثار هذا الإصلاح الاضطرابات والانتفاضات في البوسنة والهرسك وأشقودرة، ما أجبر الباب العالي على إرسال ست حملات لإعادة الاستقرار، ليتخلى أخيرًا عن تجنيد البوسنيين والألبان[11]. بعد قمع الانتفاضات بين عامي 1860 و1862، اتخذت مبادرات جديدة من عمر لطفي باشا لتطويع الجنود من المناطق المعفاة، حيث قام بصوغ مشروع ينطوي على تشكيل بعثة عسكرية لإقامة مستعمرة عسكرية في البوسنة والهرسك.

عُيِّن أحمد جودت باشا[12] رئيسًا للبعثة التي أدت جهودها إلى إصلاح الخدمة العسكرية في عام 1864. واجتمعت لجنة عسكرية للتشاور مع وجهاء البوسنة. وبعد مواجهة الكثير من التحفظات، اضطر الباب العالي إلى قبول حل

---

(9) H. Sedes, *1875-1876 Bosna-Hersek ve Bulgaristan ihtilâlleri ve siyasi olaylar*, vol. I (Istanbul: Çtun Birader Basımevi, 1946), p. 49.

(10) Türk Tarih Encümeni Mecmuası (T.T.E. Mec.) (Recueil de la foundation d'histoire turque), no. 87 (10), pp. 262-273, and Karal, *Osmanlı tarihi*, vol. 8, pp. 354-355.

(11) A. Cevdet Paşa, *Ma'rûzât* (Istanbul: Çağrı yayınları, 1980), p. 80, and Karal, *Osmanlı tarihi*, vol. 8, p. 181.

(12) تلقى أحمد جودت باشا (بلغاريا 1823 – اسطنبول 1895) تعليمًا «تقليديًا» في «المدارس» (ذات الصبغة الدينية) حيث أبدى اهتمامًا بالتاريخ والتربية والتعليم. أُرسل وهو في عمر الخامسة عشرة أو السادسة عشرة (1839) لاستكمال دراسته في المدرسة التقليدية، حيث درس التاريخ والجغرافيا والفلك والرياضيات والفلسفة واللغة الفرنسية. صار مؤرخ الدولة وكتب في هذا الخصوص تاريخ جودت الذي يغطي التاريخ العثماني بين عامي 1774 و1826. عُيّن على رأس جمعية المجلة العدلية التي أنشئت لتحديث القوانين في الشريعة الإسلامية وتكييفها مع متطلبات الإرادة السلطانية لعام 1856. وصاغ فعلًا القانون كله بنفسه الذي نشر بين عامي 1868 و1876. شغل مناصب مهمة عدة فكان وزيرًا للعدل خمس مرات وللمعارف ثلاث مرات، وللأوقاف مرتين، وللداخلية والتجارة والزراعة. كان المستشار الأبرز عند السلطان عبد الحميد. يُنظر: *Osmanlılar Ansiklopedisi*, vol. 1, pp. 114-115, and K. H. Karpat, *The Politicization of Islam: Reconstructing Identity, State, and Faith, and Community in the Late Ottoman State* (Oxford: Oxford University Press, 2001), p. 189.

Scanned with CamScanner

وسط، اقتضى بألا يخدم هؤلاء الجنود خارج المنطقة[13]. أمر جودت باشا بإجراء إحصاء رسمي للسكان في البوسنة والهرسك لإنشاء جداول التجنيد. وتقرر أن يُجنَّد رجل من كل 50، وفقًا للأنموذج الفرنسي، أي 4800 جندي. الجنود كانوا سيخدمون لمدة ثلاث سنوات، وسيخضعون لقرعة عشوائية. كما أن دفعة المطلوبين كانت ستتجدد كل عام. أما خدمة الاحتياط فكانت تسع سنوات، وفي الحرس الوطني سبع سنوات. وكإجراء تشجيعي، كان سيتم اختيار القادة من بين البوسنيين في السنة الأولى. وجرى تشكيل فوجين في البوسنة[14].

١- تشكيل الأفواج

في عام 1874 أنشئ فوجان من احتياطي سلاح التيمارجيين البوسنيين. في نسخة دفتر محاسبة المجلس العمومي[15] (meclis-i ùmûmî)، أشير إلى التماس تسوية مع تعديلات بين أحكام الاحتياط ومؤسسة التيمارجية السابقة. كانت الدولة العثمانية في موقع الرابح؛ إذ كان بإمكانها تشكيل فوجين لاحتياطي سلاح الفرسان بتكلفة منخفضة. في زمن السلم، لم تمتلك دفعات الاستدعاء المختلفة للاحتياط سلاحًا للفرسان، ولا سلاح مدفعية مجهزًا. وكان من الصعب الحصول على الخيول اللازمة في الوقت الملائم[16].

لم يكن على التيمارجيين إعالة أنفسهم في أوقات السلم والحرب فحسب، بل كان عليهم أيضًا توفير دابتين مسجلتين بتصرف الدولة والحصول على الزي الرسمي. واقتصر الأمر على الحفاظ على الدواب في أثناء فترة التعليم والحرب (المواد 6 و7 و8)[17]، وأن توضع في التصرف الأسلحة التي تخزن في مستودع

---

(13) يُنظر: *Archives ottomanes placées sous l'autorité de la Présidence du conseil (Başbakanlık Osmanlı Arşivi), à Istanbul* (B.O.A.), Yıldız Esas Evrakı (Y.E.E.), K. 18, E. 553/298, Z. 93.

(14) يُنظر: B.O.A., Y.E.E., K. 31, E. 27/25, Z. 27, K. 79, and O. Moreau, «La Création de deux régiments de cavalerie timariote bosniaque en 1874,» dans: *Anatolia Moderna, Yeni Anadolu VII* (Paris: Maisonneuve, 1997), pp. 17-48.

(15) يُنظر: B.O.A., Y.E.E., K. 18, E. 553/298, Z. 93.

(16) Zboïnski, p. 102.

(17) يتألف هذا القانون المذكور هنا من 20 مادة. يُنظر: B.O.A., Y.E.E., K. 18, E. 553/298, Z. 93. للاطلاع على النص المنشور، يُنظر: Moreau, «La Création,» pp. 17-48.

Scanned with CamScanner

أسلحة جنود الاحتياط (المادة 15). وتلقى جنود الاحتياط الأجور والمواد الغذائية[18]، كما تلقى التيمارجيون الرواتب أيضًا (bedel). تلقى البيكوات (beys) الأجور أيضًا التي أصبحت وراثية منذ إصلاح الخدمة العسكرية في عام 1864. في الواقع، ما عادت الخدمة العسكرية تقوم على عاتق البيكوات الذين كانوا يسلحون جميع الرعايا المتوافرين لديهم سابقًا، بل أضحت صلاحية عامة يقوم بها أي مسلم. وكان يُطلب منهم تقديم خدماتهم كفرسان في زمن الحرب، مقابل 1000 قرش يتلقونها. في عام 1865، أصبح الأجر متوارثًا، من الذكر إلى الذكر، من خلال الأبكار، تبعًا لترتيب الخلافة الأوروبية، حتى انقراض الأسرة. وكان صاحب اللقب يقوم بخدمته بمقتضى الشروط السابقة، إضافة إلى خدمته الشخصية[19]. إضافة إلى ذلك، طلب السلطان من ملاكي البوسنة والهرسك، لا من البيكوات، أن يدفعوا مرة واحدة ضريبة العشر ونصف، مع إضافة إما 15 في المئة إلى العشر الذي تقدمه الأرض، وإما 25 في المئة من الإنتاج. لم يكن البيك هو المالك، وكان يعود الأمر إلى المدير الكبير الذي يجمع العشر للتعويض

(18) يُنظر النظام الأساسي الخاص بتطبيق قانون 1869 خصوصًا المادتان 11 و21، في:
Zboïnski, pp. 33-37.

(19) يُنظر: *Archives consulaires du Ministère des affaires étrangères français à Nantes* (A.E.N.), «Petit Fonds,» Sarajévo, vol. 4, p. 46, cons. de France en Bosnie, dir. pol., no. 9, dir. co. no. 7, Bosna-Seraï, le 20 août 1874, M. de Vienne à M. le ministre des affaires étrangères.

في عام 1869، أصدر الوالي قانونًا جديدًا يتعلق بأصحاب التيمار كان مطلوبًا بموجبه تقدير قيمة حيازات السباهيين التي كانت تحت يدهم في ما سبق وإحصاء عددها، في كل سنجق في الولاية، ثم تقوم وزارة المالية العثمانية بدفع إيراد الأرض كاملًا بحسب قيمتها، أي ما يعادل ريعها الكامل قبل حملة عمر باشا، أي ثلاث مرات ضعف ما كان الباب العالي قد قرره من إيراد، بحسب تقديرات قائد الحملة (serdâr-i ekrem). إضافة إلى ذلك، إذا كان صاحب التيمار متوفى، يُدفع هذا الإيراد إلى ورثته الذكور من عصب المباشر إلى الدرجة الثالثة. وفي حال انطفاء هذا النسب فإن الإيراد يذهب إلى الأخ الشقيق أو أولاده وأحفاده وفق تسلسل البُكُورَة (كَوْن ٱلْمَرْء بِكْر أَبَوَيْهِ). كان ذلك كرمًا غير متوقع من الباب العالي تجاه تلك الطبقة القديمة، خصوصًا أن لا أحد طالب بهذه المكرمة. وهذا التدبير أعاد بطريقة ما امتيازات اجتماعية وإقطاعية. لم تكن هذه النقطة من القوة حيث ترفع السباهية ماديًا وتجعلهم بالتالي خطرين. لكنها كانت تعني العودة معنويًا إلى الماضي ودغدغة مشاعر النبالة والفروسية البوسنية، من حيث اعتزازها بامتيازاتها القديمة.

A.E., Correspondance politique et commerciale de Serajevo (C.P.C.), vol. 7, p. 124-130, cons. de France en Bosnie, dir. pol. no. 107, Bosna-Seraï, le 5 août 1869, à M. le prince de la Tour d'Auvergne, ministre des affaires étrangères.

Scanned with CamScanner

عليه. من بين 3600 بيك من البوسنة، حصلت الأغلبية منهم على مبلغ ضئيل، على سبيل المثال 50 قرشًا، ما يعادل حوالى 12 فرنكًا. وكان الملّاكون، بيكوات أو غيرهم، مطالَبين بإضافة الضريبة غير العادية من 15 في المئة إلى العشر. فاعترضوا وحصلوا على إقرار بتقسيط الدفع على ستة أقساط سنوية من اثنين ونصف في المئة، تنتهي في عام 1872. في تلك الحقبة، أُلغيت مساهمة الـ 15 في المئة غير العادية. وفي العام التالي 1873، ألغت الحكومة ضرائب الأرض في المقاطعة، وأثقلت أراضي السلطنة كلها بربع إضافي من الديون، ما رفع الضريبة المسماة بصورة خاطئة ضريبة العشر إلى 12 في المئة من منتوج الأرض، إما في المحاصيل المجنية والمباعة كمنتوج، وإما في المحاصيل التي دفعت جزيتها نقدًا. كما برز في الحسابات أيضًا كل من العشر (aşâr) وربع العشر (rub aşâr)[20]. اعتُمِد هذا النظام أول مرة في عام 1874، وجزئيًا في عام 1875، إلى حين لاقت الإصلاحات المقترحة من القوى الكبرى إقرار الباب العالي لها. وجرى التخلي عن الربع الإضافي للعشر، وبالتالي، ألغت الحكومة العثمانية إيجار العشور كما كانت قد وعدت الإرادة السلطانية بذلك. إلا أن البيكوات البوسنيين كانوا لا يزالون يملكون في البوسنة والمناطق الصربية المجاورة، الجزء الأكبر من الأرض[21].

في عام 1869، أصدر الوالي قانونًا جديدًا يتعلق بأصحاب التيمار. وبموجب هذا القانون، وجب إحصاء عدد حيازات فرسان السباهية الموجودة في ما مضى في كل دائرة من دوائر الولاية. قامت وزارة المالية العثمانية بالدفع لكل صاحب حق الإيراد الكامل للحيازات خاصته، سواء ما يعادل كامل ما أغلّه قبل حملة عمر باشا، أم ثلاث مرات أكثر ما يمنحه الباب العالي وفقًا لتقدير القائد العام (serdâr-ı ekrem). علاوة على ذلك، وفي حالة وفاة صاحب الحق، كان يُدفع الإيراد المستحق للذرية من الذكور مباشرة، وصولًا إلى الدرجة الثالثة. وفي حال انقراض السلالة، كان يتم البحث عن أخ صاحب الحق أو أبنائه وأحفاده،

(20) A.E., C.C.C., Bosna-Seraï, vol. 3, pp. 56-57, cons. de France en Bosnie, dir. des cons. et des aff. co., Bosna-Seraï, annexe à la dépêche no. 30 du 27 août 1875.

(21) A.E., C.C.C., Bosna-Seraï, vol. 3, p. 162, dir. des cons., Juilly, le 9 juin 1876, adressé à M. le duc Decazes, ministre des affaires étrangères.

بحسب البكورة. كان ذلك سخاءً غير متوقع من جانب الباب العالي تجاه هذه الفئة القديمة؛ إذ إن أحدًا لم يطالب بها من قبل. وأعاد هذا الإجراء، بطريقة ما، الفروق الاجتماعية والإقطاعية. لم تسمح هذه الإجراءات برفع إمكانات السباهية وتحويلها إلى خطر، لكنها عودة معنوية إلى الماضي، مع الإطراء على روح النبل البوسني، الفخور جدًا بامتيازاته القديمة[22].

ليس ثمة مجال إذًا لمنحهم أجرًا إضافيًا. ومقارنة بالوضع السابق، كان يمكن الدولة زيادة عديد قواتها بتكلفة منخفضة، خصوصًا أنه جرى اختيار التيمارجيين المشاركين في الفوج، وتحديدًا في القيادة، من بين الأسر الأكثر شهرة والأكثر ثراء. إضافة إلى ذلك، كان يجب أن تتوافر لديهم صفات الإخلاص للباب العالي (المادتان 7 و9). وكان اختيار الفرسان يتم على أساس معدلات رواتبهم، 3000 قرش في الحد الأدنى، وكان عليهم تعهد جندي وتوفير 3000 قرش له في كل عام.

أولئك الذين حصلوا على راتب مضاعف وجب عليهم دفع الضعف، كما كانت لديهم القدرة على تجهيز كثير من الجنود. أما أصحاب الرواتب الأصغر فكان بإمكانهم التجمع بأعداد كبيرة كي يتم اعتبارهم قوة، شرط أن يدفعوا 3000 قرش (المادة 9). ولمنصب الضابط، كان على أصحاب هذه الرواتب إيفاء ما لا يقل عن 5000 إلى 6000 قرش، أو 4000 إلى 5000 قرش ويكونون متطوعين (المادة 11). تمتع التيمارجيون بميزة تنظيم هذين الفوجين، ما انسجم مع الرغبات التي كانوا قد أعربوا عنها. كانوا يجتمعون في مركز تجمع الاحتياط، إلا أنهم كانوا يُذكرون كضيوف في سجل الاحتياط. وإذا لزم الأمر، كان يتمّ تعيين أولئك الذين يحسنون القراءة، أمناء للفوج أو الكتيبة، فيُسجَّلون في سجل آخر (المادة 14).

كان الفوج يتألف من ست سرايا، على غرار الجيش النظامي، يضم كل منها 96 جنديًا ونقيبًا وملازمًا وسكرتيرًا للفوج وموظفًا إداريًا، أي مئة شخص. تمركز فوج السباهية الأول في سراييفو، والثاني في بنيالوكا (المادة 1). وشملت

---

(22) A.E., C.P.C., vol. 7, pp. 124-130, cons. de France en Bosnie, dir. pol. no. 107, Bosna-Seraï, le 5 août 1869, à M. le prince de la Tour d'Auvergne, ministre des affaires étrangères.

Scanned with CamScanner

كل سرية أربعة أقسام (24 شخصًا)، تتألف من أنصاف أقسام تضم كل واحدة 12 خيالًا. كان قائد الفوج الأول برتبة عميد وقائد الفوج الثاني برتبة عقيد. أما قائد السرية فكان برتبة نقيب ومساعده برتبة ملازم. كان الرقيب الأول يقوم بمهمات السكرتير وتنظيم تابعيه، إلى جانب المهمات التعليمية. وكان يدير الأقسام الرقباء فيما كانت أنصاف الأقسام بعهدة العرفاء. وكان لكل سرية سائسان (المادتان 4 و5).

كان التيمارجيون يجتمعون مرة واحدة في السنة، ويتلقون تدريبًا لمدة شهر. وكانوا يتصرفون مثل أي جندي؛ إذ كانوا مقيدين بسحب القرعة، ويتبعون قواعد الفئة التي ينتمون إليها، سواء أكانت الجيش النظامي أم الاحتياط. وكان من المقرر إعفاء العاجزين والمرضى، وأولئك الذين يكسبون ما يكفي لإعالة أسرهم فحسب (المادة 16). وكان التيمارجيون يسجَّلون في سجل قبل بلوغهم سن الخامسة عشرة. ولم يكن يذهب الفرسان الشبان الذين راوحت أعمارهم بين الخامسة عشرة والعشرين عامًا إلى الحرب، وإنما كانوا يدفعون ضريبة مقدارها 3000 قرش. وإن تعذر عليهم الدفع، اضطروا إلى الذهاب إلى الحرب. أما الفرسان الذين راوحت أعمارهم بين العشرين والستين عامًا فكانوا يذهبون إلى الحرب. والذين تخطت أعمارهم الستين عامًا كانوا معفيين من المشاركة وكذلك من دفع الضريبة (المادة 16). خلال التعبئة، كان على كل جندي أن يمتلك 1000 قرش في الأقل، لتجنب أي مشكلات مالية (المادة 17).

2- اختبار الحرب

سمح اللجوء إلى استخدام التيمارجيين بزيادة دائمة في القوات المساندة من خلال تأليف احتياط ثانٍ. ولم يُدعَ قدامى البوسنيين من «السادة المجردين من أملاكهم» إلا في وقت متأخر للمشاركة في القتال، مثل القوات غير النظامية والاحتياط الثاني والحرس الوطني، في سياق عام 1877 وعلى دفعات متتالية. وجاءت هذه الدعوة الأولى في خلال الحملة ضد نيكشيش في الجبل الأسود. ومن بين 20,000 مجند جديد مدرجة أسماؤهم، لم يظهر سوى ما يقارب المئة من آغاوات مومتار، على الخيل، مسلحين ببنادق أميركية ذات 16 طلقة. وكان

اللواء سليمان باشا قد استدعى الرئيسيين منهم في خطاب حاد - حيث لغة التهديد لم تكن غائبة - لإعلامهم بأنه سرعان ما ستكون هناك حاجة إلى خدماتهم[23]. إن وصف انطلاق حملة الميليشيات التي جرى استدعاؤها للخدمة خارج الولاية - بسبب النقص في القوات القابلة للتعبئة - ذو دلالة:

«... بإمكان سعادتكم بصعوبة تصور ظهور فرقة تتألف بشكل غير منتظم، وترتدي وتتسلح مثل تلك التي اجتمعت في الأمس. كلهم أناس متوسطو الأعمار، مدججون بأسلحة من جميع الأنواع والحقبات، لا يزالون يرتدون الزي التركي القديم، ويمتطون الخيول البلدية الصغيرة التي يسوسونها جيدًا؛ ويبدو أنهم غير قادرين على السفر الطويل، أو مقاومة الحرمان والأخطار المرافقة للحملات، إنهم يتوجهون إلى موستار...»[24].

تلقى الوالي الأمر من اسطنبول باستدعاء الميليشيات (asakir-i muâvini) الموجودة في المدن المحلية جميعها في الولاية، فضلًا عن تشكيل السباهية الذي كان يتألف من قدامى البيكوات في البلاد، وكان عددهم 3600 رجل[25]. شُكلت الميليشيات من ثلاث فئات، تتألف من المسلمين الذين لا ينتمون إلى الفئات الثلاث في الجيش البوسني، أي الأشخاص الذين لم يبلغوا السن، والذين تجاوزوه، والمعفيين. وقدَّر دبلوماسي فرنسي أنه كان بالإمكان جمع 20 ألف جندي للخدمة النظامية، من بينهم سلاح الفرسان المقدر بخمسة أو ستة آلاف شخص، مؤلفين من البيكوات القدامى المجردين من ممتلكاتهم[26].

في بداية تشرين الأول/ أكتوبر، كان من يسمون بـ «المتطوعين المزعومين» البوسنيين، الآتين من سراييفو (Bosna-Serai) وكاغنيتز (kağnitz)، ينتظرون في موستار انطلاق الحملة التي طُلبوا من أجلها. وجرى تنظيم كل 1000 مقاتل،

---

(23) A.E., C.P.C., Turquie, Mostar, vol. 3, pp. 64-65, vice-consulat de France en Herzégovine, le 5 juin 1877, dir. pol., no. 65, M. Dozon à M. le duc Decazes, ministre des affaires étrangères.

(24) A.E., C.C.C., Bosna-Seraï, vol. 3, p. 303, consulat de France en Bosnie, dir. cons. et aff. co., no. 10, Bosna-Seraï, le 9 août 1877, à M. le duc Decazes, ministre des affaires étrangères.

(25) A.E., C.C.C., Bosna-Seraï, vol. 3, p. 379 consulat de France en Bosnie, dir cons. et aff. co., no. 25, Bosna-Seraï, le 30 novembre 1877, à M. le duc Decazes, ministre des affaires étrangères.

(26) A.E., C.C.C., Bosna-Seraï, vol. 3, pp. 326-327, consulat de France en Bosnie, dir. cons. et aff. no. 14, Bosna-Seraï, le 6 septembre 1877, M. Patin à M. le comte Decazes.

Scanned with CamScanner

ربعهم تقريبًا من الفرسان، تحت رايات منفصلة، تنتمي إلى الطبقة الأكثر ثراء من ذوي الأملاك. وكان القائد الفخري للحملة رجلًا عجوزًا، وهو أحد الرجال الأكثر اعتبارًا في البوسنة: فضلي باشا، الثمانيني، كان عليه أن يتصدى بنفسه للأمر ويتحدى الصعاب، وكان برفقته اثنان من أولاده. وبتحريض أتراك موستار، وتحت الضغط بسبب بلاغ من الباب العالي يعبر عن عدم رضاه عن البرودة التي يظهرها هؤلاء الجنود للدفاع عنه، عزموا على مغادرة بلادهم. مع ذلك، وجدوا حماسة أقل بين آغاوات موستار الذين رفضوا الذهاب إلى الحرب. وبطبيعة الحال، أولئك الذين جاؤوا لمساعدتهم كانوا يقولون لهم إنهم إذا رفضوا السير، سيعودون أدراجهم... كما أضيف عدد من الناس من موستار، ليس من خلال الترهيب فحسب، لكن أيضًا من طريق استخدام الإكراه. وكانت السلطة العسكرية قد جمعت من طريق القوة دفعة المطلوبين البوسنيين، من دون الرغبة في منح الإعفاء لأولئك الذين اقترحوا بدائل عنهم. وأجبرتهم على التخييم تحت الأمطار الغزيرة وسوء الأحوال الجوية، وكانت طريقة التصرف هذه كيدية تمامًا. علاوة على ذلك، كان يمكن التشكيك في فاعلية تشكيل من سلاح الفرسان جرى تجنيده بهذه الطريقة، من أجل الحرب في الجبال. بعد شهر، أعيد الجنود البوسنيون إلى ديارهم[27].

بعد ذلك، كان هناك الانطلاق المتتالي للسباهية التي ذهبت إلى الجبهة الصربية. وكانت هذه القوات الضعيفة التسلح وغير المجهزة، قليلة الفاعلية ولا تكاد تستطيع مواجهة أي جيش نظامي[28]. وشاركت فيها الشخصيات المهمة جميعها في البلد، وحتى أن بعضهم كان مسنًا جدًا، فيما كان آخرون صغارًا جدًا. هؤلاء الناس كلهم كانت تتبعهم الخيول المحملة بالخيم والسجاد وأنواع المؤن

---

(27) A.E., C.P.C., Turquie, Mostar, vol. 3, pp. 122-124, vice-consulat de France en Herzégovine, dir. pol. no. 79, le 2 octobre 1877, M. Dozon à M. le duc Decazes, ministre des affaires étrangères.

يُنظر أيضًا: A.E., C.P.C., Turquie, Mostar, vol. 3, pp. 125-128, vice-consulat de France en Herzégovine, dir. pol. no. 80, M. Dozon à M. le duc Decazes, ministre des affaires étrangères, et A.E., C.P.C., Turquie, Mostar, vol. 3, p. 129, dir. pol. no. 81, le 2 novembre 1877, M. Dozon à M. le duc Decazes, ministre des affaires étrangères.

(28) A.E., C.C.C., Bosna-Seraï, vol. 3, p. 383, consulat de France en Bosnie, dir. cons. et aff. co., no. 26, Bosna-Seraï, le 13 décembre 1877, adressée au ministre des affaires étrangères.

التي تسبب إرباكًا جديًا، في ما لو تجمعت الفرقة وكان عليها السير في المقدمة. كان يجب أن يكون الغرض من هذه الفرقة حماية الحدود، ما يسمح بتفريغ قوات نظامية مخولة لوحدها المشاركة في العمليات[29].

تجدر الإشارة إلى أنه لم يتم طلب خدمة «الفرسان البوسنيين» إلا متأخرًا. كما نلاحظ أيضًا قلة الحماسة في الدفاع عن السلطنة والقتال من أجلها[30]. لقد تركت الثورة التي اندلعت في عام 1875 قليلًا من الوقت لهذه المؤسسة كي تثبت نفسها، ولم يتم التخلي عن هذا النوع من التدريب حتى إيجاد بديل جديد مع أفواج الفرسان الحميديين التي جرى إنشاؤها في تسعينيات القرن التاسع عشر.

ثانيًا: تنظيم أفواج الفرسان غير النظامية: الأفواج الحميدية (1891-1908)

اخترنا هذا المثال من القوات غير النظامية، من أفواج سلاح الفرسان الاحتياطي، في محاولة لتسليط الضوء على نشأتها وتنظيمها الذي نصّ عليه قانونها التأسيسي وتعديلاته اللاحقة. سنعرض بعد ذلك لقضايا أكثر تحديدًا، مثل إنشاء هذه الأفواج وتكوينها، ومشكلات عدم الانضباط فيها والصعوبات في التعبئة. أخيرًا، سنرى المصير الذي خبأه لها قادة «تركيا الفتاة» بعد عام 1908.

في نهاية القرن الثامن عشر، واجه العثمانيون أزمة حادة. فالسلطنة، إضافة إلى مركزيتها الشديدة، كانت قد فقدت سيطرتها على المناطق النائية (hinterland)، وعلى الأراضي التي كان سلطانها عليها نسبيًا. أما على حدود الأناضول الشرقية، فكانت الترتيبات بين الباب العالي والعشائر الكردية، وبعد معركة جالديران (Çaldıran)

---

(29) A.E., C.C.C., Bosna-Seraï, vol. 3, pp. 341-342, consulat de France en Bosnie, dir. cons. et aff. co., no. 15, Bosna-Seraï, le 13 septembre 1877.

(30) في ما يتعلق بصعوبة تجنيد البوسنيين في القرن التاسع عشر ومقاومتهم، يُنظر: O. Moreau, «The Recruitment of Bosnian Soldiers During the 19th Century (1826-1876),» *Islamic Studies*, vol. 36, nos. 2-3 (1997), Islamabad, pp. 263-279, and «Bosnian Resistance to Conscription in the 19th Century,» in: E. J. Zürcher (ed.), *Arming the State: Military Conscription in the Middle East and Central Asia 1775-1925* (London: I. B. Tauris, 1999), pp. 129-137.

(1514)[31]، قد فقدت قيمتها منذ مدة طويلة. مع ذلك، كانت العلاقات بين الباب العالي والأمراء المحليين الأكراد بعيدة عن الكمال. وإذا كان من الممكن أن ينظر إلى نظام الإمارات شبه المستقلة كترتيب سياسي قابل للتطبيق، فإنه في الواقع لم يكن يرضي أيًا من الأطراف[32]. وصرح نبيلٌ كرديٌ من القرن السابع عشر لمبعوث ملك فرنسا قائلًا:

«أنا إمبراطور هذا البلد، وليس السلطان العثماني... إن كان هو أقوى مني، فأنا أكثر نبلًا منه!»[33].

يتيح التصريح المفاخر هذا إظهار مشكلة العلاقات المعقدة بين كبار السادة الأكراد وسلطان الدولة العثمانية، فضلًا عن الطموحات الكامنة. ومع الأخذ في الحسبان مهارات المحاربين الأكراد، خصصت الحكومة العثمانية لقادتهم، إلى جانب وظيفة من وظائف الولاية، دورًا عسكريًا في الدفاع عن الحدود. هذه

---

(31) في عام 1514، أنزل السلطان سليم الأول في معركة جالديران هزيمة قاسية بالشاه إسماعيل، فاتحًا بذلك الطريق أمام دخول عاصمة الصفويين تبريز. أقامت معركة جالديران نقطة توازن استراتيجية بين الأناضول العثماني وأذربيجان الصفوية. خط الفصل هذا بين الدولتين الذي رسمته معركة جالديران أسسته رسميًا معاهدة زوهاب في عام 1639، واستمر قائمًا حتى عام 1914على الرغم من النزاعات كلها، والاجتياحات. في القرن السادس عشر خلق التوازن بين الدولتين العثمانية والصفوية الجديدة شروطًا أفضل للأكراد لإقامة بنية سياسية ثابتة مستقرة في المنطقة. حددت الشروط التي رُسمت في تلك المرحلة العلاقات السياسية بين الدولة وأراضيها الحدودية الكردية لمدة ثلاثة قرون. لم يستطع السلطان سليم الأول الذي لم يكن يملك لا السلطة ولا القوة الكافيتين لإخضاع سكان المناطق الجديدة التي انتزعها من الصفويين، فرض إدارة وضرائب مباشرة عليها. لذلك لجأ إلى حل براغماتي بنصيحة من أحد الوجهاء الأكراد، هو حكيم إدريس البدليسي الذي قام بإعادة الولاة الذين كان الشاه إسماعيل أقالهم وثبت مواقع عدد من شيوخ العشائر في ما يشبه الاستقلال الذاتي، في مقابل اعترافهم الاسمي بالسيادة العثمانية. كان ذلك نوعًا من التقعيد والشرعنة لنظام شبه إقطاعي في مرحلة كان العثمانيون يبحثون فيها عن طريقة لإلغاء مثل هذه الممارسات في أماكن أخرى من الدولة. في القرن التاسع عشر، نظر الأكراد بحنين (نوستالجيا) إلى ذلك العصر الذهبي البائد، حيث كان موزاييك الإمارات الكردية يتمتع باستقلال ذاتي نسبي. يُنظر:
B. Nikitine, *Les Kurdes*, rééd., Plan-de-la-Tour, Coll. Les introuvables (Var: Ed. d'Aujourd'hui, 1975), pp. 185-190, et D. Mac Dowall, *A Modern History of the Kurds* (London; New-York: Tauris, 1996), pp. 25-28.

(32) يُنظر:
Mac Dowall, p. 30.

(33) تصريح بدر خان، أمير بوتان. يُنظر: Pétis de la Croix, en 1675, *Relation de voyage de Douri Effendi* (Paris, 1810), p. 95.

العشائر، المعفاة من الضرائب، كان من المفترض أن تكون ميليشيات دائمة، تدافع عن الحدود العثمانية وتقوم بالضغط المستمر على العنصر المسيحي الذي بلا ولاؤه غير موثوق.

يجدر التشديد على القيمة القتالية للأكراد الذين كانت لهم مكانة خاصة في الجيش العثماني، ولا سيما في سلاح الفرسان. ولقد جُنّد أكراد في الجيش النظامي للخدمة في سلاح الفرسان الذي يقوده الأتراك. كما شاركوا في قوات سلاح الفرسان الخفيف في المقاطعات، وأدوا مهمات الاستطلاع والغارات والمناوشات[34].

علاوة على ذلك، لجأ الباب العالي إلى الأكراد في حملاته ضد إيران في القرن السادس عشر، حيث شكلوا قوة حيوية في هذه الحملات. وعلى سبيل المثال، جرى استدعاء أكراد هاكاري وهوشاب في خلال حملات سليمان القانوني ضد إيران، في الأعوام 1533 و1548 و1554، وكذلك في خلال عام 1630. كانت مشاركتهم حاسمة في استرداد بغداد. ومن ثم، في عام 1623، ساعد أكراد عشائر الموقري في استعادة بغداد من الصفويين. وفي عام 1683 أيضًا قام 40,000 كردي من الموصل وأربيل وكركوك وشهرزور وسوران والأحمدية بدور حاسم في الحصار العثماني الذي أدى إلى استعادة بغداد في عام 1638[35].

يبدو أن تدخل السلطة المركزية في الشؤون الكردية كان مصاحبًا للهزيمة أمام فيينا في عام 1683. وكان السلطان سليمان القانوني قد عين حاكمًا عامًا في ديار بكر، حيث كان عليه أن يعمل بوصفه وسيطًا بين الإقطاعيين الأكراد واسطنبول. وتوجت سياسة «فرق تسد» (divide et impera) بنجاحه المعتاد. وتحولت معاقل الأكراد إلى إيالات تركية (eyâlet)، ليس لها إلا استقلال اسمي فحسب. وبلغت هذه العملية ذروتها في القرن التاسع عشر[36]. بعد الهزيمة التي مُني بها الباب العالي في خلال حملة إبراهيم باشا، نجل محمد علي باشا - عزيز مصر - الذي

---

(34) Mac Dowall, p. 29.

(35) Ibid

(36) يُنظر: Nikame, p 186.

Scanned with CamScanner

هدف إلى الاستيلاء على سوريا وغزو الأناضول، حاول الباب العالي تأكيد سلطته على أطراف سلطنته، عبر ممارسة المزيد من السلطة المباشرة على العشائر ومن طريق إطاحة الأمراء الأكراد المرهوب جانبهم وشبه المستقلين[37]. وقامت الحكومة المركزية بتوسيع الجهد المبذول للحد من سلطة أمراء وشيوخ العشائر الكردية طوال القرن التاسع عشر[38].

بموجب معاهدة أدرنة، أعيدت قارص وأرضروم وبيازيد إلى العثمانيين، إلا أن الحرب طرحت تهديدًا جديدًا؛ إذ إن الروس لم يتلقوا دعم الأرمن العثمانيين في الاستيلاء على قارص فحسب، بل أيضًا دعم الأكراد الذين قدموا فوجًا لقتال السلطان. كانت تلك أول استعانة للروس بالأكراد، بعد التواصل معهم في خلال الأعمال القتالية بين عامي 1804 و1805[39]. واضطر السلطان إلى الاعتراف رسميًا بأنه يتقاسم «سلطته المطلقة» مع الحكام المحليين، بما في ذلك زعماء العشائر الكردية الذين حافظوا على سلطتهم المحلية[40].

تخلل هذا القرن بكامله انتفاضات غير منسقة للإمارات الكردية، جرى قمعها بقسوة: ثورات بابان في عام 1806[41]، ومحمد باشا في عام 1834[42]، وبدر خان

---

(37) يُنظر: Mac Dowall, p. 41.

(38) يُنظر: Ibid., p. 38.

(39) يُنظر: Ibid., p. 39.

(40) يُنظر: Ibid., p. 41.

(41) كانت ثورة بابان الكردية أول ثورة كردية مهمة في القرن التاسع عشر. وأسرة بابان أسسها في القرن السادس عشر عبد الرحمن باشا عشية ضم سليمان القانوني المنطقة إلى السلطنة. تطورت الأسرة وتوسعت خلال القرن السابع عشر حيث سيطر البابانيون على أراضٍ واسعة على حساب الدولة العثمانية وبلاد فارس، وعند وفاة إبراهيم باشا بيبي مؤسس السليمانية، حاولت السلطات العثمانية فرض خالد باشا المنتمي إلى قبيلة كردية منافسة للبابان. وحين شعر عبد الرحمن ابن أخ إبراهيم باشا بالغبن، قام بطعن الحاكم التركي لسنجق كوي وتحدى قوات خالد باشا كما حارب لمدة ثلاث سنوات ضد القوات التركية التي كانت قد انضمت إليها القبائل الكردية المنافسة للبابان، وبعد هزيمته لجأ إلى إيران في حدود أواخر عام 1808. يُنظر: N. Kendal, «Les Kurdes sous l'Empire ottoman,» dans: G. Chaliand (dir.), *Les Kurdes et le Kurdistan* (Paris: Maspéro, 1981), pp. 43-44.

(42) في مطلع القرن التاسع عشر (من 1229 إلى 1254هـ الموافق 1813/14 - 1838/39م) حكم مير محمد (ميران - إي - سوران) في رواندوز مع جيش من 30 ألف رجل، وضرب عملة باسمه. =

Scanned with CamScanner

بين عامي 1843 و1847[43]، ويزدان شير بين عامي 1853 و1855[44]. في عام 1847، وجه عثمان باشا الضربة القاضية إلى السلطة الزمنية للقادة الأكراد في المقاطعات الخمس جنوب شرق البلاد: فان وبدليس وموش وبيازيد وديار بكر.

= ومن طريق الغزو ضم الأراضي الموجودة إلى الغرب من مملكته وصولًا إلى نصيبين وماردين، باستثناء الموصل والسليمانية. في عام 1826 أعلن استقلاله ثم أقام علاقات دبلوماسية مع بلاد فارس ومصر. استفاد من الإرباك الذي أحدثته في تركيا ثورة باشا مصر [المقصود محمد علي باشا - المراجع]، فيما جهد الباب العالي لتجنيد أكراد بالقوة لزيادة عديد الجيش في مواجهة المتمردين. يُنظر: Nikitine, pp. 187-193.

(43) ولد في عام 1802 في جزيرة ابن عمر [بالتركية الحديثة: جزرة Cizreh] مركز إمارة بوتان، لأسرة من أقوى الأسر الإقطاعية الكردية التي حكمت الإمارة من دون انقطاع منذ القرن الرابع عشر. خلف أباه في عام 1821 وشعر بما يكفي من القوة كي يرفض توفير طوابير من الجنود للدولة العثمانية. قام بتنظيم القبائل الكردية الأكثر مهارة حربية في إمارته ضمن جيش نظامي، ونسج علاقات مع كثير من الأمراء الأكراد أمثال نورالله بيك أمير هكاري، محمود خان أمير موكوس [اسمها الروماني القديم وهي موكسوين وبالكردية: Miks وتسمى حاليًا باللغة التركية «بهجة سراي»]،وحاول إقناعهما بالمغامرة في حرب استقلال بعد مواجهته الحملة العثمانية الأولى في أعوام 1836-1838، وافق على الصلح مع السلطان في عام 1839. استغل الإرباك والاضطراب اللذين خلّفتهما هزيمة العثمانيين في نسيب أمام قوات إبراهيم باشا [معركة نسيب أو نصيبين هي معركة نشبت بين الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا وجيش عثماني يقوده حافظ عثمان باشا والي دمشق قبل الحملة المصرية على بلاد الشام. وقعت المعركة قرب مدينة نسيب (نصيبين) في 24 حزيران/ يونيو 1839 - المراجع] ليوسع نفوذه. تحالف مع بيكوان قارص وأمير أردالان. بين عامي 1844 و1846 وصل بدر خان إلى ذروة الشهرة والمجد فضرب العملة باسمه وصارت خطبة الجمعة ترفع باسمه، وامتدت سلطته من الحدود الفارسية إلى الشرق وصولًا إلى قلب وادي الرافدين في الغرب، ومن أبواب ديار بكر في الشمال إلى الموصل في الجنوب. وحظي بدعم شعبي أكيد بفضل العدل والقسطاس اللذين سادا ربوع إمارته. مع ذلك ظلت الانقسامات التي تخترق هذا المجتمع الإقطاعي شديدة جدًا وعبّرت عن نفسها خلال المواجهة مع القوات العثمانية التي قادها عثمان باشا الأعرج [طوبال عثمان باشا، يعني «عثمان الأعرج» باللغة التركية، الصدر الأعظم للدولة العثمانية - المراجع]. استمرت الحرب ثلاث سنوات من دون أي نتيجة عسكرية تذكر. وفي مطلع عام 1847 نجح عثمان الأعرج برشوة ابن أخ بدر خان نفسه، يزدان شير الذي كان يقود ما يقارب نصف الجيش. استسلم بدر خان بعد ذلك بسبب خيانة أحد أفراد العائلة، وانكفأ إلى قلعة إروح (Eruh)، ثم نفي هو وأقاربه أولًا إلى فارنا ثم إلى كاتب في جزيرة كريت. ثم نُقل إلى دمشق حيث توفي في عام 1868. يُنظر: Nikitine, p. 193; Kendal, pp. 47-48, and C. Kutschera, *Le Mouvement national kurde* (Paris: Flammarion, 1979), pp. 14-16.

(44) حاول يزدان شير الاستفادة من الحرب الروسية - التركية لإشعال ثورته في بدليس في ربيع 1855 مع 2000 محارب. احتل مدينة بدليس وطرد منها الحاكم التركي وعين مكانه حاكمًا كرديًا ثم سار في اتجاه الموصل التي كانت مركزًا محصنًا مهمًا. بعد احتلاله الموصل صادر الأسلحة والذخائر من حاميتها وشكل جيشًا من 30 ألف رجل وفي غضون بضعة شهور احتل مساحات واسعة تمتد

Scanned with CamScanner

بعد استسلام القادة الأكراد الرئيسيين، ونزوحهم إلى اسطنبول، أصبح المجتمع الكردي كأنه «مقطوع الرأس». وفي حين كان لدى المثقفين والقادة الأكراد الموجودين في المنفى، حساسية تجاه التأثر بالأفكار الثورية في ذلك الوقت، والتي كانت معادية للسلطان، ظهرت في الأناضول الشرقية، في المناطق الريفية النائية جدًا، فئة جديدة كليًا: الشيوخ، وهم زعماء دينيون ذوو هيبة طاغية، قاموا بدور سياسي مهم. وتحالفوا مع السلطان، من منطلق الأخوّة الإسلامية.

في خلال الحرب الروسية - التركية، سعت الحكومة العثمانية للفوز بدعم زعماء بعض العشائر الكردية، مثل البدرخان. وأرسل الشيخ عبيد الله والشيخ جلال الدين 50,000 جندي كردي، بقيادة نجل الشيخ عبيد الله، الشيخ عبد القادر، إلى الجبهة الروسية حيث هُزِموا[٩٥].

بعد معاهدة برلين التي اعتُبِرَت مواتية للمسيحيين، قام الشيخ القومي العريق، عبيد الله النهري، بقيادة ثورتين: واحدة في منطقة بهدينان في عام 1879، وأخرى في بلاد فارس في عام 1880، هادفًا إلى إنشاء كردستان المستقلة، وتوحيد الأجزاء التركية والفارسية التي يقيم فيها الأكراد[٩٦].

= من بحيرة فان إلى بغداد وديار بكر. وعند قدوم فصل الشتاء، وفي وقت كان فيه الروس يعودون إلى مراكز قيادتهم الشتوية، أرسلت بريطانيًا موفدًا منها إلى الأمير الكردي لإقناعه بحل قضية استقلال كردستان بالطرائق السلمية، عارضة خدماتها في هذا المجال. وبسبب ذلك رفض بعض القادة الأكراد مواصلة الحرب. سافر يزدان شير إلى اسطنبول يرافقه المبعوث البريطاني نمرود رسام (Nimroud Rassam) بغية البدء بمفاوضات مع الباب العالي برعاية بريطانيا. وما إن وصل اسطنبول حتى اعتقل وتفرقت بعدها قواته بسرعة. يُنظر:
Kendal, pp. 49-50, and Nikitine, p. 194.

(45) O. Aytar, *Hamidiye alaylarından köy koruculuğuna* (İstanbul: Medya güneşi yayınları, 1992), p. 33.

(٩٦) ادعى شيوخ شمدينان (شمدينلي) انتسابهم إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني (1078-1166) مؤسس الطريقة الصوفية القادرية. وتحولوا على ما يبدو إلى النقشبندية في حدود عام 1822. ولد الشيخ عبيد الله قبل عام 1830 وكان يصبو إلى أن يكون ليس رئيسًا زمنيًا، فضلًا عن كونه رئيسًا روحيًا. قاد قوة كبيرة من الأكراد خلال الحرب الروسية - التركية، وعلى الرغم من هزيمته الكاملة أمام الروس، اعتبره قومه فيما بعد قائدًا. حاول إطلاق حركة قومية بالتمرد ضد العثمانيين والفرس في آن معًا. وفي عام 1880 جمع قوة من 80 ألف رجل إلا أن قواته وقعت بين فكي كماشة الجيش العثماني وجيش الشاه. نفي في عام 1882 إلى مكة حيث توفي بعد سنوات قليلة. يُنظر:
Nikitine, pp. 188-194, et Kendal, pp. 50-52.

1 - نشأة مشروع سلاح الفرسان الحميديين

كان هذا المشروع قيد المناقشة منذ أواخر ثمانينيات القرن التاسع عشر؛ إذ ذكَر الملحق العسكري الفرنسي، منذ عام 1889، أن وفدًا من زعماء العشائر في الأناضول الشرقية جاء إلى اسطنبول ليتم من بينهم تأليف «أفواج الفرسان على النمط القوزاقي»[47]. في ذلك الوقت، كان من المتوقع إنشاء 24 فوجًا. واختارت أغلبية العشائر أن تسكن في ولاية أرضروم، باستثناء عشيرة ميدان المقيمة في مقاطعة ديار بكر. ويبدو واضحًا أن إنشاء هذه الأفواج كان يهدف إلى حماية الحدود الروسية.

في تموز/ يوليو 1890، استدعى الوالي رضا باشا، رئيس الديوان العسكري السلطاني، الملحق العسكري الفرنسي ليون برجيه (Léon Berger)، لأخذ مشورته بشأن كيفية تشكيل سلاح فرسان من بدو بلاد ما بين النهرين، ملائم لتقديم الخدمات نفسها التي يقدمها القوزاق إلى الروس، أو الغوميون[48] في الجزائر، وذلك لتجنب مساوئ القوات غير النظامية - الباشبوزق (başıbozuk) - وتلافي تجاوزاتهم المعهودة[49].

كان أحمد شاكر باشا[50]، ياور [مرافق] السلطان الذي قام بدور مهم في

---

(47) S.H.A.T., 7N1630, annexe no. 2 au rapport no. 89, Constantinople, le 27 avril 1889.

(48) الغومي مصطلح أطلقه الجيش الفرنسي الاستعماري على وحدات الدعم والإسناد المكونة من الأهالي في مستعمراته شمال أفريقيا. والكلمة هي من الدارجة المغربية والجزائرية وهي نطق غير سليم للكلمة العربية «قومي» أي الوطني المحب لقوميته ووطنه. وهذه الكلمة أصبحت بعد الاستقلال تستعمل للسب وحُرّف معناها إلى «الخائن» بسبب الخدمة في جيش الاستعمار. (المراجع)

(49) S.H.A.T., 7N1630, Constantinople, rapport no. 75 du 6 juillet 1890.

(50) أحمد شاكر باشا (1804-1895) ولد في أسرة اسطنبولية تنتمي إلى إقطاعي يوزغات، هي أسرة تشابانوغولاري التي كانت في خدمة الدولة العثمانية من زمن طويل. بعد أن درس في المدارس التقليدية تخرج في المدرسة العسكرية في عام 1856 وخدم أولًا في هيئة اللاجئين في ولاية الدانوب (بلغاريا) حيث عمل مع مدحت باشا. وفي مطلع السبعينيات من القرن التاسع عشر أصبح متصرف بغداد. بعد حرب 1878 كان واحدًا من القلة من العسكريين الذين حظوا بعطايا السلطان عبد الحميد الثاني. في أيار/ مايو 1878 عُيّن سفيرًا في سان بطرسبرغ وخدم هناك لمدة 11 سنة. عمل كثيرًا لتحسين العلاقات التركية - الروسية. في عام 1889-1890 كان واليًا على كريت. وتتويجًا لهذه المسيرة المهنية المجيدة

إجراء الإصلاحات في الأناضول الشرقية، مهندس المشروع. أُرسل المشير زكي باشا للتفتيش في مناطق فان وأرضروم وبدليس. وعند عودته، التقى السلطان، حيث ذكر أن الأناضول كانت مهملة، بإجماع وجهات النظر. مع ذلك، وعلى الجانب الآخر من الحدود، كان الروس منظمين بطريقة جدية. على سبيل المثال، كان يمكن لتنظيم القوزاق أن يكون أنموذجًا في هذا الصدد. واستفاد الروس في ذلك الحين من العشائر التي لم تكن تخضع للخدمة العسكرية، إلا أن ضباط القوزاق كانوا يجتمعون مرة واحدة في السنة لمدة شهر ونصف، بهدف التدريب. أما باقي السنة فكانوا يتفرغون لأعمالهم. وبعد فترة وجيزة، بدأ زكي باشا، بأمر من السلطان، تنظيم تدريب الأفواج الحميدية، بمساعدة إبراهيم باشا وكريم باشا[51].

دُعي القادة الأكراد للذهاب إلى أرزينجان، حيث استقبلهم زكي باشا، قائد الفيلق الرابع في الجيش. وكانوا موضع اهتمام خاص وقبلوا باقتراحاته. كما دُعُوا إلى تأليف هيئة من سلاح الفرسان، يمكن أن يصل عددها إلى 20 ألف فارس. كانت هذه الهيئات المختلفة ستكون تحت قيادة الأكراد، وصولًا إلى رتبة قائد السرية. أما العمداء، اثنان من عمداء السرية وواحد من الفرقة، فكانوا من الجيش السلطاني. وقدمت الحكومة للخيالة الأسلحة والذخيرة للحرب، في حين أن الأخيرين قاموا بتقديم خيولهم المسرجة. وفي كل عام، كانوا يتدربون لمدة شهرين، ويتلقون في خلال تلك المدة الأجور والحصص الغذائية المعتادة[52].

=صار في تموز/ يوليو 1890 ياورًا للسلطان [الياور كلمة تركية ومعناها المرافق الشخصي. وهي أيضًا رتبة عسكرية عثمانية وتعني رئيس حرس الأمير – المراجع]. وكان طوال خمس سنوات مستشارًا أمينًا للسلطان الذي كان يستمع إلى آرائه ونصائحه. كان اهتمامه بالمسألة الأرمنية ومعرفته بالنشاطات الأرمنية في روسيا عاملًا حاسمًا في تعيينه بمنصب المفتش العام للإصلاحات في ولاية الأناضول في عام 1895. إضافة إلى ذلك، تمتع بعلاقات جيدة بالروس وكان يتكلم الفرنسية والروسية بطلاقة وقليلًا من العربية. يُنظر:

S. Deringil, *The Well-Protected Domains, Ideology and Legitimation of Power in the Ottoman Empire, 1876-1909* (London: I. B. Tauris,1998), pp. 206-207; A. Karaca, *Anadolu Islahati ve Ahmet Şakir Paşa* (Istanbul: Eren, 1993), pp. 17-29; F. Georgeon, *Abdül Hamid II: Le Sultan calife (1876-1909)* (Paris: Fayard, 2003), pp. 266, 289, and K. Karpat, *The Politicization of Islam*, p. 193.

(51) Aytar, pp. 53-54.

(52) A.E.N., Consulat de France à Erzerum (1883-1893), rapport no. 35, Erzerum, le 29 novembre 1890, adressé à M. le comte de Langier-Villars.

Scanned with CamScanner

مع ذلك، من بين 51 عشيرة من العشائر الكردية البدوية الكبيرة، وافق 13 منها فقط على المشاركة في القوات الحميدية. ووفقًا للازاريف (Lazarev)، لم يكن بعض العشائر يريد أن يدمج بالحميدية. ومنذ بدء صيف عام 1891 حتى عام 1893، حصلت انتفاضات كبرى في منطقة درسيم[53]. بدأ تأليف القوات الحميدية في كل من المنطقتين المعتبرتين الأكثر ملاءمةً، الأولى بين أرضروم وفان بالقرب من الحدود مع روسيا، والثانية بين أورفه وماردين. في ربيع عام 1891، بدأ المشير زكي باشا أعماله في أرزينجان، مركز الفيلق الرابع للجيش. وأرسل جنرال السرية محمود باشا إلى مناطق فان وملازغرد وخنس، من أجل إنشاء الأفواج[54]. كما جرى تكليف إبراهيم باشا، قائد فرقة الفرسان، بتدريب القوات في ربيع عام 1891. أملت السلطات بالوصول إلى عشرين ألف رجل. مع ذلك، ونظرًا إلى صعوبة الحصول على الخيول اللازمة، اقتصر العدد على نصف هذا الرقم[55].

في أوائل تشرين الثاني/ نوفمبر عام 1890 دعي اثنا عشر زعيمًا كرديًا لزيارة أرضروم أولًا، وثم أرزينجان، مقر فيلق الجيش، قبل أن يتوجهوا إلى العاصمة بعد ذلك بشهرين. في الواقع، دعي في شباط/ فبراير 1891 رؤساء ثلاث عشائر كردية للذهاب إلى اسطنبول، من أجل الاحتفالات الرسمية، ولقاء السلطان[56]. وصلوا إلى وجهتهم في نهاية آذار/ مارس، حيث استلموا الأوسمة والجوائز من السلطان[57]. وبعد شهرين من الإقامة في العاصمة، عادوا إلى ولاياتهم. مع ذلك، وفي خلال استقبالهم في اسطنبول، تركوا انطباعًا سيئًا لدى الأتراك[58]. ثم حلت محلهم في العاصمة مجموعة ثانية. هذا المرور في اسطنبول غيَّر حالة

---

(53) يُنظر:
S. Lazarev, in: Aytar, pp. 54-55.

(54) Aytar, p. 59.

(55) A.E.N., Consulat de France à Erzerum (1883-1893), rapport no. 38, Erzerum, le 27 décembre 1890, adressé à M. le comte de Langier-Villars.

(56) سافر القادة الأكراد إلى اسطنبول في شباط/ فبراير 1891. يُنظر: A.E.N., Consulat de France à Erzerum (1883-1893), rapport no. 6, Erzerum, le 14 février 1891, adressé à M. le comte de Langier-Villars.

(57) Dersagil, *The Well-Protected Domains*.

(58) A.E.N., Consulat de France à Erzerum (1883-1893), rapport no. 10, Erzerum, le 2 mai 1891, adressé à M. le comte de Montebello.

هؤلاء القادة؛ فحملوا بتفاخر أوسمة ضباط عثمانيين، وارتدوا أيضًا الزي الرسمي الجديد، ثم عادوا إلى ديارهم للنهوض بالأفواج الموعود بها.

واجه المشروع صعوبة في بدايته؛ إذ وعد القادة الأكراد على الأرجح بما كان يفوق قدراتهم، فوجدوا أنفسهم مربكين في توفير ربع عدد الرجال الذي وعدوا به[59]. فأرسل المشير محمد زكي باشا[60] إلى أرضروم، في جولة تفقدية للولايات.

ولد زكي باشا في عام 1846 في اسطنبول، وكان شركسي الأصل. التحق بالخدمة في القصر في عام 1859/ 1860م [1256هـ] وكان برتبة نقيب قبل اعتلاء عبد الحميد الثاني العرش في عام 1876. كان ضابطًا تربى في الميدان من دون الالتحاق بالمدرسة العسكرية. ترقى بسرعة كبيرة، وفي غضون عامين، وصل إلى رتبة لواء ركن (ferîk) في عام 1878. وفي العام نفسه، عُيّن رئيسًا للحرس الملكي في قصر يلدز. ومن ثم جرى إرساله إلى يانينه لقيادة الفرقة الأولى من الجيش الثالث. في عام 1881، قاد القوات إلى الحدود اليونانية، وفي السنة التالية كان القائد في طرابلس الغرب. في عام 1887، تولى مسؤولية على «الحدود الروسية» مع منصب مشير مساعد (müşîr muâvinliği) الذي أنشئ خصيصًا له[61]. في العام التالي، أصبح قائد الجيش الرابع. كان الضابط الأعلى رتبة في المنطقة، وأصبح أيضًا الأكثر تأثيرًا. وبسبب شخصيته الكاريزماتية، وطموحه وقدرته، شغل هذا المنصب لنحو عشرين عامًا، ما يعد فترة طويلة استثنائية في تلك الحقبة[62].

---

(59) A.E.N., Consulat de France à Erzerum (1883-1893), rapport no. 14, Erzerum, le 1er août 1891, adressé à M. le comte de Montebello.

(60) هكذا وصف الموظف القنصلي الفرنسي زكي باشا: «هو شركسي شاب عمره يراوح بين 25 و40 عامًا، وسيم جدًا، طويل القامة وملامح الذكاء بادية على محياه. في خصاله شيء من التكبر والتحفظ. تعود الرتبة التي نالها إلى قرابته للسلطان؛ ذلك أن أخته هي إحدى جاريات السلطان. يُنظر:
A.E.N., Consulat de France à Erzerum (1883-1893), rapport no. 15, Erzerum, le 14 août 1891, adressé à M. le comte de Montebello.

إضافة إلى ذلك أنه كان حفيد الشيخ شامل، بحسب حسن صديق حيدراني، النائب عن فان. يُنظر:
Aytar, pp. 53-53.

(61) نقلًا عن السيرة الذاتية للملحق العسكري الإنكليزي.
FO 195/1794, rapport de Chermside, 17 janvier 1993, cité dans: J. Klein, «*Power in the Periphery: The Hamidiye Light Cavalry and the Struggle over Ottoman Kurdistan*, 1890-1914» (PhD., Princeton University, 2002), p. 151.

(62) كانت المراكز التي احتلها المخلصون نادرة عمليًا. ولعل أطول فترة في الخدمة قائدًا لجيش =

لكن يبدو أن الغرض الحقيقي من زيارة زكي باشا كان إجبار الزعماء الأكراد على تنفيذ التزاماتهم المستحقة تجاه الحكومة[63] التي كانت تنتظر النتيجة. ابتداءً من 1891 ولم يُجنّد المطلوبون الأكراد للخدمة حتى ذاك الحين. وجرى تداول الشائعة بأن زكي باشا واجه انعدام الحماسة عند زعماء العشائر[64]. في الواقع، إن المشروع الأول الذي قدمه إليهم كان غير مرغوب فيه على الإطلاق؛ إذ إن رجال العشائر، حتى ولو كانوا معفيين من ضرائب معينة، كان عليهم أداء الخدمة العسكرية في جميع الأحوال، ما دفع بزكي باشا إلى إعادة النظر في مقترحه. وقام بمنحهم بشكل خاص إعفاءً كليًا من الضريبة على الأغنام ومن الخدمة العسكرية[65].

جرى أولًا تحضير الزي الرسمي والأعلام الخاصة بهم. ومن ثم جرى تنظيم احتفالات تسليم الأعلام في معظم المراكز التي توجد فيها الأفواج الحميدية، في ديار بكر وفان وأرضروم، إلى جانب احتفالات أكثر تواضعًا في المدن الصغيرة. وبين أيار/ مايو وحزيران/ يونيو 1892، جرى رسميًا توزيع الأعلام على ممثلي الأفواج الكردية الأربعة والعشرين[66].

في أثناء العرض، سارت القوات النظامية في المقدمة، تليها الأفواج الحميدية التي راوح عددها بين 40 و120 رجلًا. في خلال الاحتفالات، جرى اختراع «تقليد جديد»، حيث ذابت الولاءات العشائرية في الولاء للدولة العثمانية، خصوصًا لشخص السلطان[67]. أيضًا كان قادة مناطق الأطراف مندمجين في

= هي التي شغلها محمد رؤوف باشا (1882–1908) الذي استمر 26 عامًا على رأس الحرس الوطني (السلطاني) أي الجيش الأول، ثم يأتي بعده زكي باشا الذي خدم 20 عامًا، وفي المرتبة الثالثة يأتي محمد عارف باشا (1895–1907) بخدمة 12 عامًا على رأس الجيش الثاني. يُنظر: S. Kuneralp, *Son dönem Osmanlı Erkân ve ricali* (1839-1922), *Prosopografik Rehber*, 2nd ed. (Istanbul: İsis, 2003), pp. 15-16.

(63) A.E.N., Consulat de France à Erzerum (1883-1893), rapport no. 15, Erzerum, le 14 août 1891, adressé à M. le comte de Montebello.

(64) A.E.N., Consulat de France à Erzerum (1883-1893), rapport no. 16, Erzerum, le 12 septembre 1891, adressé à M. le comte de Montebello.

(65) FO 195/1718 Chermsi à White, draft confidentiel no. 34, 21 août 1891, وردت في: Klein, p. 85.

(66) A.E.N., Consulat de France à Erzerum (1883-1893), rapport no. 2, Erzerum, le 25 juin 1892, adressé à M.Cambon, and Klein, p. 57.

(67) Beringil, *The Well-Protected Domains*, p. 35.

الاحتفالية السلطانية التي خلقت لديهم هوية جديدة. وكان يتم اللعب على تأثير انطلاق المؤسسة، حيث إن هذه الجوانب النفسية كانت مهمة جدًا.

تألفت هذه الأفواج أساسًا من عشائر الأكراد السنة، لذا تضمنت أيضًا فوجًا أو اثنين تشكّلا من التركمان(68). مع ذلك، وفي عامي 1898 و1899، كان من المقرر تجنيد الأكراد العلويين في درسيم في الأفواج الحميدية، لكن في سلاح المشاة. قام بعض الزعماء بالتوقيع، إلا أن هذه الأفواج لم تر النور قط. وكانت هذه المبادرة من دون شك العمل الأكثر واقعية لزكي باشا الذي سعى أيضًا إلى حشد اليزيديين، لأن السلطان كان يفضل الصراطية السنيّة(69).

مع سعيها لتحقيق أهداف متعددة، كانت الأفواج وسيلة لإخضاع العشائر الكردية المتمردة لنوع من السيطرة و«إعادة الهدوء» إلى المنطقة، عبر التصدي بشكل خاص للحركات القومية الأرمنية. وبما أن هذه الأفواج كانت تتألف من أعضاء عشيرة واحدة، كانت بإمرة ضابط هو شيخ العشيرة. وعندما كانت العشائر قليلة العدد، كانت كل واحدة منها تقدم سرية من أجل تأليف فوج، وهكذا يُحفظ التضامن العشائري من خلال الإبقاء على زعيم عشيرة في كل وحدة.

تمتع قائد الفوج ومجندوه بفوائد كبيرة؛ إذ أُرسل الرؤساء والضباط إلى مدرسة عسكرية، خصوصًا في اسطنبول، للتدرب وتعلم تقنيات هجومية جديدة. أما بالنسبة إلى العشائر، فكانت معفية من واحدة من أكثر تدابير «التنظيمات» التي لا تحظى بشعبية، ألا وهو التجنيد الذي استُحدث مؤخرًا في المنطقة. ودعي قادة الأفواج الحميدية إلى إرسال أبنائهم إلى مدرسة العشائر في اسطنبول لدمجهم في «المؤسسة العثمانية الحاكمة»(70). واقترحت السلطات أيضًا فتح مدارس للسكان المحليين في القرى الرئيسة، حيث توجد الأفواج الحميدية(71).

كان الغرض الظاهر لتأسيس أفواج الفرسان الحميديين إقامة حصن منيع ضد هجوم روسي، وإضفاء الطابع المؤسسي على الأكراد في الدولة العثمانية، حيث

---

(68) Mac Dowall, p 59

(69) Klein, pp 91-94

(70) يُنظر أدناه.

(71) Mac Dowall, p 59

Scanned with CamScanner

أظهر بعض العشائر سابقًا ولاءه للقيصر ضد السلطان. انتشرت الأفواج الحميدية، في البداية، على طول محور أرضروم - فان. وفي الواقع، كانت العشائر الحميدية قوة غير نظامية تسير ضمن أفواج، أكثر منها أفواجًا تحت قيادة المشير الصارمة، أي القائد العسكري. عمليًا، انتشرت هذه الأفواج في بيئتها الطبيعية، وكان يتم استدعاؤها من أجل أداء الخدمة فحسب. مع ذلك، كان هناك قلق من أن يغادر معظمهم بدلًا من الابتعاد عن مخيماتهم[72].

تشكلت القوات الحميدية ضمن أفواج مقاتلة على الأنموذج القوزاقي. وللاستفادة من هذا الأنموذج، أرسل السلطان مجموعة من الضباط العثمانيين إلى سان بطرسبرغ لدراسة طريقتهم في القتال. وعادوا إلى السلطنة عند نهاية تدريبهم في عام 1896[73].

الصورة (3-2)

ضباط الأفواج الحميدية

(مجموعة IRCICA)

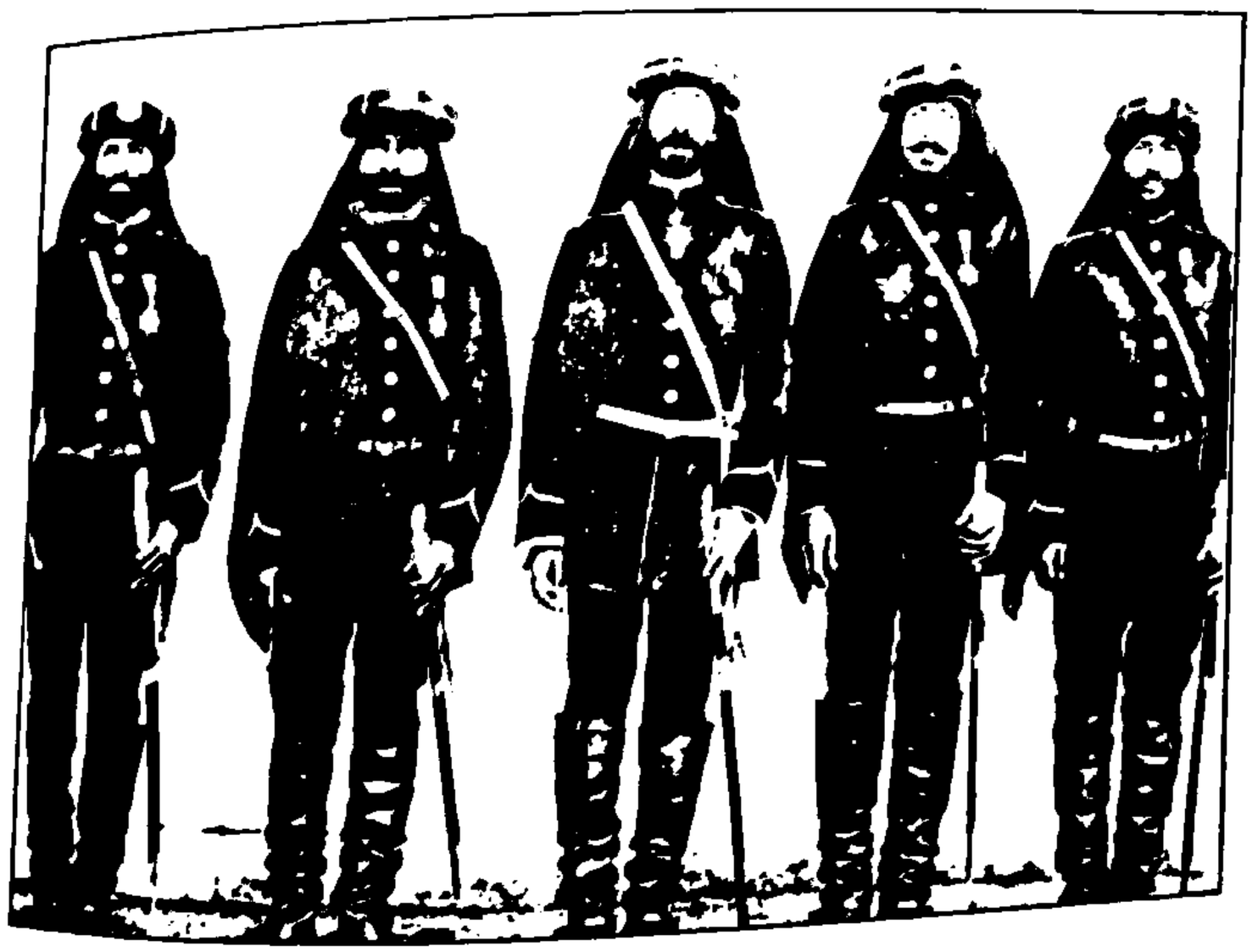

(72) Ibid., p. 59.

(73) I. Darnagol, «The Ottoman Twilight Zone of the Middle East,» in: H. J. Barkey (ed.), *Reluctant Neighbor: Turkey's Role in the Middle East* (Washington, D.C., United States: Institute of Peace Press, 1996), p. 15.

Scanned with CamScanner

2- تنظيم قوات الفرسان الحميدية[74]

وفقًا لمبدأ الخدمة العسكرية، صدرت الإرادة السلطانية بإنشاء أفواج الفرسان هذه، ليتم التجنيد من بين «العشائر البدوية». وعلى الرغم من تفوقها في فن الفروسية، لم تكن هذه العشائر، حتى ذلك الوقت، ملزمة بالخدمة العسكرية (المادة الأولى)[75]، على عكس الرجال غير المدرجين في أفواج سلاح الفرسان الحميدية، الذين كانوا ملزمين بأدائها (المادة الأخيرة).

قدمت العشائر، بحسب أهميتها، فوجًا واحدًا أو أكثر من فوج، مسماة «الحميدية»، تحمل أرقامًا تسلسلية (المادة 3). وإذا لم يكن عدد أفراد العشيرة كافيًا لإنشاء فوج أو أكثر، كانت تقصر جهدها على تأليف سريتين أو ثلاث (المادة 4). وكان هناك أمر بتجنب أي اختلاط بين العشائر في الأجزاء الأصغر من السرية (المادة 5).

أُدرج رجال العشائر جميعهم ممن راوحت أعمارهم بين 17 و40 عامًا في دفاتر سجلات مخصصة لحراسة قادة الفوج أو السرية (المادة 6)[76]. وقُسم جنود القوات الحميدية، بحسب سنهم، ثلاث فئات[77]. وكان الجنود يقسمون يمين الولاء للسلطان في أثناء تجنيدهم، وفي خلال انتقالهم من فئة إلى أخرى (المادة 7).

بهدف تعويد المجندين الحياة العسكرية والانضباط العسكري، كانت السرايا تتدرب في مخيماتها، لمدة ثلاثة شهور في الأقل سنويًا (المادة 8)، مع الحفاظ على عدم اختلاط العشائر (المادة 4). بعيدًا عن هذه المناورات السنوية،

---

(74) يتضمن القانون المقصود هنا 53 مادة تليها مادة ختامية Tensikât-i askeriye cümlesinden olarak Hamidiye sûvari alayları'na dir kanunnâmesi. يُنظر: B.O.A., Y.E.E., K. 37, E. no. 47/27, Z. 47, K. 113.

Ibid.

(75) يُنظر:

(76) صدرت ثلاث نسخ من هذه الدفاتر كي تسلم واحدة إلى قائد قوات الاحتياط الرديف في الإقليم، وواحدة إلى القائد العام للقوات الحميدية، والثالثة إلى مركز قيادة أركان الفيلق. يُنظر: Ibid

(77) هي فئة المجندين وتضم الرجال من أعمار 17 إلى 20 عامًا، وفئة النظاميين من أعمار 20 إلى 32، وفئة الاحتياط من أعمار 32 إلى 40.

يشارك الجنود، لمدة شهرين في السنة، في تمركز للفوج، على ثلاث سنوات (المادة 9)[78].

كان الأمر بتمركز الأفواج خارج المخيمات يصدر عبر إرادة سلطانية (المادة 13). وكان قائد الفوج يحضر علم الفوج، وفق مراسم الشرف المعتمدة، من مستودعات الاحتياط حيث كان يُحتفظ به. وكان يحمله مصحوبًا بسرية إلى مكان التمركز، حيث ينصبه. عند هذه اللحظة، يصبح الفوج في حالة نشاط وعلى استعداد للسير (المادة 15). وكان إيصال الأسلحة والذخيرة وتسليمها يتم وفقًا للشروط المطبقة على المستودعات[79]. وعند إنجاز المهمة، كان الفوج يعيد العلم والأسلحة والذخيرة إلى المستودع مع مراسم الشرف المنصوص عليها. وابتداءً من هذه اللحظة، يصبح الفوج غير ناشط (المادة 17).

كان المطلوب من الجنود تجهيز أنفسهم والتقدم مع الحصان باللجام والسرج[80]. وكان على كل جندي من الفئتين الأولى والثانية امتلاك حصان قوي والاعتناء به، ليكون جاهزًا عند أول استدعاء. كان جنود الاحتياط عمومًا معفيين من هذا الالتزام. مع ذلك، كان ينبغي أن يكون التجهيز المذكور منجزًا، في حالة الحرب، تمامًا عند استدعاء الدفعتين الأولى والثانية (المادة 21)[81]. في أثناء الاستدعاءات، كانت الدولة توفر الأسلحة والذخائر والعلم (المادة 18). وفي أثناء فترة الحرب، كانت الدولة تستبدل الخيول المقتولة أو تعوض على أصحابها (المادة 49).

---

(78) كانوا يدرَّبون حينذاك على العمل ضمن سرية، كتيبة ففرقة، ثم على مختلف أعمال القنص والاستكشاف والحراسة، إضافة إلى عمل الخدمة ضمن حملة عسكرية. كما كانوا يتعلمون الخدمة في الخيالة، وفي النقل السريع للمشاة للتبديل عند وضعهم في خدمة الخيالة، والدفاع عن موقع، وفي حالات الضرورة القتال الراجل، حيث يكون الخيال مسؤولًا عن أربعة خيول، في حين يكون مطلوبًا من الراجلين استخدام بنادقهم. يُنظر: Ibid.

(79) أضف إلى ذلك أنه كان يُحدد أيضًا أنه من دون الحصول على مثل هذا الإذن لا يمكن تسليم الأسلحة والذخائر.

(80) وكان على اللجام والسرج الكاملين أن يكونا وفق أشكال محددة، تجري وفق النماذج الثلاثة المقررة (المادة 20).

(81) كانت الدولة توزع مجانًا عددًا من الفحول [فَحْل: حِصَانٌ غَيْرٌ مَخْصِيّ يصلح لِلاسْتِيلاد] من سلالة جيدة إلى العشائر التي كانت تمتلك أفراسًا أنموذجية. أضف إلى ذلك أن القائد العام كان يقدم جميع التسهيلات الممكنة كي تجري عملية تحسين نسل أحصنتهم. يُنظر: Ibid.

Scanned with CamScanner

تكونت الأفواج نظريًا من عشائر العرب والأكراد والقرقلباغيون والتركمان، وكان يُسمح لهم بارتداء زيهم التقليدي. مع ذلك، ومن أجل التوحيد، اختير ثلاثة نماذج كأساس للزي الرسمي الجديد. ووضع الجنود على زيهم بطاقة تحمل الاسم ورقم الفوج لتمييزهم من باقي السكان (المادة 19).

تكاليف الملابس والمعدات كان يتحملها ضباط العشائر وزعماؤها. لكنها كانت على عاتق الجنود في خلال التمارين والتجمعات. مع ذلك، عندما تبتعد الفرقة عن معسكرها، كانت الدولة تهتم بالحفاظ على الخيول وإعطاء الجنود حصة تموينية، مع بداية فترة التمركز لديهم (المادة 45).

كان يتم اختيار جنديين «حسني السلوك» من كل فوج لرتبة ضابط ثانوي، وبعد ستة شهور من التدريب في مدرسة الأفواج[82] التابعة للجيش السلطاني العثماني، كانا يرسلان إلى العاصمة. وبعد الدرس والتدريب لمدة عامين، كنا يُرقيان إلى رتبة ملازم أول ويُلحقان بأفواج يعينها السلطان. إضافة إلى ذلك، كان يتم اختيار عدد من الشبان، بمعدل طالب واحد من كل فوج، ويرسلون إلى اسطنبول لتلقي تعليمهم في المدرسة العسكرية للفرسان. وفي نهاية هذه الدورة، كانوا ينضمون إلى فوجهم من جديد برتبة ملازم أول (المادة 10).

كان الضباط المعينون منذ إنشاء الأفواج ثابتين، في ما عدا لو أتوا بأعمال عصيان أو اقترفوا جريمة. وكما هي الحال في الجيش النظامي، كان بإمكانهم تقديم استقالتهم بعد أربعة عشر عامًا من الخدمة (المادة 32). وكانت رتبة الضابط في الأفواج تُمنح في وقت لاحق، وبالأفضلية إلى ضباط الصف الذين جرى استدعاؤهم إلى العاصمة، ومن ثم الشبان الذين أنهوا تعليمهم في المدرسة العسكرية، وأخيرًا ضباط الصف في الفوج الذين أثبتوا جدارتهم.

ضُم ملاك الضباط الحميديين إلى الجيش النظامي. وعُيّن قائد الفرقة (ferik) قائدًا للقوات الحميدية وضمّ عمداء اللواء فيه إلى ضباط الجيش (المادة 23). وانضم أيضًا عدد من ضباط سلاح الفرسان من الجيش النظامي إلى الأفواج،

(82) يتعلق الأمر بالأفواج الأنموذجية.

Scanned with CamScanner

ليكونوا بمنزلة أنموذج لقادة العشائر وتعليمهم الانضباط العسكري. في خلال تشكيل الأفواج، كان قادة الأفواج وقادة السرايا يُعيَّنون في الجيش النظامي، في حين يُختار من هم برتبة مقدَّم ورائد والضباط الأقل رتبة، من ضمن وجهاء العشائر (المادة 22). وكان الحصول على الشهادة النهائية برتبة ضابط يستوجب المشاركة في فترات التعليم والتدريب جميعها، والخدمة الفعلية لمدة ثلاث سنوات في أفواج نظامية[83]. ويبقى هؤلاء الضباط في فوج العشيرة ويتلقون رواتبهم كاملة على مدار السنة (المادة 26)[84].

كانت عائلات الضباط المتخرجين تتمتع بالحقوق نفسها التي يتمتع بها الضباط في الجيش النظامي. أما أسر الضباط غير المتخرجين، وكذلك الجنود الذين قتلوا أو جرحوا في ساحة المعركة، فكانوا يتلقون راتبًا تقاعديًا (المادة 50). أما أفواج سلاح الفرسان الحميدية التي جرى إرسالها بإرادة سلطانية لمطاردة قطّاع الطرق، فكانت تتمتع بالمزايا نفسها في ما يتعلق بالتعبئة (المادة 51). وهكذا، ارتبطت الاضطرابات الداخلية بالاضطرابات الخارجية.

كان الضباط وزعيم العشيرة والجنود التابعون لأفواج الفرسان الحميدية معفيين من الضرائب جميعها باستثناء ضريبة الأغنام وضريبة العشور، العائدة إلى وزارة المالية (المادة 46). وكان مطلوبًا من كل عشيرة توفير وسائل النقل للفوج الخاص بها (المادة 47).

---

(83) كانت هذه الشهادات تسلم إلى القيادة المركزية للفيلق ومنها إلى وزارة الحربية، حيث كانت تجري مراقبتها. يُنظر:

(84) كان من حق شيوخ العشائر والضباط والجنود نيل الراتب بكامله وجراية الإعاشة كاملة في أوقات التمركز خارج المعسكرات أو في أوقات الحرب. لكن حين كانوا يبقون في مناطقهم وينجزون التدريبات على مقربة من المعسكرات، كان الضباط يحصلون على ربع راتبهم والجنود على مكرمة مالية معينة (المادة 27). ولم يكن الضباط أو الجنود المتغيبون أوقات تمركز الوحدات ليقبضوا راتبهم (المادة 28). وحين تكون الوحدة العسكرية خارج الخدمة في الميدان فإن ضباط العشائر لا يتلقون أي جراية إعاشة وإنما ربع راتبهم فحسب (المادة 29). ولم يكن لدى الضباط الخريجين الموضوعين في خدمة الوحدة العسكرية أي جراية إعاشة، لكنهم كانوا يقبضون كامل الراتب. وكانوا يتقاضون خلال السنوات الثلاث التي يمضونها في الخدمة في وحدة عسكرية لنيل شهادة التخرج، إضافة إلى راتبهم، جراية إعاشة مماثلة لتلك التي يتقاضاها الجندي (المادة 30).

Scanned with CamScanner

الاحتياط، أي الجنود الذين ينتمون إلى الدرجة الثالثة، كان يمكنهم الانصراف إلى أشغالهم، باستثناء أوقات الحرب أو في أثناء الاستدعاءات الصادرة عن الدولة (المادة 11). في المقابل، لم يكن بإمكان جنود الدرجتين الأولى والثانية، حتى خارج وقت التمارين، التغيب عن المنطقة من دون الحصول على إذن خاص من قائد الفوج الذي كان دائمًا واحدًا من زعماء العشيرة. وبعد الحصول على الإذن، كان عليهم تحديد مكان إقامتهم (المادة 12).

كان أساس الانضباط العسكري الطاعة والخضوع. وكان على الضباط والجنود متابعة الاتفاقات، وإلا كانوا يعاقبون وفقًا لقانون العقوبات العسكري، من دون اعتبار عادات العشائر وتقاليدها (المادتان 38 و39). إما الجرائم العادية فكانوا يعاقبون عليها وفقًا للأحكام المطبقة على قوات الاحتياط (المادة 40).

منذ صدور الأمر بالتمركز، كان على الضباط والجنود الحضور بالزي العسكري وعلى ظهر الخيل إلى مقر الفوج. وكان المخالفون يعاقبون (المادة 41). وأولئك الذين كانوا يتغيبون بعد الاستدعاء، من دون الحصول على إذن، كانوا يعاملون على أنهم فارون (المادة 42). أما بالنسبة إلى أولئك الذين كانوا يغادرون فوجهم في أوقات الحرب بهدف النهب، فكانت تفرض عليهم القوانين العسكرية (المادة 43). كان هناك سعي إلى إنهاء حالة عدم الانضباط، نقطة ضعف القوات غير النظامية.

حصل التعديل التشريعي الأول في عام 1896[85]، من دون إدخال تغييرات كبيرة على الأحكام التنظيمية المعتمدة. ومع الاستفادة من التجربة، كان التركيز على الانضباط، وتفصيلات العقوبات. وحضرت عقوبة السلوك المخالفة للقانون والأحكام العسكرية بطريقة واضحة جدًا، مثل عقوبة التقاتل بين العشائر في وقت السلم (المادة 54)[86]. أما تدريب كوادر السرايا (bölük) فجرى تفصيلها في المواد 115 إلى 121. وتمت الإشارة إلى تعليم أبناء زعماء العشائر في المدارس العسكرية العشائرية (aşiret mektebi) والكلية الحربية.

---

(85) أقر هذا القانون الثاني في 13 أيار/ مايو 1896 (30 ذي القعدة 1313هـ). وهو يتشكل من 12 عنوانًا وملحقًا أي من 121 مادة مع مقدمة صغيرة وفي نهايتها «مادة خاصة» (بالتركية madde-i mahsusa).

(86) ينظر:
Ibid.

أما بالنسبة إلى المصطلحات، فكان يشار حينذاك إلى أفواج الحميدية باسم (hamîdiye hafıf süvari alayları أو hafıf süvari alayları)، أفواج سلاح الفرسان الخفيف الذي كان مقررًا إنشاؤه في الأصل للأناضول الشرقية، وكان هناك مخطط لإنشاء أفواج مشابهة في أنحاء أخرى من السلطنة، مثل طرابلس الغرب[87].

في عام 1893، وبعد ما يقارب العامين على إصدار القانون المتعلق بقوات سلاح الفرسان الحميدية[88]، كان من المتوقع إنشاء حوالى مئة فوج من أفواج الفرسان غير النظامية، مماثلة لأفواج القوزاق في الجيش الروسي. وبما أن المجندين كانوا من العشائر، حيث كان ركوب الخيل شرفًا كبيرًا، وحيث الرجال يمتطون الخيول منذ الطفولة، نافست هذه الأفواج غير النظامية فرق الفرسان النظامية[89].

رأى السلطان الذي كان غير راضٍ عن البداية البطيئة، أنه من المفيد إعطاء دفعة شخصية لهذه المؤسسة، وعبر إرادة سلطانية في أيار/ مايو 1893 أمر بإنشاء لجنة مكلفة تأليف أفواج الفرسان الحميدية، يرئسها شاكر باشا، مساعده العام[90].

مثال على ذلك، جرى استبدال والي أرضروم، حسن خيري باشا - بسبب افتقاره إلى الحماسة - ليحل محله حيدر باشا، وهو رجل أكثر نشاطًا. وقام السلطان بتجهيز 55 راية حريرية مطرزة بالذهب، على حساب قائمته المدنية. وقام بحمل هذه الرايات مرافقه العميد وهبي بيك، والملازم نعيم بيك، نجل المشير شاكر باشا، وتقديمها إلى قائد الفيلق الرابع ومن ثم توزيعها بشكل احتفالي على زعماء العشائر[91].

---

(87) في ما يخص تعليم أبناء القادة، حدد التشريع الجديد أن الذين بلغوا السادسة عشرة حتى الثامنة عشرة من العمر يدرسون في الكلية الحربية. ووردت إشارة خاصة إلى أبناء طرابلس الغرب الذين كان عليهم الخضوع لثلاث سنوات من الدراسة الخاصة بالفرسان (المادة 115). يُنظر:
B.O.A., Y.E.E., K. 37, E. no. 47/28, Z.47, K. 113.

(88) يُنظر:
B.O.A., Y.E.E., K. 37, E. no. 47/27, Z. 47, K. 113.

(89) S.H.A.T., 7N1631, Constantinople, rapport no. 56, du 28 mai 1893.

(90) Ibid.

(91) Ibid.

Scanned with CamScanner

على الورق، جرى تأليف 35 فوجًا في البداية، ومن ثم 13 فوجًا إضافيًا، ليبلغ المجموع 48 فوجًا، وعين إبراهيم باشا رئيسًا لها، وهو قائد فرقة فرسان فيلق الجيش الرابع، ويعاونه إسماعيل حقي، قائد اللواء. بعد ذلك بقليل، سُمّي 865 ضابطًا، وعُيّن كبار الضباط الأتراك لأول 35 فوجًا، أما الآخرون فكان عليهم انتظار مناسبة العيد (bayram) التالية. ثلاث مدارس، في أرضروم وأرزينجان وموش، كانت في طريقها إلى فتح أبوابها من أجل تعليم عدد من الضباط وضباط الصف. نُقل مقر الأفواج الحميدية من موش - حيث أنشئت أولًا - إلى ألاشكرت. أخيرًا، بدأت مناقشات مع شيوخ العشائر الرئيسة في بلاد ما بين النهرين - العنزة وشمر والمتفق[92] والأكراد - وكذلك مع شيوخ عشائر دروز سوريا، من أجل تأليف الأفواج. وكان هناك أيضًا توجه لتأليف ميليشيات تتبع النظام نفسه في طرابلس الغرب[93].

الصورة (3-3)

ثكنة أرزينجان (مجموعة IRCICA)

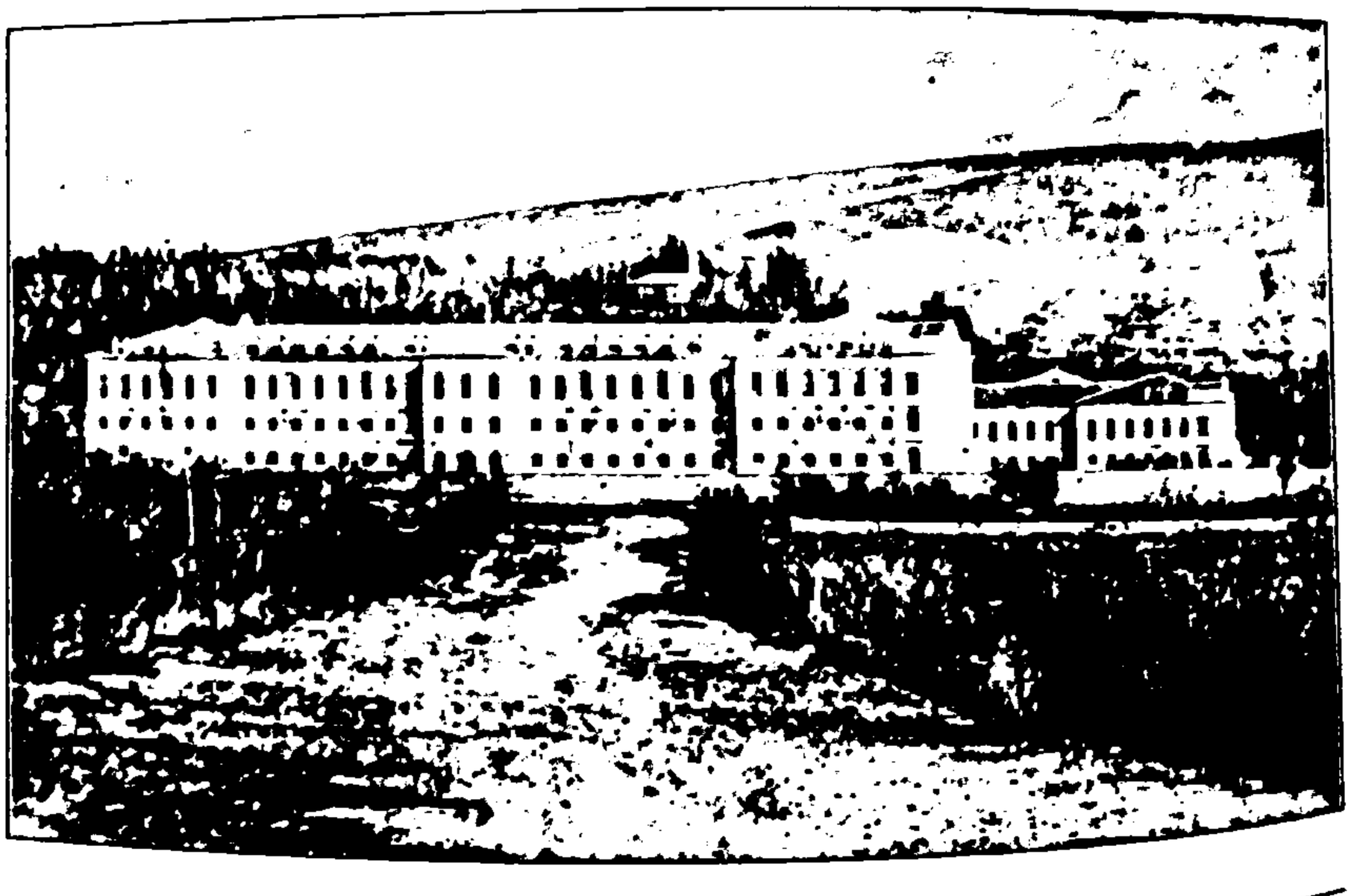

(92) نقلت المؤلفة أسماء العشائر العربية العنزة وشمر والمتفق بشكل خاطئ فاقتضى التصحيح والتوضيح. (المراجع)

(93) Ibid.

Scanned with CamScanner

تطور عدد الأفواج الحميدية. ووفقًا للدليل العسكري (sâlname-i askcri) في بداية عام 1895 (1311هـ)[94]، جرى تشكيل 56 فوجًا حميديًا، كما جرى ترقيمها من 1 إلى 56. أما الأفواج 51 و52 و53 و54 و55، وبسبب قربها من سوريا، فكانت متصلة بالفيلق الخامس، في حين أن الأفواج الإحدى والخمسين الأولى كانت مرتبطة بالفيلق الرابع، ومقرها في أرزينجان. عشرون منها كانت بقيادة عميد (مير آلاي) والأخرى بقيادة عقيد (قائمقام)[95]. وأشار الملحق العسكري الفرنسي في 1 كانون الثاني/ يناير 1893، إلى وجود 33 فوجًا يُضاف إليها 136 سرية، و20,400 حصان[96]. كما ذكرت المصادر نفسها وجود 63 فوجًا حميديًا في عام 1904[97]. ومن ثم وجود 65 فوجًا في الدليل العسكري لعام 1908[98]، وقد بلغ عدد الأفواج الحميدية ذروته في عام 1910، حيث بلغ 64 أو 65 فوجًا.

في نهاية عام 1898، أنجز تجهيز 63 فوجًا من فرسان الحميدية. وكانت هذه الأفواج غير منضبطة، وغير مدربة بشكل كاف لتُستخدم في ساحة المعركة، وكان بإمكانها إنجاز مهمات استخبارية، إلا أنها كانت تروع السكان في الأراضي التي تشغلها[99]. حيث لم يفرق القادة بين العشائر العدوة لقبيلتهم وأعداء سلك فرسان الحميدية. ومع أن تسلحها من الدولة، استخدمت موقعها المؤسسي لتصفية حساباتها مع الخصوم المحليين.

يمكننا إعطاء أمثلة كثيرة. عشيرة جبران (Cibrân) السنية القوية التي قدمت أربعة أفواج حميدية، هاجمت بسرعة عشيرة خورمك (Khurmak) العلوية وصادرت ممتلكاتها[100]. أما الكونت شوليه (Cholet)، فسافر إلى الأناضول الشرقية في نهاية القرن التاسع عشر والتقى زكي باشا. وكونه عسكريًا هو أيضًا، فقد تحفّظ على

---

(94) *Sâlname-i 'askeri* (Istanbul, 1311 H.), pp. 514-578.

(95) B. Kodaman, *Sultan II Abdülhamid devri doğu Anadolu politikası* (Istanbul: Kardeşler matbaası, 1983), pp. 39-40.

(96) S.H.A.T., 7N1631, Constantinople, rapport no. 60 du 2 mai 1893.

(97) S.H.A.T., 7N1637, Constantinople, rapport no. 696 du 19 juillet 1904, en annexe.

(98) Ergül, p. 77.

(99) S.H.A.T., 7N1633, Constantinople, rapport no. 263 du 20 janvier 1900.

(100) Mac Dowall, p. 60.

Scanned with CamScanner

المشروع. وأفاد أن كثيرين من الأشخاص المؤهلين كانوا يخشون ألا يعطيهم هذا التدريب العسكري، في حال تمردوا، التقنية والقدرة على التسلح اللتين يفتقرون إليهما[101]. كما قام مراقب ألماني، الكونت وستارب (Westarp)، بعد عشرين عامًا، بالتشكيك أيضًا في أن الأفواج الحميدية لن تتمكن يومًا من أن تصبح فاعلة؛ إذ كانت في حاجة إلى إعداد صارم. مع ذلك، لم يُستدعَ الحميديون إلا لفترات تدريبية راوحت بين شهرين وستة شهور في السنة، على مدى السنوات الثلاث الأولى، ومن ثم شهرين، في السنوات التسع التالية[102]. جرت مناورات أفواج الفرسان الحميدية بشكل غير منتظم. على سبيل المثال، أُجلت هذه المناورات في عام 1900 بسبب نقص المال في خزائن الولايات وخُفّض عدد الموظفين. مثال آخر، هو إرسال الفوج الرابع والثلاثين في مادراك بـ 200 خيال بدلًا من 500 خيال كانوا مدرجين على الجداول[103]. كما أصبحت تدريبات التعبئة نادرة. في عام 1902، قامت السلطة العسكرية، في السر، بمحاولة حشد بضع سرايا من سلاح الفرسان في ألاشكرت، في ولاية أرضروم[104].

بعض ضباط الجيش النظامي الذين يخدمون في الأناضول الشرقية كان يشارك في نشاط جمعية الاتحاد والترقي، فوجد نفسه في منفى داخلي. ومع وضعه تحت إشراف دقيق، أشار إلى تجاوزات القادة الأكراد. وعلى سبيل المثال، ألقي القبض في عام 1897 على عشرين ضابطًا في موقع عسكري في أرضروم لحيازتهم مطبوعات وتبادل مراسلات مع جمعية الاتحاد والترقي. قبل ذلك بفترة وجيزة، عادت مفرزة من الفرسان الحميديين إلى اسطنبول محملة بالأوسمة والهدايا والمال من الهبات السلطانية[105]. وبينما ازداد عدد الضباط المتورطين في جمعية الاتحاد والترقي، فإن انتقادهم الفرسان الحميديين وزعيمهم - وهو

---

(101) A. P. Cholet (comte de), *Arménie, Kurdistan et Mésopotamie* (Paris: Plon, 1892), pp. 172-173.

(102) E. J. v. Westarp, *Unter Halbmond und Sonne* (Berlin: Veröffentl. d. Allgemeinen Vereins für deutsche Literatur, 1913), pp. 153-154.

(103) A.E.N. Erzerum (1898-1914), consulat de France à Erzerum, rapport no. 41 du 7 novembre 1900, adressé à M. Bapst, chargé d'affaires.

(104) S.H.A.T., 7N1634, Constantinople, rapport no. 731 du 30 mars 1905.

(105) FO 195/1985, Graves à Currie, no. 5, Erzurum, 12 février 1897,
وردت في: Klein, p. 185.

Scanned with CamScanner

انتقاد يشير إلى الخلل في النظام الحميدي - توسع بشكل متزايد داخل الجمعية، إلى حد أنهم خططوا لاغتيال زكي باشا. لكن مراد ميزانجي، زعيم جمعية الاتحاد والترقي، ردعهم[106].

مع اتخاذهم طابعًا غير شعبي، أصبح الحميديون موضوع الكثير من الشكاوى من شرائح المجتمع العثماني المختلفة، ومنهم المزارعون وضباط الجيش النظامي والمثقفون، بمن في ذلك القناصل الأوروبيون، الذين كان لكل منهم دوافعه الخاصة به.

كانت آثام الأفواج الحميدية، في أغلب الأحيان، مغطاة من السلطات العليا. أما قائمقام تورتوم، لطفي بيك، الذي ألقى مشير أرزينجان اللوم عليه لعدم استخدام سلطته لتغطية جرائم القتل والنهب التي قام بها الأكراد الحميديون في قضاء تورتوم، فهرب إلى روسيا[107]. عبّر عطا بيك، الوالي السابق لأرضروم، عن الأمر بالكلمات الآتية:

«هل تعتقدون أننا ولاة هذه الولايات؟ نحن في الواقع لسنا إلا أدوات للمشير الذي يعتقد بحق أنه السيد الحقيقي لهذه الولايات. والويل لأحدنا إن لم يعد يرضيه... من الذي تسبب أيضًا في تراجع هذه المناطق وجلب الخراب الكامل إن لم يكن زكي باشا؟»[108].

وفي إشارة منه إلى الثروة الهائلة التي جمعها المشير، قال عطا بيك:

«إبراهيم باشا وحسين باشا حيدرانلي والآخرون جميعهم ليسوا سوى شركاء وأدوات للمشير. إنهم مجموعة من قطاع الطرق والمجرمين، حيث الشخص الرئيس بينهم ليس الأقل ذنبًا...»[109].

يعطي الحادث الآتي فكرة عما يمكن أن يكون عليه أيضًا سلاح الفرسان

---

(106) وردت في:
FO 195/1985, Elliot à Currie, no. 42, confidentiel, Van, 18 août 1897,
Klein, p. 185.

(107) كان لطفي بيك يتمتع بسمعة الموظف الكفؤ والمستقيم ويحظى بتقدير السكان. يُنظر:
A.E.N. Erzerum (1898-1914), consulat de France à Erzerum, rapport no. 26, du 12 juin 1902.

(108)
A.E.N. Erzerum (1898-1914), vice-consulat de France à Erzerum, rapport no. 139 du 2 novembre 1906, M. le gérant à M. Constans, ambassadeur de la République française à Constantinople.

(109)

الحميديين. ذهب ضابط وجنديان من جيش الحدود المعاد من جورجيا إلى أرضروم مع أربعة مسافرين وستة من سائقي البغال عائدين بعلوفة العساكر في مرتفعات خنس، وعلى بعد ثمانين كلم في الجنوب الشرقي من أرضروم، تعرضت قافلتهم لهجوم من 25 خيالًا كرديًا حميديًا. قام الضابط والجنديان بالدفاع عن أنفسهم، لكن سرعان ما هُزموا. ولمعاقبة الضابط بسبب مقاومته، قطع الأكراد ألسنة قبل إطلاق سراحه. لم يقم والي أرضروم بأي متابعة لشكاوى المسافرين وسائقي البغال الذين نهبت بضائعهم، كما أن التشويه الذي لحق بالضابط بقي أيضًا من دون عقاب. هذا المثال يسلط الضوء على مشكلات غياب الطاعة والانضباط الفادحة عند الفرسان الحميديين[110].

اندلعت الصراعات أيضًا بين القادة الأكراد. على سبيل المثال نذكر المواجهة التي وقعت بين اثنين من أكثر القادة نفوذًا في عشيرة حيدران، أمين باشا وحسين باشا. هاجم أمين باشا باتنوس بثلاثة أفواج، مسببًا خسائر جسيمة لحسين باشا. قُتِلَ أكثر من 100 رجل في أثناء المشاجرة، ما تسبب في اضطرابات خطرة في المنطقة، حيث دعا زكي باشا جزءًا من احتياطي الفرقة السابعة إلى الخدمة للتصدي للهجوم[111].

كُلفت لجنة للتحقيق في الشكاوى ضد القوات الحميدية في عام 1899[112]. وأمضت أكثر من شهر في أورفه، للتحقيق في الوقائع التي قدمتها سلطات السنجق إلى الزعيم الكردي إبراهيم باشا وقواته الحميدية. وخلصت إلى نتيجة غريبة هي إقالة المتصرف. علاوة على ذلك، قدم متصرف دير الزور شكاوى مماثلة لقيت المصير نفسه، وحيث إنه كان «متهمًا رسميًا في نظر الحكومة» ولم يكن هناك رغبة في عودته إلى اسطنبول، أُرسل للإقامة في حلب[113].

---

(110) S.H.A.T., 7N1633, Constantinople, rapport no. 497 du 11 juin 1902.

(111) A.E.N. Erzerum (1898-1914), vice-consulat de France à Erzerum, rapport no. 45 du 13 juillet 1907, adressé à M. Boppe.

(112) تألفت اللجنة من ياورين في الحرس السلطاني، هما رئيس اللجنة اللواء أحمد رشدي باشا ويعاونه عميد، ومعهما موظف من وزارة الداخلية ومفتش عام من الشرطة. يُنظر: A.E.N., fonds Constantinople, échelles, Diarbékir (1874-1891), vice consulat de France à Diarbékir, rapport no. 23 du 11 octobre 1899, adressé à M. Constans, ambassadeur de la République française à Constantinople.

(113) Ibid.

نكررت عمليات النهب والقتل والسطو والحرق. وفي عام 1904، تمكن خليل آغا، زعيم حميديي عشيرة كاراكجي، وبفضل البرقيات الكثيرة المرسلة إلى اسطنبول، من إثارة اهتمام الباب العالي من جديد لمصلحة عشيرته. وتألفت بإرادة سلطانية لجنة مكونة من ستة مسؤولين[114]، كان عليها أن تجتمع في سيويرك (Siverek) لدراسة ادعاءات عشيرتي ملّي وكاراكجي ومحاولة التوفيق بينهما.

كان الوضع مضطربًا بشكل خاص في المنطقة الواقعة بين أورفه وسيويرك، حيث قام كثير من عصابات ملّي وكاراكجي بنشر الرعب في القرى؛ إذ كان إبراهيم باشا، الزعيم الكردي الأقوى في هذه الولاية، غنيًا جدًا وذكيًا وماكرًا، لكن الأهم من ذلك أنه كان محميًا من القصر، فبسط نفوذه يوميًا لإجبار جيرانه على دفع الجزية له. وأولئك الذين لم يطيعوه كان عليهم تحمل غضبه، وكانت تتم مداهمة قراهم[115]. لم يتردد إبراهيم باشا في شن هجوم في المدينة على الأحياء التي يسكنها خصومه من عشيرة الكاراكجي. في وضح النهار، قام 400 رجل من خيالته بالاعتداء على الحي الذي يسكنه الكاراكجي ومؤيدوهم في سيويرك. واضطر عدد قليل من الجنود والشرطة (الضابطية) (zaptiye) الموجودين في هذه المدينة إلى التدخل في أثناء القتال في الشوارع[116]. فضلًا عن ذلك، قام الأكراد الحميديون في الشمال بمداهمات وصولًا إلى أبواب المدن الكبرى، ومنها أرضروم[117].

لم تكن أفواج الفرسان الحميدية بمنأى عن عدم الانضباط السائد في الجيش. فقام فوجان من الأفواج الحميدية، تمت تعبئتهما للخدمة في النواحي

---

(114) ثلاثة ترسلهم ولاية حلب وثلاثة ولاية ديار بكر. يُنظر: A.E.N., fonds Constantinople, [illegible], Diarbékir (1874-1891), Vice consulat de France à Diarbékir, rapport no. 12 du 27 juillet 1904, [illegible] à M. l'ambassadeur de la République française à Constantinople.

(115) على سبيل المثال، قريتان كبيرتان تابعتان لمديرية أرغانه وتقعان على مسافة ثماني ساعات من ديار بكر غزتهما ونهبتهما قوات إبراهيم باشا قائد قوات الحميدية لعشائر الملّي. صودرت الأنعام والمواشي كلها من أصحابها، وقُتل ابن شيخ إحدى القريتين حين حاول المقاومة. وغداة الحادث هرب سكان 26 قرية تابعة للمديرية حاملين معهم مواشيهم كلها خوفًا من ضربة جديدة على يد فرسان إبراهيم باشا. يُنظر:

[illegible]

[illegible]

(116) يُنظر:

(117) A.E.N. Erzerum (1898-1914), consulat de France à Erzerum, rapport no. 14 du 7 août 1901, [illegible] à M. Constans.

الأوروبية، بتمرد في أدرنة في عام 1908. وعلى الرغم من أن السلطان كان قد أمر بالدفع للفرقة وبصرف الجنود الذين أنهوا خدمتهم، لم يكن بالإمكان تنفيذ هذا الأمر، بسبب عدم توافر المال. وكانت هناك حاجة إلى مبلغ 37,000 ليرة لاستكمال المتأخر من الأجور وضمان إعادة الرجال إلى ديارهم. لكن لم يتمكن الوالي من تسديد إلا 9000 ليرة إلى الإدارة العسكرية، وهو ما تبقى من رصيد في المصرف الزراعي. مع ذلك، رفض الجزء الأكبر من المتمردين مغادرة الثكنة ومسجد بايزيد، قبل الحصول على تأكيد رسمي بمنح عفو عام للجميع. ارتفع عدد المتمردين إلى 1300، من ضمنهم 700 خيال[118]. منذ بداية القضية، أعطى الفريق ناصر باشا الأمر إلى مفرزة تتألف من 100 جندي من المشاة بتحديد منطقة سلاح الفرسان. بيد أن هؤلاء الرجال، بدلًا من الطاعة، انضموا إلى المتمردين. ونال فرسان الفوجين الحميديين 26 مجيديّة، في حين لم ينل الرجال الذين يتمون إلى الأسلحة الأخرى سوى عشر مجيديات[119].

خلقت مأسسة الحميدية دينامية جديدة بين العشائر. في الواقع، كانت لهذه المؤسسة عواقب كبيرة في التركيب الاجتماعي المحلّي، حيث كانت العشائر التابعة للحميدية مسلحة من سلطة الباب العالي المركزية، ففرضت هيبتها وشكلت قوة قهرية في وجه العشائر الأخرى. ولَّد هذا الوضع بالتأكيد اختلالات داخلية وتراتبًا هرميًا بين العشائر نفسها. ووجدت العشائر غير الحميدية نفسها في موقف حقيقي من الوهن والضعف. لهذا السبب تطوع بعض العشائر كي يؤذن له بتأليف أفواج حميدية[120].

إضافة إلى ذلك، لم تختلف طرائق الباب العالي في ما خص الدفع حيال الحميديين، مع بطء أكثر بقليل بسبب موقعهم على هامش السلطنة. كما أن

---

(118) A.E.N., Constantinople, carton no. E 436, vice-consulat de France à Andrinople, rapport no. 10, Andrinople, le 24 mars 1908, M. Tynaire, vice-consul de France à Andrinople à M. Constans, Ambassadeur de la République française à Constantinople.

(119) A.E.N., Constantinople, carton no. E 436, vice-consulat de France à Andrinople, rapport no. 11, Andrinople, le 30 mars 1908, M. Tynaire, vice-consul de France à Andrinople à M. Constans, Ambassadeur de la République française à Constantinople.

(120) B.O.A., Y.E.E., K. 31, E. 21/IV, Z. 21, K. 131.

Scanned with CamScanner

وضع الحميديين المالي الصعب يمكن أن يفسر أيضًا سلوكهم في المطالبة بتلبية حاجاتهم ومعاملتهم معاملة عادلة[121].

كان الغرض من الأفواج الحميدية ليس حماية الحدود الشرقية للسلطنة فحسب، وإنما تعبئتها أيضًا لتكون متوافرة في مناطق أخرى عند الحاجة، أي العمل في منطقة أخرى من العمليات غير تلك التي أنشئت الأفواج من أجلها. هذا ما كانت عليه الحال بالنسبة إلى اليمن. في حزيران/ يونيو 1905، وصل أمر تعبئة فوج فرسان الحميديين رقم 40 مع سراياه الست[122] إلى السلطات العسكرية في سيواس[123]. وبحسب الأوامر المعطاة، كان يجب أن تتم التعبئة بعد خمسة وعشرين يومًا. لم يجر التخطيط لأي من هذه التفصيلات مسبقًا، فطلب العميد علي بيك من اسطنبول التعليمات الخاصة بهذه التعبئة. من الناحية النظرية، كانت هذه التعبئة بسيطة نسبيًا؛ إذ لم يستلم الفرسان الحميديون من الدولة إلا بنادقهم. أما الأسلحة الأخرى مثل الرمح والسيف أو المسدس، فكانت على حسابهم الخاص. وفي أوقات السلم، كانوا مسؤولين عن الحفاظ على حصان مسرج بالكامل. ومنذ بدء التعبئة، كانت السلطة العسكرية تزود بالغذاء الفرسان والخيول. وتمت تعبئة الفوج بالكامل تقريبًا في خلال 30 يومًا. ثم خضع للمراجعة بجدية كبيرة من الوالي في سيواس الذي سلّمه راية باسم السلطان. وفي أثناء هذه المراجعة، لوحظ تباين في سن الرجال، من المراهقين إلى كبار السن[124]. وإذا كانت الخيول جيدة على وجه العموم، فقد كانت ملابس الفرسان غير مرضية؛ إذ كانت لملابسهم ثلاثة نماذج تتطابق مع الأنواع الثلاثة من الأزياء التقليدية الرئيسة للعشائر المعنية. إلا أنهم حضروا إلى المراجعة من دون سلاح، لأن السلطة العسكرية لم تكن تسلمهم بنادقهم إلا في الإسكندرونة[125].

---

(121)

Ibid.

(122) تألفت هذه الوحدة العسكرية من قبيلة طي، وكان مركز التجنيد في مديرية ماردين. يُنظر:
S.H.A.T., 7N1634, Constantinople, rapport no. 759 du 27 août 1905.

(123)

Ibid.

(124) هنا تشابه مع فرسان الاحتياط التيمارية. يُنظر في ما يلي.

(125) عن هؤلاء، كان للملحق العسكري الفرنسي الملاحظة الآتية:... «في الأخير، كانت هذه القوة تبدو فعليًا وكأنها جمع من الوحوش»... يُنظر:

Ibid.

في 3 حزيران/ يونيو، صدر الأمر بتعبئة ثلاثة أفواج من عشيرة حيدرمانلي (رقم 23 و24 و25)[126]. وكان بعض الضباط قد أظهر استعداده للمقاومة، فقام حسين باشا بإطلاق النار على نقيب أعلن أنه غير قادر على الإسراع بتعبئة سريته، كما تعامل بطريقة «بربرية»[127] مع ضابط أعلى كان غير متعاون. هذان المثلان كانا كافيين لتحقيق الانضباط والطاعة[128].

استمرت رحلتهم إلى الإسكندرونة شهرين وخمسة أيام. وكان سبب هذا التأخير قلة الإعداد للتعبئة، من دون احتساب المساحات الشاسعة التي يجب اجتيازها للوصول إلى محطات السكك الحديد أو موانئ المغادرة. ويمكننا أن نستنتج أن تعبئة سلاح الفرسان الحميديين بأكمله سيدوم حكمًا مدة أطول من تعبئة فوج واحد.

لم ينفذ قادة الحميدية بسرعة أوامر التعبئة الصادرة عن الباب العالي، بل كانوا يطالبون إما بالحيوانات، وإما بمساهمة مالية. وعلى سبيل المثال، تحركت السلطات في عام 1904 للاستيلاء على الإبل لدى العشائر الحميدية لإعداد حملة ضد عشائر عربية معادية. وللقيام بذلك، أرسلت عددًا من وجهاء ديار بكر المسلمين إلى زعماء هذه العشائر. أما صندوق الولاية الذي يكون فارغًا عادة، فأرسل 2500 ليرة تركية إلى بغداد، وفتح باب الاكتتاب في مناطق الولاية جميعها لجمع المال لهذا الغرض[129].

---

(126) أبرق الجنرال حسين باشا من عشيرة الحيدرمانلي، قائد الأفواج 22 و23 و24 و25 التي كان مركزها في أرديش (عرعر)، إلى يلدز كي يطلب من السلطان عربونًا على وفائه أن يمنحه شرف الخدمة في اليمن مع عدد من الأفواج التي كان يقودها. لكن هذا الاقتراح غير الجدي كان له من سوء الحظ أن وافق عليه السلطان على العكس من التوقعات كلها. وجد حسين باشا نفسه مضطرًا إلى الاعتراف إلى حاميه المشير زكي باشا قائد الفيلق الرابع. وأعلمه هذا الأخير أنه من المستحيل تغيير قرار السلطان وبالتالي جرى تعبئة ثلاثة أفواج من الحيدرمانلي. يُنظر: Ibid.

(127) وهي صفة استخدمها الملحق العسكري الفرنسي. ونحن لا نعلم تمامًا ماذا كان يقصد بذلك. Ibid.

(128) Ibid.

(129) A.E.N., fonds Constantinople, échelles, Diarbékir (1900-1914), Vice consulat de France à Diarbékir, rapport no. 16 du 30 décembre 1904.

Scanned with CamScanner

في ثلاث مناسبات مختلفة، دعي زعيم عشيرة ملي الحميدية للمراسلة مع القصر من طريق التلغراف، وذلك باستخدام الجدول المشفر الموجود في حوزته. على الرغم من السرية التي أحاطت بهذه المراسلات، أعلن إبراهيم باشا أنه كان من المستحيل بالنسبة إليه تقديم 5000 جمل طُلبت من محطة التلغراف في ماردين. وقال إن قبيلته تمتلك نوقًا لا يمكنها أن تحمل هذه الأحمال الثقيلة من أنقرة الى بغداد[130].

طُلِب من إبراهيم باشا أن يسافر إلى بغداد مع أفواج الفرسان الحميديين الثلاثة عشر كي يضع نفسه تحت تصرف قائد الفيلق السادس. وبعد خمسة عشر يومًا، أجاب من أورفه بأن سفره وفرسانه من شأنه أن يوفر لعشائر شمّر وعنزة وطي العربية التي كانت في حالة حرب معه، فرصة جيدة جدًا لمهاجمة قبيلته. أخيرًا، وأمام الضرورة القصوى التي أبلغ له عنها، تعهد من سيويرك، بتوفير عدد معين من الجمال برفقة الفرسان[131].

3- الاتحاديون وزعماء العشائر الحميدية: نحو نهاية السلطات المحلية (1908-1914)

نشر إعلان الدستور البهجة في الأناضول الشرقية أيضًا. وأعطى هذا النداء من أجل الحرية والمساواة الأمل بإنهاء الصلاحيات شبه الإقطاعية للآغاوات ووضع حد لتجاوزات القوات الحميدية. كانت الملكية الدستورية الثانية تعني نهاية المؤسسة العسكرية التي أنشأها عبد الحميد، أي القوات الحميدية التي حُلّت[132]. في الواقع، لم تلغ بل جرى الاستيلاء عليها. وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 1908، أعلنت الحكومة أن الحميديين أصبحوا منذ ذلك الحين ميليشيات احتياطية مسؤولة عن أفعالها أمام المحاكم المدنية والعسكرية.

كان يُنظر إلى الدستور باعتباره يشكل تهديدًا لمؤيدي النظام السابق جميعهم.

---

(130) Ibid.

(131) Ibid.

(132) Mac Dowall, p. 95.

وأول من رحل، منذ آب/ أغسطس، كان زكي باشا. وحل مكانه أحمد باشا الذي قاد أفواج الحميديين في منطقة ملازغرد. ومن ثم في نهاية آب/ أغسطس، أعطت الحكومة الجديدة أمرًا بوقف إبراهيم باشا عن العمل (من عشيرة ملّي). وكان هذا الأخير قد نجح برفع عدد قواته من 4000 إلى 5000 رجل، إلا أنه واجه صعوبة بسبب قوة عسكرية عثمانية مهمة طوقته في ويرانشهر، وتوفي في خلال هذه الحوادث. أما عشيرة ملي التي هزمتها السلطات المركزية، فانتهت كوحدة قتالية. وإذا كانت الهزيمة السريعة لإبراهيم باشا قد أراحت سكان ديار بكر، إلا أنها أقلقت الطبقة القديمة لزعماء العشائر، من وجهاء وشيوخ كانوا بمنزلة عجلات النظام الحميدي[133].

في خريف 1909، عبرت مجموعة من هؤلاء القادة، وبشكل أساس قدامى الضباط الحميديين بقيادة حسين باشا (من عشيرة حيدران) إلى الجانب الآخر من الحدود الفارسية، حيث كان في استقبالهم خان ماكو. هربوا ليس من الدستور فحسب، لكن من ملاحقات قضائية أيضًا بما في ذلك متأخرات ضريبية غير مدفوعة، تعود إلى ما قبل عام 1908. بعضهم، مثل مفتي خربوط[134]، لم يتوقع أي شيء آخر سوى نهاية الإسلام عند الإعلان عن «الثورة».

بدأ بعض الشيوخ بإثارة اضطرابات محلية معادية للنظام الجديد، ومنتقدة الإصلاحيين الاتحاديين وإلحادهم. وفي خلال «الثورة المضادة في عام 1909»، حبكت المؤامرات في اسطنبول، وكذلك في شمال سوريا. وتَجَمَّعَ المتآمرون في جنوب شرق الأناضول، برعاية قادة الحميدية السابقين والشيوخ.

في تموز/ يوليو 1910، أرسل والي فان شيخًا هو محمد الصادق إلى بلاد فارس، لإقناع القادة الحميديين السابقين بالعودة من بلاد فارس. وعادت الأفواج الحميدية التي حُلَّت لتتشكل من جديد تحت اسم أفواج الفرسان الخفيفة. قُوّضت السياسة القمعية للقوى القديمة وكذلك تجاوزات القادة الأكراد. حتى

---

(133) Ibid., p. 96.

(134) هي معمورة العزيز أو إلازغ السابق ذكرها. (المراجع)

أن بعض الآغاوات قد انخرط في جمعية الاتحاد والترقي[135]. مع ذلك، طورت هذه الجمعية خطابها باتجاه النزعات القومية الإسلامية، لتستخدمه لاحقًا في استنهاض هذه الأفواج ضد غير المسلمين.

بعد أن سُميت بأفواج الفرسان الخفيفة (aşiret hafif süvari alayları)، جرى تنظيمها عبر قانون (nîzâmnâme) في 16 شعبان 1328 (23 آب/ أغسطس 1910) تضمن 71 مادة. لم يختلف هذا التنظيم كثيرًا عن سابقَيه العائدين إلى عامَي 1891 و1896[136]، حيث أشار إلى وجود 64 فوجًا عشائريًا[137].

---

(135) Ibid., p. 99.

(136) *Aşiret hafif süvari alayları nizâmnâmesi* (Istanbul, 12 *şabân* 1326 H.).

(137) كان تنظيم كادر كل فوج (آلاي) على الشكل الآتي:

1 قائد فوج برتبة عميد (alay kumândanı): بنباشي (بكباشي - مقدم) أو يوزباشي (نقيب) من الجيش النظامي.

1 أو اثنان زعيم عشيرة: بنباشي عشيرة (مقدم عشيرة)، وإذا كان الفوج يتشكل من وحدتين أو ثلاث وحدات فيكون عنده قائدان من رتبة كول آغاسي (رائد ثانٍ، أي قائد كتيبة) أو قائمقام (عقيد).

1 كاتب للفوج (alay kâtibi) (سكرتير): من الجيش النظامي.

1 كاتب ثانٍ (سكرتير ثانٍ): من العشيرة. وإذا لم يوجد واحد في العشيرة يُضم إليها سكرتير مساعد (كاتب) من الجيش النظامي.

1 إمام: من العشيرة.

1 طبيب يوزباشي (tâbib yüzbaşı) (نقيب): واحد لكل ثلاثة في أوقات الحرب.

1 طبيب بيطري يوزباشي (baytâr yüzbaşı) (نقيب بيطري) برتبة بنباشي (مقدم).

1 نقيب صيدلاني (eczacı yüzbaşı)

1 فني أسلحة (Tüfekçi ustası): بحسب المنطقة يكون هناك واحد لكل فوجين أو ثلاثة أفواج.

كادر السرية (bölük)

1 يوزباشي (نقيب): قائدًا للسرية يكون من الجيش النظامي.

1 ملازم أول قائدًا لفصيل (طاقم بالتركية) يكون من الجيش النظامي.

1 ملازم ثانٍ قائدًا لفصيل (طاقم) يكون من العشيرة.

الجنود النظاميون العاديون

كاتبان (alay kalemi yazıcı) يكونان من العشيرة، وإن تعذر فمن الجيش النظامي.

1 مساعد فني أسلحة (tüfekçi yamağı).

20 أمين مستودع (depo muhâfızı): من العشيرة.

كان عدد ضباط الجيش النظامي كبيرًا بهدف الإشراف عن كثب على ضباط العشائر. علاوة على ذلك، كان المطلوب من ضباط العشائر أن يحسنوا قراءة اللغة التركية وكتابتها[138]. بعد ذلك، أنشئت لجنة مراقبة لفرسان العشائر مؤلفة من سبعة أعضاء ويرئسها لواء ركن (فريق). ونُشِرَ قانون تشكيل أفواج الفرسان الخفيفة للعشائر (aşiret hafif süvari alaylarının (cerâd) harekâtına mahsus ta'limât) وتحركاتها في عام 1911/ 12 (1327هـ)[139]. ورأت القيادة، من أجل الاستخدام الأمثل لهذه الأفواج، تدريسها المناورات المستخدمة في الجيوش الأجنبية.

أعيد تنظيم هذه الأفواج من طريق خفض عديد الفرق[140]. وقسمت الفرق إلى أربع، كانت مراكزها هي الآتية:[141]

= بعد سنتين، أي في عام 1912 (1328هـ)، روجع هذا التدبير وعدّل ليتكون من 120 مادة. جرى تجميع أفواج العشائر في فرق. وكان تأطير الفرق على الشكل التالي:

قائد فرقة برتبة ميرلواء (لواء).

ضابط أركان الحرب (Erkan-ı harp): بنباشي (مقدم) أو يوزباشي (نقيب).

ضابط ملحق (Mülhâk zâbit): يوزباشي (نقيب) أو ملازم أول.

مأمور مهمته تجنيد العساكر (Ahz-ı asker memuru): قائد الفوج أي عميد (alay emiri) أو سكرتير الفوج (alay kâtibi).

مأمور مدني (sivil memur).

ضابط صف (أو ضابط مساعد) (Küçük zâbit).

ساعي أو فراش مكتب (أوضجي – Odacı).

Klein, p. 225.

(138) *Aşiret hafif süvari alaylarının (cerâd) harekâtına mahsus ta'limât* (Istanbul, 1327).

(139) في تشرين الثاني/ نوفمبر 1910 وصل العميد الركن فخري بيك والملازم في سلاح الفرسان رفعت بيك يرافقهما خمسة ملازمين، إلى فيرانشهر من أجل إعادة تنظيم الأفواج الحميدية القديمة. ومن الأفواج الأربعة التي كانت في ما مضى في فيرانشهر، كان عليهم تشكيل ثلاثة تحمل اسم «فوج الفرسان الخفيف»، تحمل الأرقام 41 و42 و43. على أن تُضم هذه الأفواج إلى الفرقة الرابعة المتمركزة في أرزنجان. يُنظر: A.E.N., fonds Constantinople, no. 436, carton no. 106, dossier no. 190, vice-consulat de France à Diarbékir, rapport no. 22, du 8 novembre 1910, Diarbékir, M. Kouri à M. Bompard, Ambassadeur de la République française à Constantinople.

(140) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 434 du 12 mai 1912.

(141)

Scanned with CamScanner

الجدول (3 - 1)

مراكز الأفواج الحميدية[142]

فوج الفرسان الخفيفة للعشائر	المركز
الأول	أرضروم
الثاني	كاراكيليس
الثالث	أرديش
الرابع	ماردين

في كل من هذه المراكز، جرى إرسال فوج من الفرسان النظاميين ليكون مدرسة للضباط وضباط الصف من العشائر، وقدوة للأفواج الإضافية، التي تُجمَّع بشكل موقت، من أجل مناورات تستغرق شهرًا تقريبًا. ويجب عدم الخلط هنا بين الأفواج/ المدرسة والأفواج/ النماذج التي أنشئت في عقب «ثورة 1908» لتطوير سلاح الفرسان النظامي، تحت قيادة ضباط ألمان. وفي أرضروم، أنشئ فوج جديد للفرسان، هو الفوج 39[143].

في عام 1910 أمرت وزارة الحربية بحل أفواج الفرسان من العشائر التي جرى توطينها الحضري [فلم تعد من العشائر الرحل]، والتي باتت تُطبَّق عليها قواعد التجنيد[144]. ولو جرى تطبيق هذه الأحكام بحرفيتها، فإن العدد كان سينخفض بمقدار النصف. وسرى ذلك في ولاية ديار بكر، كما ولد تشريع جديد في العام نفسه. أولًا وقبل كل شيء، شُكلت أفواج سلاح الفرسان الخفيف من عشائر البدو الرحّل وشبه الرحّل. ومن ثم، أنشئ فوج جديد للفرسان النظاميين العشائريين (aşiret nizâmiye süvari alayı). تدرب جنود هذه الأفواج مع جنود

---

(142) وردت في: FO 195/347 télégramme de Matthews à Lowther, Harput, 27 aout 1910, Klein, p. 222.

(143) Ibid.

(144) Ibid.

الجيش الاحتياطي، لكنهم كانوا يقسمون إلى فرق خاصة في أوقات الحرب. وكان من المخطط له خفض عدد القوى فيها من 64 إلى 24 فوجًا. شكلت هذه الأحكام مرحلة انتقالية بين نظام يقوم على غير النظاميين، ودمج هؤلاء بالجيش النظامي. كما خُفضت الإعفاءات الضريبية: فألغيت ضريبتا الأغنام والعُشر[145]. وفي عام 1913، لم يعد هناك سوى 25 فوجًا[146].

في عام 1914، قُدمت تقارير متضاربة. وتقرر الاحتفاظ بهذه القوات، لكن مع دمجها بالجيش النظامي. علاوة على ذلك، كانت القوات على اتصال متزايد بالقوات النظامية. على سبيل المثال، في أيلول/ سبتمبر 1910، أُرسل 330 مجندًا مسيحيًا جديدًا من البلقان إلى فان من أجل أن يتعود رجال العشائر التعايش مع المسيحيين في صفوفهم[147]. وفي نيسان/ أبريل 1914، أُلغي بعض أفواج الفرسان ضمن إطار إعادة تنظيم الجيش[148].

وجهت جمعية الاتحاد والترقي القادة الأكراد وراقبتهم بشدة. كما أنزلت بهم عقوبات شديدة لإخافتهم. غير أن عمليات إعدام الشيوخ والقادة الأكراد أثارت الكراهية[149]. وسعى الاتحاديون لدمج الأطراف بالفضاء العثماني، من حيث التعليم والخدمة العسكرية وغيرها من المؤسسات.

4- محاولات في ولايات أخرى

تمت محاولات في ولايات أخرى من دون إحراز نجاح حقيقي. في العراق، كان رجب باشا، القائد العام للفيلق السادس، مسؤولًا عن تجنيد العشائر العربية:

---

(145) Klein, p. 223.

(146) FO 195/2450 rapport du col. Hawker, 31 octobre 1913.

(147) FO 195/2347 Molyneux-Seel à Lowther, no. 19, Van, 7 septembre 1910,

وردت في: Klein, p. 228.

(148) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 711 du 7 avril 1914.

(149) A.E.N., fonds Constantinople, échelles, Diarbékir (1900-1914), vice-consulat de Diarbékir, rapport no. 6 du 20 juin 1914, M. Cassapion, gérant du vice-consulat à M. l'ambassadeur de la République française à Constantinople.

Scanned with CamScanner

شُمَّر وعنزة وطي[150]. وفي عام 1892، طُورت مشروعات جديدة لفيالق الجيش الخامس والسادس والسابع (سوريا والعراق واليمن)، من دون التوصل إلى نتيجة[151]. وفي عام 1894، لم ير مشروع تجنيد فوج درزي في لبنان النور البتة[152]. لم يتحقق الأمر إلا في طرابلس الغرب، وتألف من الكولوغلو[153] وعرب الداخل الذين كان بإمكانهم توفير 15,000 من الخيل. وكان على الخيال غير النظامي تأمين حصانه وسرجه وغذائه وغذاء دابته. ولم تقدم إليه الحكومة إلا السلاح، أي البندقية والسيف. كما لم يتدرب هؤلاء الرجال، بل حافظوا على تنظيمهم ذي الطابع «التقليدي» الذي تقوم صفاته على الشجاعة والقدرة على التحمل[154].

في ألبانيا، صمد تنظيم التيمارجيين شبه الإقطاعي في مقاطعة أشقودرة حتى أوائل القرن العشرين. وفي عام 1898، دعت تقارير إلى إنشاء مؤسسة مماثلة للحميدية لحشد العشائر الألبانية[155]. وطرحت هذه الفكرة مرة أخرى في أوائل عام 1908. هذه المرة، ما عاد الأمر يتعلق بالقوات الحميدية، وإنما بكتائب إضافية ألبانية. وخضع السكان للإحصاء من دون صعوبات كبيرة جدًا، لكنهم استقبلوه بتحفظ. وخشي الألبان من أن تمهّد هذه العملية لفرض التجنيد الإجباري لاحقًا عليهم. وقبلوا على مضض بالمدربين العثمانيين، لكنهم طالبوا بأن يكون القادة عليهم ألبانًا. إلا أن الحكومة حافظت على القيادة الفعلية لضباط الجيش النظامي، ولم تمنح إلا الرتب الفخرية للألبان[156].

---

(150) FO 424/172, no. 26, col. Chermside à Ford, no. 9, Istanbul, 19 mars 1892.

(151) FO 195/1766; FO 424/172, Fitzmaurice à Hampson, no. 15, Van, le 11 juin 1892, وردت في:
Klein, p. 86.

(152) FO 195/1837, Chermside à Curie (ambassadeur), Istanbul, 4 juin 1894, draft no. 32.

(153) يتحدرون من الجنود والموظفين الأتراك الذين كانوا قد تزوجوا من بنات البلاد في بداية الفتوحات العثمانية.

(154) S.H.A.T., 7N1631, Constantinople, rapport no. 129 du 18 janvier 1895.

(155) FO 195/2016, col. Ponsonby à O'Conor, no. 15, confidentiel, Istanbul, 23 novembre 1898, وردت في:
Klein, p. 87.

(156) S.H.A.T., 7N1635, Constantinople, rapports no. 197 du 26 février 1908 et no. 213 du 14 avril 1908.

Scanned with CamScanner

الصورة (3-4)
فوج كتيبة المشاة الحميدية في طرابلس الغرب
(مجموعة IRCICA)

إضافة إلى ذلك، هل كانت هذه المؤسسة ستشمل الألبان المسيحيين؟ كان الوالي موافقًا على ذلك. في المقابل، لم يكن المسلمون متحمسين لهذا الأمر؛ إذ سيشكل المسيحيون الأغلبية في الأفواج الجديدة. كما لم يكن من المجدي تجنيد السكان المسلمين فحسب، وإلا اختل التوازن بين الطائفتين[157]. لذلك أبقيت الأمور على وضعها القائم.

ثالثًا: نحو نهاية الإعفاءات: طرابلس الغرب (1902)

كانت الحكومة قلقة إزاء الوضع غير المستقر في طرابلس الغرب، حيث كانت معزولة في شمال أفريقيا، ويصعب إيصال المساعدة إليها في حال تعرضها

(157) S.H.A.T. 7N1635, Constantinople, rapport no. 213 du 14 avril 1908.

Scanned with CamScanner

لهجوم. الأطماع الإيطالية في طرابلس، إلى جانب النمو المتزايد في العلاقات التجارية الإيطالية، عززت مخاوف الحكومة العثمانية. منذ عام 1897، فُرضت على الليبيين تدريبات عسكرية سنوية. وفي بداية عام 1901، قامت الحكومة العثمانية، مدفوعة من الوالي محمد حافظ باشا، وهو رجل ناشط وفاعل جدًا، بإصلاحات أعمق. وفي 15 حزيران/ يونيو 1901، صدرت إدارة سلطانية بإرسال لجنة خاصة إلى طرابلس لإكمال عمليات الإحصاء، ودعي وزير الحربية في الوقت نفسه إلى إرسال اثنين من كبار الضباط إلى طرابلس الغرب لتأليف لجنة، مع مسؤولين مدنيين، مهمتها المضي قدمًا بعمليات التجنيد[158]. كما توجه وفد من وجهاء طرابلس الغرب إلى اسطنبول في بداية شباط/ فبراير 1901، حاملًا الهدايا الكبيرة إلى السلطان، فضلًا عن رغبة رعاياه العرب الأوفياء في إظهار دعمهم لهذه التدابير[159].

في وقت لاحق، أُرسل فريق سلاح الفرسان فون رودغيش باشا، وهو ضابط ألماني في خدمة السلطنة، لقيادة تدريبات الميليشيات على ركوب الخيل. في الواقع، كان عليه اختبار مقاومة هذه الميليشيات لقوات نظامية. وفي نهاية تشرين الأول/ أكتوبر 1901، انتشرت ملصقات إلغاء الإعفاء من الخدمة العسكرية في ولاية طرابلس الغرب. وابتداء من آذار/ مارس 1902، أصبح الشبان الطرابلسيون مجندين لمدة عامين في الولاية[160].

وفرت المدرسة العسكرية التحضيرية (الرشدية) في طرابلس الغرب تعليمًا ابتدائيًا صار في ما بعد إعداديًا، مع برنامج للتعليم الثانوي والتدريب العسكري التحضيري الذي كان معتمدًا للمدارس العسكرية العثمانية. وكان هناك سعي لإنشاء قوة عسكرية إضافية مؤلفة من حوالى 12,000 رجل، بفضل هذ التنظيم الجديد[161].

---

(158) كانت هذه اللجنة برئاسة الوالي وتشكلت من عضو في مجلس إدارة الولاية ومستشار دولة ووجيه من البلاد وعميد وعقيد. يُنظر:
Ibid.

(159)
S.H.A.T., 7N1633, Constantinople, rapport no. 473 du 11 avril 1902.

(160)
Ibid.

(161) في تلك الفترة كانت هناك 28 مدرسة رشدية و7 إعدادية في السلطنة. يُنظر:
S.H.A.T., 7N1633, Constantinople, rapport no. 452 du 21 janvier 1902.

Scanned with CamScanner

اتخذ السلطان عددًا من التدابير الجيدة لمصلحة سكان الولاية. وأعلن في وقت مبكر من آذار/ مارس أن ميناء طرابلس الغرب سيبنى على حساب المنحة السنوية. وشُكلت لجنة في بنغازي لاستكمال بناء سور الميناء الذي كان قد عُلّق سابقًا. وفي نهاية أيار/ مايو 1901، أعلنت إرادة سلطانية تخصيص ما مجموعه 313,200 قرش من ميزانية الحرب لبناء عشرة تحصينات بين طرابلس الغرب وبنغازي. لكن هذه التدابير قوبلت بالاحتجاجات، ولم يسرِ تنفيذ التجنيد إلا في نهاية عام 1902.

أخفقت هذه التدابير الحميدة في نزع العداء من قلوب القادة العرب. وبينما قدم الوالي محمد حافظ باشا الطرابلسيين على أنهم شديدو الحرص على الخدمة تحت الراية العثمانية، احتج هؤلاء بقوة ضد التجنيد. ومن أجل قمع الساخطين، أُرسلَ 18 رجلًا إلى المنفى في بنغازي وجرى نقلهم بواسطة سفينة شراعية حربية عثمانية.

لم يتم تطبيق القانون من دون معوقات، حيث وقعت شجارات، ولم يكن بالإمكان تطبيق التجنيد هناك في خلال عام 1902[162]. إلا أن مالية السلطنة كانت مثقلة جدًا كي يزاد عدد الرجال الذين كانوا يُنقلون سنويًا من أوروبا أو آسيا إلى أفريقيا. لذلك كان لا بد من المحاولة، مهما كان الثمن، بغية تعزيز الفرقة العسكرية الموجودة هناك. إضافة إلى ذلك، كان يعوَّل على الضريبة العقارية لتعزيز موارد جديدة[163].

في عام 1902، أنشئت قوة من ثلاثين خيّالًا من الهجانة في طرابلس الغرب، كانت مسؤولة رسميًا عن سلامة الطرق بين غدامس وسيناون ونالوت[164]. حتى ذلك الحين، تأمنت خدمة الدرك من خلال الكولوغلو، وهم عرب من أبناء الأتراك ونساء السكان الأصليين أو العبيد، في خلال الاحتلال العثماني الأول. شكل أبناء الموظفين الأتراك طبقة متميزة، مع إعفائهم من كل ضريبة، وكان عليهم الحفاظ

(162) S.H.A T., 7N1633, Constantinople, rapport no. 543 du 28 janvier 1903.

(163) S.H.A T., 7N1633, Constantinople, rapport no. 473 du 11 avril 1902.

(164) في الأصل الفرنسي للكتاب هي فالوت (Valut) ولعله خطأ طباعي إذ هي نالوت (Nalut) قرب سيناون وغدامس لجهة الحدود التونسية. (المراجع)

على خيولهم على نفقتهم الخاصة. إلا أن هذا الامتياز سُحب منهم لاحقًا وأدخلوا في صفوف دافعي الضرائب[165].

قام هذا التنظيم المحلي للجنود الطرابلسيين في وقت لاحق بدور مهم في الدفاع عن الولاية في خلال الحرب الإيطالية - التركية. وتمثل ولاية طرابلس الغرب مثالًا على مساحة طرفية تابعة للنظام المركزي. وعلى الرغم من إعادة التنظيم المحلية هذه ومقاومة الإيطاليين في خلال الحرب الإيطالية - التركية في عامي 1911 و1912، أُجبِرَ العثمانيون على قبول معاهدة أوشي (Ouchy). في الواقع، كان ميزان القوى الدولية غير مواتٍ للسلطنة التي هوجمت من الأطراف جميعها. لكن في طرابلس الغرب، وبفضل التركيبة التي اعتُمِدَت، استمر القتال حتى عشرينيات القرن العشرين.

---

(165) S.H.A.T., 7N1633, Constantinople, rapport no. 486 du 12 mai 1902.

القسم الثاني

ضباط وجنود ونزاعات في الجيش

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

نود أن نطرح مسألة التنوع الذي كان طاغيًا في الجيش العثماني. لقد سادت الفوارق بين فرق الجيش والمواقع العسكرية والجنود، والضباط أيضًا. وكي نعرض لهذه التباينات في مجريات حياة الضباط، سوف نوجز عددًا من سير كبار المسؤولين العسكريين، وبالتالي، فإننا نقترح مقاربة الجيش «بحسب منصب كل رجل»، لاتخاذ الأفراد موضوعًا للدراسة، ولإمعان النظر في جوانب حياتهم ومهنهم ومخاوفهم المختلفة التي لم تكن عسكرية كلها. في القرن التاسع عشر، كانت هناك نخبة صغيرة تتألف من الضباط العثمانيين المتعلمين الذين يتمتعون بوضع خاص جدًا في المجتمع وبتعدد حقيقي في القدرات. وكما كانوا كوادر في الجيش بطبيعة الحال، هدفوا إلى شغل مناصب مدنية أيضًا. وكانوا ينتمون إلى هيئة النخبة والتميّز في مجال التدريب، وينشدون ريادة المعارف. وفي الحقبة الحميدية، شغل هؤلاء الضباط مناصب المسؤولين في الولايات أيضًا، ونمت هذه الحركة بعد «ثورة تركيا الفتاة» في عام 1908 التي كانت من صنعهم.

تبرز من هذا التنوع أيضًا تعبيرات مختلفة، ونود أن نركز اهتمامنا على ظاهرة ذات أهمية خاصة، في النوعية والكمية، تكررت في الجيش عند نهاية الدولة العثمانية، وهي حالات الاعتراض ومظاهرها في الجيش، عند الضباط والجنود على حد سواء. عبَّر الضباط والجنود عن اعتراضات كثيرة، وسوف نحاول تحليلها لفهم كيف تجمَّعت لتؤدي في بدء الأمر إلى الخاتمة المجيدة، أي «ثورة تركيا الفتاة» في عام 1908، ومن ثم إلى نهاية النظام الحميدي بسرعة كبيرة واستيلاء الجيش على السلطة. وللقيام بذلك، يبدو من المهم أيضًا تحليل أشكال الاعتراضات العسكرية وتفاعلاتها مع تلك الآتية من الفئات الاجتماعية الأخرى؛ أي علاقاتها بالمعارضة المدنية والحركة الدستورية على وجه

Scanned with CamScanner

الخصوص. وسيتم إيلاء اهتمام خاص بالثورات التي قام بها الجنود، والتي تستحق أن تدرس كموضوع خاص بذاته، بعد أن أُهمِلَت مدة طويلة بسبب هوية منفذيها، ولذلك لم تُحلَّل باعتبارها جزءًا لا يتجزأ من الديناميات العسكرية في ذلك الوقت.

Scanned with CamScanner

الفصل الرابع

الغازي في مقابل الفرد
ثلاثة عمداء عثمانيين في مواجهة السلطة الحميدية: أحمد مختار وسليمان وعثمان

من أجل مقاربة رجل الحرب العثماني في أواخر القرن التاسع عشر، اخترنا عرض سيرة بعض الضباط القادة الذين ينتمون إلى النخبة. وللقيام بذلك، اخترنا ثلاث شخصيات كبيرة، بعضها مختلف جدًا عن بعضها الآخر، لكنها تشترك في لقب غازي (Gâzî) الذي مُنح لها[1] في خلال الحرب الروسية - التركية (1877-1878). هؤلاء الضباط الثلاثة الذين برزوا في المعارك، هم ثلاثة «شجعان بامتياز»: أحمد مختار وسليمان وعثمان. إلا أن مصائرهم كانت متباينة جدًا ما جعلهم محط اهتمام بالنسبة إلينا لوضعهم تحت المجهر.

ساهم إضفاء القداسة النسبي عليهم في ترقيتهم إلى مرتبة الأبطال الوطنيين من السلطة السياسية التي يمثلها السلطان. لكن ما كان الهدف من ذلك، وما الواقع الذي كان يعكسه؟ وما كانت خطاباتهم واستراتيجياتهم كجهات فاعلة؟ لقد سعينا إلى فهم «فرديتهم العسكرية»، خصوصًا في علاقاتهم بالسلطة الحميدية، قبل إعادة موضعتهم داخل النسيج العسكري.

(1) في خلال الحروب، حمل الملوك أو القادة العسكريون المنتصرون على الكفّار لقبًا نصف ديني وهو «الغازي» (Gâzî)، أي المنتصر.

لمقاربة هؤلاء الأفراد، أعدنا بناء سيرهم الذاتية، ومن ثم بلورناها في ضوء مصادر أكثر تفصيلًا، مثل المذكرات والكتابات الشخصية وكتابات الآخرين، والمؤرخين... ومن ثم أخذنا في الحسبان هذه المصادر المختلفة.

الصورة (4-1)

الغازي أحمد مختار باشا

(مجموعة IRCICA)

أولًا: الغازي أحمد مختار باشا
أو المجد من دون السلطة (1839-1919)

اخترنا أحمد مختار لأنه فرد أثبت وجوده وعمل على تحديد مصيره، وتحمل مسؤولية أفعاله وتلا اعترافاته في مذكراته المكتوبة، عبر أسلوب دينامي مكّنه من اتخاذ مكانه. بمعنى آخر، كان يكمل نفسه من خلال الكتابة، وعشرات الأعمال المكتوبة هي دليل على ذلك. كان هذا الضابط الرفيع الرتبة ينتمي إلى النخبة ويبدو تفرده أقرب إلى الفهم.

نحن نتكلم إذًا على ضابط كبير في مهنة مرموقة تحتاج إلى أن يُسَلَّط الضوء عليها. وسوف نسأل عن علاقاته بالسلطة وتطورها، وتأثير أفكاره في محيطه. وعبر مقاربة تحليلية، سوف نعرض لترقيته وتهميشه التدريجي. وبطريقة استقرائية أكثر، سنحاول فهم تصوره الخاص للأمور وفهم تصور الآخرين له.

1- مسيرته العسكرية

أ- تدريبه

الغازي أحمد مختار باشا، المولود في عام إعلان «التنظيمات»، هو واحد من ألمع العمداء في الجيش العثماني في النصف الثاني من القرن التاسع عشر[2]. في عام 1839، دخلت الدولة العثمانية حقبة من التغيرات والتحولات الكبيرة بوتيرة سريعة جدًا. كان أحمد مختار باشا متجذرًا في هذه الأرضية الجديدة، ومتعطشًا للتغيير والتحديث. وكونه يتحدر من عائلة مكونة من وجهاء الولايات وتجار الحرير في مدينة بورصة ويتحدرون من قسطموني[3]، فقد أتم دراسته كلها في المدارس العسكرية الجديدة التي أُسست في عهد التنظيمات[4]. وبما أنه تربى على روحية الإصلاح العثماني، كان طالبًا لامعًا ولافتًا بشكل خاص. تخرج برتبة مقدَّم في المدرسة الإعدادية العسكرية في بورصة في عام 1856، ثم في الكلية الحربية في عام 1860، وأخيرًا في كلية الأركان العامة في عام 1861. وهو، بطريقة ما، وليد التنظيمات، ويحمل روح الجيش المعاد إصلاحه وفكره.

بدأ أحمد مختار باشا دراسته في مدرسة الحي، ثم تلقى في سن التاسعة دروس اللغة العربية في مدرسة المسجد الشهير أولو جامه (الجامع الكبير) في بورصة، لمدة ثلاث سنوات. توفي والده في عام 1845، وتربى على يد جده

---

(2) ولد في 23 شعبان 1255 هجرية، أول تشرين الثاني/ نوفمبر 1839، في بورصة.

(3) والده كان الحاج خليل آغا من أسرة قاطرجي أوغلو.

(4) التنظيمات كانت أكبر الإصلاحات التي اعتمدت في الدولة العثمانية في خلال القرن التاسع عشر. وتجلت أولى نقاط القوة في اعتماد الفرمان السلطاني المعروف باسم خط شريف كلخانه (1839) والثاني فرمان خط همايون في عام 1856، وتوجت الإصلاحات بإقرار أول دستور عثماني في عام 1876.

Scanned with CamScanner

الحاج إبراهيم أدهم آغا. وبناء على مبادرة جده[5]، بدأ دراسته في المدرسة الإعدادية العسكرية في بورصة[6] في سن الثانية عشرة، أي في عام 1851، ولمدة خمس سنوات. فقد والدته في سن مبكرة، فالتحق بالمدرسة الداخلية. ومثلت هذه الخطوة نهاية حياته الأسرية. عانى صعوبات مادية في أول سنتين، حيث اختبر قساوة العيش؛ إذ لم يكن لديه سرير للنوم، وكان يزور جده مرة واحدة في الأسبوع، يوم الجمعة[7]. مع ذلك تخرج طالبًا متفوقًا وتابع دراسته ابتداءً من عام 1856 في الكلية الحربية في اسطنبول[8]. مرة أخرى، احتل المركز الأول على دفعته التي كانت تتألف من مئة وأربعين طالبًا، برتبة نقيب (يوزباشي) في آذار/ مارس 1860. ثم درس في كلية الأركان العامة لمدة عام وتخرج ملازمًا في شباط/ فبراير 1861 مع رتبة نقيب أركان حرب (erkân-ı harp kurmay yüzbaşı). في خلال هذه السنوات العشر من الدراسات العسكرية، اكتسب، إضافة إلى المسائل العسكرية البحت والانضباط، العلوم المعتمدة في الغرب - مثل الرياضيات - والكتابة والنحو والثقافة العامة وكذلك دروس الرسم. وقامت هذه الخلفية الفكرية بدور رئيس في حياته المستقبلية، حيث كانت ميزة جديدة لهؤلاء الضباط الشبان المزودين بما يسمى المعرفة الحديثة.

ب- الصعود الصاعق

في نيسان/ أبريل 1861، جاء تعيينه الأول في جيش البوسنة والهرسك والجبل الأسود، تحت قيادة القائد العام عمر لطفي باشا، لقمع الانتفاضات[9] هناك. وإذ لفت النظر بأدائه، حصل على لقب صاغ (رائد) في أيلول/ سبتمبر 1862 وعُيّن مدرسًا في الكلية العسكرية[10]. وفي عام 1864 أصبح قائدًا لكتيبة

---

(5) Gâzi Ahmed Muhtar Paşa, *1294/1877 Anadolu Rus Muharebesi* (*1877 Anadolu Rus Savaşi*) en H. 1326, 1908-1909, pp. 5-6.

(6) افتتحت المدرسة أول مرة في عام 1848.

(7) Gâzi Ahmed Muhtar Paşa, *Anılar*, *Sergüzeşt-i hayatım'ın cild-i evveli*, Yayına hazırlayan Nuri Akbayar (Istanbul: Tarih Vakfi Yurt yayınları, 1996), p. 2.

(8) Ibid., p. 4.

(9) Ibid., p. 10.

(10) درّس قوانين حركة القذائف والتخصصات التقنية، وهو مجال اعتبر فيه متخصصًا. يُنظر: =

وأرسل ليكون مع درويش باشا في أثناء قمع الانتفاضة التي اندلعت في هضبة كوزانداغ (Kozandağ) في ولاية درسيم في الأناضول الشرقية. وأصبح عضوًا لعام واحد في هيئة الإصلاح (firka-i islâhiyye) مع جودت باشا والعقيد حسين بيك[11]. ولدى عودته إلى اسطنبول، في عام 1866، رُقي إلى رتبة عقيد وأصبح معلم أمراء السلطنة يوسف عز الدين ونور الدين[12].

كونه مؤيدًا للسلطان عبد العزيز، شارك في الوفد المرافق له مع أمراء السلطنة في جولته الكبيرة على أوروبا وإيطاليا وفيينا والمعرض الدولي في باريس وإنكلترا، في عام 1867. وكونه مقربًا من القصر وبفضل صفاته العسكرية، جرى تعيينه بصفته أول مفوض للجنة تسوية الحدود مع الجبل الأسود (1868). ثم استقال من منصبه هذا لأسباب صحية، وعاد إلى اسطنبول في عام 1870[13].

بصفته خادم الدولة الشجاع والمخلص، سُمي عميدًا وهو في عزّ الشباب، في سن الثلاثين، في 2 أيار/ مايو 1869، وسمي فريقًا في سن الحادية والثلاثين، ومن ثم مشيرًا في سن الثانية والثلاثين (1871)، وشغل هذا المنصب لأكثر من أربعين عامًا. السرعة والصلابة كانتا من خصائص مسيرة أحمد مختار باشا الذي أصبح مشيرًا بعد عشر سنوات من تخرجه في كلية الأركان. وتجلى الاعتراف بمهاراته بصعوده المتميّز. فارتقى مستويات التسلسل الهرمي كلها، في مدة زمنية قصيرة جدًا، لا تتعدى عشر سنوات. وشغل مناصب القيادة العليا في أركان السلطنة الأربعة: البوسنة والهرسك والجبل الأسود واليمن والأناضول الشرقية.

Müşir Gâzi Ahmet Muhtar Paşa (Ankara, Gnkur. 'askerî tarih ve stratejik etüt başkanlığı yayınları, 1984), p. 7.

(11) Ahmet Cevdet Paşa, *Tezâkir*, 21-39, (publ. par C. Baysun), 3rd ed. (Ankara: T.T.K., 1991), pp. 134, 169-170, 185, 188, 191, and 195.

(12) في العام نفسه تزوج من فاطمة الزهراء خانم ابنة أحد العلماء الحاج أمين أفندي. يُنظر:
E. Foat Tugay, *Three Centuries: Family Chronicles of Turkey and Egypt* (London, 1963), p. 9.
الكاتبة أمينة فؤاد توغاي هي حفيدة الغازي أحمد مختار باشا.

(13) İ. M. K. İnal, *Son Sadrazamlar*, «Ahmed Muhtar Paşa,» vol. 4, 3rd ed. (Istanbul: Dergâh yayınları, 1982), p. 1805.

Scanned with CamScanner

وفق الوتيرة السريعة ذاتها، غادر أحمد مختار باشا في عام 1870 رئيسًا لأركان (mîrlivâ) الفيلق السابع الذي قام الصدر الأعظم ووزير الحربية حسين عوني باشا بتشكيله لاحتلال عسير، تحت إمرة المشير رديف باشا. ونُسبت النجاحات المبكرة لهذه الحملة إلى الإجراءات المتقدمة التي وضعها مختار ورضا وجبليّو الهرّان[14]، أكثر بكثير من عزيمة رديف الصلبة وأسلحة العرب السيئة، ما أكسبه رتبة فريق في عام 1871. كما خلف رديف باشا في قيادة فيلق التدخل السريع، وأنهى الحرب في عام 1871 عبر الاستيلاء على قلعة كوكبان[15]، آخر مركز للمقاومة العربية.

بعد ترقيته إلى رتبة مشير، في 10 أيلول/ سبتمبر 1871 (24 جمادى الآخر 1288)، براتب 75,000 قرش[16]، شغل منصب والي اليمن وقائد الفيلق السابع حتى 11 تموز/ يوليو 1873[17]، حين عُين وزيرًا للأشغال العامة. وكان نشاطه في اليمن غاية في الأهمية: فبعد إرسائه سلطة الدولة من خلال العمل العسكري، منحها بنية تحتية إدارية، ليجعلها ولاية[18].

كيف يُفسَّر هذا التقدم، وهذا التعيين على رأس وزارة، وهذه النعمة المفاجئة؟ هناك فرضيتان مقبولتان للتعليق على هذا الحدث: هل هي الشهرة التي اكتسبها في أثناء مهماته العسكرية والإدارية في اليمن؟ أم قربه من السلطان؟ إذ لا يمكن استبعاد علاقاته بالقصر، لكن ما من شك في أن صفاته العسكرية والخلقية تمثل عاملًا مهمًا أيضًا. في أي حال، كان يمكن التفاعل بين هذين العنصرين توضيح هذا التقدم بطريقة أكثر موضوعية. في جميع الأحوال، لم يكن لديه الوقت ليتفرغ

---

(14) في الأصل الفرنسي هراس (Harras) لكنني لم أجدها إنما هناك جبل هرّان في ذمار باليمن. (المراجع)

(15) في الأصل الفرنسي «Kefkeba»، لكنني لم أجدها إنما هناك قلعة كوكبان في مديرية شبام كوكبان التابعة لمحافظة المحويت باليمن. (المراجع)

(16)

(17) أدى مهماته لمدة عامين ونصف تقريبًا. يُنظر:

Ibid., p. 1806.

R. Uçarol, [*Gâzi Ahmet Muhtar Paşa: bir Osmanlı Paşasive dönemi* (Istanbul: Milliyet Yayinlare, 1976)], p. 32.

(18) مركز هذه الولاية كان صنعاء. وكان مؤلفًا من أربعة ألوية، عسير وصنعاء وتعز وحديدة، ومن ٢٤ قضاء و29 بلدة. يُنظر:

Râşid Paşa, *Yemen ve San'a tarihi*, vol. 2 (Istanbul, 1291 H. (1874/5)), p. 241.

and Uçarol, *Gâzi Ahmet Muhtar Paşa*, p. 26.

Scanned with CamScanner

تمامًا لهذه المهمة الجديدة؛ إذ جرى تعيينه بسرعة واليًا على كريت، في 11 تموز/ يوليو 1873. وفور وصوله إلى هذه الولاية، في 2 آب/ أغسطس 1873، وصله أمر جديد بالتعيين، للالتحاق بقيادة فيلق الجيش الثاني في شومن، في الجزء الأوروبي من السلطنة [في بلغاريا اليوم]، حيث بقي نحو سنة تقريبًا. ومن ثم جرى تعيينه، في 16 أيلول/ سبتمبر 1874، لقيادة فيلق الجيش الرابع، ولشغل منصب والي أرضروم في الأناضول الشرقية[19].

في كانون الأول/ ديسمبر 1875، دعي أحمد مختار باشا إلى اسطنبول وعين في هيئة الأركان العامة للحرس الوطني ولقيادة البوسنة والهرسك. وفي 25 أيلول/ سبتمبر 1876، أصبح أيضًا رئيسًا للمجلس الحربي الأعلى.

أُرسل حاكمًا عسكريًا إلى البوسنة والهرسك في عام 1875، لكنه أخفق في قمع التمرد الذي اندلع في هذه الولايات. وحيث إنه كان دائم الرضا في موقع الهجوم، فإنه حرم نفسه من تحقيق نجاحات جزئية، أو اتخاذ الخطوات اللازمة للالتفاف حول أعدائه وإجبارهم على ترك سلاحهم. وحصل الأمر نفسه في عام 1876 في خلال حملة ضد الجبل الأسود، حيث كان منتصرًا في البداية في خلال مواجهات عدة. لاحقًا، هُزِمَ في تريبينيي [في الهرسك]، ولم يتخذ أي احتياطات لحماية نفسه وترك نفسه فريسة سهلة للإحباط وسوء الحظ. كما نجا من محاولة اختطافه من قلب معسكره، في خلال هجوم ليلي نصبه سكان الجبل الأسود. مع ذلك، كانت مهمته صعبة، لأن المتمردين كانوا قد وفروا المأوى والموارد اللازمة جميعها للتزود بها في البوسنة ومنطقة دلماسيا. إضافة إلى ذلك، منع حصار كليك[20] الأتراك من أن يكون لهم قاعدة للعمليات في البحر الأدرياتيكي، وتقلص عديد قواتهم تدريجًا؛ إذ إنه لم يعد بالإمكان جعلهم يعيشون في بلد منهك ومن دون أي وسيلة للاتصال[21].

(19) لقاء وظائفه الأخيرة، حصل على راتب إضافي قدره 10000 قرش. يُنظر:
(Başbakanlık Osmanlı Arşivi), Istanbul (B.O.A.), *Sicilli Ahvâl Defteri*, XXII, p. 91.

(20) شبه جزيرة على البحر الأدرياتيكي تنازعت السيادة عليها مؤخرًا كيانات البوسنة والهرسك (المراجع)

(21)

Service historique de l'armée de terre, archives militaires françaises à Vincennes (S.H.A.T.), 7N1628, Constantinople, annexe au rapport no. 31 du 19 août 1884.

استُدعي أحمد مختار باشا إلى اسطنبول في كانون الأول/ ديسمبر 1876، وعُيّن واليًا وقائدًا عسكريًا على كريت في بداية كانون الثاني/ يناير 1877. لكنه رقي في 8 شباط/ فبراير 1877 إلى رتبة مشير للفيلق الرابع وقائدًا لجيش الأناضول[22]، وانطلق لاستلام منصبه في 24 شباط/ فبراير 1877، فترك كريت وتوجه الى اسطنبول. وفي 26 آذار/ مارس 1877، توجه إلى أرضروم عبر طرابزون لتولي منصبه، في 7 نيسان/ أبريل 1877.

في خلال الحرب الروسية - التركية، قاد جيش الأناضول. وحقق بداية سلسلة من الانتصارات تفاوتت في أهميتها، مثل انتصارات ديليبابا أو هالياس [هي ولي بابا بالتركية وتقع في أرضروم]، توجت بانتصار زيفين (25 حزيران/ يونيو 1877) الذي أجبر الجنرال لوريس ميليكوف على رفع الحصار عن قارص، ومن ثم عن غيديكلر أو كيزلتيب[23] (25 آب/ أغسطس 1877). ومُنح مختار لقب غازي في 1 تشرين الأول/ أكتوبر 1877[24]. أما نصره الأخير فكان في يهنيلر (Yahniler) بداية تشرين الأول/ أكتوبر (2-5 تشرين الأول/ أكتوبر 1877).

خلال فصل الخريف، تلقى الروس تعزيزات عدة، في حين لم يتمكن مختار باشا من الحصول على أي من الكتائب التي جمدها درويش باشا بلا طائل في باطوم[25]. بدأ الانكفاء مع التراجع عن ألاجاغ، في 15 تشرين الأول/

---

(22)

B.O.A., *Sicilli Ahvâl Defteri*, XXII, p. 91.

(23) هي بالعربية دُنَيصَر أو تل أرمن إحدى مدن الأقاليم السورية الشمالية التي اقتطعت من سورية وضمت إلى تركيا في معاهدة لوزان في عام 1923. تقع في لواء ماردين (محافظة ماردين اليوم). يقطنها اليوم العرب والأكراد والأتراك والشركس. (المراجع)

(24) منح هذا اللقب المرموق في 1 تشرين الأول/ أكتوبر 1877، بعد انتصار غيديكلير (25 آب/ أغسطس 1877)، بأمر من مجلس الوزراء، وأقر بمرسوم من السلطان. ومنح مع هذا اللقب، سيف وميدالية مرصعة بالأحجار الكريمة واثنين من الخيول: Mahmud Celâleddin Paşa, *Mir'ât-ı hakîkat. Tarih-i Mahmud Celâleddin*, Prepared for Publication by İ. Miroğlu (Istanbul: Berekât Yayınevi, 1983), pp. 353-354.

(25) اعتبر أن درويش باشا كان لديه 18 كتيبة في الأقل تحت إمرته. وفقًا لتقرير 14 آب/ أغسطس 1883 (S.H.A.T., 7N1628) كان لديه 18 كتيبة، إلا أن ملحق التقرير رقم 31 في 19 آب/ أغسطس 1884 (S.H.A.T., 7N1628) زاد الرقم إلى 45. حول هذه العمليات، يُنظر أيضًا ملحق التقرير رقم 32 في 26 آب/ أغسطس 1884 (S.H.A.T., 7N1628).

Scanned with CamScanner

أكتوبر 1877، ومن ثم هزيمة ديفيبوين (DevelBoyun) في 4 تشرين الثاني/ نوفمبر 1877، ثم انتصار في العزيزية في 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 1877. وبعد هزيمته الكلية في وزيركوي في 25 تشرين الأول/ أكتوبر، تخلى عن قارص التي جرى الاستيلاء عليها في كانون الأول/ ديسمبر. وعند هزيمته في خلال تراجعه في مرتفعات ديفيبوين، علق في أرضروم عندما جرى توقيع السلام. ووجد إسماعيل باشا الذي كان تحت إمرة مختار باشا نفسه في نواحي بيازيد مع عشرين كتيبة، ولم يهاجَم أبدًا من الروس الذين كانت لديهم قوات قليلة ناحية يريفان. لم يُرِد إرسال تعزيزات إلى رئيسه، بل أرسل إليه تقارير مضللة عن عملياته المزعومة[26].

هكذا، بعد هذه المعارك البطولية في حرب قاسية جدًا بالنسبة إلى السلطنة، فقد الحظوة والتقدير تدريجًا وأقيل من مهماته العسكرية. فهل مثلت الحرب الروسية - التركية عقدة مسيرته؟

2- وظائفه المدنية

أ- وظائف دبلوماسية تجزي وتُبعد

بعد أن دُعي إلى أرضروم في 25 تشرين الثاني/ نوفمبر 1877، انكفأ إلى طرابزون في 1 كانون الثاني/ يناير 1878 ووصل إلى اسطنبول في 9 كانون الثاني/ يناير[27]. وعُين بعد ذلك في القيادة العامة لتحصينات تشاتالجا. ومن ثم في 29 آذار/ مارس 1878 دعي لقيادة هيئة الأركان العامة. وفي 24 نيسان/ أبريل جرى تعيينه مشيرًا في طوبخانه، حيث مصهر صب المدافع في اسطنبول. وفي أيلول/ سبتمبر 1878 جرى إرساله إلى جزيرة كريت، لتعزيز الإصلاحات التي أوصت بها قرارات مؤتمر برلين.

في تشرين الثاني/ نوفمبر 1878 عُيّن رئيسًا لهيئة الأركان العامة، مع منصب قيادة يانينه في الجزء الأوروبي من السلطنة. إضافة إلى هذه المسؤوليات، عُين

---

(26) S.H.A.T., 7N1628, annexe au rapport no. 31 du 19 août 1884.

(27) استدعي بسبب خلافه مع الصدر الأعظم محمود نديم باشا.

Scanned with CamScanner

كأول مفوض لتسوية الحدود مع اليونان. وفي آذار/ مارس 1879، رُقي إلى مشير الفيلق الثالث وأصبح والي مناستر. وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 1879 أرسل الى حدود الجبل الأسود. وجاءت نهاية مهماته كرئيس لهيئة الأركان العامة في عام 1880. وفي 30 آب/ أغسطس 1880، أصبح الرئيس الثاني للجنة إعادة التنظيم العسكرية. وفي شهر كانون الثاني/ يناير 1881 عُيّن مفوضًا في مؤتمر عُقد في اسطنبول لترسيم الحدود مع اليونان. ونتكلم هنا على وظائف ومناصب من دون قيادة عسكرية.

منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر، أُبعد مختار عن مركز السلطة عبر بعثات دبلوماسية إلى الخارج أسندت مهماتها إليه. وفي الواقع، فإن مواقفه المؤيدة للإصلاحات في الجيش والإدارة في الدولة بحسب الأنموذج الأوروبي، وكذلك ملاحظاته وصراحته، تسببت في ارتياب السلطان منه.

بين عامي 1883 و1908، شغل مختار مناصب سفير استثنائية. أولًا في ألمانيا (من 16 أيلول/ سبتمبر 1883 إلى 28 كانون الأول/ ديسمبر 1883)، ومن ثم إيطاليا (29 كانون الأول/ ديسمبر 1883)، وأخيرًا في مصر (تشرين الثاني/ نوفمبر 1885)، حيث بقي لغاية آب/ أغسطس 1908، بعد «ثورة تركيا الفتاة» التي شهدت عودته. ولم يشغل طوال خمسة وعشرين عامًا أي وظائف عسكرية.

ما هي دوافع هذا الاستبعاد؟ كان أحمد مختار باشا واحدًا من الضباط النادرين الأكفاء والمدربين في مدرسة التنظيمات. كذلك، كان هناك نقص في الكوادر العسكرية المدربة في المدارس، والانقسام بين ضباط الصف (alayli) والضباط المتخرجين (mektepli) كان قد أنتج آثارًا مؤذية، خصوصًا أن ضباط الصف كانوا يمثلون ثلاثة أرباع القوى، ما يفوق عدد الضباط الخريجين الذين كان زملاؤهم ينظرون إليهم بازدراء.

كان يمكن أن يكون مختار مفيدًا في السلطنة، لكنهم فضلوا إرساله إلى الخارج، خشية أن يصبح ضابطًا كبيرًا ذا شعبية. ومن الواضح أن هذا الإجراء كان نتيجة تصلب النظام الحميدي في أوائل ثمانينيات القرن التاسع عشر، الذي نظر

Scanned with CamScanner

إلى أحمد مختار باعتباره خطرًا محتملًا. مع ذلك، وقبل حرب 1877-1878، كانت لديه علاقة جيدة بالسلطان عبد الحميد. وكان محافظًا على هذه الصلة منذ أيام سفر عبد العزيز، حيث كان قائد كتيبة وكان قد رافق الأمير في أوروبا[28]. لكن حصل شرخ صغير في الثقة التي وُضعت به عندما زار مدحت باشا[29] على الباخرة عز الدين التي كانت تبحر به إلى المنفى[30]. إضافة إلى ذلك، فإن الشعبية التي كان يتمتع بها كان يمكن أن تعتبر تهديدًا للسلطان، لذا قام بإبعاده.

بعد الحرب، لم يتردد مختار في انتقاد الوضع في الجيش العثماني، والأسباب كانت على وجه الخصوص عدم كفاءة كبار الضباط، ومشكلات التنظيم والقيادة ومسألة سيادة القصر على هيئة الأركان العامة. كما وقف في وجه المحاكمات التي أجريت ضد بعض العمداء بسبب سلوكهم في خلال الحرب. وقال إنها محاكمات جائرة لأنها كانت تجري في غياب الأطراف المعنية التي لم تكن قادرة حتى على الدفاع عن نفسها[31].

أصبح مختار غير محبَّب لدى القصر؛ إذ كانت هناك خشية من حس الملاحظة لديه ومن صراحته المباشرة. كان إصلاحيًا بالروح، ومنفتحًا جدًا على الأفكار الخارجية وحساسًا بشكل خاص تجاه التيار الإصلاحي الألماني الذي قدم إليه المساعدة. كما حافظ على علاقات ودية ومتواصلة بكاهلر باشا، أول رئيس للبعثة العسكرية الألمانية بين عامَي 1882 و1884. وفي بداية ثمانينيات القرن التاسع عشر، ضم مختار صوته إلى صوت عدد صغير من كبار المسؤولين الذين طالبوا بإصلاح الجيش وإدارات الدولة جميعها، على غرار المؤسسات الأوروبية.

---

(28) يُنظر:
Uçarol, *Gâzi Ahmet Muhtar Paşa*, p. 54.

(29) في أوائل شباط/ فبراير 1877، أقال السلطان مدحت باشا من منصبه كصدر أعظم وأرسله إلى المنفى، «وفقًا» لأحكام معينة من الدستور. يُنظر:
P. Dumont, «La Période des Tanzîmât 1839-1878,» dans: R. Mantran (éd.), *Histoire de l'Empire ottoman* (Paris: Fayard, 1989), pp. 516-517.

(30) Inal, p. 374, and Uçarol, *Gâzi Ahmet Muhtar Paşa*, pp. 54-55.

(31) شملت المحاكمات ضباطًا من جميع الرتب، حتى أرفعها. مثل فؤاد باشا الذي حكم عليه بالإعدام وخفف الحكم عليه بالنفي لمدى الحياة. أيضًا سليمان باشا الذي نال لقب غازي في هذه الحرب، لقي مصيرًا مماثلًا. وعاش أربعة عشر عامًا في المنفى في بغداد، حيث توفي في عام 1892. يُنظر: لاحقًا.

ب- التزامه السياسي: علاقاته بالمعارضة

كانت هناك مجموعة معارضة مهمة وناشطة بين بيروقراطيي الباب العالي. لكنهم عرفوا أنه كان عليهم التعاون مع كبار الضباط لتنفيذ خطتهم[32]. وزاد عدد كبار المسؤولين المدنيين والعسكريين الذين شاركوا في حركة تركيا الفتاة ابتداء من عام 1895. وكان الغازي أحمد مختار باشا رجل الدولة الأكثر شهرة في علاقته بالمعارضة[33].

تدريجًا، استقطبت هذه المنظمة الطالبية المسؤولين والبيروقراطيين والعسكريين والعلماء الذين اعتمدوا فكرة الانقلاب، ودخلوا في خلاف مع أفكار أحمد رضا[34]. كما انضم عدد من الضباط إلى الحركة. بدورها، أصبحت وزارة الحربية مركزًا لجمعية الاتحاد والترقي، ودعمت بطبيعة الحال خيار الانقلاب[35]. لكن بعد محاولة فاشلة، تراجع استقطاب كبار الضباط[36]. وبعد إخفاقها في عام 1895، أبدت الولاء للسلطان، مثل كبار المسؤولين جميعهم[37].

بوصفه مفوضًا عثمانيًا كبيرًا في مصر، طالبت تركيا الفتاة الغازي أحمد مختار باشا مرارًا وتكرارًا بأن يصبح زعيمها. وحتى عام 1906، التمست رسائل مفتوحة في الصحافة مساعدته. وناقش صهره شوقي بيك في عام 1899 اقتراحًا لعقد مؤتمر لتركيا الفتاة. وكتب الغازي أحمد مختار باشا مقترحاته للإصلاح في الصحافة المحلية المصرية ونشرها في عام 1900[38]. وبوصفه مؤيدًا الانقلاب الدستوري، ومتحدثًا باسم مجموعة من رجال الدولة العثمانيين، قدم مختار هذا الاقتراح إلى الحكومة البريطانية بوساطة اللورد كرومر.

---

(32) § Hanioğlu, *The Young Turks in* Opposition (New York; Oxford: Oxford University Press, 1995), p. 59.

(33) أرسله السلطان كمفوض عثماني سامٍ إلى مصر من أجل إبعاده. نشر مشروعات الإصلاح في الصحافة المحلية المصرية في عام 1900. يُنظر:

(34) Ibid., p. 60.

(35) Ibid., p. 77.

(36) Ibid., p. 79.

(37) Ibid., p. 114.

(38) Ibid., pp. 60-61.

Mukhtâr Pâshâ al-ghâzî, «Idah al-saltana al-'uthmâniyya mashrû' dawlatlû Mukhtâr Pâshâ al-ghâzî,» *al-Muqattam*, (Cairo), 30 mai 1900.

Scanned with CamScanner

في أثناء «ثورة تركيا الفتاة» استأنف مهماته في وزارة الحربية. وفي 13 أيلول/ سبتمبر، عُين عضوًا في المجلس العسكري، أو مجلس المهام الحربية (meclis-i mehamm-i harbiye)، وفي 16 كانون الثاني/ يناير 1909 أصبح عضوًا في مجلس الأعيان (meclis-i 'ayân) ونائبًا لرئيسه في الشهر نفسه. وفي 27 كانون الثاني/ يناير 1909 أعفي من مهماته كمفوض خاص في مصر.

أُرسِلَ مختار في حزيران/ يونيو 1909 إلى أوروبا كسفير «فوق العادة» (fevkalâde elçi)، لإعلان تولي محمد رشاد الخامس العرش. وفي خلال صلاة الجمعة، رافق السلطان الجديد أقدم جنرال في الترتيب الهرمي الغازي أحمد مختار باشا. وفي كانون الأول/ ديسمبر 1909، تقاعد مختار من السلك العسكري وعُيّن رئيسًا لمجلس الأعيان في تشرين الأول/ أكتوبر 1911.

في عام 1912، حاضر في الكلية العسكرية عن خبرته، خصوصًا في الحرب الروسية - التركية والدروس التي يمكن استخلاصها منها. وأظهر في سرديّته دقةً وصدقًا، لأنه لم يتردد في الاعتراف بقيمة معاونيه ونصائحهم الجيدة. كما لم يحتكر فوائد العمليات جميعها لنفسه ولم يقلل من أهمية رفاقه، حيث يمكن تقدير علاقاته بموظفيه وحاشيته؛ إذ كان لديه مفهوم قيادي حديث نسبيًا في ذلك الوقت.

في 21 حزيران/ يونيو 1912 رفع مختار إلى أعلى وآخر منصب في حياته، وهو الصدر الأعظم، حتى تشرين الأول/ أكتوبر 1912، عندما قدم استقالته. وقاد ما كان يسمى المجلس الوزاري الكبير، حيث كان ابنه محمود مختار باشا وزيرًا للبحرية. قام ضد قادة تركيا الفتاة الذين همشوا لاحقًا ابنه محمود مختار باشا. واعتزل الغازي الحياة السياسية في عام 1917 لأسباب صحية، وتوفي في 21 كانون الثاني/ يناير 1919[39]، عن عمر يناهز الثمانين عامًا.

---

(39) توفي في 17 ربيع الآخر 1337 هجرية في فسطاطه (سرادق) على طريق فنر. ودفن في مسجد الفاتح.

Scanned with CamScanner

3- التصورات

أ- التصور الذاتي

كيف رأى مختار نفسه؟ رأى نفسه أولًا وقبل كل شيء بصفته رجل حرب وعسكريًا. ولهذا السبب كلّفه منفاه الذي طال لأكثر من ربع قرن في مصر، كثيرًا على المستوى المعنوي لشخص شارك جسدًا وروحًا في أكثر من أربعين معركة عسكرية.

ما كان أسلوب حياته وأفكاره وموقفه في ما يتعلق بالدين والممتلكات الدنيوية؟ بدا وكأنه منقذ السلطنة التي لم تعرف قيمته الحقيقية. وخدم الدولة لأكثر من ستين عامًا، وأعلن أن الروس كانوا سيغزون الأناضول، ويتوجهون إلى اسطنبول عبر الأناضول والمقاطعات الأوروبية. وعبّر عن المرارة التي كان يشعر بها، مؤكدًا أنه لو كان في بلد آخر، لكانت الدولة شكرته بعطاء كريم(40).

هو الآتي من وسط متميز، عاش بحبوحة كبيرة. عندما كان في مصر، عاش حياة رغيدة أكثر من الخديوي نفسه. وكان يحصل على دخل قدره 700 ليرة ومن ثم 1300 ليرة تركية شهريًا. مع ذلك، كان ثمة تكاليف كبيرة عليه دفعها، مثل مربط الخيول الذي يضم 16 حصانًا، والذي يكلفه 250 قرشًا شهريًا للرأس الواحد(41). كما قدم أعمالًا خيرية أيضًا، وأعطى المال لإطعام الفقراء(42).

عندما كان يعمل في اليمن، كان يحصل على 1000 ليرة تركية شهريًا. وإذا حسبنا مجموع ما تقاضاه من أجور، تكون المحصلة 240,000. ولقد قال إنه لم يستخدم هذا المال لنفسه، لكن في الأغلب لعائلته. على الرغم من أن الشائعات نسبت إليه إرثًا من ثلاثة إلى أربعة ملايين ليرة تركية، أعلن أنه لم يسرق قرشًا يومًا من الدولة أو من أي شخص. كانت أفعاله ترتكز على فكرة الحساب في

---

(40) أشار كمثال إلى اللورد كرومر الذي كافأته الدولة بمنحه 60,000 ليرة تركية، نظير خدماته في مصر. ويتساءل المرء عن كيفية تفسير هذه الملاحظة؛ هل كانت ترجمة لجشعه، أم ببساطة الشكوى من قلة التقدير تجاهه؟ يُنظر:
Ibid. p. 1857.

(41) Ibid.

(42) Ibid.

يوم القيامة. كان متعلقًا بخان العائلة، لكنه اشتكى من الضرائب الكبيرة التي ترهق كاهله والتي ناهزت اثنين في المئة. وفكر في أن الأموال التي أنفقها في هذا الأمر، كان يمكنه استثمارها بشكل أفضل. على سبيل المثال، كان يمكنه الحصول على أرباح من 4 إلى 5 في المئة، من الاستثمارات خصوصًا. وقدر أنه يستطيع أن يبيع الخان بمبلغ 30,000 ليرة تركية. علاوة على ذلك، كان على بيّنة من المخاطر التي يواجهها في حال احترق أو انهار هذا الأخير، اذ لن يبقى له شيء حينئذٍ لأنه لم يقم بالتأمين ضد الكوارث[43]. أما بعد وفاته فترك الإرث الآتي[44]:

الجدول (4-1)

تركة أحمد مختار باشا

خان قاطرجي أوغلو وخان السوق الكبير	1,000,000 ل. ت.
نصف خان يقع في محمود باشا	150,000 ل. ت.
عند مدخل شيخ زاده، 27 محلًا مسماة «مختار باشا عقارتلري»	50,000 ل. ت.
محل للمرايا في البازار الكبير	3000 ل. ت.
صيدلية تقع في باهجه كابي	4000 ل. ت.
سرادق وتوابعه، مع حدائق في فنر يولو	100,000 ل. ت.
كتب وممتلكات شخصية	30,000 ل. ت.
أموال مودعة في البنك العثماني في مصر	100,000 ل. ت.
سندات أصدرتها الدولة	50,000 ل. ت.
عقارات وممتلكات وأراض، تقع في مصر	500,000 ل. ت.
المجموع	1,987,000 ل. ت.

(43) Ibid.

(44) Ibid., vol. 4.

Scanned with CamScanner

ب- تصور الآخرين

في المجتمع المدني، كان يُنظر إليه بالتأكيد على أنه رجل الثقافة وعالم. ترك أعمالًا مكتوبة مهمة تتألف من عشرات الكتب في مجالات مختلفة جدًا: علم الفلك والجغرافيا والتاريخ السياسي والعسكري والمذكرات[45].

كان رجلًا محترمًا في المجالات العسكرية كلها وكذلك في المجتمع المدني[46]. أما في الجيش، فقُدّر لما كان عليه كضابط كبير لامع، لكنه لم يحظ بشعبية بين رجاله لأنه كان قاسيًا معهم، ولم يكن يمنح إلا القليل من الميداليات.

---

(45) في مجال العلوم: أطروحة في علم الفلك، أطلسان، جداول التحويل،

Güneş saati broşürü (Istanbul, El Basita Risalesi, 1866).

Fenn-i Coğrafya, H. 1286, 1869, Istanbul.

Riyaz-ül Muhtar, Mirat-ül mikat vel-edvâr màa mecmuât-il eşkâl (Cairo, Bulak, en H. 1303, 1885/86), p. 387

Riyaz-ül Muhtar, Mirat-ül mikat vel-edvâr Zeyli (Cairo, H. 1304, 1886/87).

إعادة الإصدار الأول مع إضافة [*zeyil*], 58 p.

İslahat-üt takvim (Cairo, H. 1307, 1890), en bilingue, arabe/turc, Mısır Mehmed Efendi Basımevi.

La Réforme du calendrier (Leiden, 1893) ترجمة فرنسية من الأصل التركي:

حصل على ميدالية ذهبية من الحكومة الألمانية.

Sene-i maliyenin hicrî sene-i Şemsiyye ile istibdâline dair risâle (Istanbul: Ebüzziye Basımevi, H. 1328 (1910/11)).

Takvim-üs sinîn (Istanbul, H. 1331 (1912/13)).

Takvim-üs Sâl (Istanbul, 1910).

مذكرات:

كتب مذكراته في عام 1294هـ/ 1877-1878م

Sergüzeşt-i hayâtımın, cild-i evveli et *cild-i sânisi*, من جزئين - نشرت في اسطنبول في عام 1912، وهذه المذكرات هي شاهد على التاريخ العسكري السياسي. ربطها بمسيرته العسكرية، وحياة العسكريين في هذه الحقبة، والأوامر التي نفذها.

التاريخ العسكري والسياسي:

Atabe-i Bülend Mertebe-i Hazreti Hilâfetpenâhiye bir arîza (Istanbul, H. 1328, 1910/11).

1294/1877 Anadolu Rus Muharebesi (*1877 Anadolu Rus Savaşi*) (H. 1326, 1908/09).

Temmuz 1330 meclis-i mebûsânda geçen Divân-ı 'Âlî bahislerine bir nazar, [s. l., s. d.].

في مجال الدين:

Serâir ül Kurân fi tekvînî ve ifnâi ve iâdeti 'l ekvân (Istanbul, Evkaf İslâmiye Basımevi, H. 1336, 1918).

ترجمه إلى العربية سيد محب الدين الخطيب، مع مقدمة كتبها الأمير شكيب أرسلان.

(46) كان يعتبر نفسه تقيًا، وأن أعماله توجهها فكرة يوم القيامة والحساب. في عام 1863، تزوج فاطمة الزهراء خانم، ابنة أحد العلماء، الحاج أمين أفندي، يُنظر:

Tugay, *Three Centuries*, p. 9.

أما في المجتمع، فكان محبوبًا من المسلمين وغير المسلمين. أولًا بسبب الصدق العالي الذي أظهره في أحوال حياته كلها العامة والخاصة من جهة[47]. ومن جهة أخرى بسبب التسامح الديني الذي أبداه تجاه الأقليات، خصوصًا في اليمن، عندما سمح بحرية العبادة[48]. كان شخصية صادقة طوال حياته المهنية، وكان معروفًا بعدم تبذيره أمواله الخاصة، أو أموال الدولة[49].

في البداية، يمكننا أن نستنتج أن الدولة تستحوذ على مهارات الفرد وإنجازاته. وكان يتم تقديره عبر الترقيات - كتعيينه مشيرًا في سن الثانية والثلاثين - وعبر الألقاب، بما في ذلك لقب غازي في عام 1877. وإذا لوحظ ارتقاء في مكانة الفرد أو منصبه، فإن هذا الأخير لا يمكنه أن يسود بفضلها ضمن مجموعته الاجتماعية، أي الجيش، للتعبير عن نفسه.

في وقت لاحق، صار هناك إنكار للفرد. وكلما انحصر في المرتبة الثانية، استُبْعِدَ، وجُرِّد من مهماته العسكرية. كان على الفرد احترام نوع من الامتثال المحدد من فئته الاجتماعية ولها. كان من المستحيل بالنسبة إليه تأكيد نفسه كفرد، وإلقاء نظرة نقدية على السلك العسكري. وأي انتهاك كان يعني فقدان السلطة.

اندرجت ردات فعل أحمد مختار باشا ضمن علاقات القوة بين الجيش والأركان العامة والقصر. وصاغ انتقادات مهنية في المضمون. لكنه حافظ أيضًا على صلات بالمعارضة (تركيا الفتاة)، ما عزز الشكوك حوله.

بعد استبعاده من السلطة العسكرية ومن لجنة إعادة تنظيم الجيش ومن كل منصب في القيادة والتدريس، أُرسل أحمد مختار باشا إلى المنفى الذهبي، كدبلوماسي للباب العالي. تمتع بالمجد من دون السلطة. وجسد بطريقة جد صادمة الاتجاه السائد في الجيش العثماني في أواخر القرن التاسع عشر، حيث إن كبار الضباط لم يكونوا في الواقع سوى «أفرادٍ افتراضيين» فحسب.

---

(47) S.H.A.T., 7N1628, annexe au rapport no. 1.

(48) يُنظر: *Müşir Gâzi Ahmet Muhtar Paşa*, p. 17.

(49) İnal, vol. 4, p. 1856.

Scanned with CamScanner

ثانيًا: سليمان حسنو باشا أو الوجه الآخر للسلطة (1838-1892)

ولد سليمان حسنو باشا في تشرين الأول/ أكتوبر 1838[50] في اسطنبول، في حي ملاغوراني، بالقرب من مسجد السليمانية. وكان ابن السيد محمد خالد أفندي[51]، بائع السكر الذي كان جده آغا للانكشاريين. عندما كان طفلًا،

الصورة (4-2)

الغازي سليمان حسنو باشا

(مجموعة IRCICA)

التحق حسنو بمدرسة الحي دار المعارف، حيث تعرف إلى نامق كمال، وتابع لاحقًا الدروس في جامع بيازيد. وفي سن الخامسة عشرة، التحق بالمدرسة العسكرية في ماجكا لمدة ثلاث سنوات[52]، وتابع دراسته في الكلية الحربية حيث تسجَّل في عام 1856، ليتخرج في عام 1859 برتبة ملازم

(50) في شهر رمضان 1254هـ. يُنظر: İ. H. Uzunçarşılı, «Şıpka Kumandanı Süleymân Hüsnü Paşa'nin menfa hayatına dair bazı vesikalar,» *Beleten*, vol. 12, no. 45 (1948), p. 207.

(51) دفن أجداد أسرته، من جهة والده ووالدته، في بغداد، وهم من نسل النبي، وهو سليل الأمير سلطان (توفي في عام 1429)، شيخ من الدراويش كانت له شهرة في بورصة.

(52) *Askeri tarih bulteni*, (August 1984), p. 58.

ثان[53] (tegmen). من ثم أُرسل ليلتحق بالفيلق الثاني للجيش في نوفي بازار، في البوسنة[54]، ثم نُقل إلى الهرسك حيث رُقّي على أرض المعركة إلى رتبة ملازم أول، في عام 1861. في آب/ أغسطس من السنة نفسها أصبح نقيبًا. وعندما انتهى القتال في ألبانيا في عام 1863 عاد إلى اسطنبول، حيث عُيّن في الحرس الملكي. وتابع إظهار مزايا عسكرية خاصة حتى رُقي إلى رتبة رائد. بدأ في خلال هذه الفترة بإظهار قدراته الفكرية من خلال دراسة اللغة العربية والدين[55]. وتابع دروس شهري أحمد نزهت أفندي، رئيس محكمة أيوب، ونشر أول كتاب له في عام 1864: ترجمة إلى التركية لرسالة أكيرماني [صوفي وعالم دين عثماني، توفي في عام 1760] عن الإرادة الشخصية. أُرسل إلى أفيون بالقرب من مدينة إزمير في عام 1865، حيث أمضى شهورًا عدة في تدريب الجنود المرسلين إلى جزيرة كريت. ومن ثم عُيّن في الجزيرة عينها في بداية عام 1866 لقيادة الكتيبة. وبقي هناك لأكثر من عامين تحت إمرة القائد العام عمر لطفي باشا ومن ثم حسين عوني باشا الذي حاك معه في وقت لاحق خطة خلع السلطان عبد العزيز.

عاد حسنو إلى اسطنبول في عام 1869 برتبة عقيد ومدرسًا في الأدب وكتابة المحفوظات التاريخية في الأكاديمية العسكرية[56]. لكن إقامته في اسطنبول كانت قصيرة الأجل بسبب الحوادث في اليمن، حيث جرى إرساله بسرعة إلى قائد الأركان العسكرية رديف باشا في كانون الأول/ ديسمبر 1870[57]. وفي نيسان/ أبريل 1871 رقي إلى رتبة عميد (miralay)، وعاد في شهر آب/ أغسطس إلى الكلية الحربية لتعليم الأدب والتاريخ. أصبح برتبة لواء في تموز/ يوليو 1872، كما عُيّن نائبًا لمدير المدارس والأكاديميات العسكرية. وبعد ذلك بعام، أصبح المدير. كما كرس نفسه لإعداد برنامج المدارس والكليات العسكرية.

---

(53) أطلق عليه طلاب المدرسة العسكرية لقب «ساري تشابار» لأن شعره كان كستنائي اللون.

(54) Uzunçarşılı, «Şipka Kumandani Süleymân Hüsnü Paşa'nin,» p. 207.

(55) R. Devereux, «Suleyman Pasha's «The Feeling of the Revolution»,» *Middle Eastern Studies*, vol. 15 (January 1979), p. 5.

(56) ينظر:

(57) O. Bayrak, *Osmanli tarihi yazarlari* (Istanbul: Osmanlı yayınevi, 1982), p. 111

Iskeri tarih bulteni (August 1984), p. 58.

Scanned with CamScanner

1 - الجنرال السياسي

في هذا الوقت بدأ سليمان حسنو باشا ارتياد منتدى جاره في جامليكا[58] عبد الرحمن سامي باشا[59]، حيث كان يجتمع المثقفون العثمانيون. وبدا كأنه أصبح عضوًا في تنظيم «المجتمع العثماني الجديد» ومسؤولًا عن خلية[60].

سمعته الجيدة كمدرس كانت السبب في اختياره من جمعية التربية الإسلامية (Cemiyet-i Tedrisiye Islamiye) مديرًا لمدرسة الأيتام (Darüşşafaka) التي أُسست في عام 1865. وسخَّر نفسه لمراجعة برامج المدارس العسكرية وتعديلها بحسب المعايير الأوروبية. كما أقنع السلطات العثمانية بفتح مدارس عسكرية جديدة، ليس في عاصمة السلطنة فحسب. فافتُتحت تسع مدارس في اسطنبول، وواحدة في دمشق وواحدة في بغداد. كما حضر أيضًا برنامج مدرسة معلمي المدارس العسكرية التي أُنشئت حديثًا، والتي وُضعت تحت مسؤوليته[61].

أدى دورًا رئيسًا في عملية خلع السلطان عبد العزيز. وعندما رُقّي إلى رتبة لواء (فريق) من السلطان مراد الخامس، لم يبق إلا لفترة وجيزة في اسطنبول. في 30 حزيران/ يونيو 1876 أعلنت صربيا الحرب على الدولة العثمانية، فتم إرساله الى صوفيا كلواء في قيادة الأركان العامة ومستشار للقائد العام عبد الكريم باشا. وعندما عاد إلى اسطنبول، عيّنه السلطان الجديد عبد الحميد الثاني عضوًا في اللجنة الخاصة بالدستور (kanun-i esâsî) برئاسة مدحت باشا. وكتب واحدة من عشرين مسوّدة للدستور قُدمت إلى اللجنة[62]. في 6 كانون الأول/ ديسمبر وعند موافقة مجلس الوزراء على المسوّدة النهائية المؤلفة من 119 مادة،

---

(58) منطقة سكنية في تلة جامليكا تعلو الجانب الآسيوي من اسطنبول.

(59) كان عبد الرحمن سامي باشا، وهو قائد فرقة، حاكمًا في كثير من الولايات. ويوصفه مفكرًا عثمانيًا من الدرجة الأولى، شغل أول منصب أنشئ لوزير المعارف في عام 1857 لمدة أربع سنوات، وألف كتبًا عدة في الفلسفة والأخلاق، وعين في 17 آذار/ مارس 1877 عضوًا في المجلس العمومي الجديد.

(60) يُنظر: H. N. Orkun, *Büyük Türkçü Süleyman Paşa: hayatı ve eserleri* (Istanbul, 1952), p. 9.

(61) Devereux, «Suleyman Pasha's,» p. 6.

(62) يُنظر: R. Devereux, *The First Ottoman Constitutional Period: A Study of the Midhat Constitution and Parliament* (Baltimore: The Johns Hopkins Press, 1963), p. 49.

Scanned with CamScanner

استشاره السلطان، إضافة إلى إنغليز سعيد باشا، و دحنك سعيد باشا، لتقديم ملاحظاتهم[63].

حلّ السلطان كتائب طلاب العلوم السياسية وذلك في مسعى لإبعاد تدريجي لكل الذين شاركوا في خلع السلطان عبد العزيز. وقد كانت هذه الكتائب تحت حماية مدحت باشا في اسطنبول. وأُرسل ضياء بيك الذي نظم هذه الكتائب مع الصدر الأعظم إلى ولاية سوريا [الشام]. أما بالنسبة إلى سليمان باشا، فرُقي إلى رتبة مشير في 3 شباط/ فبراير 1877، وعُيّن قائدًا عسكريًا للبوسنة والهرسك بدلًا من أحمد مختار باشا في كانون الأول/ ديسمبر 1878، لإبعاده عن اسطنبول. وكان السلطان قد حاول سابقًا تعيينه في منصب لا يتلاءم ومهاراته في الحجاز أو العراق أو السعودية. غير أنه لم يتمكن من التغلب على معارضة المجلس العمومي لهذا التعيين[64].

في خلال الحرب الروسية - التركية، أوقف سليمان باشا العدو في شيبكا[65] في بلغاريا. هذا النجاح جعله معروفًا كبطل شيبكا ومنح لقب «غازٍ». وعقب هذا الانتصار، عُين في أيلول/ سبتمبر 1877 على رأس جيش الدانوب، ومن ثم جيوش منطقة البلقان، ثم هيئة الأركان العامة. ثم عُيّن في المجلس الحربي [Harp Divânı][66]. في المجمل، شارك في 84 معركة. لكنه أوقف وسُحب منه لقب مشير، لأنه لم يتمكن من منع احتلال أدرنة.

2- ضحية «التطهير»

بعد أن ألقي عليه اللوم في هزيمة الجيوش العثمانية في نهاية الحرب في عام 1878، جرى تحويله إلى المحكمة العسكرية. وكانت محاكمته - التي استمرت سنة - واحدة من محاكمات ما بعد الحرب التي أزاح السلطان الجديد عبد الحميد

---

(63) Ibid., p. 57.

(64) Uzunçarşılı, «Şıpka Kumandani Süleymân Hüsnü Paşa'nin,» p. 208.

(65) يُنظر: Dumont, «La Période des Tanzîmât,» p. 519.

(66) *'Askerî tarih bulteni* (August 1984), p. 59.

Scanned with CamScanner

الثاني عبرها بعض الشخصيات غير المرغوب فيها. وكان يبدو أن المقربين من وزير الحربية حسين عوني باشا[67] - الذي قام بدور قيادي إبان خلع السلطان عبد العزيز - مستهدفون بشكل خاص[68]. وكان الفريق سليمان باشا في عداد الضباط المتآمرين[69]. وكمدير للمدرسة العسكرية، أعطى الأمر لطلاب المدرسة بحمل السلاح. وقاد الصف الأول الذي يتكون من كتيبة المدرسة العسكرية، والذي نزل إلى بشكتاش لتطويق قصر الدولمه باهجه[70]. وبسبب أفكاره التقدمية القريبة من تركيا الفتاة، وقيامه بمساعدة مراد الخامس للوصول إلى السلطة، اعتُبر خطرًا من السلطان الجديد الذي مارس التطهير الحقيقي في بداية حكمه من أجل القضاء على كل أثر للمعارضة[71]. ألقي القبض عليه في 16 شباط/ فبراير 1878، واحتُجز في سجن طاش قشلة في اسطنبول، إلى حين محاكمته في 20 شباط/ فبراير 1879.

جُرد سليمان حسنو باشا من ألقابه وحكمت المحكمة العسكرية عليه بالنفي مدى الحياة، من دون تحديد المكان. لكن عقوبته خُفضت من السلطان عبد الحميد الثاني إلى حكم بالنفي لفترة نظرية تمتد ست سنوات في بغداد. وأُبلغ بذلك في 20 شباط/ فبراير 1879[72]. بقي منفيًا في بغداد منذ عام 1879، إلى

---

(67) قتل حسين عوني باشا في 15 حزيران/ يونيو 1876 بعد أسبوعين فقط على خلع السلطان، إذ اغتيل على يد نقيب شركسي هو شركس حسن الذي قاطع اجتماعًا لمجلس الوزراء وقتل عوني باشا ورشيد باشا وزير الخارجية وأشخاصًا آخرين وجرح وزير البحرية أيضًا.

(68) H. T., Karatepe, *Padişahım çok yaşa* (Istanbul: Kitapyayınevi, 2004), p. 121.

(69) Mardin, *Jön Türklerin siyasî fikirleri 1895-1908*, 4th ed. (Istanbul: Iletisim Yay., 1992), p. 67.

(70) S.H.A.T., 7N1624, Constantinople, Rapport no. 28 du 14 Juin 1876.

(71) O. Moreau, «Entre innovation et tradition, une lecture du réformisme ottoman à travers l'outil militaire, du Congrès de Berlin à la Première guerre mondiale, 1878-1914» (Thèse de doctorat, Université de Paris-Sorbonne (Paris IV), 1997), pp. 288-291.

(72) Süleymân Paşazade Sâmî Bey, *Süleymân Paşa Muhâkemesi* (Istanbul: Matbaa-i Askeri, 1237-1328, 1911-1912), p. 9.

المعروف أيضًا باسم سليمان نسيب سامي بيك (1866-1917) ابن سليمان باشا، سليمان باشازاده، كان كاتبًا وشاعرًا ومترجمًا ومعلمًا. يُنظر: Şevket Toker, «Süleymân Nesip,» dans: *Yaşamları ve yapıtlarıyla Osmanlılar Ansiklopedisi*, vol. 2, (Istanbul: Yapı Kredi Yayınları, 1999), p. 565.

اجتزأ بعض المواد المكتوبة من والده في *Umdet-ül hakayik* (عمدة الحقائق).

أن توفي هناك بعد أربعة عشر عامًا. كما جرى استبعاد كثير من الضباط من الجيل الأقدم ومن منتقدي الأنموذج الفرنسي.

3- المشير - المعلم

إضافة إلى كونه مشيرًا، كان سليمان باشا كاتبًا وشاعرًا أيضًا، ومعروفًا في مجالات الأدب واللغة والتاريخ. وفي المجال العسكري كان يتمتع بسمعة كقائد ديناميّ، مفعم بالروح الهجومية، الأمر الذي لم يكن شائعًا جدًا في وقته. رجل ميدان ورجل فكر، انخرط في الشؤون السياسية أيضًا، الأمر الذي تسبب في سقوطه.

بوصفه رجل علم، ألّف الكثير من المواد التعليمية[73]. مع افتتاح مدارس ثانوية

---

(73) كتب المؤلفات الآتية:

Tercüme-i risâle-i irade-i cüziye, 1866.

محمد بن مصطفى أكيرماني، مؤلف لأعمال عدة، توفي في عام 1760 في مكة، حيث كان قاضيًا.

Mebâniyü'l inşa. Istanbul, 2 vols, 1871-1872.

هذا الكتاب الخاص بصفوف الكلية الحربية، في الأدب والبلاغة، كان أول عمل منهجي متعلق بأنواع الأدب التركي، وغرس أيضًا أفكارًا في القومية والشرف عند الطامحين.

İlm-i Sarf-ı Türkî (Istanbul, 1876).

هذا الكتاب كان لطلاب مدرسة الأيتام (Darüşşafaka).

Tarih-i 'âlem (Istanbul: Harp okulu basımevi, 1874).

استخدم الكتاب في الصف الثاني من المدرسة الثانوية، ويتناول تاريخ الإسلام وتاريخ العالم بشكل عام. ولكونه مهمًا جدًا في ذلك الوقت، كان أول كتاب كتبه تركي عن تاريخ الأتراك، مستخدمًا مصادر أصلية. ويوضح في مقدمته أن جميع الكتب التي كتبت في أوروبا مليئة بالقدح في الدين والأتراك، وترجمتها لا تلائم التدريس في المدارس العثمانية. وكان من الضروري صوغ كتب مدرسية الجديدة. كما أنه تأثر بكتاب جوزيف دو غين، **التاريخ العام للهون والأتراك والمغول والتتار الغربيين الآخرين إلخ ... قبل ومنذ... يسوع المسيح وحتى الآن.** (*Histoire générale des Huns, des Turcs, des Mongols et des autres tartares occidentaux, etc... avant et depuis ..., Jésus-Christ et jusqu'à présent*) العمل مقتبس من الكتب الصينية والمخطوطات الشرقية في: «المكتبة الملكية» الجزء 4، باريس، دينسان وسورلان. 1756-1824، يُنظر: Devereux, «Suleyman Pasha's,» pp. 7-9.

في أثناء اجتماع مجلس الجغرافيا في عام 1875 في باريس، توج هذا الكتاب بالمرتبة الثانية. يُنظر: Uzunçarşılı, «Şıpka Kumandani Süleymân Hüsnü Paşa'nin,» p. 210.

Sarf-ı Türk (1876).

= هذا الكتاب مكتوب على الطريقة نفسها كسابقيه. ويبرر الكاتب عنوانه عبر القول إن الدولة وحدها

جديدة، قام سليمان باشا بدور مهم في اختيار البرامج العلمية الحديثة. وارتبطت هذه الأعمال بالأدب والبلاغة وقواعد اللغة التركية على وجه الخصوص. كما أعطى مكانة مهمة للأدب الفرنسي ولأفكار الثورة الفرنسية التي دغدغت عقول طلاب المدرسة العسكرية. ونشرت بينهم الكتب الأدبية الأوروبية هذه الأفكار التحررية والغربية[74]. ظهرت أفكاره الوطنية والقومية في كتاباته المختلفة. كما دُرِّس مفهوم الوطن (vatan) الذي طوره قادة تركيا الفتاة في المدارس العسكرية بفضل سليمان باشا[75]. وأدخل أول مرة إلى جانب الدروس في تاريخ الدولة العثمانية والإسلام، دروسًا في تاريخ الأتراك القدامى.

4- نامق كمال وسليمان باشا

ارتبط نامق كمال وسليمان باشا بصداقة امتدت طوال مراحل حياتهما. تعارفا في المدرسة الابتدائية، في مدرسة الحي دار المعارف في اسطنبول. وعلى الرغم

= هي العثمانية. لذا فإنه من الخطأ الحديث عن اللغة والأمم العثمانية، لأنها تركية. يُنظر:
Orkun, *Büyük Türkçü Süleyman* Paşa, pp. 28-31.

كتاب مخصص أيضًا للصفوف الثانية في المدارس العسكرية: *Esma- i Türkiye*
İlm-i hâl-i kebir (1880), ilm-i hâl-i sağır (1888) (Istanbul, Mihran basımevi). وهما مخصصان للمجتمع التعليمي الإسلامي وموجهان إلى الأطفال، واستعمل هذين الكتابين أيضًا في مدارس الأيتام.
Hulâsat- i Vukuât- i Harbiye (Istanbul, 1908).
Hıss-i inkilâb yahut Sultan Abdulaziz'in hal'i ile Sultan Murad-i Hamis'in Cülusu (Istanbul: Tanin Matbaası, 1326/1910).

هذا المؤلَّف الذي كتب في عام 1876، أصدره بعد وفاته، في عام 1910، ابن الكاتب، سليمان باشازادة سامي بيك. يروي قصة سقوط السلطان عبد العزيز وتولي مراد الخامس العرش.

İlm-i arz.

1293 Türk-Rus Muharebesi hakayikinden hulâsa-ı vukuat-ı harbiye, أعيد نشره في ستة مجلدات تحت عنوان **عمدة الحقائق**
Umdet-ül hakayık, 6 vols. (Istanbul: Asker Matbaa, 1928).

وهو عمل يتناول الحرب الروسية - التركية 1877-1878 والعمليات على الجبهات في صربيا والجبل الأسود. كما يتناول خلع السلطان عبد العزيز وتولي السطان مراد الخامس العرش.

هو كاتب مقالات أيضًا مثل: «عصر الغزوات» و«بارقة النصر» في صحيفة **تصوير الأفكار**، وهي مقاطع مختارة من Mebâniyü'l inşa ونشرت أيضًا في صحيفة
«Lisan-i Osmani'nin Edebiyatına dâir». (74)

Mardin, *Jön Türklerin*, p. 67. (75)

S. S. Aydemir, *Suyu arayan adam* (Istanbul: Remzi Kitabevi, 1961), p. 4.

Scanned with CamScanner

من بعدهما أحدهما عن الآخر في كثير من الأحيان[76]، محافظا على أواصر الصداقة التي عززتها أواصر الالتزام السياسي. كان تبادل الرسائل هو الوسيلة للحفاظ على الاتصال بينهما. وهكذا جرى تبادل مراسلات خفية، خصوصًا أن حياة كل منهما انتهت إلى المنفى في ناحيتين نائيتين من السلطنة، الأولى في ميديلي الجزيرة ليسبوس في بحر إيجه ا، والأخرى في بغداد. وكانت هذه الرسائل تمر عبر أصدقاء لأنهما كانا تحت المراقبة، لذا كانت المراسلات، بحكم الضرورة، متباعدة[77].

شجع نامق كمال صديقه على كتابة مذكراته على غرار الجنرال الفرنسي دوبون الذي أنهى حياته في السجن[78]، بأسلوب المذكرات العسكرية الفرنسية. فكتب قصة حرب 93 (*1793 hatırası*) حيث يمكن التعلم منها. وأصر نامق كمال أن

---

(76) عندما درس سليمان باشا في ماجكا في عام 1853، كان جد نامق كمال قد نقل ليكون قائمقامًا لقارص. رجع إلى اسطنبول في صيف 1854، ومن ثم تبع من جديد جده في مهمته الجديدة في صوفيا في أيار/ مايو 1855. عاد إلى اسطنبول في أيلول/ سبتمبر 1856 وبقي فيها حتى عام 1860. في عام 1860، ذهب سليمان باشا وهو خريج الكلية الحربية بدوره إلى البوسنة وبقي هناك حتى عام 1862. ثم عادا معًا إلى اسطنبول ومكثا فيها لمدة 5 سنوات، وكانت هذه الفترة الأطول لهما في حياتهما. في الواقع، في عام 1867، ذهب سليمان باشا إلى أفيون ومن ثم إلى كريت. أما نامق كمال، فأقام في أوروبا منذ أيار/ مايو 1867. وعاد في تشرين الثاني/ نوفمبر 1870، ليمضي أسبوعين قبل رحيل سليمان باشا إلى عسير التي عاد منها في آب/ أغسطس 1871. ومن دون احتساب الشهرين والنصف التي كان نامق كمال في خلالها حاكمًا (متصرفًا) في غيليبولو في عام 1872، بقيا معًا في اسطنبول لغاية نيسان/ أبريل 1873، تاريخ انطلاق نامق كمال إلى ماغوسا. عاد إلى اسطنبول بعد خلع السلطان عبد العزيز في 10 حزيران/ يونيو 1876. لاحقًا، وبعد 16 يومًا، ذهب سليمان باشا إلى صربيا. وعند عودته في 20 تشرين الثاني/ نوفمبر 1876 التقيا في خلال الأعمال التحضيرية الخاصة بالدستور العثماني والمجلس العمومي العثماني. عاد سليمان باشا من جديد إلى ميدان العمليات كقائد عسكري للبوسنة والهرسك ولم يلتقيا بعدها قط. وبعد أن ألقي القبض على نامق كمال، أرسل في 20 آب/ أغسطس 1877 إلى سجن جزيرة ميديلي حيث تم احتجازه. كما ألقي القبض أيضًا على سليمان باشا في 16 شباط/ فبراير 1878 واحتجز حتى النطق بحكم الإعدام عليه، الذي خفف إلى الحكم بالنفي في بغداد في شباط/ فبراير 1879.

(77) Ömer Faruk Akün, «Nâmık Kemal ile Süleyman Paşa'nin Bagdad sürgünlüğü sırasında ilk mekteplaşmaları,» in: *Türk Dili ve Edebiyat Dergisi*, XXIII (Istanbul: Edebiyat Fakültesi Matbaası), p. 5.

(78) شارك الجنرال دوبون دو ليتان في معارك كثيرة إلى جانب نابليون (1765-1840). وعلى غرار سليمان باشا، حوكم وسجن (1812) وجُرد من ألقابه. وفي السنوات الأخيرة من حياته، قام بكتابة مذكراته.

يحمل سليمان باشا القلم لتوثيق هذه الحرب لأنه قام بدور مركزي فيها[79]. كان سليمان باشا يمتلك مجموعة غنية من الوثائق حول معارك الحرب الروسية ـ التركية (1877-1878)، احتفظ بها في خزنة. وعندما اعتُقل في 16 شباط/ فبراير 1878، وضعها في مكان آمن بتسليمها إلى الأميرال كوميريل (Commerel)[80]. ومن ثم أعطيت للواء الفريق حسين باشا الذي احتفظ بها في منزله في اسطنبول، إلى أن جرى تسليم الوثائق إلى عضو المجلس الحربي المسؤول عن إعداد الاتهام. وكي يتمكن دفاعه من استخدامها، وضعت هذه الوثائق تحت حماية حراس مسلحين في وزارة الحربية. لكن في 3 نيسان/ أبريل 1878، سُرقت الخزنة[81]. عندما كتب مذكراته، استند إلى تلك الوثائق التي سُلّمت إليه في بغداد. فكتبها بشجاعة كبيرة لأنه كان يعرف أنه لا يمكن نشرها في خلال حياته ولم يكن لديه أي ضمان بنشرها بعد وفاته. وأكبّ على مهمته هذه في آذار/ مارس 1880[82].

روت كتب منشورة في الخارج حياة سليمان باشا. وكان لنامق كمال تقدير خاص لكتاب صدر بالألمانية هو[83] *Serail und Hohe Pforte. Enthüllungenen über die jungsten Ereignisse in Stambul* (**السرايا والباب العالي: حقائق عن أحداث اسطنبول المعاصرة**)، حيث خُصصت مئة صفحة فيه لمشاركة سليمان باشا في حرب البلقان 1877-1878، ولمذكراته ومحاكمته. وتُرجمت مقاطع منه إلى الفرنسية وأرسلت إلى سليمان باشا الذي قرأها.

5- حياته في المنفى

ذهب سليمان باشا أولًا إلى حلب[84]، حيث انتظر وصول عائلته التي لم تأت. من هناك، ذهب إلى بغداد في حزيران/ يونيو 1879، حيث كان تحت

---

(79) كان في نية سليمان باشا تأليف كتاب أيضًا، إلا أن نامق كمال لم ير بأنه الأفضل لإنجاز هذه المهمة لأنه لم يشارك بطريقة دائمة في تلك الحرب، ولا في معارك كبيرة.

(80) Süleyman Paşa, *Umdet-ül hakayik*, vol. 6 (Istanbul, 1906), p. 186.

(81) Ibid., pp. 424-425.

(82) Ibid., p. 16.

(83) مؤلفه كان أماند فرايهر فون شوايغر - ليرتشنفيلد وقد نشر بشكل مستتر مع ثلاث نجمات بدلًا من اسم المؤلف، عن منشورات أ. هارتلبنز، فنسبت لايبزيغ عام 1879.

(84) استقبله والي حلب كامل باشا القبرصلي.

الإقامة الجبرية. وعند وصوله إلى بغداد، بدأ بمساع إلى جانب الصدر الأعظم سعيد باشا ووزير الحربية الغازي عثمان باشا (serasker)، لإرساله إلى المنفى في أزمير أو ميديلي أو رودس، لكن من دون نجاح[85]. وفي عام 1880 كتب التماسات عدة بالعفو إلى السلطان لكنها بقيت بلا إجابة. ولم يتم الرد على أي من طلباته.

عند وصوله إلى بغداد[86]، عانى سليمان باشا صعوبة في توفير حاجاته، حيث كان معه ثلاثة آلاف قطعة من الذهب فحسب، جمّدها من أجل الحصول على الفوائد. لكن عندما استنفد المال في عام 1882، منحته الحكومة مبلغًا كبيرًا نسبيًا هو 7500 قرش تمكنه من العيش[87].

بدءاً من عام 1887، وبعد أن أمضى سليمان باشا عقوبته بالنفي لمدة ست سنوات في بغداد، طلب من السلطان إعادة لقبه إليه وتعيينه في الأناضول الشرقية[88]. وعندما أصابه المرض في عام 1889، بقي طريح الفراش لمدة أربعين يومًا. ثم طلب الإذن بالصعود إلى متن القارب «Umman-i Osmanî» للذهاب إلى كوت العمارة، عند مصب الخليج العربي، في خمسة أو ستة أيام. وعلى الرغم من التقارير الطبية حول مرضه[89]، لم يُسمح له بمغادرة هذه المدينة. من الواضح أن السلطان كان يخشى من فرار سليمان باشا. وفي كانون الأول/ديسمبر 1891 عندما توفيت والدته، قدم التماسًا بنقل منفاه إلى منطقة أخرى غير العراق والولايات العربية، لأن عائلته باتت بلا معين. بقي هذا الطلب حبرًا على ورق وتوفي سليمان باشا بعد ثمانية شهور، في 7 آب/أغسطس

---

(85) وردت هذه المعلومات في رسالة من سليمان باشا إلى نامق كمال بعد ثمانية شهور ونصف من وصوله إلى بغداد.
Akün, p. 26.

(86) عند وصوله إلى بغداد جرى إيواؤه من قائد الدرك. أما الوالي كوتاهيالي عبد الرحمن محمد باشا وقائد الفيلق السادس المشير حسن فوزي باشا فتعاملا معه ببرودة. يُنظر:
Uzunçarşılı, «Şıpka Kumandani Süleymân Hüsnü Paşa'nin,» p. 211.

(87) Ibid., pp. 210-211.

(88) Ibid., p. 218.

(89) كان يعاني ألمًا في المعدة ومرضًا في الأعصاب.

1892[90]. وكان ابنه سليمان نسيب، مدير المدرسة الإعدادية في بورصة، قد حصل في عام 1891 على إذن لأربعة شهور لزيارة والده في بغداد. وفي خلال هذه الفترة، جرى تعيينه مديرًا للمدرسة الإعدادية في بغداد، حيث كان يعلم الفرنسية والتاريخ العام[91].

في أثناء منفاه في بغداد، حافظ سليمان باشا على نشاطه. وحافظ على اهتمامه بقضايا التعليم وكتب تقارير عن أوضاع الولايات في بغداد والبصرة والموصل وفي واحد منها، دعا إلى إجراء إصلاحات في ولايات العراق[92] بحسب رأيه. كانت أغلبية سكان هذه الولايات ضد القضية العثمانية. مع ذلك، فإن السكان الذين يشتركون في اللغة والشعائر الدينية الخاصة بعاصمة السلطنة كانوا أقلية. وأظهر سليمان باشا الشيعة على أنهم الأعداء الرئيسيين للسلطنة ودافع عن استراتيجية مزدوجة تعتمد على التعليم والدعاية الدينية المضادة على حد سواء. الإجراء المقترح الأول لاستعادة «العقيدة السنية» كان بإنشاء جماعة تسمى «جمعية التعليم الديني»[93]. أما الإجراء الثاني فكان إرسال المبشرين من سلك العلماء.

مع انتقاده الجهد الذي وضعه النظام الحميدي في التعليم، طلب سليمان باشا المساعدة من القوى المدنية – من طريق المدارس الحكومية – وكذلك من الدينية – أي العلماء – للدفاع عن السلطنة. وشدد على أهمية التربية والتعليم أيضًا في خدمة الدولة للقضاء على الجهل، وإذ انعكس تأثير النماذج الأوروبية على معظم مقترحاته للإصلاح، لم يكن هناك أي أنموذج علماني.

---

(90)

(91) بعد وفاة والده في آب/ أغسطس 1892 حصل سليمان نسيب أيضًا على إذن لأربعة شهور لزيارة اسطنبول. ينظر:

Ibid., p. 219.

(92) Ibid., p. 565.

Yıldız Esas Evrakı (Y.E.E.) (Fonds de Yıldız du B.OA.), 14/1188. 9 ramazan 1309 (7 avril 1892).

سمي هذا التقرير: «بخصوص الإصلاحات في ولاية العراق». يُنظر:

(93) B. Fortna, *Imperial Classroom: Islam, the State and Education in the Late Ottoman Empire* (Oxford: Oxford University Press, 2002), pp. 63-66.

Y. Demirgil, «The Invention of Tradition as Public Image in the Late Ottoman Empire, 1808-1908,» in: *Comparative Studies in Society and History*, vol. 35, no. 1 (1993), pp. 19-20.

Scanned with CamScanner

كان ابنه سليمان نسيب (1866-1917) كاتبًا معروفًا، وشغل طوال حياته المهنية مناصب مدير في التعليم، خصوصًا في المدارس الإعدادية. ورث والده في مجال التعليم والأدب، وعاش حياة مهنية لامعة[94].

كان سليمان باشا يؤمن بضرورة إجراء إصلاح سياسي، ما حفز مشاركته في خلع السلطان عبد العزيز للنهوض بنظام دستوري. كان مدحت باشا، «الباشا المدني»، وسليمان باشا، «الباشا العسكري» - من دون أن يتم تقديرهما بتاتًا - العقلين المدبرين للدستورية العثمانية. كانا شخصيتين من الصف الأول، تشابه مصيرهما إلى حد ما: الموت في المنفى، وسحق كلاهما بعنف شديد من عبد الحميد الثاني. وأشارت وفاة مدحت باشا المأساوية في الاحتجاز في الطائف إلى نهاية المغامرة الدستورية في السنوات المقبلة. وفقد المشهد السياسي العثماني عنصره الأكثر لمعانًا. بالمثل، ومع إبعاد سليمان باشا، خسر الجيش روحًا ليبرالية ومنفتحة، ومعلمًا ومصلحًا. كما تميز سليمان باشا في مجالات التاريخ والأدب التركي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. كان صاحب روحية مبتكرة؛ إذ شارك في النقاشات الجديدة، وأصبح رائدًا في تعزيز مفهوم «التركية» للتصدي لمفهوم «العثمانية».

اعتبر السلطان سليمان باشا انقلابيًا والأخطر بين الباشاوات العسكريين الثلاثة. لذا وجّه إليه الضربة الأقسى، عبر إبعاده إلى بغداد مع حظر رسمي بالتنقل والاتصال برفاقه السابقين. لم يُعفَ عنه أبدًا، حتى بعد انقضاء مدة عقوبته؛ وحده الموت هو الذي حرره من المنفى.

---

(94) تابع سليمان نسيب (1866-1917) دراساته في مدرسة بشكتاش الثانوية، ثم في المدرسة الإعدادية للعلوم السياسية التي التحق بها لاحقًا وتخرج في عام 1889. حين كان طالبًا، نشر قصائده الأولى في مجلات: **حديقة الورود والنحل، نحل الأمل، الفوائد، والخدمة**. في عام 1890، عين مديرًا للمدرسة الإعدادية في بورصة ودرّس الجغرافيا وعلم الفلك وفن التدبير (المقاييس العلمية). تابع حياته المهنية في مجال التعليم. وكعضو في جمعية «الأدب الجديد» بين عامي 1896 و1902، نشر 32 قصيدة في مجلتها **ثروة العلوم**، وعين مديرًا للتعليم في ولاية جزر البحر الأبيض المتوسط، حيث شغل المنصب في ميديلي وروديس. وحينذاك وضع كتابه **علم تربية الأطفال** الذي نشر في عام 1907 (1323هـ) في اسطنبول. ومع ظهور الملكية الدستورية الثانية (1908)، عاد إلى اسطنبول كمدير للتعليم، وشغل مناصب مختلفة في مجاله. ينظر:
Toker, p. 565.

Scanned with CamScanner

الغازي عثمان باشا، الباشا الثالث، كان الأكثر احترامًا من الشعب، وليامن خطره، لجأ عبد الحميد الثاني إلى صيغة أخرى، قضت بـ «تعيينه» في القصر وزيرًا للحربية.

الصورة (4-3)

الغازي عثمان باشا

(مجموعة IRCICA)

ثالثًا: الغازي عثمان باشا أو المجد والسلطة (1833-1900)

1- مسار عسكري تقليدي

ولد في توكات في الأناضول لأسرة فقيرة في عام 1833[95]، واسمه الأصلي عثمان نوري. كان الصبي الوحيد لأهله، تابع تعليمه في المدارس العسكرية العثمانية. وفي سن الثامنة، انضم مع أسرته إلى والده الذي كان يعمل في اسطنبول. وبدأ دراسته في مدرسة صبيان (sıbyan) في جيهانغير، وتابعها في

(95) اقتُرِحَتْ تواريخ مختلفة عدة لولادته، نحن استخدمنا تلك الصادرة عنه. يُنظر:
M. Hülagü, *Gâzi Osman Paşa* (Istanbul: Bogaziçi yayınları, 1993), p. 365.

Scanned with CamScanner

المدرسة الثانوية العسكرية في بشكتاش في اسطنبول. في سن الثانية عشرة، قام عمه بتسجيله في المدرسة التحضيرية العسكرية، حيث مكث خمس سنوات. وكان واحدًا من أفضل الطلاب في مدرسة بانغالتي الحربية، وحل في المركز الأول في فحم المشاة في عام 1851 برتبة ملازم ثان. وبفضل مستواه الممتاز، قُبل من دون امتحان في مدرسة الأركان العامة. لكنه لم يحظ بالوقت الكافي لتكريس جهده فيها، إذ استُدعي إلى الجبهة في أثناء حرب القرم في عام 1853[96].

غادر اسطنبول في عام 1853، مع القوات المغادرة إلى شبه جزيرة القرم برتبة ملازم ثانٍ. شارك في جيش الروملي لمدة أربع سنوات. وعند اقتراب نهاية الحرب في عام 1855 نال رتبة ملازم أول، بعد أن لفت الانتباه بشكل خاص لشجاعته وبطولته في أوباتوريا[97]. وعندما انتهت حرب القرم، أكمل دراسته في كلية الأركان العامة. رقي في عام 1858 إلى رتبة رائد وعمل لمدة سنة في مكتب هيئة الأركان العامة في وزارة الحربية.

في عام 1859، أُرسل عثمان باشا إلى بورصة لإجراء إحصاء وإنشاء سجل عقاري وعمليات مسح طوبوغرافي، وشغل هذه المهمة لمدة سنتين[98]. وفي عام 1861، عُيّن في هيئة الأركان العامة لجيش الروملي، في ينيشهر. ونُقل في عام 1864 إلى الحرس الوطني، مسؤولًا عن الفوج الرابع من الكتيبة الثانية. رقي إلى رتبة مقدم (بكباشي)، وبعد ذلك بعام، أصبح قائد الفوج الثالث من الكتيبة الثانية في جيش السلطان[99].

أُرسل لاحقًا إلى لبنان برتبة قائد كتيبة، لقمع انتفاضات جبل لبنان وكبح عمليات قطع الطرق المتفشية في سوريا بتحريض من يوسف كرم. ومن ثم جرى نقله إلى جزيرة كريت، حيث بدأت المشكلات في عام 1866. ولفت سلوكه المنضبط القائد العام عمر باشا الذي رقاه إلى عميد ومنحه الأوسمة. في عام

---

(96) يُنظر: Ibid., pp. 29-31.

(97) Ibid., p. 33.

(98) Ibid., 34.

(99) Ibid

1868، تولى مهماته في اليمن - في الفيلق السابع للجيش الذي أنشئ حديثًا - حيث كان يعمل بإمرة رديف باشا لقمع الانتفاضات. انتصر في القتال، لكنه جُرِح أيضًا، فرُقي إلى رتبة لواء (mîrlivâ)[100]. ثم نُقِلَ إلى مناستر، ومن ثم يني بازار، في الفيلق الثالث للجيش. وتولى قيادة فرقة في يني بازار في عام 1873 فحصل على رتبة قائد فرقة. ثم عاد إلى مكاتب هيئة الأركان العامة في اسطنبول. وبعد مدة وجيزة، غادر كقائد إلى أشقودرة، في ألبانيا. ومن ثم أُرسل إلى البوسنة، على رأس فرقة نيش. وعاد مرة أخرى، لمدة وجيزة إلى اسطنبول[101].

عند خلع السلطان عبد العزيز (30 أيار/ مايو 1876)، قام وزير الحربية (السرعسكر) حسين عوني باشا - الذي كان يعتمد اعتمادًا كبيرًا على حيوينه - بتسليم عثمان باشا القيادة العسكرية لمنطقة في اسطنبول كان يسكنها حصريًا «الأتراك المتعصبين القدامى» الذين كانوا على استعداد للتمرد. واتخذ عثمان باشا إجراءات رادعة لمنع الانتفاضة المخطط لها. وتمكن من الحفاظ على النظام من دون إراقة دماء، من خلال الخوف الذي أشاعه بين السكان[102].

بعد مدة وجيزة، اختلف عثمان باشا مع حسين عوني باشا الذي أرسله مغضوبًا عليه إلى أرضروم في فيلق الجيش الرابع. مع ذلك، حين وصل إلى طرابزون، تلقى برقية تستدعيه إلى أوروبا، في ميدان العمليات الحربية التي كانت قد اندلعت للتو ضد روسيا. وفي خلال انتصار طشقند، هزم عثمان باشا جيش المارشال الروسي الشهير تشيرنايف، فرُقي بعد ذلك إلى رتبة مشير. وعند مروره باسطنبول، عُيّن قائدًا للقوات التي جرى تجميعها ضد صربيا، في نواحي فيدين (Widdin)[103]، تحت اسم جيش التيموك[104].

---

(100) Ibid., p. 36.

(101) Ibid., pp. 37-38.

(102) يُنظر: S.H.A.T., 7N1629, annexe au rapport no. 45, 1885.

(103) مدينة بلغارية تقع على ضفاف نهر الدانوب في شمال غرب بلغاريا بالقرب من الحدود الرومانية - الصربية. (المراجع)

(104) يُنظر:

[التيموك هو نهر يجري بين الحدود البلغارية - الصربية. (المراجع)]

تولى عثمان باشا الهجوم، وبعد استيلائه على مرتفعات فيليكي إيزفور [مدينة صربية]، طرد الجنرال ليشانين من معسكر زايتشار المحصن، وساهم بهذا النجاح في إخلاء سريع لألكسيناتز (Alexinatz) من القوات الصربية. عاد عثمان باشا مرة أخرى إلى فيدين بعد إبرام الهدنة مع صربيا، وعبر نهر الدانوب في كالافات [مدينة رومانية، هي «كلفه» بالتركية] وانتقل، في رومانيا، إلى الجانب الأيمن من الفيالق الروسية، ثمّ علم في 12 تموز/ يوليو 1877 أن الروس عبروا بالفعل النهر إلى سيميتزا وفرضوا حصارًا على حسن باشا في نيكوبوليس [مدينة رومانية هي في اليونان الحالية]. وبعد وصوله متأخرًا جدًا واستسلام نيكوبوليس، اتجه نحو الجنوب الشرقي، لاعتراض الطرق المؤدية إلى روسكوك وليستوفا في صوفيا. واحتل مدينة بليفني وأقام معسكرًا محصنًا[105]. وأظهرت سرعته في القيام برحلته من فيدين إلى بليفني، من دون سلاح فرسان، ومن دون وسيلة نقل، روحه القتالية الحازمة. كان يصعب الدفاع عن مشروعه لوقف الجيش الروسي أمام مدينة مفتوحة. لكن إصراره على القتال حتى النهاية، من دون أي فرصة للخلاص، ضد خصم تتدفق عليه التعزيزات باستمرار، أثبت طاقته الكبيرة ومثابرته وتفانيه، إلى جانب شجاعته الشخصية. كانت لديه قوات ممتازة، يعرف كيف يثير فيها روح العصبية الدينية، حيث كان يبثّ في رجاله ثقة عمياء. وضحى بدم بارد، أكثر من مرة، بأفضل جنوده من أجل العملية الدفاعية[106].

2- حصار بليفني

استمر حصار بليفني أربعة شهور ونصف، أي مئة وثلاثة وأربعون يومًا (19 تموز/ يوليو - 10 كانون الأول/ ديسمبر 1877). وواجه 50,000 جندي عثماني، مع 100 قطعة مدفعية، جيشًا من 150,000 من الروس والرومانيين، يضمّ عددًا من الفرسان و800 مدفع. كما واجهوا سكوبيليف الشجاع الذي قاد شخصيًا

(105) انتقد هذا القرار بقوة من بعض المؤرخين ورفع من الآخرين إلى ذروة التصميم الاستراتيجي الواسع، يُنظر:
Ibid.

(106) Ibid.

Scanned with CamScanner

هجمات عدة ضد معسكر عثمان باشا المحصن[107]. في خلال هذا الوقت كله، لم يُظهر عثمان باشا لحظة ضعف أو إحباط واحدة. ومع أنه كان محاصرًا تمامًا وعرضة لهزيمة محتمة، رفض عروض استسلام قدمها الدوق الأكبر نيكولاس في 12 تشرين الثاني/ نوفمبر 1877. وشارك المشاعر التي أعرب عنها في هذه الرسالة جميع من كان معه في المعسكر، وصفقوا لها.

«مركز القيادة العامة قرب بليفني: 12 تشرين الثاني/ نوفمبر 1877

وصلتني الرسالة المؤرخة في 30 تشرين الأول/ أكتوبر التي شاء سموك الإمبراطوري أن يوجهها إلي.

لقد واصلت القوات السلطانية الموجودة تحت قيادتي إظهار الشجاعة والثبات والقوة، وانتصرت في المعارك كلها التي دارت حتى يومنا هذا. لهذا السبب اضطر جلالة القيصر إلى استقدام تعزيزات من فيالق الحرس الملكي ورماة القنابل. إن هزائم غورنا دوبنيكا وتليش واستسلام القوات الموجودة هناك وانقطاع الاتصالات والاستيلاء على الطرق السريعة، ليست أسبابًا كافية كي أضطر إلى تسليم جيشي للعدو. لا ينقص قواتي شيء ولم تقم بعد بما عليها القيام به كله لصون الشرف العسكري العثماني. حتى اليوم سالت دماؤنا بفرح من أجل بلدنا وديننا، وسوف نستمر بالقيام بذلك بدلًا من الاستسلام.

أما بالنسبة إلى مسؤولية سفك الدماء، فإنها تقع في هذا العالم، وكذلك في العالم الآخر، على أولئك الذين تسببوا بالحرب.

أتقدم من سموكم الإمبراطوري بفائق تقديري واحترامي.

غازي عثمان، قائد جيش بليفني، إلى صاحب السمو الإمبراطوري الدوق الأكبر نيكولاس في بودوريم»[108].

لكن، عند رؤيته كتائبه وقد أنهكها التيفوئيد والجوع والبرد، وقلة الذخيرة والملابس والمواد الغذائية، ولم يعد بإمكانه الاعتماد على أي مساعدة، تخلى عثمان باشا عن معاقله بعد أن كان قد ألحق بالعدو ثلاث هزائم مدوية، وحاول

---

(107) يُنظر: William von Herbert, *The Defence of Plevna, 1877*, Ministry of Culture Publications/1160, Cultural Works Series/146 (Ankara: Kiliçaslan Matbaacilik, 1990; [1911]), p. 7.

(108) Ibid., pp. 270-271.

Scanned with CamScanner

اختراق الخطوط الروسية - الرومانية. وإذ كان مطوقًا من سلاح مدفعية كبير ومنسق النيران، حوصر في أعماق وادي فيد (Vid) وأصيب، ما جعله يختار الاستسلام مع ما بقي من جيشه الصغير[109].

قيل عنه إنه نسي قليلًا دروس المدرسة العسكرية، ولم يكن يحب الدراسة النظرية التقليدية. صوّره الملحق العسكري الفرنسي بأنه رجل «ذو عقل ثقيل وإدراك بطيء»[110]. مع ذلك، كانت لديه نظرة ثاقبة وحكم سليم جدًا، وفي المعارك كلها التي دارت حول بليفني، كان قادرًا على إعطاء الأوامر الأصلح في ساحة المعركة[111].

أما صفته الرئيسة - التي خدمته طوال مسيرته - فكانت قدرته الخاصة على تقدير إمكانات الضباط المحيطين به، ومعرفته المستمرة بكيفية استخدامهم الأفضل لمصلحة الخدمة العسكرية. ففي بليفني، على سبيل المثال، كان يليه ثلاثة ضباط ذوي رتب رفيعة، ترك لهم الحرية الكاملة في تنظيم تفصيلات الدفاع: جنرال الفوج طاهر باشا، قائد الفيلق الثاني ورئيس هيئة الأركان، وعميدين اختارهما مساعدين له، هما رضا بيك وتوفيق بيك. قام هذان الأخيران بتنسيق نظام الدفاع في بليفني، كما أعطاهما عثمان باشا فكرتين ممتازتين: **الأولى**، حفر ملاجئ مدرعة تحت أرضية المعاقل لحماية المدافعين من الطلقات المتقاربة للمدفعية الروسية، **والثانية**، إطلاق النار طويل المدى على المشاة، للاستفادة من تفوق البنادق التركية «Seabody» على البنادق الروسية «بردان» (Berdan n° 2). وسمحت هذه التدابير بإطالة أمد المقاومة. كذلك سلّم عثمان باشا، خلافًا لرأي ضباطه، قيادة المدفعية إلى ضابط مغمور ويفتقد تقريبًا إلى التعليم النظري، وهو العميد آرال أحمد بيك. تمكن أحمد بيك من تحقيق أفضل استفادة من القليل من السلاح الذي كان في حوزته. وتقدم بالقوات قدر الإمكان، لغاية أول الأودية التي تلامس بليفني، واستخدمها للقيام بهجوم معاكس على أرتال القوات

---

(109) يُنظر: Ibid.

(110) Ibid.

(111) Ibid.

الروسية، حين كانت تتسلق المنحدرات للقيام بأعمال هجومية، أو حين كانت تتراجع بعد اعتداء فاشل. وعندما جرى الاستيلاء على المكان بالكامل، ولم يعد يتلقى أي ذخائر، نظَّم أحمد بيك ورشات عمل لتصنيع الأعيرة النارية، وأكياس الأعيرة وقطع المدفعية. كما جمع الذخيرة كلها التي تركها الروس على أرض المعركة، وأعطى الأمر بتصنيع صناديق لرصاص الرشاشات، من زنك صفائح الوقود الموجودة في الكثير من المحلات التجارية في المدينة[112]. أما التكلفة البشرية لهذا الحصار فكانت كبيرة بالنسبة إلى الأطراف جميعها: 55,000 قتيل من الروس، و10,000 من الرومانيين و30,000 من الأتراك. وإن قمنا باحتساب المدنيين، نصل إلى مئة ألف ضحية[113]. وعند استسلام عثمان، أعاد القيصر ألكسندر الثاني إليه سيفه وقلده شارة التعرف إلى الخصم، قائلًا له:

«أهنئكم على دفاعكم الجميل. إنه واحد من أروع وقائع التاريخ العسكري»[114].

3- التكريس

كانت معركة بليفني بمنزلة «النجاح الكبير» لعثمان باشا، وارتبطت باسمه كما كانت المفتاح لمهنته، حيث كشفت عن العبقرية والقدرة على التحمل التي يمكن أن يقدمها ضابط أعلى لدرء المصير. وكانت هذه المعركة قبل كل شيء عملًا بطوليًا وقدمت صاحبها بطلًا. كان عثمان باشا سجينًا عند الروس في بليفني ثم أسيرًا في خاركوف، حيث تلقى تكريمًا ملكيًا. وعند عودته من الأسر في عام 1878، غمره السلطان بالتكريم والشكر والثناء، ومنحه لقب غازي وعيّنه ياورًا أول[115]. وبعد مدة وجيزة، سمي المشير الأكبر للقصر (Mabeyn müşîri) ووزيرًا للحربية (serasker). وحافظ على هذا المنصب طوال حياته. كان في خلال صلاة الجمعة يجلس أمام السلطان في عربته. وبعد وفاته في عام 1900، لم يشغل

---

(112) يُنظر: S.H.A.T., 7N1629, annexe au rapport no. 45, 1885.

(113) Herbert, *The Defence of Plevna*, p. 344.

(114) Ibid., p. 343.

(115) ياور، كلمة تركية معناها المرافق الشخصي. وهي أيضًا رتبة عسكرية عثمانية تعني رئيس حرس الأمير وله مهمة محددة هي أن يحمل السيف أمام ضيوف الدولة ويسير أمامهم مستعرضًا حرس الشرف. (المراجع)

منصبه أحد، لذا دعي وزير الحربية رضا باشا ليحل محله[116]. إلا أنه أبقي في الظل في القصر، وقد دعي مرارًا وتكرارًا من سكان بليفني الذين أرادوا تكريمه، لكنه لم يحصل قط على إذن بالذهاب[117].

كثيرًا ما قُدم عثمان باشا على أنه «المتعصب التركي القديم» المعادي لأي فكرة للتقدم في المجال العسكري. وبوصفه المتحدث الرسمي باسم الجناح التقليدي في الجيش، فقد كان المدافع عن قضايا المسلمين[118]. لم يحبذ كثيرًا خطة إعادة التنظيم التي قدمها ضباط من البعثة العسكرية الألمانية في ثمانينيات القرن التاسع عشر؛ إذ كان يعتبر هذه المشروعات مكلفة جدًا وصعبة التطبيق لكونها لا تنسجم كثيرًا مع طباع الجندي العثماني وعاداته. علاوة على ذلك، سادت علاقات نزاعية بين البعثة الألمانية وعثمان باشا؛ إذ سعى الضباط الألمان، من حيث المبدأ، للحصول على القيادة الفعلية للقوات. وعندما عارض وزير الحربية ذلك الأمر، عامله الألمان كعدو، وهاجموه بعنف في الصحف العسكرية لبلادهم. ولئن كان في الواقع وطنيًا جدًا وعلى استعداد للمساهمة في تطوير القوة العسكرية العثمانية، إلا أن عثمان باشا كان قليل التعاطف مع البعثة العسكرية الألمانية ومشروعاتها الإصلاحية. وبدافع حقده على الألمان، أظهر تعاطفًا كبيرًا مع الضباط الفرنسيين الذين كانوا في خدمة السلطنة، ومال إلى دعم النفوذ الفرنسي.

4- مشير القصر الكبير في دائرة السلطة

كانت لعثمان باشا سمعة الإداري غير الناجح؛ لا يعرف كيفية توقع الاستحقاقات والمواعيد، ولا الحصول على الأموال اللازمة في الوقت الملائم، مع استخدامه قسمًا كبيرًا من المبالغ الموجودة تحت تصرفه. وبسبب أخطائه المالية، اشتبه به أكثر من مرة من طريق الخطأ بالاختلاس. غير أن تحقيقًا بخصوص إدارته أجراه في عام 1879 مشيران عينهما السلطان، هما نصرت باشا وفؤاد باشا، أظهر براءته من هذه الاتهامات. مع ذلك، وبحسب الشائعات العامة، لم تكن

---

(116) Karatepe, p. 116.

(117) Ibid., p. 273.

(118) K. H. Karpat, *The Politicization of Islam: Reconstructing Identity, State, and Faith, and Community in the Late Ottoman State* (Oxford: Oxford University Press, 2001), p. 191.

Scanned with CamScanner

نزاهته خالية من الشوائب. ففي الجزء الأول من حياته المهنية، كانت السمعة بأنه فاسد و«آكل» [يتقاضى الرشى]. وبالتالي، لم يأخذ مبالغ صغيرة، لكنه لم يرفض، إن كان ملائمًا، عمولات كبيرة[119].

في حال وجد تناقض صارخ بين أفكار عثمان باشا الشخصية وسلوكه، فقد كان متسامحًا بإفراط حيال رغبات السلطان، إذ كان يختبئ وراءه وكأنه ستارة له. كان السلطان شديد التمسك بمشيره الأكبر في القصر، ولا سيما أنه يعلم أن هذا الأخير فقد شعبيته كي يستطيع قيادة مؤامرة قد يقوم بها الجيش. شغل منصب وزير الحربية أربع مرات[120]، بيد أنه حمل الرقم القياسي لطول المدة التي قضاها في وظيفته في القصر. مع ذلك، وفي أعوام 1882 و1883 و1884، قدم عثمان باشا استقالته مرات عدة، ما أثار تحسنًا طفيفًا في علاقاته بالضباط الذين كانوا يريدون وزيرًا أكثر استقلالية. وعلى الرغم من العداوات المحيطة به والمعارضة التي جعلته هدفًا لها، بقي المشير الأكبر في القصر لثلاثة وعشرين عامًا بين عامَي 1877 و1900. وفي خلال الحرب اليونانية - التركية في عام 1897، جرى تعيينه رئيسًا لهيئة التفتيش العامة (ordu ümûmî müfettişi) في سالونيك.

كان عثمان باشا معروفًا بكونه محافظًا و«متعصبًا»، لعلاقاته بفئة العلماء[121]. علاوة على ذلك، كان مطبوعًا بتدين لم يفارقه طوال حياته. كان يصلي ويصوم ولا يشرب الكحول ويقرأ القرآن[122]. وكان محبوبًا ويحظى باحترام كل من المسلمين وغير المسلمين، كما كانت الحال بالنسبة إلى سكان بليفني جميعهم.

---

(119) يُنظر:
S.H.A.T., 7N1629, annexe au rapport no. 45, 1885.

(120) كان عثمان باشا وزيرًا للحربية أول مرة بين كانون الأول/ ديسمبر 1878 وحزيران/ يونيو 1880، والمرة الثانية بين كانون الثاني/ يناير 1881 وتشرين الأول/ أكتوبر 1882، والمرة الثالثة بين كانون الأول/ ديسمبر 1882 وآب/ أغسطس 1885، والمرة الأخيرة بين آب/ أغسطس وأيلول/ سبتمبر 1891. يُنظر: S. Kuneralp, *Son dönem Osmanlı Erkân ve ricali (1839-1922), Prosopografik Rehber*, 2nd ed. (Istanbul: İsis, 2003), p. 10.

(121) انتشرت هذه السمعة خصوصًا عبر الصدر الأعظم تونوسلو خير الدين باشا وعبر سفير بريطانيا العظمى في الآستانة، م. لايارد. أما تنافسه مع فؤاد ونصرت باشا والخلافات التي نشأت، فكانت مصدرًا للنزاعات بينهم. يُنظر:
Hülagü, *Gâzi Osman Paşa*, pp. 21, 322-323, 380.

(122) وردت في:
B.O.A., Y.E.E., K., E. 33-1173, Z.73, K.90,
Hülagü, *Gâzi Osman Paşa*, pp. 293, 324.

Scanned with CamScanner

عاش الغازي عثمان باشا في بيت صغير خشبي (yalı) يقع في بشكتاش، على ضفاف البوسفور. ولإبقاء حاميه قريبًا منه، قام عبد الحميد ببناء قصر كبير (konak) عند بوابة قصر يلدز. كما الموظفين جميعهم التابعين للقصر السلطاني، كان عثمان باشا يعيش مع عائلته وموظفيه وقد أمن لهم المسكن والطعام والملبس والدفء على نفقة السلطان. مع ذلك، كان يتبع أسلوب حياة متواضع إلى حد ما.

بعد إقرار السلطان بحضوره في المجال العام للسلطة، شارك عثمان باشا السلطان حياته الخاصة أيضًا. وتزوج من أخت الفريق نشأت باشا، زاتيغول خانم، ورُزقا أربعة أبناء: نور الدين وكمال الدين وجمال الدين وحسين عبد القادر. كما وُثقت عرى الثقة التي مُنحت له بمصاهرات مع أسرة السلطان. فنال اثنان من أبنائه لقب مشير وتزوجا من بنات السلطان. فابنه الأكبر نور الدين، خُطب منذ سن السادسة لابنة السلطان، السلطانة زكية. أما الأصغر كمال الدين، فتابع الدروس في مدرسة الأمراء السلطانية في يلدز، وتزوج أيضًا ابنة السلطان، السلطانة نعيمه[123]. كان عثمان باشا يتكلم العربية ويلمّ بالفارسية، مع إلمام بالفرنسية من دون أن يتكلمها بطلاقة[124].

توفي عثمان باشا في 4-5 نيسان/ أبريل 1900، عن عمر يناهز السبعة والستين عامًا، ودُفِنَ في مقبرة السلطان محمد الفاتح[125]. وأبقت له الأجيال اللاحقة ذكرى مجيدة، ذكرى بطل من بليفني، ذكرى قاربت التملق. كما جسد في الذاكرة والمخيلة الوطنية القوة والشجاعة. فنظمت المارشات العسكرية وكتبت القصائد تكريمًا لذكراه. ولا يزال مارش عثمان باشا واحدًا من المارشات العسكرية الأكثر شعبية في تركيا، كما أصبح الممثل الرمز للوحدة والاستمرارية بين أمجاد العثمانيين القدامى وآمال العثمانيين الجدد[126].

كان هؤلاء الضباط الكبار الثلاثة من أصل اجتماعي وجغرافي مختلف،

---

(123) يُنظر: Hülagü, *Gâzi Osman Paşa*, p. 324.

(124) Ibid., p. 336.

(125) Ibid., p. 351.

(126) Karpat, *Politicization*, p. 191.

Scanned with CamScanner

تلقوا تدريبًا عسكريًا مشتركًا في المدارس العثمانية التي كانت تشجع ظهور الهويات الجديدة. لكن في خلال دراستهم، ارتادوا أيضًا أنواعًا مختلفة من المدارس التقليدية والعسكرية، حيث لا يمكن تفسير تعددية طبيعة تدريبهم من باب الاختلاف، وإنما من باب التكامل.

بعد حياة مهنية لامعة، تبدل مصير هؤلاء المشيرين الثلاثة بعد حرب 1877-1878. ثلاثة «أبطال»، تعترف بهم الدولة، وتضفي على اعترافها هذا الطابع الرسمي من خلال لقب «غازي» الذي حصل كل واحد منهم عليه. سعت الدولة لتعزيز مكانة الأبطال القوميين لتحفيز الروح المعنوية للقوات. لكن بعد الحرب، سعى السلطان للسيطرة على النظام بأكمله واستبعد أولئك الذين يمثلون خطرًا عليه. فبعد إبعاد مدحت باشا - أبو الدستور العثماني - عبر نفيه المفاجئ، قام السلطان بتعطيل تأثير النخب المدنية من «العثمانيين الشباب»، مثل نامق كمال، عبر تعيينهم في مناصب بعيدة ومنعهم من العودة إلى العاصمة. كان هدفه أيضًا الحفاظ على الجيش بعيدًا عن السياسة والسيطرة عليه. وللقيام بذلك، لجأ إلى أساليب مختلفة ضد كبار الضباط، مثل هؤلاء الثلاثة حاملي لقب غازي، الذين كانوا يحظون باحترام عالٍ من الجيش والشعب على حد سواء. واعتُبِرَ سليمان باشا، «الانقلابي»، الأكثر خطورة بالنسبة إلى النظام الحميدي الجديد. وإذ واجه محاكمة سياسية، جرى إبعاده إلى بغداد، حيث لم يتمكن من الاتصال بأي من رفاقه السابقين. كما لم تسمح انتصارات الغازي أحمد مختار باشا في الحرب بتبوئه مناصب عليا في المجال العسكري. وجلبت له صراحته واستقلاليته الفكرية وميوله السياسية الاستنكار والنفي الدبلوماسي. فعُيّن في منصب مهم جدًا في مصر، فعاش هناك في المنفى طوال عهد عبد الحميد الثاني. ويوضح هذان المثالان سياسة إبعاد الباشاوات المتمردين عن مركز السلطنة، التي نفذها عبد الحميد الثاني. كما اقتُرحت مهمات جديدة لهؤلاء العاملين من أجل الدولة العثمانية - مثل تلك الدبلوماسية - من دون أمل بالعودة إلى اسطنبول في عهد السلطان[127].

---

(127) جرى تطبيق هذه السياسة بشكل صارم، ولا سيما بين العسكريين من الصف الأول. ويمكننا أيضًا ذكر مثال سعد الله باشا الذي عين سفيرًا في برلين ولم يعد إلى السلطنة حتى وفاته. وحده مدحت باشا توفي بطريقة لم تكشف تفصيلاتها.

Scanned with CamScanner

وحده الغازي عثمان باشا، الأكثر احترامًا من الشعب لكونه بطل بليفني، كان محتفى به. لكن المفارقة ذهبت أبعد من ذلك؛ إذ كوزير للحربية، احتُجِز في القصر واستُبعد من كل وظيفة عسكرية. وأُفرِغَ لقبه الفخري كوزير للحربية من أي معنى، وأي محتوى، وتمَّ شراؤه من السلطة السياسية الفاسدة. وإذ لم تكن لديه أي طموحات سياسية، فيما شعبيته متدنية في الجيش، لم يتمكن من ممارسة معارضة السلطة. وخدم هذا البطل كـ «درع عسكرية» للسلطان الذي احتفظ بسلطة اتخاذ القرار[1358]، مظهرًا بذلك للشعب أنه لا يستبعد العسكريين. كان الغازي عثمان باشا بمنزلة «مستشار ظاهري»، ودمية في يد السلطة السياسية. وبوصفه ماسونيًا، جرى إبطال تأثيره من خلال وظائفه الشكلية تقريبًا، من دون أي إمكانية للتصرف بوحي من مبادرته الخاصة. قدم استقالته مرات عدة، وكانت تُرفض في كل مرة. كانت السلطة العسكرية، إن وُجدت في الحقبة الحميدية، مكممة ومحتجزة وخاضعة لسلطة القصر السياسية وتحت اليد العليا للسلطان.

يطرح ذلك مشكلة حرية التعبير للفرد في الجيش، وبطريقة أكثر وضوحًا، إمكانية استخدام مهاراته المهنية. فإذا لم يتمكن مشير من تقديم تقارير إلى القصر تحلل أسباب هزيمة الدولة العثمانية، وتطرح مشكلة مستقبل السلطنة والدفاع عنها، كان ذلك يعني وجود خلل حقيقي في الأداء. في خلال العهد الحميدي، لم يتمكن أحمد مختار ولا سليمان باشا من نشر كتاباتهما المتعلقة بالحرب الروسية - التركية. وكان هذا العجز بمنزلة دلالة كبيرة على قانون الصمت بالقوة. ولم تُنشر كتاباتهما إلا بعد «ثورة تركيا الفتاة» في عام 1908.

أن تكون عسكريًا في نهاية القرن التاسع عشر كان يتطلب شجاعة هائلة أو حتى تهوّرًا، وشعورًا بقيم الدولة يتخطى الدولة نفسها، فيما الدولة قادرة على تحطيم هذه القيَم في أي لحظة. لكن القمع كان يحمل بنفسه جينات سقوط الدولة. في الواقع، كيف يمكن أن نطمح إلى تدريب النخب العسكرية الشابة حسب الأنموذج الغربي، ونطلب في الوقت نفسه منها التنازل عن التفكير، والاكتفاء بكون أفرادها «ضباطًا شكليين» لصاحب الجلالة السلطانية؟

[1358] ... على الأمر نفسه على القوات البحرية. فتم تعيين أميرال إنكليزي قائدًا لقوات البحرية التركية، ... البحرية إلى شخص تركي. إلا أن سلطة اتخاذ القرار بقيت في يد السلطان.

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

الفصل الخامس

النزاع في داخل الجيش العثماني في آخر أيام الدولة العثمانية

في القرن التاسع عشر، تغيرت طرائق التفكير والسلطة السياسية والفضاءات العامة. كما غيرت حقبة «التنظيمات»، بافتتاحها المدارس الحكومية - مدنية وعسكرية - نظرة الطلاب إلى العالم، وأطلقت فضاءات عامة جديدة. وبخلقه فردًا عثمانيًا جديدًا، غيّر هذا «التعليم الغربي» قيم النخب المثقفة وولاءاتها، حيث انتقل ولاء هذه المجموعات تدريجًا من السلطان إلى الدولة.

لم توفّر حركة المعارضة الأوساط العسكرية، حيث وقف ضباط ذوو أفكار «غربية» ضد النظام القائم. وفي عام 1876، دبر تحالف بين النخب المدنية والعسكرية انقلابًا لتعزيز نظام دستوري. وأنشأوا منظمات سرية في الحقبة الحميدية لاستعادة الدستور (جمعية الاتحاد والترقي وسواها). إلا أن الضغط من السلطة السياسية المتمثلة في السلطان كان قويًا إلى حد أنه لم يسمح بأي شكل من أشكال المعارضة على أراضي السلطنة. ولم يتمكن هذا التحالف من التعبير عن نفسه إلا في المنظمات السرية وفي المنفى؛ في فرنسا (أحمد رضا) أو مصر (مراد ميزانجي) على سبيل المثال. في الجيش، ارتدى تمرد الضباط والجنود أهمية خاصة في أوائل القرن. وكانت ذروة الاحتجاج في «ثورة 1908» التي جعلت النظام أشلاء، وفتحت الطريق أمام موازين جديدة للقوة.

Scanned with CamScanner

أولًا: أسباب السخط في الجيش

كان للاستياء أسباب متعددة. فلقد أثرت المصاعب المالية التي عانتها السلطنة في الجيش أيضًا، حيث كان من أول هموم البعثة العسكرية الألمانية وضع ميزانية للجيش في عام 1884. لكن ذلك لم يضع حدًا للعجز عن تسديد الرواتب أو تأخرها، ما شكل كارثة حقيقية. علاوة على ذلك، جعلت العوامل الداخلية للتوترات الهرمية الحياة لا تطاق، حيث أوجدت المحسوبية والمحسوبين والتحالفات والتجسس جوًا ضاغطًا. وأصبحت المواجهة بين الضباط الخريجين (mektepli) وضباط الصف (alaylı) ظاهرة متكررة طوال القرن التاسع عشر. فكان على الضباط الخريجين أن يكافحوا من أجل فرض الاعتراف بهم.

1- العوامل الاقتصادية والمالية

حتى عام 1884 لم يعرف الجيش العثماني مفهوم الميزانية. ففي بداية كل عام، كان الوزراء يجتمعون ويعقدون المجلس في قصر يلدز. وكان وزير المالية يعرض إيرادات السلطنة المرتقبة، وعلى الفور يقوم الوزراء بتقاسمها في ما بينهم. وعلى أساس ميزانية إجمالية قدرها 14 مليونًا، كانت وزارة الحربية تحصل على ثمانية، أي أكثر قليلًا من سبعة وخمسين في المئة[1].

كان الكولونيل فون كاهلر، نائب رئيس هيئة الأركان العامة للجيش العثماني وفون شيلغن (von Schilgen)، مدير الدعم اللوجستي، هما المبادران لإنشاء الميزانية الأولى المرتقبة لعام 1884. وطلبا من وزارة الحربية تقريرًا مفصلًا بالأرقام عن الإنفاق المتوقع. ومن ثم، كانت تخضع هذه التوقعات لموافقة السلطان. مع ذلك، كانت الميزانية سرية ولا تنشر كما هي الحال في أوروبا؛ إذ كانت الوثيقة الأصلية لدى السلطان في قصر يلدز، مع نسخة وحيدة لوزارة الحربية[2].

---

(1) كانت ميزانية قدرها ثمانية ملايين ليرة تركية بالفعل مبلغًا كبيرًا لصيانة وإعادة تنظيم الجيش العثماني، في ما لو سددت بالكامل واستخدمت بطريقة حكيمة. يُنظر: Service historique de l'armée de Terre, Archives militaires françaises à Vincennes (S.H.A.T.), 7N1628, Péra, rapport no. 9 du 5 février 1884.

(2) يقال إن الملحق العسكري الفرنسي حصل على هذه النسخة، وذلك بفضل «فساد ضابط مخلص». وبعد التحقق من التوافق المثالي في الأرقام، أعاد بناء الجداول الثلاثة في ملحق التقرير رقم 9 في 25 شباط/ فبراير 1884، التي تشكل مجموع هذه الوثيقة النادرة. يُنظر الملحق.

Scanned with CamScanner

كانت النفقات العسكرية تمثل حصة ضخمة من الميزانية، في حين أن الموارد المالية العامة كانت محدودة. كانت وزارة الحربية تستأثر بالفعل بحصة الأسد، وكانت تتساءل عن كيفية زيادتها. ومع ذلك، كان الإصلاح يتطلب نفقات إضافية أيضًا[3]. في الواقع، لم تكن وزارة الحربية تتلقى سوى مليوني ليرة نقدًا، في حين يُسلَّم الباقي على شكل سندات للخزينة، بشكل تفويضات (حوالة [havale]) على الضرائب المستحقة. وأدت تكاليف الوسطاء المفوضين إلى خسارة تقدر بـ 45 في المئة من المبلغ المتوقع. إضافة إلى ذلك، كانت هناك اقتطاعات إضافية في ميزانية وزارة الحربية خُصصت للقصر[4]. بعد هذه الاقتطاعات المختلفة، لم يكن يبقى ما يكفي من النقود لدفع رواتب العسكريين وأجورهم. حتى الضباط، لم يكونوا يتلقون في أحسن الأحوال إلا أجور أربعة أو خمسة شهور في السنة.

تجدر الإشارة إلى أن تقسيم النفقات كان متفاوتًا جدًا بين الأسلاك والفيالق المختلفة للجيش العثماني. وكانت نفقات التشغيل عالية نظرًا إلى العديد الكبير في هيئة الأركان، الذي بلغ حوالى 20,000 ضابط و140,000 رجل، ما يمثل ضابطًا واحدًا تقريبًا على سبعة رجال. هذا الكادر المتضخم كان يتألف أيضًا من عدد مرتفع جدًا من الضباط العامين. فمن أصل 272 ضابطًا عامًا، 69 منهم كانوا يعملون في مكاتب وزارة الحربية و13 جرى إلحاقهم بالقصر. وكانت مهمات هؤلاء الضباط الاثنين والثمانين محصورة بالإدارة. فضلًا عن ذلك، كانت الأجهزة والملابس والمعدات والأسلحة والمخيمات والأسرجة وصيانة ثكنات القوات على وجه الخصوص، متواضعة جدًا[5].

لهذه الأسباب كلها، اقترحت البعثة العسكرية الألمانية خفض عديد هيئة الأركان العامة في الإصلاح الأول. فقوبل الاقتراح برفض مطلق من السلطان الذي رأى فيه تعديًا على امتيازاته السيادية، عبر منعه من تعيين عمداء من

---

(3) يُنظر:
S.H.A.T., 7N1628, Constantinople, rapport no. 9 du 25 février 1884.

(4) كان السلطان يقتطع، من وقت إلى آخر، مبالغ كبيرة جدًا من أجل صيانة قصر يلدز وتجميله.
Ibid.

(5) يُنظر:
Ibid.

اختياره. إضافة إلى ذلك، مسّ هذا الاقتراح بعض الحقوق المكتسبة، وتسبب باستياء الضباط المعنيين. علاوة على ذلك، جرى تقديم بعض بنود الميزانية بشكل سيئ جدًا.

على الرغم من كونه مموَّلًا بشكل أفضل من باقي الوزارات، لم يكن الجيش بمنأى عن المشكلات المالية. ومثّل عام 1884 بداية أعمال تمرد مهمة في الجيش الحميدي؛ وكان سبب هذا الاستياء عدم دفع الرواتب، فبدأت أعمال التمرد في الفيلق الثالث، في تركيا الأوروبية؛ في مناستر أولًا، ثم سالونيك وامتدت إلى اسطنبول، إلى الفيلق الأول، ولا سيما ثكنة داود باشا. وإذ تكررت هذه المشكلة، فإنها لم تكن جديدة في السلطنة. ففي سبعينيات القرن التاسع عشر، لُطِّف استياء الجنود بإجراءات تسكينية. في عام 1876، على سبيل المثال، أخذ السلطان عبد العزيز على نفقته الخاصة دفع أجر شهر واحد لكل جندي في الجيش والبحرية، وصولًا إلى رتبة عميد[6].

أما مربط المشكلة، فكان أنه في أوقات الشح، كان من الممكن تحمل الحرمان بروح من التضامن وتقاسم الموارد العامة الشحيحة، لكن بعد ذاك، أنتجت هذه البعثة العسكرية الأجنبية المبهرجة التي لا يُرفض لها طلب، والتي كانت تُصرف لها المبالغ الطائلة، «تأثيرات مفسدة»[7]. فقد حصل الضباط الألمان الذين يعملون في خدمة السلطنة على رواتب عالية، وصلت في كثير من الأحيان إلى أكثر من 30,000 فرنك في الشهر[8]. إضافة إلى ذلك، نُسب الكثير من الميزات الحسنة

---

(6) *Stamboul*, 13 May 1876.

(7) حدثت مثل هذه الظاهرة بالفعل في الجيش العثماني. ورواها دبلوماسي ألماني، في عام 1868، أشار فيها إلى أن كراهية الأجانب في الجيش العثماني كانت تتغذى من حقيقة أن الضباط والجنود كانوا يضطرون إلى الانتظار شهورًا عدة من أجل رواتبهم، بينما الضباط الأجانب المعتمدون لدى الباب العالي كانوا يتلقون بانتظام رواتب كبيرة. يُنظر: *Politisches Archiv-Auswärtiges Amt* (P.A.-A.A.), Berlin, I.A.B.q. 95, no. 30, مبعوث بروسيا الملكي في الآستانة [Königlich-Preussischen Gesandten] في 9 آذار/ مارس 1868.

(8) في عام 1885، تلقى الضباط الألمان مبلغ 30.000 فرنك سنويًا. يُنظر: P.A.-A.A., Türkei no. 139, A. 6453, no. 138, le 26 mai 1888, رسالة من رادوفيتز إلى بسمارك.

Scanned with CamScanner

إلى مهماتهم، في حين أن الضباط العثمانيين لم يتلقوا، في معظم الأحيان، إلا أجور ستة شهور في كل سنة كحد أقصى، فضلًا عن التعيينات غير المحببة والنفي المقنّع الذي كان عليهم أن يتحملوه.

من ناحية أخرى، وصلت معلومات عن الجيوش الأوروبية إلى الفيلق الثالث للجيش العثماني، بحكم قربه من الجيوش النمساوية - المجرية التي احتلت البوسنة والهرسك منذ معاهدة برلين في عام 1878، حيث كان الجنود في أوروبا يمضون خدمتهم العسكرية ويحصلون على رواتبهم بانتظام. كان لهذه الأخبار تأثير القنبلة الموقوتة في أوساط الضباط وضباط الصف. في السلطنة، كان يحتجز الجنود لمدة أطول بكثير من وقت خدمتهم، لعدم إمكان دفع متأخرات رواتبهم. أما ضباط الصف (alaylı subaylar) – الذين عاشوا وسط الجنود وكانوا منهم – فأثاروا عمليات التمرد. وتجلت روح العصيان والتمرد علنًا في الجيش، وكان هذا النوع من التعبير جديدًا. وقد تغذت هذه الروح على الغيرة من أفضليات الرواتب والتكريم الممنوح للضباط الأجانب. كما تغذت على الحقد تجاه تفضيل السلطان حرسه والفرقة الأولى من الفيلق الأول، أي حامية اسطنبول. وثار الجنود مطالبين بمتأخرات رواتبهم وإطلاق سراحهم، ثم جرى إرضاؤهم. ومنذ عام 1884، حلل الملحق العسكري الفرنسي الوضع على أنه سخط عام، حيث يمكن ملاحظة أعراضه الأولى. وتوقع عاجلًا أم آجلًا، قيام «ثورة عظيمة»[9].

تصاعد عدم ثقة الجنود والضباط بسلطانهم، وبدا لهم أن عبد الحميد الثاني كان يخشى جيشه، حيث عمل على إضعافه ومعارضة تنفيذ الإصلاحات التي وعُدِوا بها، والمعدّة من البعثة الأجنبية عينها.

سنقدم بعض المعطيات بالأرقام لتقديرات موازنة وزارة الحربية، وفي الأخص ميزانية السنة المالية 1315هـ (من 13 آذار/ مارس 1899 إلى 13 آذار/ مارس 1900):

(9)

S.H.A.T., 7N1628, Péra, rapport no. 9 du 25 février 1884.

Scanned with CamScanner

الجدول (5 - 1)

موازنة عام 1315 هـ[10]

وزارة الحربية عديد القوى العاملة: 220,000 رجل	4,500,000 ليرة تركية (103,500,000 فرنك)
الدرك عديد القوى العاملة: 44,000 رجل	1,500,000 ليرة تركية (34,500,000 فرنك)
سلاح المدفعية	700,000 ليرة تركية (16,100,000 فرنك)
الموازنة العامة لوزارة الحربية	6,700,000 ليرة تركية (154,100,000 فرنك)

عمليًا، لم تتغير الأرقام الرسمية لميزانية الجيش العثماني للسنة المالية 1902-1903[11].

الجدول (5-2)

موازنة عام 1320هـ[12]

وزارة الحربية	4,500,000 ليرة تركية (103,500,000 فرنك)
الدرك	1,000,000 ليرة تركية (23,500,000 فرنك)
سلاح المدفعية	450,000 ليرة تركية (10,350,000 فرنك)

ينبع

(10) هذه الأرقام هي التي قدمها وزير الحربية بنفسه. مع ذلك، ووفقًا لشخص مقرب من الاقتصادي الألماني راسفاوف (Rasfauf)، مساعد وزير المالية، بلغت الاعتمادات الإجمالية المخصصة للحرب للسنة المالية 1315 هـ 9,000,000 ل.ت (207,000,000 ف)، وبفارق 2,300,000 ل.ت (52,900,000 ف) عن الأرقام التي أشار إليها وزير الحربية. مع ذلك، يمكن أن يكون هذان التأكيدان المقدمان دقيقين، نظرًا إلى أن هذه الموازنات كانت بمنزلة مشروعات. يُنظر:

S.H.A.T., 7N1633, Constantinople, rapport no. 270 du 27 janvier 1900.

(11) S.H.A.T., 7N1633, Constantinople, rapport no. 543 du 22 janvier 1903.

(12) S.H.A.T., 7N1634, Constantinople, rapport no. 731 du 30 mars 1905.

Scanned with CamScanner

تابع

سلاح البحرية	550,000 ليرة تركية (12,650,000 فرنك)
المجموع	6,500,000 ليرة تركية (150,000,000 فرنك)

كانت مسألة تأخر الرواتب آفة النظام. وكلما هبطنا في التسلسل الهرمي، قلّ انتظام دفع الأجور. وينطبق الأمر نفسه على معظم الضباط، إلّا في مناسبتين: عيدي ميلاد السلطان واعتلائه العرش، حيث كان السلطان يتخذ في هاتين المناسبتين الكبيرتين تدابير خاصة لجعل الخزينة تدفع راتب شهر واحد للموظفين والمسؤولين، على الرغم من أن هذه المدفوعات الشهرية لم تُدفع دائمًا إلى جميع الضباط.

على الرغم من قانون الولايات (1864)، كان هناك وضع شديد التفاوت في ما بينها. ففي أوائل القرن، كان نصيب الضباط والجنود متفاوتًا جدًا بين الولايات الشرقية. كذلك الأمر بالنسبة إلى رواتب الموظفين والعسكريين. وإن كانت الرواتب تُدفع بانتظام إلى حد ما في فان وسيواس، فإن سكان أرضروم والموظفون المدنيون والعسكريون هناك كانوا مستائين جدًا. في الواقع، لم يتلق الضباط في عام 1904 إلا رواتب خمسة شهور فقط، كما لم تتلق القوات أكثر من خمسة وأربعين يومًا من الأجور. كان الوضع صعبًا جدًا، إذ افتقدت حامية أرضروم في عام 1905 إلى الخبز. وفي حين كانت المستودعات الحكومية للقمح فارغة، رفض الموردون توفير القمح بالدين[13]. بعد ثلاثة أيام من آخر تموين باللحوم وأكثر من أسبوع على انقطاع توريد السكر، أصبح وضع قوات الحامية والضباط منذرًا بالسوء. وفقد الوالي صبره، مستخدمًا الإكراه تجاه الموردين. وأمام رفضهم

(13) بصعوبة بالغة، نجح الوالي في إقناع أحد التجار بأن يعطيه خمسة آلاف هيكتوليتر من القمح، مع وعد رسمي بدفع مقابل القيمة من جيبه، في حال لم تتمكن الخزينة من تغطية هذا الالتزام. يُنظر: Archives consulaires du ministère des affaires étrangères (A.E.N.), Erzerum (1898-1914), Vice-consulat de France Erzerum, rapport no. 45 du 3 juin 1905. نائب قنصلية فرنسا في أرضروم، التقرير رقم 45 لـ3 حزيران/ يونيو 1905، السيد نائب القنصل إلى السيد كونستان، سفير الجمهورية الفرنسية في الأستانة.

Scanned with CamScanner

الامتثال، لجأ إلى القوة[14]. كما وجد وسيلة لدفع راتب نصف شهر للقوات، وشهر واحد للضباط، وكذلك للمتقاعدين القدامى وأرامل المتقاعدين الذين حاصروا مكتبه. إلا أن هذه التدابير الآنية كانت مجرد وسائل مرتجلة لم تحل المشكلة. كما لم تراع الالتزامات مرارًا وتكرارًا. لكن ما العمل عندما تكون خزينة الولايات فارغة؟ بالتأكيد، لم يتوقف الوالي ناظم باشا عن إرسال الأموال إلى اسطنبول، حتى عندما كان الوضع المالي حرجًا جدًا. من هنا، لقّبه متهموه بكبير الجباة (havâleci vâlî, baş tahsildâr)[15].

بلغ سجل عدد سنوات الأجور غير المدفوعة - التي لاحظناها في خلال بحوثنا - تسع سنوات، أي ما مجموعه 32,000 ليرة تركية سُجلت كالتزام حيال 1500 جندي متمركز في اليمن. وإذ أُحضروا من طريق البحر إلى الروملي، قام الجنود بالتمرد على الطريق بين بورسعيد والإسكندرونة، وأجبروا القبطان على التوجه إلى بيروت. هناك، كانت خزينة الولاية تحتوي على أقل من عشر المبلغ المطالب به. وأبرق الوالي إلى اسطنبول كي يرسلوا إليه المال الضروري من أجل إطلاق سراح الجنود الذين جرى احتجازهم. وبعد محادثات طويلة، وافقوا على أن يدفع لهم الوالي قسمًا من مجموع المبلغ، أي اثنين وعشرين ألف ليرة، ثم أبحروا مكملين طريقهم[16].

تكرر الأمر بعد بضعة شهور. ففي حين أُحضر 2300 جندي من اليمن، كان على المئات منهم، وهم من أصل سوري، أن يقفوا في بيروت. فأجبروا القبطان على الرسو في الميناء، واقتحموا المدينة، مدججين بالأسلحة، وتوجهوا نحو البنك العثماني والسراي. وطالبوا بدفع ما بقي من أجورهم عبر تهديد الوالي، والمحاسب العام (الدفتردار [وتتكون من كلمتين: دفتر ودار، بمعنى القابض

---

(14) جرى كسر أبواب الاسطبلات واستولى المشرفون على بضع عشرات من الأغنام وجدوها هناك. أما السكر، فأخذوه بالقوة من المورد. يُنظر: A.E.N., Erzerum (1898-1914), Vice-consulat de France, Erzerum, rapport no. 45 du 3 juin 1905، السيد نائب القنصل إلى السيد كونستان، سفير الجمهورية الفرنسية في الآستانة.

(15) يُنظر: Ibid.

(16) A. A., Türkei 142, A. 6798, *Kaiserlich Deutsches Konsulat zu Beirut, le 19 avril 1907, Schroeder M. le Chancelier le comte de Blow.*

على الدفتر])، وقائد الحامية. حدث هذا كله يوم الجمعة، عندما كانت المكاتب كلها مغلقة. وإذ تملكهم الغضب، توجه الجنود إلى الشقق الخاصة بالمحاسب العام واقتادوه بالقوة إلى الثكنة. ثم ذهبوا إلى الوالي وهددوه بنهب المدينة إذا لم يتم إرضاؤهم على الفور. لذا أبرق هذا الأخير إلى اسطنبول، كي يرسلوا إليه المبلغ اللازم. وبعد ذلك بيومين، يوم الأحد، تلقى الجنود متأخرات رواتبهم بالكامل[17].

أما بالنسبة إلى بائعي المواد الغذائية والأعلاف والقماش... فكان عليهم محاصرة مكتب وزير الحربية باستمرار، لطلب دفع الأقساط للمبالغ المستحقة لهم منذ سنوات عدة[18]. كان عدم الانتظام في الدفع أمرًا معتادًا. من هنا يمكننا تفسير استخدام الضباط أيضًا هذه العادة، أولًا عبر عدم الدفع للملاكين ولا للموردين، ومن ثم الاستيلاء بالقوة تقريبًا - خصوصًا في المناطق البعيدة عن اسطنبول - على ما رُفِضَ إعطاؤهم إياه بالدين[19].

2- عوامل التوترات المعنوية والنفسية

كانت المحسوبية والمحميون والتحالفات والتجسس، فضلًا عن المواجهات بين الضباط المتخرجين وضباط الصف، كلها عوامل توتر معنوي ونفسي، وبمنزلة حاجز قوي أمام حياة متناغمة في الجسم العسكري.

أُبعد الضباط القادة جميعهم الذين يتمتعون بثقة القوات عن مراكز القيادة. وأحاط بالسلطان أولئك الملقبون بـ «أفندية اسطنبول» (Stanbul efendisi)، وهم موظفون مدنيون مكللون بالأوسمة والرتب العسكرية العالية، ما يعد فضيحة للجيش[20]. واختار السلطان كبار ضباطه بحسب معايير شخصية بحت.

---

(17) A. A., Türkei 142, A. 11148, *Kaiserlich Deutsches Konsulat zu Beirut, le 9 juillet 1907. Schroeder M. le chancelier le comte de Blow.*

(18) كتب الملحق العسكري: ... «لا أذكر أني ذهبت مرة واحدة لرؤية وزير الحربية من دون أن أقابل بجانب مكتبه عددًا من الموردين المطالبين بدفع الأقساط للمبالغ المستحقة لهم منذ سنوات عدة»... انظر:

(19) S.H.A.T., 7N1633, Constantinople, rapport no. 543 du 22 janvier 1903.

(20) S.H.A.T., 7N1634, Constantinople, rapport no. 731 du 30 mars 1905.

S.H.A.T., 7N1628, Péra, Rapport du 25 février 1884.

Scanned with CamScanner

فعلى سبيل المثال، أبقى الغازي عثمان باشا في القصر، وأبعد لأسباب ذات طابع سياسي أفضل عناصره، مثل الغازي أحمد مختار باشا والوالي رضا باشا. وعهد إليهم بمهمات دبلوماسية وسارع بإرسالهم إلى الخارج كمبعوثين عثمانيين. في المقابل أحمد باشا[21] الذي لم يخدم في الجيش قط، ولم يتعلّم ركوب الخيل، عين قائد لواء ومرافقًا شخصيًا (ياور) لجلالته. كان أحمد باشا رسامًا بالمهنة، يلقب بالسكر (şeker)[22] بسبب خلقه ذي الكياسة العالية. أرسله السلطان في قطار خاص مع حاشية كبيرة، في مهمة لتفقّد فيلق أدرنة، وتفقد خدمة المشير طاهر باشا، رئيس الأركان السابق لدى الغازي عثمان باشا في خلال الدفاع عن بليفني؛ الأمر الذي كان غريبًا[23]. في النهاية، شاركت هذه «التعيينات السياسية» كلها في بناء «جيش ذي صورة خادعة»[24].

حكمت المحسوبية وحدها ترقية الضباط وشلت التسلسل الهرمي بأكمله، محبطة عزيمة ذوي الإرادة الطيبة. وكان ينظر إلى الحماسة بخشية، إذ كانت تجذب الشك نحو صاحبها[25]. كما كان أي شكل من أشكال التفوق مثيرًا للقلق ويسبب الاستياء. فالمشير أدهم باشا، القائد السابق لجيش تساليا، كان قد أبعد تمامًا عن الخدمة الفعلية وخُفض مستواه ليكون جزءًا من لجنة. الفريق سيف الله الذي كان

---

(21) أحمد باشا (اسطنبول 1841-1907) هو الممثل التركي الأول لفن الرسم الغربي. بدأ دراسته في المدرسة الطبية العسكرية، وتابعها في المدرسة العسكرية في عام 1856، حيث أبدى اهتمامًا كبيرًا بالرسم. في عمر الثامنة عشرة، أصبح أستاذًا مساعدًا في المدرسة العسكرية. في عام 1862، جرى إرساله إلى باريس للدراسة على نفقة الحكومة. كما تابع الدروس في المدرسة العثمانية ودرس لمدة تسع سنوات في كلية الفنون الجميلة، حيث كان تلميذ غوستاف بولانجيه وجان ليون جيروم. عاد في عام 1870 عندما اندلعت الحرب إلى تركيا. وإذ رقي إلى رتبة نقيب، جرى تعيينه أستاذًا للرسم في الكلية الطبية العسكرية، وأعطى أيضًا دروسًا في الرسم في مدارس أخرى. كان يرسم في مشغل قصره الكبير في مرجان، أحد أحياء اسطنبول. شارك في الكثير من المعارض في اسطنبول. وفي عام 1879، جرى تعيينه برتبة عقيد، ومن ثم لواء في عام 1885 وملازمًا عامًا في عام 1890. وبدءًا من عام 1896، كان مسؤولًا عن بروتوكول المدعوين الأجانب. يُنظر:
Osmanlılar Ansiklopedisi, vol. 1, pp. 151-153.

(22) الترجمة حرفية: الهادئ، حلو المذاق، مرادف «dandy» أي «الأنيق».

(23)

(24) يُنظر:
S.H.A.T., 7N1629, rapport no. 72 du 1er décembre 1885.

(25)
J.-B. Duroselle, «Avant-propos,» dans *La Politique étrangère de la France. diplomatie et outil militaire (1871-1991)*, A. Doise and M. Vaïsse (Paris: Seuil, 1992), p. 8.
S.H.A.T., 7N1633, rapport no. 543 du 28 janvier 1903.

نائب رئيس هيئة الأركان السابق، كان قد أثبت أنه واحد من أبرز الرجال في خلال الحرب التركية - اليونانية في عام 1897. مع ذلك، نُفي لسنوات عدة على حدود تساليا من دون أن تكون له أي قيادة فعلية[26]. في المقابل، الحاج خيري باشا، وهو من قدامى الفرقة الأولى في جيش تساليا - الذي لم يلمع نجمه، خصوصًا في خلال معارك فارسالوس ودوموكوس - قاد الفيلق الثالث في سالونيك برتبة مشير[27].

لم يتناغم مبدآ الاستحسان والاستياء مع الجدارة وعدمها، حيث كان الأمر عبارة عن عملية معقدة تبدو متناقضة نسبيًا مع ما يمليه منطق الكفاءة. وفي ظل غياب الدعم، كان من شأن متابعة دراسات عسكرية في ألمانيا أن تكون منصة مثالية لحيازة رتب تتيح تقدمًا أكثر التماعًا، واندفاعًا مهنيًا سريعًا. في هذا الصدد، ساعد دعم المشير كامبهوفنر باشا، قائد البعثة العسكرية الألمانية، في جذب العطف السلطاني[28].

عقد الكثير من الزيجات بين بنات أو قريبات السلطان والعمداء أو التابعين لهم. ففي عام 1889، على سبيل المثال، قام عبد الحميد بتزويج واحدة من بناته إلى مرافقه الأول، محمد باشا، وهو أرمل سابق لإحدى السلطانات. أما بنات السلطان عبد العزيز الثلاث، فزوّجت الأولى بالقائد نوري بيك، ابن الغازي عثمان باشا، والثانية بأحمد بيك، قائد كتيبة، نجل المشير كرد إسماعيل باشا، أما الثالثة فزوّجت بقائد سرية هو خليل بيك، نجل المشير درويش باشا[29].

---

(26) Ibid.

(27) Ibid.

(28) Ibid.

(29) S.H.A.T., 7N1630, Constantinople, rapport no. 30 du 11 avril 1889.

من المثير للاهتمام أن نلاحظ بالمناسبة تصريحات النقيب برجيه، وهو الملحق العسكري، بخصوص هذه التحالفات: ... «من الصعب إعطاء فكرة عن المؤامرات التي كانت بمنزلة المقدمة لهذه الزيجات، وعن الأموال التي أنفقتها الأطراف المعنية لتحقيق هذا الهدف. ومصير أزواج السلطانات لم يكن بالشيء الذي يحسدون عليه فعلًا، في الأقل من وجهة نظرنا الأوروبية؛ إذ احتفظت السلطانات بجميع السلطات وبأزواجهن حتى، الذين لم يكن بإمكانهم مغادرة القصر من دون إذن، ولم يتمكنوا من الظهور أمامهن إلا بأمر منهن وبالصورة الأكثر تواضعًا»...

Scanned with CamScanner

كما هي الحال في إدارات السلطنة جميعها، كان التجسس مستشريًا في الجيش، حيث خلق حالات من التجاذب والاستياء ضمن سلك الضباط. أبعد من الضغط النفسي الذي يرافق العمل التجسسي، كان هناك التقدم، والترقيات العشوائية للضباط الشبان - الذين كانوا يقدمون «خدمات لا يصح ذكرها» إلى النظام - ما أغضب الضباط الأكبر سنًا والأكثر خبرة. ولّدت هذه المعاملة حالة عامة من عدم الارتياح والاستياء. وكان يكفي أن يوحي ضابط أو مسؤول بعدم الرضا عن ذلك ليتم اتهامه على الفور بأنه من «تركيا الفتاة». ونظرًا إلى امتدادها وخصوصيتها، طورت هذه الماكينة الاتهامية أسطورة شبح «مؤامرة تركيا الفتاة». كما بدت مراقبة الضباط في حينه أقل دقة في الولايات مما كانت عليه في اسطنبول، حيث تعيش «النخب المتعلمة ذات العقلية الأوروبية»[30]. أما الصحافة فكانت أقل خضوعًا للرقابة في الولايات مما كانت عليه في العاصمة أيضًا[31]. على سبيل المثال، كانت تُقرأ صحيفة ميزان (*Mizan*) وغيرها من منشورات جمعية الاتحاد والترقي بصوت عالٍ في مقاهي دمشق وحاناتها[32]، الأمر الذي كان غير وارد على الإطلاق في اسطنبول.

لن نورد إلا بعض الأمثلة لإلقاء الضوء على الوسائل المستخدمة حينذاك. كان للمشير زكي باشا، قائد الفيلق الرابع، واحد من أكثر المناصب البارزة في السلطنة. وكان معروفًا بالإجماع على أنه واحد من الضباط الأكثر ذكاءً وحيوية في الجيش العثماني. اشتكى عليه لدى السلطان ثلاثة ضباط من جيشه - رضا باشا وهو قائد فرقة، وسليمان باشا وهو قائد لواء، وإسماعيل بيك وهو عميد ركن - فاتُّهم بالتواطؤ مع روسيا. أعاد السلطان إرسال الرسالة الاتهامية إلى المشير الذي - بعد أن طلب من السلطان الحرية الكاملة لمعاقبة مرؤوسيه - تركهم في مراكز مسؤوليتهم. ألم يكن هذا القرار بإخطار المشير عملًا سياسيًا بدافع من الرغبة في المماطلة؟ في الواقع، كان لزكي باشا تأثير كبير في الأفواج الحميدية،

---

(30) في اسطنبول، خلق نظام «الجورنال» (التقرير) «Jurnal» حالة «عصابية جماعية» حقيقية بين المثقفين المحكوم عليهم بالعيش في حياة سرية جدًا، يُنظر: Ş. Mardın, *Jön Türklerin siyasî fikirleri 1895-1908*, 4th ed. (Istanbul: İletisim Yay., 1992), p. 30.

(31) A. A., Türkei, no. 142, A11112, ambassade no. 111, confidentiel, Thérapia, le 10 juillet 1908. Kuderlen.

(32) M. Ş. Hanioğlu, *The Young Turks in Opposition* (New York; Oxford: Oxford University Press, 1995), p. 106.

Scanned with CamScanner

تلك التي قام بتنظيمها وتغاضى عن أخطائها، والتي كانت على الأرجح ستحمل السلاح لمصلحته، في حال ثار ضد السلطان[33].

مثال آخر: في عام 1900، حُلَّ فوج سلاح الفرسان التابع لـ «حرس خفيف أرطغرل»، الموجود في ثكنة داود باشا بالقرب من اسطنبول[34]، وذلك بسبب النقص في الخيول. لكن يبدو أن هذا القرار جاء بعد صدور تقرير مسيء من جهاز التجسس، فتم التشكيك في ولاء بعض ضباط الفوج الذي أمر السلطان بحلّه على الفور، وجرى توزيع الضباط والرجال والخيول على أفواج الفرسان من الفيلق الأول باستثناء عميد واثنين أو ثلاثة من الضباط جرى إرسالهم إلى أحد الأفواج. لم يتضمن كادر كل من هذه الأفواج في حالة السلم إلا اثنين أو ثلاثة من ضباط سلاح الفرسان العادي، الأمر الذي أدى إلى تهميشهم. أثبت هذا الحدث، مرة أخرى، المخاوف المستمرة التي عاشها السلطان، وقلقه الدائم لتأمين سلامته الشخصية[35].

استشرى التجسس في مستويات التسلسل الهرمي كلها، مسلطًا الضوء على الضغينة والغيرة اللتين تشكلان الأرض الخصبة للاستراتيجيات العدوانية والمدمرة. ففي عام 1906 على سبيل المثال، وقبل أيام قليلة من مغادرته إلى أرضروم حيث كان قد جرى تعيينه، أبلغ الوالي القصر بأن هناك تمردًا يتم تحضيره في ديار بكر. بعد هذا البلاغ، أبرق المشير زكي باشا، قائد الفيلق الرابع، إلى العميد سعيد بيك، وأبلغه أنه جرى تعيينه قائدًا للمنطقة بالنيابة، وأنه وبإرادة سلطانية، نفي إلى الموصل كل من قائد الفرقة[36] وقائد المنطقة وحاكم ديار بكر بالنيابة، الذي كان من المقرر أن يتقاعد؛ ونفي إلى سيواس الفريق صالح باشا، ابن زوجة المشير فؤاد باشا؛ وإلى فان العقيد في سلاح الفرسان شريف بيك، الأخ غير الشقيق لصالح باشا وإسلام بيك، نجل المشير فؤاد باشا؛ وإلى بدليس نفي العميد إسماعيل بيك وابنه، ضابط صف؛ وإلى أرزينجان اللواء إسحق باشا

---

(33) S.H.A.T., 7N1633, Constantinople, Rapport no. 207 du 30 mai 1899.

(34) تضمن هذا الفوج خمس سرايا.

(35) S.H.A.T., 7N1633, Constantinople, Rapport no. 276 du 16 février 1990.

(36) جرى حذف اسمه الأول، وظهر مكانه في البرقية حرف «إكس»، فبدا وكأنه بحري باشا. يُنظر: A.E.N., fonds Constantinople, échelle de Diarbékir (1900-1914), déchiffrement, Diarbékir, le 6 mai 190

Scanned with CamScanner

وقائد الأفواج الحميدية وابن زوجة اللواء بحري باشا؛ وإلى فيز النقيب غارسوديد أفندي، وأخيرًا، أحيل قائد الدرك وقائد الشرطة على التقاعد وكانا مضطرين إلى البقاء في ديار بكر. في ما عدا هذين الأخيرين، واللواء بحري باشا، جرى اتهام الضباط الآخرين جميعهم[37].

كان الحاكم السابق لديار بكر، عطا بيك، قد قدم هذا التقرير لإيذاء بحري باشا الذي كان عدوًا له. وقد أساء السكان المسلمون والمسيحيون فهم فقدان حظوة هؤلاء العسكريين. في الواقع، ومنذ كان بحري باشا هو القائد والحاكم الموقت لمرتين، ساد الهدوء ولاية ديار بكر[38].

أضيفت إلى هذه العوامل من التوترات المعنوية والنفسية، عوامل التوتر الهرمية داخل سلك الضباط.

3- عوامل التوترات الهرمية:
الانقسام بين الضباط الخريجين وضباط الصف

بعد إنشاء المدارس العسكرية، ومن ثم الأكاديمية العسكرية في عام 1834، تمتعت النخب الشابة التي كانت تخرجها بمكانة رفيعة لدى جماعة التنظيمات والإصلاحيين العثمانيين. كانوا شبانًا يافعين ويحملون الشهادات، ولديهم معرفة عسكرية جديدة وثقافة فكرية حديثة، أي كل ما هو معاكس لضباط الصف الذين كانوا أكبر سنًا، وأصحاب خبرة عملية في المقام الأول، وتجريبية في الأمور العسكرية، وكانوا أقل تعليمًا بأشواط.

مع ذلك، كان ضباط الصف مقتنعين بأنهم الأكثر كفاءة وبأنهم رجال حرب أفضل من هؤلاء الضباط الشبان الذين لديهم معرفة كتبية، ولا يعيشون مع جنودهم[39]. في النهاية، هؤلاء الجنود هم رجالهم وكانوا يعرفون كيف يقودونهم،

---

(37) Ibid

(38) Ibid

(39) «بغض النظر عن الصعوبات الأخرى كلها، سبّب هذا الأمر نقصًا بالمدربين المتمرسين في الجيش الجديد. على هذا النحو، كان يتقدم فحسب الضباط الشبان المتخرجون في المدارس العسكرية=

لأنهم كانوا منهم. فماذا كان يعرف هؤلاء الضباط الخريجون عن الحرب؟ حكايات عن المعارك، ومشروعات خطط هجومية كانوا يبنونها كمن يبني قصورًا من ورق... كانوا يتحدثون عن الجيش في مكاتب القيادة العامة الدافئة، ويعطون الأوامر على فنجان من القهوة. كانوا يريدون إصلاح كل شيء، إلا أنهم لا يعرفون الجيش على حقيقته. ضائعون في أوهامهم، وفي استراتيجيات السلطة المشوشة التي لازمتهم، لم يولوا أي تفكير بالرجال، كما لم يجرؤوا على تخيل ما كانوا يعيشونه، وكيف كانت حياتهم اليومية(٤٥)... كانت هناك هاوية تفصل القيادة العليا عن رجالها؛ فهما لم يلتقيا قط. وكانت نقطة الوصل الوحيدة التي يمكنها أن تربطهم هي ضباط الصف، الأقوياء بخبرتهم بين الرجال، الذين وصلوا إلى مراتب القيادة.

لكن عجرفة هؤلاء الضباط الخريجين الشبان لم تكن لتساعد في خلق لقاء متناغم بين هذين العالمين اللذين كانوا يمثلونهما: عالم رجال الحياة العسكرية وعالم رجال العلم والسلطة. فحصل نوع من القطيعة جعلت هذا اللقاء مستحيلًا، والزواج بينهما غير ممكن. كانوا يعيشون في المؤسسة نفسها، لكن كالعجلات غير السوية، حيث كانوا في حالة تعايش غير سلمية، واتحاد مستحيل، الأمر الذي كان يولد الصراعات والخلل.

= الذين كانت لديهم في الأقل بعض المعرفة القتالية الحديثة، لكن الفرصة لم تسنح لهم قط في خلال الخدمة لإطلاق رصاصة واحدة من بندقية. علاوة على ذلك، كانوا يجهلون حياة الجماعة العسكرية، ما أبعدهم عن الجنود البسيطين في تعليمهم وعاداتهم. كما كانوا ينظرون بتعالٍ إلى رفاقهم المتخرجين من صفوف ضباط الصف - الذين يسمون ضباط العسكر - فيؤذونهم بعجرفتهم النابعة من اعتقادهم أنهم نتاج عصر جديد. وتعود الجنود على اعتبارهم أنهم الأشخاص الذين يعطون الأوامر ويحددون العقوبات، وليس قادة يظهرون لهم علامات الاهتمام»...

C. von der Goltz, *La Défaite de la Jeune Turquie et la possibilité de son relèvement*, trad. G. Dietrich (Paris: Henri Charles Lavauzelle, éd. militaire, 1914), pp. 11-12.

(٤٥) «العميد: عندما لم يكن قد سبق للمرء أن عاش قط حياة الجماعة العسكرية، ولم يشعر بأنه وتوتر الرجال الذي سيخوضون المعركة وربما يموتون، وعندما لم ير بأم عينه تهاوي الصفوف حوله تحت المدفعية الرشاشة، فإنه من السهل جدًا إجراء اتصال من بعيد، من عمق مركز آمن ومريح والقول: 'اهجموا مهما كلف الأمر!' والذهاب بعد ذلك لتناول العشاء»...

K. Yacine, *Le Polygone étoilé* (Paris: éd. du Seuil, 1966), p. 114.

غيّر هذا العداء طريقة التعاطي بين المجموعتين: ففي تلاعب بالكلمات، أطلق ضباط الصف على الضباط الخريجين (mektepli) لقب «merkepli»، أي «خريجو الحماقات»[41]. كان عدد الضباط المتخرجين قليلًا جدًا في صفوف الجيش، ولم يكن يُنظر إليهم بطريقة جيدة، وكان عليهم أن يفرضوا احترامهم بالقوة[42]. إضافة إلى ذلك، تمتع ضباط الفوج بتأييد السلطان، وتقلدوا الكثير من الميداليات والأوسمة. فولدت هذه النعم كلها الاستياء لدى الضباط المتخرجين[43].

في الواقع، كان هناك ميل في الجيش العثماني إلى القضاء على كبار السن من ضباط الصف، ذوي التدريب التقني غير الكافي على الإطلاق. منذ اعتماد المدفع السريع لإطلاق النار في سلاح المدفعية، كان هناك تعارض منهجي مع تقدم الضباط الثانويين الذين لم يتمكنوا من تعلم كيفية التعامل مع هذه الآلة الجديدة، ما ولّد بالتالي الاستياء لديهم، الذي تُرجم بالاحتجاجات. فعلى سبيل المثال، وفي حزيران/ يونيو 1908، تظاهر حوالى خمسين ضابطًا في سلاح المدفعية في أدرنة، وقاموا باجتياح مكاتب التلغراف وإرسال برقية مستعجلة إلى السلطان، للاحتجاج على التقدم الممنوح إلى الضباط المتخرجين من المدارس العسكرية المختلفة. إلا أنهم لم يتلقوا إلا تأكيدات مبهمة من السلطان الذي قال إنه سينظر في شكواهم، مع تعهد منهم بوقف أي احتجاج[44]. هكذا تقوض الدعم غير المشروط الذي تمتع به ضباط الصف. وكان هناك اتجاه لتصعيد الأمور. وبرز انتقام الضباط المتخرجين بعد «ثورة تركيا الفتاة في عام 1908»، طاعنين بذلك بالترقيات غير المبررة، ومؤكدين سيطرتهم داخل الجيش.

---

(41) ورد في: Şerif Mardin, «L'Aliénation des Jeunes-Turcs: Essai d'explication partielle d'une conscience révolutionnaire,» dans: *Économies et sociétés dans l'Empire ottoman (fin du XVII^e siècle-début du XX^e siècle)*, Publiés par J.-L. Bacqué-Grammont et P. Dumont (Paris: C.N.R.S.,1983), pp. 157-165.

(42) في مذكراته، يذكر الغازي أحمد مختار باشا خلال أول تكليف له في البوسنة والهرسك في أوائل عام 1860، العدد القليل للضباط المتخرجين في فرقته وكان من خمس إلى ست ضباط. كان عليهم كسب الاحترام بالقوة، بسبب عدم نيل أي منهم رتبًا عالية، وكان ينظر إليهم بشكل سيّئ، يُنظر: Gâzi Ahmed Muhtar Paşa, *Anılar, Sergüzeşt-i hayatım'ın, cild-i evveli*. Yayına hazırlayan Nuri Akbayar (Istanbul: Tarih Vakfi Yurt yayınları, 1996), p. 12.

(43) A. de la Jonquière, «L'Armée ottomane et l'épuration des grades,» *Le Bosphore*, no. 48 (Septembre 1908), p. 1.

(44) S.H.A.T., 7N1635, Constantinople, Rapport no. 243 du 13 juin 1908.

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

ثانيًا: دينامية الضباط

عمل الضباط بشكل فاعل، إلى جانب بيروقراطيي الباب العالي، على دعم نظام جديد وإنجاحه. وكانوا يدعون إلى اعتماد دينامية الانقلاب. فقام أحمد رضا، أحد المفكرين في حزب تركيا الفتاة، بكتابة مرافعات لمصلحة الدور الرئيس للجيش والضباط في المجتمع. لذا وضع الضباط أنفسهم في موقع اللاعبين الرئيسيين على الساحة السياسية في ذلك الوقت.

1- التزام الضباط

في خلال انقلاب عام 1876، أطاح تحالف من النخب المدنية والعسكرية السلطان عبد العزيز لإرساء نظام دستوري. كما حصلت محاولة مماثلة في عام 1895 ضد السلطان عبد الحميد، لكنها أخفقت(45). وكان الانقلاب أداة العمل المفضلة في الحقل السياسي العثماني. وفي وقت لاحق، نجحت خمسة انقلابات في أوائل القرن العشرين.

حدث الانتظام السري للضباط الشبان (تركيا الفتاة) أول مرة في داخل جمعية الاتحاد العثمانية التي أُسست في المدرسة الطبية العسكرية في اسطنبول. وكونها مجموعة سرية معارضة للنظام، فقد كانت تنتظم ضمن خلايا سرية. وفي عام 1899، بدأت بالانتشار تدريجًا في السلطنة، بدءًا من طلاب المدارس العليا في اسطنبول، كالكلية العسكرية والكلية البحرية، لتصبح بعض المراكز ناشطة جدًا، مثل تلك الموجودة في سالونيك ومناستر. أما قادتها فكانوا إبراهيم تيمو وعبد الله جودت ومحمد رشيد.

في أيار/ مايو 1895، اكتُشف النشاط السياسي للطلاب في الكلية العسكرية، حيث هرب أحد المتخرجين إلى أثينا، ثم عثرت الشرطة على صورة لمراد الخامس في مكتبة الكلية. فتم سجن أربعين طالبًا في السجن التابع للأكاديمية، واعتقلت شرطة الوزارة واحدًا وتسعين طالبًا(46). في عام 1897 أيضًا، أحبطت الشرطة

---

(45) Hanioğlu, *The Young Turks*, p. 58.

(46) Ibid., p. 74.

Scanned with CamScanner

مؤامرة كانت تحاك في الكلية العسكرية. فنفي ما يقارب المئة تلميذ ضابط من «تركيا الفتاة» إلى ليبيا. لاقت هذه الحركة رواجًا بين الضباط العاملين في الخدمة أساسًا، وتطورت بعد ذلك في الخارج، بين مراكز المعارضة التي شكلها المنفيون الهاربون من قمع النظام الحميدي[47].

كان التعاون بين النخب المدنية والعسكرية أمرًا أساسيًا، من جهة لإضفاء البعد المجتمعي على مشروعاتها، ومن جهة أخرى لتمكينها من تحقيق هذه المشروعات. كانت هناك مجموعة معارضة مهمة تنشط بين بيروقراطيي الباب العالي، لأنهم عرفوا أنه في سبيل تنفيذ مخططاتهم، كان عليهم أن يتعاونوا مع كبار الضباط[48]. وارتفع عدد كبار المسؤولين المدنيين والعسكريين الذين شاركوا في حركة تركيا الفتاة بدءًا من عام 1895. وكان الغازي أحمد مختار باشا، أحد أبطال الحرب الروسية - التركية، رجل الدولة الأكثر ترشيحًا للانخراط في المعارضة[49]. تدريجًا، قامت هذه المنظمة الطلابية بتجنيد كبار المسؤولين والبيروقراطيين والعسكريين والعلماء. وتبنوا فكرة الانقلاب واختلفوا مع أفكار أحمد رضا[50]. كما انضم عدد من الضباط إلى الحركة. بدورها، أصبحت وزارة الحربية مركزًا لجمعية الاتحاد والترقي، داعمة بطبيعة الحال خيار الانقلاب[51]. في الولايات، كان الفيلق الخامس، ومقره دمشق، هو الأكثر انخراطًا في الجمعية[52]. لكن بعد فشل محاولة الانقلاب، انخفض تجنيد الضباط من ذوي الرتب الرفيعة[53].

شهد عام 1906 تحول حركة تركيا الفتاة من حركة فكرية إلى حزب حقيقي يهدف إلى الاستيلاء على السلطة. وانضم طبيبان إلى مجموعة أحمد رضا، هما

---

(47) يُنظر: F. Georgeon, «Le Dernier sursaut (1878-1908),» dans: R. Mantran (éd.), *Histoire de l'Empire ottoman* (Paris: Fayard, 1990), pp. 521-576.

(48) Hanioğlu, *The Young Turks*, p. 59.

(49) أرسله السلطان كمفوض عثماني إلى مصر، من أجل إبعاده. وقام هناك بنشر مشروعات للإصلاح في الصحافة المحلية المصرية في عام 1900. يُنظر:

(50) Ibid., p. 60.

(51) Ibid., p. 77.

(52) Ibid., p. 79.

(53) Ibid., p. 79.

Ibid., p. 104.

Scanned with CamScanner

بهاء الدين شاكر والدكتور ناظم، وكلاهما من المنظمين، فقاما بتحويل جمعية الاتحاد والترقي إلى هيكلية ثورية في غضون شهور قليلة. كما طورا دعاية خاصة موجهة إلى الجنود والضباط في الجيش العثماني. أيضًا في عام 1906، أُسست الجمعية العثمانية للحرية (Osmanlı Hürriyet Cemiyeti)، التي استقطبت البيروقراطيين والضباط الشبان، وارتبطت بالجمعيات الماسونية والأخويات. أدارها طلعت بيك، مدير مكتب التلغراف في سالونيك، وتغلغلت على وجه الخصوص بين ضباط الفيلقين الثاني والثالث. ثم في عام 1907 اندمجت جمعية الاتحاد والترقي التابعة لأحمد رضا بالجمعية العثمانية للحرية في سالونيك، مع الحفاظ على اسم جمعية الاتحاد والترقي. بعد ذلك، وفي نهاية عام 1907 عقد المؤتمر الثاني الذي ضم أعضاء جمعية الاتحاد والترقي، ومن الطاشناق (الاتحاد الثوري الأرمني (Dashnaktsoutioun))، وأنصار للأمير صباح الدين، لتأليف جبهة مشتركة. وعند إعلان مؤتمرهم، استهدفوا بصورة مباشرة السلطان، معتبرين أنه مسؤول عن مساوئ السلطنة[54].

2- دور الجيش كما تصوّره مفكر من «تركيا الفتاة»

كان أحمد رضا أحد مفكري حزب تركيا الفتاة. وكان ينظر إلى الجيش بصفته أحد أعضاء المعارضة المدنية، ومسؤولًا رفيعًا في جمعية الاتحاد والترقي. وكونه مقتنعًا بالدور الأساس الذي سيقوم به الجيش، كتب كثيرًا من المرافعات في هذا الصدد. كما طور في كتابه **التسامح الإسلامي**[55]، أفكاره عن دور الحرب التي تعتبر محرك وجود السلطنة. أما الحرب، وحيث كان مطلوبًا في خلالها رصد مبادئ العدالة والتسامح تجاه المهزومين، فكان لها تأثير كبير في الروح المعنوية للمنتصرين؛ إذ أثارت فيهم القيم النبيلة مثل الشجاعة والرجولة واحترام الانضباط والخضوع لزعيم يتمتع بهيبة ومزايا مشهود لها. ورأى أحمد رضا في التغيرات المفاجئة في السلطنة وتداعي قوتها العسكرية، خطرًا بإضعاف الشعب، حيث قام القادة العسكريون الذين جرى تجنيدهم قبلًا من كبار الشخصيات في الأمة، بالوقوف وجهًا لوجه ضد استبداد السلطان. إلا أن سلسلة الهزائم الشديدة

---

(54) F. Georgeon, *Abdul Hamid II: Le Sultan calife (1876-1909)* (Paris: Fayard, 2003), pp. 395-397.

(55) A. Riza, *Tolerance musulmane* (Paris: Imprimerie Clamaron-Grill, 1897).

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

التي تكبدتها السلطنة كانت قد قلصت من تأثيرهم في السلطان، ما أطلق العنان لطغيانه[56].

اعتبر أحمد رضا، خلافًا للتشهير الذي شوّه صورة الجيش، أن هذا الأخير لم يتوقف قط عن كونه صادقًا ومتسامحًا، وعلى السلطان أن يتحمل وحيدًا مسؤولية التورّط لكونه اختار قادة الجيش من بين أزلامه الفاسدين. كما أنه كان مسؤولًا أيضًا عن سوء دفع الرواتب لجنوده وعن عدم انضباطهم. ووفقًا لأحمد رضا، أصبح الجيش، من دون وعي، وسيلة للاستبداد والتعصب بيد شخص واحد[57].

في بعض مقالاته، مثل «اعتبار شرف جنودنا» Askerlerimizin namus haysiyeti)[58]، أوضح أحمد رضا أن الجندي كان مجد الوطن وشرف الأمة[59]، داعيًا الأمة إلى الانتفاض. أظهر أحمد رضا الدور الذي كان يمكن الجيش القيام به في تقدم السلطنة والدفاع عنها في كتيب **وظيفة الجندي ومسؤوليته** (*vazife ve mesuliyet: asker*) (1906)[60]. وتطورت الصفات المطلوبة للجيش من الغزو (ghâzâ) إلى الوطنية. أي الانتقال من الفتوحات إلى الدفاع عن البلاد[61]. ذلك أنه كان قد جرى التخلي عن أيديولوجية الغزو منذ فترة طويلة. من هنا، كان الدفاع عن السلطنة يتمحور حول إنقاذها، وذلك لمنع تقسيمها. وتحدث أحمد رضا عن الموت - عن سقوط عنيف صوب العدم - وعن البحث الضروري عن القضايا وعن التفاني في سبيل البلاد بدافع الوطنية، بدلًا من الانشغال بالرثاء[62]. وكانت نظرية الدفاع عن الوطن (vatan müdafaası) قد وضعت فعلًا منذ حقبة «العثمانيين الشباب» في الستينيات من القرن التاسع عشر، وجرى تدريسها في المدارس العسكرية بقيادة سليمان باشا[63].

---

(56) Ibid., pp. 16-17.

(57) Ibid., pp. 22-23.

(58) *in Meşveret*, 8 *Şevval* 1312, 1st april 1896.

(59) *Asker vatan şanı, milletin namusu demektir...»*

(60) نشر في القاهرة، في عام 1323 هـ.

(61) جرى تعديله في فرنسا ومصر، ونشر من طريق الخارج.

(62) وضع هذه الفكرة أحمد رضا، يُنظر: *Şura-yi ...hazırlıkları* [Les préparatifs de l'avenir], *Şura-yi ümmet* [L'assemblée de la communauté des croyants], 24 avril 1902, p. 3.

(63) Aydemir, *Suyu arayan adam* (Istanbul: Remzi Kitabevi, 1961), p. 4.

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

أسد أحمد رضا دور المخلص إلى الجيش، ممجدًا فضائل الوطنية الوليدة، لتتشرّ بين طبقات السكان جميعها، أغنية كانت أم متواضعة، مسلمة أم غير مسلمة، من دون تمييز في العرق أو الدين. كما فسر الدور الذي كان على الجيش التركي أن يقوم به في الثورة. وشجع النشاط الحزبي ودعا إلى قيام أمة مسلحة وإلى اتخاذ شكل الدولة العسكرية[64]، كما طور أحمد رضا النظرية التي على أساسها شكل الجيش نخبة جديدة. جرى تقديم الجندي كركيزة للسلطنة. واحتل المجتمع العسكري قلب حياة الدولة، ليتراجع المجتمع المدني إلى المرتبة الثانية. ودعا أحمد رضا إلى تعزيز المهنة العسكرية لجذب الطبقات الغنية، بدلًا من ترك هذه المهمة للطبقات الأكثر تواضعًا وكدحًا[65]، وإلى تحديث الجيش وتدريس أحدث النظريات العسكرية. وشجعت هذه النخبة الجديدة على تحمل المسؤوليات على المستويات جميعها. وشجع أحمد رضا الضباط على القيام بمهمات في المجال المدني - مثل تعويض أوجه القصور لدى الحكومة - وعلى اتخاذ المبادرات في المجال السياسي[66]. باختصار، بدأت النخبة العسكرية القيام بدور طليعي داخل المجتمع المدني. وكان لهذا النداء وقع إيجابي تُرجِم بطبيعة الحال في العقود التالية.

ثالثًا: عدم انضباط الرجال

ظهر عدم انضباط الرجال بأشكال مختلفة، عبر العصيان ورفض أداء الخدمة العسكرية أو التمرد بعد تجنيدهم.

1- المتخلفون عن التجنيد

كان العصيان ظاهرة منتشرة بشكل خاص في ولايات عثمانية معفية سابقًا من الخدمة العسكرية، مثل الولايات العربية وولايات شرق الأناضول. واعتمدت تدابير لتشجيع المتخلفين عن الخدمة على الخضوع والتوبة.

---

(64) «...*Asker, vatan şani, milletin namusu demektir...*,» p. 7.

(65) Ibid., 47.

(66) Ibid., 48.

Scanned with CamScanner

في تموز/ يوليو 1889، نُشر فرمان يتعلق بالمتخلفين عن الخدمة، بناء على اقتراح المجلس العسكري (meclis-i 'askeriye). كان عددهم يتزايد بشكل مستمر، خصوصًا في الأناضول. وقدر العدد بنحو مئة ألف رجل لعموم السلطنة. وكان يمكن لأي متخلف عن الخدمة ينتمي إلى فئة الجيش النظامي دفع مبلغ ست ليرات تركية ليتخلص من الملاحقة وكي يعامل مثل أقرانه من الصف نفسه الذين أتموا واجباتهم العسكرية. وفي حال انتقل المتخلف عن الخدمة إلى الاحتياط النظامي، كان عليه أن يدفع المبلغ المذكور أعلاه، وإتمام خمسة شهور من التدريبات مع أولئك الذين يحرسون مستودعات الاحتياط الرديف. أما إذا كان المتخلف عن الخدمة مصنفًا بين جنود الاحتياط الرديف، فكان بإمكانه تحرير نفسه بأن يدفع مبلغ عشر ليرات. وكي يتم تعيينه في الحرس الوطني، كان عليه أن يدفع 12 ليرة. أما المتخلفون عن الخدمة البالغة أعمارهم أكثر من أربعين عامًا، فكانوا مطالبين بالخدمة لمدة ست سنوات في الحرس الوطني (المستحفظة) مع دفع عشر ليرات، في حين كان يعفى الخمسيني من دون أن يدفع أي شيء. طُبِّقَ هذا القانون على مدى سنتين. بهذه الطريقة، حاولت الحكومة في وقت واحد أن تحد من أعمال قطع الطرق وأن تزيد موارد الخزينة[67]. في الواقع، ضاعف المتخلفون عن الخدمة عدد قطاع الطرق، وكان انعدام الأمن على الطرق مشكلة دائمة. وأصبحت اللصوصية التي تفشت في أنحاء السلطنة جميعها مصدر قلق للحكومة العثمانية. كان اللصوص على ما يبدو جد خطرين؛ إذ تمكنوا حتى من أسر ابن شقيق السلطان، حيث اقتادته من إحدى ملكياته عصابة من اللصوص الذين يعملون في منطقة سيليفري، أي على بعد خمسين كيلومترًا من العاصمة. فاستُعين بأربعة آلاف رجل من حامية اسطنبول لإبادة هذه العصابة، لكن مرت عشرة أيام من دون أن يحققوا أي نتيجة[68].

2- انتفاضات الجنود

إن كان من المستحيل رسم صورة لحركات التمرد التي أمكن تعدادها قبل «ثورة تركيا الفتاة» في عام 1908، فسنحاول في المقابل تقديم كثير من الأمثلة

(67) S.H.A.T., 7N1630, Constantinople, rapport no. 48 du 31 juillet 1889.

(68) S.H.A.T., 7N1630, Constantinople, rapport no. 75 du 6 juillet 1890.

Scanned with CamScanner

انهمك لإلقاء الضوء على الوضع السائد في تلك الحقبة. تكررت أعمال عام
الانضباط كثيرًا في خلال تشرين الأول/ أكتوبر وتشرين الثاني/ نوفمبر 1888.
واندلعت حركات تمرد عدة بسبب تسريح دفعة عام 1884/ 1885 (1300 هـ)
في منطقة الأستانة والأقاليم. كما قام عدد من القنّاصة في سرية للمشاة متمركزة
في بلدز، وبعد الإعلان عن تسريحهم من دون دفع متأخراتهم، بالسير مع الأسلحة
تحت نافذة كشك الحديقة حيث يجلس السلطان. لم تتم معاقبة المحرضين، بل
دفعت لهم رواتب وأعيدوا إلى منازلهم. وبما أنه كان يمكن لهذا المثال السيئ أن
يتكرر، فقد عُلِّقَ تسريح دفعة اسطنبول[69].

في أرضروم، نشأت اضطرابات خطرة في فوج المشاة السادس والخمسين. وتلقى العميد قائد الفوج سندات خزينة تأذن له بالحصول على قيمة معينة من ضرائب الأرض في الأماكن التي أقيمت عليها مواقع عسكرية. وكما جرت العادة، قام بإرسال آمر الصرف التابع له إلى القرى المشار إليها لإتمام عمليات المصادرة. وتلقى هذا الآمر، المعين لدى وكيل وزارة المالية، حين قام دافعو الضرائب بدفعها، ضرائب السنة الضريبية في عام 1889 (1304 هـ). وكي لا تتجمع عنده أموال كثيرة، كان يقوم بإرسال المصادرات الخاصة بكل قرية إلى الإدارة المركزية للولاية، التي كان عليها بعد التحقق من المبالغ، إرجاع الأموال إلى العميد.

إلا أن مدير الدعم اللوجستي الخاص بفيلق الجيش تذرّع بالحاجة الملحة إلى أموال الخزنة السلطانية، وحبس الأموال المخصصة للفوج السادس والخمسين فور وصولها، وعرض في المقابل تقديم الحبوب من مخازن الإمدادات الخاصة به. فطالب العميد بهذه الأموال لدى الحكومة، وفي الوقت نفسه لدى قائده الأعلى، المشير مصطفى باشا، وزير الحربية السابق. فأبلغه أن هذه الحبوب نفسها كانت قد أعطيت له بالفعل مرة بدلًا من الدفع، وبأنه اضطر إلى الإذعان للتخلص من خسارة كبيرة، من خلال بيعها إلى شخص أرمني، تقاسم الأرباح مع المتعهد العسكري، ولم يكن حتى قد سحب بضاعته من المخازن العسكرية. أما المشير، القاسي بحسب السمعة عنه - ومن دون أن تكون نزاهته موضع تشكيك - فرفض طلب مرؤوسه، لأن فوجه كان مدينًا للدولة من أجل تجهيزات مختلفة من ثياب ومعدات.

---

(69) SHAT, 7N1630, Péra, rapport no. 10 du 14 novembre 1888.

Scanned with CamScanner

لوضع حد لمطالبه، أرسل المشير العميد مع مفرزة من فرقته إلى الحدود الفارسية لقمع اللصوصية. فغادر مع فرقته، متبوعًا بالتجار الذين كان كل يوم يقوم بإعادة بيعهم ما يقوم بمصادرته في طريقه، وهذا كان أكثر بكثير مما كان مطالبًا به. وعندما أصبح في حوزته مبلغ كبير من المال، هرب مع بعض جنوده إلى بلاد فارس. فانتفض الفوج الذي كان محبطًا من هذا السلوك السيئ، علمًا أنه كان يعاني سوء التغذية وانقطاع الرواتب، واستوجب الأمر عمليات إعدام عدة لإجباره على الطاعة. بعد هذه الحادثة، قام السلطان بإعادة تشكيل الفوج السادس والخمسين بشكل كلي، وجرى توزيع الرجال على أفواج أخرى، حيث أمروا بعدم البوح بما رأوه[70].

وقعت أعمال عدم انضباط في آذار/ مارس 1889 في أدرنة. وكان الحاكم العام في أدرنة، المسؤول عن دفع أجور الجنود الذين كانوا في الولاية، ومن أجل أن يُنظر إليه بشكل إيجابي، قد أرسل تقريبًا الضرائب جميعها إلى اسطنبول، التي على أساسها كان يجب دفع رواتب شباط/ فبراير. فذهب ضباط فوج سلاح الفرسان إلى منزل فيصل باشا، قائد الفيلق الثاني، وهددوه بالقتل إذا لم يدفع لهم فورًا جزءًا من متأخراتهم المستحقة، كما حصل في أفواج الجيش الأخرى. فوعدهم الباشا بتحقيق مطالبهم كلها كي يغادروا، ومن ثم قبض على خمسة قادة رئيسيين، ووضعهم في السجن، وحصل على إذن بإرسالهم إلى اليمن، حيث كان عليهم الخدمة من دون رتبة[71]. وفي تشرين الأول/ أكتوبر 1889، حصلت حالات تمرد عدة، حتى في القوة التي أرسلت لتهدئة الوضع في كريت[72].

بدت الإرباكات المالية للحكومة العثمانية في تزايد دائم عامًا بعد عام. ففي كثير من فيالق الجيش، جرى تأخير تسريح الرجال الذين أتموا مدة خدمتهم إلى بيوتهم، لأن السلطات العسكرية لم تكن لديها السيولة اللازمة لمنحهم متأخرات رواتبهم. وعلى جبهة الجبل الأسود، أوقف الموردون الذين كانت لهم مبالغ

---

(70) Ibid.

(71) S.H.A.T., 7N1624, Constantinople, rapport no. 22 du 6 mars 1889.

(72) S.H.A.T., 7N1624, Constantinople, rapport no. 57 du 7 novembre 1889.

كبيرة مستحقة، إمداداتهم من المؤن. وبقيت القوات أيامًا عدة من دون خبز، ما ولد الاضطرابات التي أُوقف في إثرها بعض الضباط[73].

في اسطنبول، حتى سلك الحرس السلطاني - الذي كان يُعامَل عادة معاملة جيدة جدًا، ويُدلل - اهتز بسبب التظاهرات التي سرعان ما وُضِعَ حدّ لها. وقام السلطان بالدفع للمتمردين من خزنته الخاصة. من هنا، حددت قرارات سلطانية جديدة بأن يُوزَّع على قوات الفيلق الأول في خلال شهر رمضان من عام 1895، الشاي ثلاث مرات في اليوم، والفواكه والحلويات والمربّيات بكميات كبيرة[74].

في عام 1901، ميزت حوادث عدة عملية تسريح دفعة عام 1895 (1311هـ). وبما أن وزير البحرية كان ينوي طردهم من دون دفع متأخرات أجورهم، قام بضع مئات من رجال فوج البحرية المتمركزين في ثكنة ترسخانة بالتمرد. وجرى سجن المتمردين إلا أنهم تمكنوا من كسر الأبواب وانتشروا في الثكنة، مطلقين صرخات الاحتجاج. وعندما وصل الخبر إلى وزير البحرية حسن باشا، ذهب على الفور إلى الترسانة وحاول أن يهدئ المتمردين، فاستقبلوه بوابل من الشتائم. وتوجه إليه الرجال بطريقة وقحة جدًا، متهمينه بأنه يقوم بالإنفاق على حريمه - اللاتي كن يعتبرن الأهم في السلطنة بعد حريم السلطان - من الأموال التي خُصصت لهم[75]. وهنا جرى استدعاء قوة مسلحة، وجُرِحَ كثير من المتمردين. وعندما علم السلطان بالأمر، دفع المتأخرات المستحقة، إضافة إلى المكافآت وأرسلها إليهم مع تحياته من طريق فريق في الجيش من مرافقيه[76].

بدافع من التأخير في تسريح الرجال ودفع رواتبهم، وقع الكثير من حالات عدم الانضباط في فيلق الجيش الثالث. لكن كانت تلك أول مرة تحدث أعمال كهذه في حاميات المراكز الحدودية وفي وقت تميّز بالتوتر. في عام 1902،

---

(73) S.H.A.T., 7N1631, Constantinople, rapport no. 141 du 16 mars 1895.

(74) Ibid.

(75) كان وزير البحرية لديه سمعة، يبررها أسلوب حياته، بأنه أكبر مبذر أموال في السلطنة. يُنظر:

(76) S.H.A.T., 7N1633, Constantinople, rapport no. 402 du 28 mai 1901.

Ibid.

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

اندلع تمرد في الكتيبة الثالثة من فوج المشاة الثامن عشر في دياكوفا. وفي منتصف شباط/ فبراير، بعد واحدة من تلك العداوات المتكررة بين الأسر الألبانية، اغتيل الزعيم الألباني المُلا زكّا في إيبك [هي بيخا أو بيش، في كوسوفو]، على يد زعيم ألباني آخر، وهو ضابط في الدرك، آدم زعيم. بعد عملية الاغتيال، اشتبك أنصار الخصمين، وتدخلت الكتيبة الثالثة من الفوج الثامن عشر في حامية إيبك لفرض النظام. فأطلق الألبان النار على القوات العثمانية وقتل جنود من الفوج. وبعد بضعة أيام، أُرسلت الكتيبة نفسها إلى دياكوفا بسبب الاضطرابات، ومن هناك استدعيت إلى إيبك في 12 آذار/ مارس.

في هذا الوقت بالذات، وبسبب الاستياء من تأخر الرواتب المستحقة لهم، وعدم الانتظام في توزيع المواد الغذائية، وبسبب تعرضهم للتعب المستمر والأخطار الجسيمة، ثار الجنود ورفضوا الانصياع لأوامر ضباطهم. وبدلًا من العودة إلى إيبك، ذهبوا إلى فيريسوفيتز، وهي محطة سكة حديد تقع على بعد المسافة نفسها تقريبًا من ميتروفيتسا وسكوبيه. وكان الضباط يتبعونهم عن بعد. عند وصولهم إلى المحطة، استقلوا القطار إلى سكوبيه، حيث صمموا على نقل شكواهم إلى القائد العام للفرقة الخامسة. ورفضوا في فيريسوفيتز أن يصعد ضباطهم على متن القطار. مع ذلك، عند المغادرة، أضاف رئيس المحطة عربة للقطار حملت الضباط، ووصلت الكتيبة إلى سكوبيه، حيث كان في استقبالها العميد رضا باشا الذي هدأ الروح المعنوية لدى الجنود، ورأى أنه يجب أن تبقى الكتيبة في ثكنة في سكوبيه بانتظار دفع الرواتب المتأخرة قبل أن تعود إلى الموقع العسكري في إيبك[77].

إن النتائج المترتبة عن هاتين الحادثتين، نعني مقتل الزعيم الألباني وتمرد الكتيبة، حيث قُتل كثير من الرجال على يد أنصار الزعماء الألبان، مثيرة جدًا للاهتمام. وبهدف تهدئة استياء عائلة الزعيم الذي اغتيل، قام السلطان بتوزيع الرتب والأوسمة على أقاربه، ومنح أرملته راتبًا شهريًا قدره ألفي قرش لمدى الحياة، الأمر الذي أرضى مؤيدي الملا زكّا، في حين احتج أنصار آدم الزعيم وطالبوا بالإفراج عنه. وبما أن السلطان منح رواتب لأسر القتلى، فإنه غني عن القول إنه كان يفتقر إلى المال ليدفعه إلى جنود الجيش.

---

(77) I.H.A.T., 7N1633, Constantinople, rapport no. 468 du 26 mars 1902.

Scanned with CamScanner

أما جنود الكتيبة الثالثة في فوج المشاة الثامن عشر، فتركوا من دون أجور، يعانون سوء التغذية، ويموتون من البرد بسبب قسوة المناخ في شمال ألبانيا. وكانوا يرتدون قبعة بيضاء ألبانية مكان الطربوش الأحمر العثماني، إلا أنهم كانوا يمشون بكل انتظام، حتى في خلال انتفاضتهم. وصل الجنود في 18 آذار/ مارس، وكانوا لا يزالون في ثكنة سكوبيه في أيار/ مايو، حيث كانوا يخضعون لرعاية خاصة، وتلقوا فور وصولهم متأخرات رواتبهم كلها. لم يعاقب أي منهم، ويمكن تفسير غياب القمع من بعد ارتكاب خطأ فادح، بمنزلة الموافقة الضمنية على سلوكهم[78].

ارتُكبت ممارسات عدم انضباط عدة من كثيرين من ضباط الفيلق الثالث. ففي نيسان/ أبريل 1902، قام سبعة وستون ضابطًا من جميع الرتب من حاميات بريشتينا ودياكوفا وميتروفيتسا وبيراني بإرسال طلب جماعي، مباشرة إلى قصر يلدز، عرضوا فيه أوضاع حياتهم السيئة بشكل خاص في شمال مقدونيا، والمخاطر التي كانوا يتحملونها، وحياتهم التي يمضونها دائمًا على الطريق، وعدم الانتظام في دفع الأجور وغياب الترقيات. في المقابل، كان الألبان غير المتعلمين أو حتى الأميين، قد شقوا طريقهم بسرعة كبيرة بين رتب الهرمية العسكرية جميعها. وكونهم يعلمون جيدًا أنهم لن يحصلوا على متأخرات رواتبهم، توقفوا عن إتمام خدمتهم إلى حين يقوم السلطان بمنحهم على الفور، كتعويض، رتبة أعلى، الأمر الذي حصلوا عليه عبر برقية من القصر[79].

في وقت لاحق، في 21 نيسان/ أبريل 1902، قام مئة وخمسون ضابطًا من حاميات سكوبيه وبريزرن وفوشيرين وكلخانه وغيرها، وقد شجعهم مثال زملائهم، بالمطالبة بالامتيازات نفسها أسوة بأقرانهم، وفازوا بقضيتهم أيضًا. ويبدو أن الضباط قد تأثروا بطريقة عمل الألبان الذين غمرتهم نعم السلطان. وكانوا يفاوضون دائمًا على تنازلات جديدة، ولم يترددوا قط في التهديد بالقيام بالتمرد وتنفيذه. وكان التصدي للعصابات البلغارية والعشائر الألبانية مستمرًا

(78) S.H.A.T., 7N1633, Constantinople, rapport no. 484 du 8 mai 1902.

(79) S.H.A.T., 7N1633, Constantinople, rapport no. 468 du 26 mars 1902, rapport no. 480 du 2 mai 1902.

Scanned with CamScanner

على الدوام... أما الانضباط فتراخى إلى حد أن اثنين من قادة الألبان ومرافقي السلطان، رضا بيك وبيرم تسور بيك، تشاجرا، في 30 نيسان/ أبريل، على رأس عشيرتيهما قرب دياكوفا. وأرسلت على عجل كتيبة إلى سكوبيه لإعادة النظام[80].

كانت هناك أعمال عصيان أيضًا من الضباط. فعلى سبيل المثال، في 5 تشرين الثاني/ نوفمبر 1903، قام ضباط حامية كيليت بحر - وهو حصن يقع على الساحل الأوروبي، في مقابل الدردنيل - غاضبين بسبب عدم حصولهم ولو على دفعة صغيرة من متأخرات أجورهم، برفض أداء خدمتهم. فتوجه الجنرال عبد الرحمن باشا قائد الحصن إلى الموقع لتهدئة المتمردين، لكن من دون جدوى؛ إذ رمى الضباط سيوفهم عند قدمي العميد، معلنين أنهم لن يستعيدوها إلا عندما تدفع لهم رواتبهم. اتُخذت تدابير وقائية في حامية الدردنيل العسكرية. وقام الفريق مظ باشا باعتقال الضباط الأكثر تمردًا في الحامية وسجنهم.

الجدير بالذكر أن الوضع في الدردنيل كان يرثى له بشكل خاص. فالضباط لم يتلقوا رواتبهم فحسب، بل وكان يقتطع من حصصهم أيضًا، وكانت توزع عليهم «الماعز الفاسدة» على أنها أغنام. كان الضباط بائسي المظهر مثلهم مثل جنودهم. ومن كان مسؤولًا عن أسرة، لم يتمكن من إطعامها، وأحيانًا من إيوائها. في الواقع، كان أصحاب الأملاك يرفضون تأجير منازلهم لمستأجرين كانوا يعرفون أنهم غير قادرين على دفع الإيجار.

لم يرفع الضباط مطالباتهم ضد الحكومة فحسب، بل ضد السلطان أيضًا. وإذ علم الأخير بالأمر، أمر قائد موقع الدردنيل بإجراء تحقيق دقيق جدًا والإبلاغ عن أسماء المتمردين[81].

لم تسلم عاصمة السلطنة وكبار مسؤوليها من أعمال التمرد والعنف. مثل الثورة التي اندلعت في 15 كانون الأول/ ديسمبر 1906 خلف فندق بيرا بالاس، في ساحة المقبرة، حيث كان هناك نحو أربعمئة جندي من البحرية مستائين من

---

(80) Ibid.

(81) S.H.A.T., 7N1633, Constantinople, rapport no. 650 du 20 novembre 1903.

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

إبقائهم هناك لمدّة تتجاوز خمسة أعوام - المدة القانونية لخدمتهم - حيث معظمهم كان قد بقي في الخدمة لمدة ثماني سنوات. إضافة إلى ذلك، كانت هناك متأخرات في الرواتب بآلاف الليرات التركية مستحقة لهم.

تظاهر الجنود خارج منزلي نائبي الأميرال [لواء بحرية] محمد رفعت باشا وحسني باشا. لم يحملوا أسلحتهم، لكنهم رموا بالأحجار منزلي الباشاوين، حتى أُجبرا على الخروج. فقام الجنود بتجريدهما من زيهما العسكري واعتدوا عليهما بالضرب، ما استدعى نقلهما إلى المستشفى. في الوقت نفسه، حضر مبعوثون من قصر يلدز لتهدئة المتمردين. واقترضت الحكومة المبلغ اللازم للدفع من شركة التبغ، وحملت سفينة حربية عثمانية المتمردين إلى ولاياتهم الأصلية[82]. حرس السلطان أيضًا لم يكونوا بمنأى عن أعمال التمرد. ففي عام 1907، ثارت كتيبة من الألبان، وأحيط هذا التمرد بالكتمان قدر الإمكان، كما أنكر القصر حصوله[83].

حصلت حالات من عدم الانضباط في حاميات السلطنة جميعها تقريبًا. بعضها جاء خطرًا، مثل الأمثلة التي اخترنا تقديمها، وأيضًا مثل تلك التي وقعت في دمشق، في صفوف ضباط من سلاح الفرسان والمدفعية التابعة لهذه المدينة في 30 تشرين الثاني/ نوفمبر 1903. ففي ذلك اليوم، قام حوالى خمسين ملازمًا وملازمًا ثانيًا، أغلبهم يتبع سلاح الفرسان والمدفعية، بالمطالبة من دون جدوى من المشير حقي باشا قائد الفيلق الخامس، بدفع رواتبهم المتأخرة. وعندما علموا أنه جرى دفع راتب شهر للضباط برتبة نقيب فما فوق، تظاهروا بعنف شديد في المدينة، على الرغم من ممانعة قادتهم. وإذ كانوا مستائين للغاية، ذهبوا إلى مكتب التلغراف، واستولوا على المعدات، وطلبوا التواصل مع قصر يلدز، وشرحوا للسكرتير الأول للسلطان، تحسين باشا، الوضع المؤسف الذي وجدوا أنفسهم فيه، لعدم وجود ما يكفي لإطعام أسرهم. فحثهم تحسين باشا على الهدوء

---

(82) A. A., Türkei no. 142, A. 21218/06, *Botschaft, Militärattaché* no. 56/06, Constantinople, le 16 décembre 1907, *Militär-Bericht* no. 9, von Strempel.

(83) A.A., Türkei no. 142, A. 8001.07, *Kaiserlich Deusche Botschaft, Militär-Attaché*, Constantinople, le 16 mai 1907, *Militär-Bericht*, no. 30, von Strempel.

Scanned with CamScanner

ووعدهم باتخاذ إجراءات فورية لضمان دفع راتب شهر واحد لهم. وأرسلت أوامر عاجلة إلى والي الشام، ناظم باشا، الذي أمر مرؤوسيه بإرسال المال كله الذي يمكنهم تأمينه إلى دمشق[84].

مثل هذه الحوادث التي وقعت في دمشق، لم تقوض بحد ذاتها ولاء الضباط للسلطان، لكنها كانت أمثلة سيئة للانضباط. كما طرحت أيضًا مشكلة النزاع المستعر منذ سنوات، الذي اتسم بعدم الرضا، واتخذ أشكالًا عدة. وبدا أنه من الصعب، بعد أن اتهم الضباط والجنود لسنوات عدة الوزراء والمسؤولين، على مستويات التسلسل الهرمي جميعها، بالوقوف وراء التبذير الذي عاناه هؤلاء الضباط والجنود، لم يتوجهوا، كما سبق أن فعل بعضهم، إلى من هم مصدر السوء ذاته. وخيم جدار حقيقي من الصمت على المجتمع العسكري، حاولت الانتفاضات تحطيمه.

وإذ مثلت الانتفاضات الحصاد المر للبؤس والجوع لدى الضباط والجنود، فإنها كانت بمنزلة الاحتجاجات اليائسة، أو حتى صرخات استغاثة، أمام الوضع الأكثر كارثية في الحياة اليومية للأشخاص المعنيين، وردة فعل وجودية، تحاول تفادي الموت. وهذا الكفاح من أجل الحياة والاستمرارية، الذي أطلقه الضباط والجنود، يمكن أن يُعتبر أيضًا صراعًا من أجل بقاء الجيش والسلطنة نفسها. تلك كانت حالة من الخوف المذعور، تكسر العادات جميعها، وتحطم تمامًا ضغط المخبرين، حيث كان لهذه الثورات طابع شبه عام؛ إذ وقعت في الحاميات العسكرية كلها تقريبًا في السلطنة. في المقابل كانت الإجابات قلقة مربكة تأتي من حكومة قلقة مذعورة، وخوف متصل ومعمم، في مقابل ثروة مصادرة. هذه التمردات كلها، كانت بمنزلة الزلازل والهزات التي ضربت الانضباط والسلطة، وتوغلت على نحو متزايد إلى أماكن أكثر قربًا، حيث كان القصر هو مركز الزلازل. وشكل تعجل الحكومة التي سارعت إلى الإذعان لتهديد المتمردين وتلبية مطالبهم قدر الإمكان، شكلًا من أشكال الاغتراب واستمرارًا غير منقطع لهذه الثورات، مما أدى إلى سجن الحكم ضمن دوامة هذيانية، في استسلام أمام تصاعد التهديد.

(84) SHAT, 7N1633, Constantinople, rapport no. 537 du 5 janvier 1903.

Scanned with CamScanner

تدفعنا مشكلات عدم الانضباط التي وقعت داخل الجيش وحالات الفرار والتمرد والثورات من الجنود والضباط، إلى التساؤل عن الحالة النفسية التي كانت سائدة، وما يمكن أن نصفها به. هل كانت هذه العوامل خطرة وقوية وعميقة إلى حد بث روح من الفوضى في الجيش؟ في الواقع، يمكن أن نبحث عن أوجه التشابه مع الحالة الانكشارية. هل ظهرت روح من الفوضى وسادت في الجيش؟ إن الفرق الأكثر أهمية بالنسبة إلى الثورات الانكشارية هو أن هذه الأخيرة لم تقم على مطالب سياسية وإنما على مصالح خاصة فحسب. وفي أوائل القرن العشرين، كان تسيُّس الضباط حقيقة بارزة، وأدى دورًا رائدًا في مؤازرة ثورات الجنود.

يمكننا اقتراح تصنيف نمطي لهذه التظاهرات، آخذين كمعيار احتلال المجالات العامة. كانت هناك عمليات خطف للسفن في أثناء النقل البحري، وبشكل خاص، كانت هذه هي الحال بالنسبة إلى الجنود الآتين من اليمن الذين أجبروا السفن على أن ترسو في بيروت. وانتشر الجنود في المدينة واحتلوا الأماكن العامة، مثل البنك العثماني ومكتب التلغراف ومراكز السلطة كسراي المحافظ، ومنازل كبار الشخصيات المهمة. وبفضل التلغراف، كان بإمكانهم تقديم شكواهم مباشرة إلى السلطان وتلقي الإجابة عنها. وكلما كان الجواب إيجابيًا، كانت هناك دوامة من المطالبات. في هذا الصدد، قامت الوسائل الجديدة للاتصال، خصوصًا التلغراف، بدور أساس في إقامة علاقة مباشرة بالسلطان. من أداة لمركزية النظام، أصبح أيضًا وسيلة للتعبير عن المطالبات المحلية[85].

وإذا كانت أعمال التمرد متكررة في السلطنة، إلا أنه يمكننا أن نلاحظ أن وتيرتها ارتفعت منذ عام 1904. فقد زادت مطالبات الضباط والجنود وتمرداتهم كلٌ لأسبابه المختلفة، لكن اقتران جهودهم بمحصلة «مساوئ عيشهم» قد قوض السلطة التي كانت قد سيطرت عليهم بكفاءة حتى ذلك الحين. أما نقطة الذروة فتجلت في أحداث عام 1908، فعاد الضباط، من خلال الانقلابات، إلى الساحة السياسية، وأمسكوا بالسلطة وقاموا بدور رئيس في الفضاءات العامة.

(85) Georgeon, *Abdül Hamid II*, p. 394.

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

القسم الثالث

الجيش والسياسة في بداية القرن العشرين

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

في أوائل القرن العشرين، خرج الجيش من مخبئه ومن الظل الذي مكَّنه من تنظيم نفسه للقيام بدور قيادي في الفضاءات العامة. وتتالت تدخلات العسكريين في الميدان السياسي في خلال الانقلابات العسكرية. من حرب طرابلس إلى حروب البلقان، أصبح للجيش أهمية أكبر، إلى حد أنه تربَّع على السلطة في عام 1913، لتتوالى منذ ذلك الحين سلسلة من الحروب. كما جرى طلب بعثة عسكرية ألمانية جديدة، انخرطت أكثر فأكثر في شؤون السلطنة، إلى حد إبرام تحالف عسكري بين الدولة العثمانية وألمانيا عشية الحرب العالمية الأولى.

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

الفصل السادس

الجناح المدني للاتحاديين في السلطة (1908-1913)

بدأ تدخل العسكريين في الحياة السياسية مع الدعم العسكري الذي قدمه هؤلاء إلى الدائرة المدنية لجمعية الاتحاد والترقي. ومن ثم، اتخذ الجيش الخطوة الحاسمة في خلال «ثورة تركيا الفتاة» في عام 1908. ومنذ ذلك الحين، أطلق قادة تركيا الفتاة سلسلة من الإصلاحات العسكرية لتحديث الأداة العسكرية وإعطائها دفعًا جديدًا. وتلا ذلك الكثير من الانقلابات وردات الفعل العسكرية، واشتبكت فصائل الجيش المختلفة في خلال الانقلابات. وأكد الجيش غلبته في المجالات العامة، الأمر الذي أعطاه وزنًا أكبر.

أولًا: الإصلاحات العسكرية لتركيا الفتاة في عام 1908

بدأت الثورة في مقدونيا. ففي أواخر عام 1907 وأوائل عام 1908، ازدادت حدة الضغوط الأوروبية على مقدونيا. كانت هذه هي الحقبة التي بدأت فيها جمعية الاتحاد والترقي بالتغلغل داخل جيوش مقدونيا والضباط المتخرجين الشبان بشكل خاص. وألقي القبض على كثيرين منهم في أثناء فصل الشتاء، ليفرج عنهم لاحقًا لعدم كفاية الأدلة.

١- انفجار عام 1908

انتقل قادة تركيا الفتاة إلى الهجوم في حزيران/ يونيو 1908، خوفًا من أن يكشف القصر نشاطهم السري. وقاموا بتصفيات جسدية لداعمي السلطان في

Scanned with CamScanner

مقدونيا. إضافة إلى ذلك، أثارت المفاوضات بين الحكومة البريطانية وقيصر روسيا، التي جرت في حزيران/ يونيو في ريفال (تالين)، كثيرًا من المخاوف حول مقدونيا[1].

بدأ التمرد في مطلع تموز/ يوليو. أولًا، كان قائد حامية سالونيك العميد ناظم بيك الذي يعتبر واحدًا من مخبري القصر الرئيسيين، قد أصيب برصاص مسدس ضابط آخر. وفي يوم 5 تموز/ يوليو، تمردت حامية ريزن [رسنه] العسكرية، وفر 200 جندي وحوالى عشرين ضابطًا، تحت قيادة الرائد نيازي بيك، قائد الكتيبة العسكرية في المنطقة، مصطحبين المال والأسلحة والعتاد. كما توجه الرائد أنور بيك من حامية مناستر إلى الجبال، على رأس 150 جنديًا مسلحين بشكل جيد. فقام السلطان باستعجال لجان التحقيق على أرض الواقع من دون الحصول على نتائج ملموسة. وفي 7 تموز/ يوليو، قُتِلَ الجنرال شمسي باشا، قائد الفرقة الثامنة عشرة في ميتروفيتسا، الذي كان مسؤولًا عن القضاء على المتمردين، برصاصة مسدس، بعد أن كان قد أرسل تقريرًا إلى السلطان[2]. وتسارعت الأحداث بعد ذلك، وعلى الرغم من وصول المشير عثمان فوزي باشا (تتار عثمان باشا) الذي أرسل ليحل محل شمسي باشا، امتدت الحركة الثورية إلى حاميات كاستوريا وكوسوفو وأوشريدا. ويومًا بعد يوم، كانت عصابات نيازي وأنور تكبر بانضمام الفارين إليها جميعهم. أما الكتائب التي جمعت على عجل للسير ضد المتمردين، فرفضت الواحدة تلو الأخرى إطاعة الأوامر. كل يوم، وفي مواقع مختلفة من السلطنة، كان يتم اغتيال الجواسيس والمخبرين، المدنيين والعسكريين. أما المشير عثمان فوزي باشا (تتار عثمان باشا) - الذي حل مكان شمسي باشا -

---

(1) F. Georgeon, *Abdül Hamid II: Le Sultan calife (1876-1909)* (Paris: Fayard, 2003), p. 397.

(2) كان شمسي باشا ضابطًا ألبانيًا من ضباط الصف، كرس نفسه تمامًا للسلطان الذي اختاره من أجل قمع انتفاضات الروملي وقام بترقيته إلى رتبة جنرال. كان عدوًا للدستوريين وللضباط المتخرجين. واعتبر الضباط الذين «صعدوا إلى الجبل» أنهم لصوص وقطاع طرق. توجه شمسي باشا من سالونيك إلى مناستر، وبمساعدة الجنود الألبان وقواته الخاصة، قام بزرع الرعب. وعلى الرغم من هذا العنف، لم يتمكن من اعتقال أحد من جمعية الاتحاد والترقي السرية. وإذ كان خارجًا من مكتب التلغراف ويتحضر للذهاب إلى ريزن، أطلق النار عليه الملازم عاطف أفندي. يُنظر:
A. Avcı, *Türkiye'de askerî yüksek okullar tarihçesi* (Ankara: Gnkur. basımevi, 1963), p. 59.

وخطف من وسط مدينة مناستر واقتيد بالقوة إلى وسط القوات المتمردة التابعة لجازي بيك.

بلغ الذعر ذروته في اسطنبول. وقدم السلطان كل ما يستطيع تقديمه من التنازلات - من خلال الترقيات الجماعية ودفع متأخرات الأجور ووعود بالعفو - وذلك لكسب الوقت إلى حين وصول القوات من الأناضول لقمع المتمردين. وفي 16 تموز/يوليو، أصدر أمرًا بالتعبئة الفورية لـ 28 كتيبة من جنود الاحتياط في الأناضول[3]. ووصلت 11 من تلك الكتائب إلى سالونيك بين 20 و22 تموز/يوليو. وصلت إلى مدينة كانت في حالة غليان - وحتى الثورة - وأبلغت على الفور عن الوضع السائد، فرفض الجنود بشكل قاطع ركوب القطار المتوجه إلى مناستر، معلنين جعل هذه القضية مشتركة مع أولئك الذين سموهم إخوانهم[4]. والجدير بالذكر أن الدكتور ناظم كان قد هيأهم معنويًا قبل عام، وهو الذي تمكن من اختراق الجيش، وضمن أنه لن يقف ضد تركيا الفتاة. وهكذا اختفى الأمل الأخير...

كان الجيش يحيي أفكارًا جديدة في أنحاء السلطنة جميعها. ولم يبق للسلطان أي رجل أو بندقية لمعارضة هذه الثورة المنتصرة. وأرسلت اللجنة المركزية لتركيا الفتاة في مناستر إنذارًا إلى السلطان، يفيد بأنه في غضون ثمان وأربعين ساعة ينبغي الاستجابة للمطالب المدرجة على برنامج الحزب - أي جمعية الاتحاد والترقي - أو تقوم قوات الفيلقين الثاني والثالث بالتقدم نحو العاصمة[5]. وفي 23 تموز/يوليو، أعلن الدستور أمام ثكنة مناستر، حيث استُعيد دستور عام 1876، وأمر السلطان بعقد جلسة البرلمان[6]. عندئذ تحققت أهداف الانتفاضة الثورية.

---

(3) كانت تتألف من 16 كتيبة من فرقة إزمير، و8 كتائب من لواء يوزغات، و4 كتائب من فوج قونية. انظر:
Service historique de l'armée de terre, archives militaires françaises à Vincennes (S.H.A.T.), TN1635, Constantinople, rapport no. 253 du 7 octobre 1908.

(4) A.A., Turkei no. 142, A. 11810, no. 1174, Salonique, le 23 juillet 1908, Hoffman.

(5) دعمت قوات الفيلق الثالث بدور رئيس في خلال هذه الأحداث.

A.A., Turkei no. 142, le ministre plenipotentiaire au ministère des affaires étrangères, A. [illegible], 11686, télegramme, Therapia, le 24 juillet 1908

من وجهة نظر عسكرية، كانت لدى الجيش العثماني توقعات هائلة. وقارن بعضهم الجيش بـ «الجسد من غير حياة»؛ إذ كان الجيش في حالة سبات لسنوات عدة، وفي حالة من الجمود حيث لم يقم بأي إطلاق للنار، أو تمارين ومناورات، فاقدًا تدريجًا قدراته القتالية كلها[7]. وأخيرًا كان الضباط أحرارًا في التكلم وفي التعبير عن أفكارهم، وتزوّدوا كثيرًا بالأمل والرجاء[8].

عبّر الملحق العسكري الفرنسي عن التقديرات الآتية حول وضع الجيش بعد انقلاب عام 1908:

...«تركيا لديها، في جندها، أداة قتالية من الطراز الأول، تتمثل بميزات مكتسبة في التحمل والشجاعة واحتقار الموت، وهي صفات موروثة منذ أيام محمد الفاتح (هكذا في النص). وما تحتاج إليه تركيا الآن، هو تدريب على أيدي قادة يلمون بهذه الأداة وبكيفية استخدامها. يجب علينا تطوير القوانين التي تضمن الدور المنتظم للمؤسسات العسكرية؛ ويجب تخليص سلك الضباط من العناصر المعوقة وغير المجدية كلها التي ترهقه؛ ويجب علينا تنظيم التدريبات العملية ومضاعفة المناورات على أنواعها جميعها، لوضع الآخرين في مستوى الدور الواجب عليهم في زمن السلم كما في زمن الحرب»[9]...

هل يمكننا الكلام على العودة إلى التقليد الانكشاري العتيق؟ هل هذه الأحداث هي «ثورة» بحد ذاتها، وهو المصطلح المعتمد في الأغلب في الإشارة إليها؟

2- هل هي عودة إلى التقليد الانكشاري العتيق؟

هل يمكننا أن نتكلم على إرث من الثورات الانكشارية؟ هذا ما يعادل التساؤل عما إذا كان جنود الجيش العثماني الجديد الذي تشكل تدريجًا بعد عام 1826 قد اعتبروا أنفسهم بأنهم ورثة الانكشارية أو بالعكس، حتى لو كان لديهم

---

(7) كتب الملحق العسكري الفرنسي الجمل الآتية: ... «لم تقم ثورة تموز/ يوليو بالتأكيد بالمعالجة الفورية لهذه الحالة المأساوية؛ إلا أنها كانت بمنزلة النافذة التي فتحت في غرفة يختنق فيها المرء! فجرى الهواء في جميع أنحاء هذا الجسد المحتضر، معيدًا معه الحياة والنشاط»...

(8) يُنظر: S.H.A.T., 7N1635, Constantinople, rapport no. 299 du 19 janvier 1909.

(9) S.H.A.T., 7N1635, Constantinople, rapport no. 253 du 7 octobre 1908.

S.H.A.T., 7N1635, Constantinople, rapport no. 299 du 19 janvier 1909.

Scanned with CamScanner

الشعور بكونهم «الجنود الحداثيين» والمختلفين تمامًا عن أسلافهم؟ سؤال واسع تصعب الإجابة عنه. هل هناك استمرارية «للانكشارية العسكرية» أم ثمة انقطاع؟ إن فرقة الانكشارية - الطبقة العسكرية ذات الطابع الإقطاعي للنظام القديم - مع الامتيازات الممنوحة لها، كانت قد أصبحت قوة مضادة، مهددة ومتمردة، وجرى القضاء عليها لاحقًا. في المقابل، جاءت الأغلبية في الجيش الجديد من التجنيد، إضافة إلى التدريب والجنود المحترفين، ويمكن الاعتراض على هذه الحجة بمدة الخدمة العسكرية التي وصلت إلى عشرين عامًا في عام 1869، والتي جرى تجاوزها في كثير من الأحيان.

في أي حال، كانت هناك «ثقافة انكشارية» معروفة جيدًا لدى الجنود. وكان مركز قوة الانكشاريين (الوجاق)[10] الذي صنع عظمة الدولة العثمانية ومجدها تابعًا لأخوية البكتاشية (Bektaşi). كانت انتفاضاتهم ضد السلاطين العثمانيين كثيرة جدًا، من فاتح الثاني إلى محمد الثاني[11] ومحمود الثاني. كما قاموا بخلع عشرات السلاطين قبل عام 1826 واغتالوا عددًا منهم، بمن في ذلك «عثمان الشاب»[12] وسليم الثالث[13]. وفي ذروة الحقبة الانكشارية، في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، تصدى الجنود ليس للسلطة السياسية فحسب، وإنما أيضًا لرؤسائهم في الرتب، أي ضباطهم.

---

(10) معنى الكلمة الأصلي في اللغة التركية هو «الموقد»، ثم توسع معناها في التركية، فصارت تطلق على كل ما تنفخ فيه نار، فأُطلقت على البيت من وبر أو مدر، ثم على أهله، ثم على جماعة تتلاقى في مكان واحد، ثم أطلقت على الطائفة من طوائف أرباب الحرف، وعلى الصنف من أصناف الجند، وفي الروضتين نقلًا عن ابن شداد: «حتى وصلوا إلى المخيم العادلي قبل استتمام ركوب العساكر، ودخلوا في وجاقه»، وهي هنا بمعنى الخيمة أو المعسكر. (المراجع)

(11) قد يكون المقصود هو السلطان محمد الرابع الذي تدخل الانكشاريون في عهده في شؤون الحكم، وعمت الفوضى. (المراجع)

(12) المقصود عثمان الثاني (1604-1622) وهو السلطان العثماني السادس عشر. بعد أن عزل عمه السلطان مصطفى الأول تولى الحكم (1618-1622). وبعد قتله خلفه عمه مصطفى الأول. وهو الذي خلع كل من السلطان مراد الرابع والسلطان إبراهيم الأول. هو أول سلطان عثماني يموت مقتولًا نتيجة ثورة شعبية. ومن قبله من السلاطين ماتوا إما لأسباب طبيعية أو قتلوا في معارك. (المراجع)

(13) يُنظر: O. Moreau, «Du Jihâd à la laïcité, l'évolution de l'institution militaire turque,» dans: M. Bozdemir (éd.), *Islam et laïcité, approche globale et régionale*. (Paris: L'Harmattan, 1996), pp. 265-

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

بقي الجيش الذي أعيد تنظيمه في عام 1826 على قاعدة التجنيد الإجباري، خارج الساحة السياسية حتى عام 1876، عندما أطاح تحالف من النخب المدنية والعسكرية السلطان عبد العزيز ومن ثم مراد الخامس، ليحل محلهما السلطان عبد الحميد الثاني، مع التخلي عن الصلاحيات السلطانية المطلقة لمصلحة الملكية الدستورية. وشهد عصر التنظيمات فجوة بين الجنود والضباط وتميزًا واضحًا بين الوظيفتين، حيث نجت ترقية الضباط من تدخل الجنود. أما ضباط الصف فاختيروا وفرضوا على الجنود عبر التسلسل الهرمي، خلافًا لما حدث في الحقبة السابقة. واستبعد الجنود من سلطة صنع القرار، في المراتب كلها.

أما أوجه التشابه الأكثر وضوحًا فتكمن قبل كل شيء في المؤشرات الدالة الآتية: التذمر في الثكنات وحركات العصيان، وأعمال التمرد؛ لكن أيضًا في السبب الأساس للانتفاضات العسكرية، أي في التوترات داخل الجيش العثماني.

علاوة على ذلك، تميزت الاختلافات المهمة في الأهداف المراد تحقيقها، أي إسقاط النظام الاستبدادي، في حين لم يكن للانكشاريين دوافع سياسية. وفي عام 1908، لم تنطلق الحركة من القاعدة بخلاف الانتفاضات الانكشارية، فالضباط كانوا مسيسين أساسًا. مع ذلك، يجب ألا نغفل الجزء الذي تولاه الجنود في أثناء أعمال التمرد، مع أن الضباط والجنود لم يسعوا إلى تحقيق الأهداف نفسها.

3- هل هي ثورة؟

هل يمكن وصف هذه الأحداث بالثورة؟ تاريخيًا، تفهم الثورة باعتبارها قطعًا حاسمًا وبليغًا، يُفترض بعده التمييز بين ما قبل وما بعد. وهو لا ينطوي على تدمير سلطة الدولة القائمة فحسب، بل أيضًا على تفكيك كل من التنظيم الاجتماعي والمبادئ التي تحكمه[14]. والحال أن تلك الحيثيات لم تظهر مجتمعة بعضها مع

---

(14) يُنظر: J. Châtelet: «La Révolution,» dans: *Encyclopaedia Universalis*, vol. 19 (Paris: 1989), pp. 1006-1007; «la Révolte,» pp. 1005-1006,

خصوصًا التعريف المعطى للثورة:

«الثورة - بالمعنى السياسي وهو المعنى الوحيد المقصود هنا - هي تحول جذري في علاقات الإنتاج»

Scanned with CamScanner

بعض. وإذا كانت هذه الأحداث بالنسبة إلى معظم المؤرخين هي ثورة، فإن هناك أيضًا آراء مخالفة، التي يبدو أنه من الحكمة أن نقف معها[15].

في الواقع، غالبًا ما قارن المؤرخون الأتراك هذه الأحداث بالثورة الفرنسية، الأمر الذي يبدو مبالغًا جدًا فيه. باللغة تركية، أشار مصطلحان مختلفان إلى الثورة، لكن مع دلالات مختلفة إلى حد كبير. **الأول** هو مصطلح «احتلال» (ihtilâl)[16] [بمعنى إحلال شيء محل آخر] الذي كان يعني بالأحرى الانتفاضة والتمرد، واستُخدم على وجه الخصوص للثورة الفرنسية. المصطلح **الثاني** هو «انقلاب» (inkılâp)[17] والذي يعني التغيير والتحول الجذري، من دون أن يشمل حجم الانتفاضة وإسقاط سلطة الدولة القائمة. واستُخدم أحيانًا للثورة الفرنسية. وكان المصطلح **الثالث** «devrim»[18] الذي بدا بدلالته اللفظية الأقرب إلى الكلمة

= والثورة تحدد ما قبل وما بعد، ويمكن أن نلمسها فعليًا في المؤسسات، وبعد ذلك، في العلاقات الفعلية بين الأفراد...» يُنظر: C. Tilly, *European Revolutions, 1492-1992* (Oxford: Blackwell Press, 1993), p. 10.

(15) هذا هو رأي ف. جورجون الذي يصف أحداث «الانقلاب» بقيادة ضباط جمعية الاتحاد والترقي في مقدونيا الذي فتح الطريق لإجراء تغييرات واسعة امتدت على مدى أكثر من 10 سنوات. هو يتحدث عن «تجديد» نص قديم يعود إلى أكثر من 30 عامًا. في: P. Dumont et F. Georgeon, «La Mort d'un Empire (1908-1923)», dans: R. Mantran (éd.), *Histoire de l'Empire ottoman* (Paris: Fayard, 1989), pp. 577-604.

رأي:

M. Ş. Güzel, «Prélude à la 'révolution' jeune-turque: La Grogne des casernes,» dans: *Recherches sur la ville ottomane: Le Cas du quartier de Galata*, Première Rencontre internationale sur l'Empire ottoman et la Turquie moderne... [Paris], 18-22 janvier 1985; [Organisée par l'Institut français d'études anatoliennes, le Centre national de la recherche scientifique et la Maison des sciences de l'homme]; ouvrage éd. par Edhem Eldem, Varia Turcica: 13 (Istanbul; Paris: Éd. Isis: IFEA, 1991), pp. 247-285.

قام قادة تركيا الفتاة بأنفسهم بوصف أحداث الثورة. يُنظر المقال الموقع من أوتومانوس:

Ottomanus, «Liberté, égalité, Fraternité,»

حيث كتب: «تمت تلبية جميع مطالبنا الوطنية أو تكاد. وبسرعة مذهلة، ومن دون خضات، وإراقة دماء، فمنا بثورة كانت نتائجها مدهشة... يجب ألا يمحى مبدأ الثورة التركية هذا من ذاكرتنا لأن مستقبلنا كله يعتمد عليه»... في: *Mechveret*, supplément français au no. 202 (1 Août 1908), p. 2.

(16) كلمة من أصل عربي، الشكل الثامن من الجذر «ح.ل.ل»، يحدث، يصيب، يتخذ مكانًا، يخيم، يستقر... احتلال، بمعنى احتلال مكان، احتلال بلد.

(17) كلمة من أصل عربي، الشكل السابع من الجذر «ق.ل.ب»، تبديل، هز، عكس، إسقاط، وصف... انقلاب، تعني بالعربية الاضطراب، الانقلاب على السلطة، الاختلاجة أو الانتفاضة...

(18) كلمة من أصل تركي. والمصدر devir تعني الدور، الثورة، الوقت، الحقبة... وفعل devirmek يعني إسقاط، قلب، انقلاب.

الفرنسية «ثورة». مع ذلك، ارتبط استعمال هذا المصطلح باللغة التركية إلى حد بعيد، وميزته الأيديولوجيات الماركسية - اللينينية. إن استخدام هذه المصطلحات الثلاثة، المتقاربة في ما بينها، التي تستحضر حقائق مختلفة، يؤكد حساسية خاصة ومقاربة أصلية، تمثلت في وقائع من التراث الوطني. وفي ما يتعلق بأحداث عام 1908، فإن مصطلح «ihtilâl» يبدو الأصلح بين الثلاثة.

في المقابل، يمكننا الحديث عن تمرّد نصف منجز؛ إذ جرى جزئيًا إرضاء محركيه[19]. وجرت استعادة الدستور. أما بالنسبة إلى المسائل المباشرة التي تهم الجنود - أي الجانب المالي ودفع الرواتب المتأخرة وتسريح الجنود الذين انتهت مدة خدمتهم - فلم يكن بالإمكان أن تُحَل فورًا. صدرت أوامر بالدفع وبتسريح الجنود، لكن أسباب الاستياء لم تختف، وتواصل السخط العام[20]. ومنذ 19 آب/ أغسطس 1908، حصل تمرد وسط الجنود في أشقودرة بألبانيا. وتوالت حركات التمرد في السنوات اللاحقة وجرى قمعها بالعنف، ما تسبب في وفاة كثير من الرجال[21]. وقامت «تركيا الفتاة» بفرض الانضباط بقبضة من حديد.

---

(19) تعريف «التمرد» بمعناه الأصلي هو الانتفاضة ضد السلطة؛ في حين أن الثورة هي «تغير مفاجئ وعنيف في سياسة الدولة وحكمها».

(20) أعطيت الإجابة الآتية إلى الصحافي في صحيفة **طنين**، أحمد شريف الذي جال في الأناضول في عام 1909، وسأل الفلاحين هناك ماذا تعني لهم الحرية: ...«الحرية هي الكلمة التي بدأنا نسمع بها مؤخرًا. ظننا أنها شيء جيّد، وبسببها، كل شيء سيتنظم: سيتم جمع الضرائب بطريقة عادلة. وسيختفي اللصوص والقتلة من القرى. ولن يمضي أولادنا بعد الآن السنين في الجيش، عراة وجائعين. وسيوقف المسؤولون عن فعل ما يحلو لهم؛ باختصار، كل شيء سيتغير. لكن حتى الآن لم يتغير شيء!» ...

F Georgeon, «La Justice en plus: Les Jeunes Turcs et la révolution française,» dans: *Des Ottomans aux Turcs, naissance d'une nation*, Analecta Isisiana XVI (Istanbul: İsis, 1995), p. 163.

لم يخفّ بؤس الجنود البتة.

(21) بعد مدة وجيزة، جرى استخدام القمع في خلال أعمال التمرد. وفي تشرين الأول/ أكتوبر 1908، تلقت ثلاث كتائب من الفرقة الثانية من الحرس السلطاني، المتمركزة في ثكنة طاش قشلة أمر بالإبحار إلى الحجاز. تمرد مئة وعشرون رجلًا تقريبًا. وكُلفت كتيبة من الصيادين في سالونيك بكسر المقاومة. وإذ أطلقت النار على المتمردين، قتل ستة رجال وأصيب ثمانية عشر. يُنظر:

A. A. Türkei, no. 142, A. 18052, *Kaiserlich Deutches Botschaft*, Thérapia, le 31 octobre 1908, Marschall à M. le chancelier, le comte von Bülow.

في ما يتعلق بمفهوم الانقلاب، يبدو لنا أنه أكثر إشكالًا؛ إذ إن السلطان استعاد الدستور[22]، وقام بتعيين الحكومة ولم يتم عزله، على عكس انقلاب عام 1876 الذي عزل عبد العزيز عن السلطة. لكن ماذا عن أحداث عام 1908؟ لا ثورة ولا انقلاب.

9- التطهير الكبير داخل الجيش

أدت أحداث تموز/ يوليو إلى إقالة وزير الحربية السابق المشير محمد رضا باشا، ووزير البحرية السابق الأميرال حسن رحمي باشا، ومدير إدارة المدفعية المشير زكي باشا، الذين كانوا من رجال السلطان. وفي غضون ثلاثة شهور، توالى على وزارة الحربية ثلاثة من حاملي الألقاب، الأول كان المشير عمر رشدي باشا الرئيس السابق لأركان الجيش. وعند سقوط حكومة سعيد باشا، حل محله المشير رجب باشا الحاكم السابق لولاية طرابلس الغرب، والذي فرضه الاتحاديون على السلطان[23]. وتوفي فجأة في اليوم التالي من وصوله إلى اسطنبول وحل محله المشير علي رضا باشا[24] الرئيس التنفيذي السابق لإدارة السكك الحديد في الحجاز، والذي تولى منصبه في 27 آب/ أغسطس. أما وزير البحرية الجديد فكان اللواء البحري عارف باشا.

كانت مسألة السيطرة على الجيش أول حجر عثرة بين السلطان وجمعية الاتحاد والترقي. في الواقع، استعاد الأمر الملكي الصادر في 1 آب/ أغسطس دستور عام 1876، لكنه منح أيضًا السلطان الحق بتعيين الصدر الأعظم وشيخ الإسلام ووزيري الحربية والبحرية. في الواقع، لم يكن دستور عام 1876 واضحًا في هذه النقطة، حيث كان عرضة لتفسيرات مختلفة[25].

---

(22) لم يلغ دستور عام 1876 لكنه عُلق في عام 1878 من السلطان، عبر استخدام حقه الدستوري، لأسباب تتعلق بالنظام العام. وظهر أيضًا في تقارير الدولة السنوية، التي كانت تنشر كل عام. ولا يمكن تفسير موقف السلطان العمل بالدستور على أنه إنجاز لثورة حقيقية.

(23) رجب باشا كان معروفًا بتعاطفه مع تركيا الفتاة. وشغل منصبه موقتًا الجنرال رضا باشا.

(24) أوكل إلى الجنرال عثمان نظامي باشا بشغل المنصب موقتًا.

(25) Georgeon, *Abdul Hamid*, p. 407.

Scanned with CamScanner

ألغيت إدارة المدفعية لوزارة مستقلة، وحولت إلى مديرية [نظارة] في وزارة الحربية. وكان مدير أماطر المدفعية، هو لواء الصف الأول (birinci ferik) الفريق رضا باشا النائب السابق لمدير الإدارة زكي باشا[26]. كانت هذه هي المجموعة القيادية التي أقرت حزمة جديدة من الإصلاحات التي اعتمدت في غضون ثلاثة شهور.

أُلغيت اللجنة العسكرية العليا للتفتيش. وكانت هذه اللجنة التي بقيت في القصر برئاسة السلطان، جهازًا مستقلًا عن وزارة الحربية. وضمت أخيرًا عددًا كبيرًا من الأعضاء[27]، ثلاثة أرباعهم كانوا أعضاء فخريين ليس إلا. فاستبدلت بلجنة جديدة - مجلس الشؤون العسكرية - الأقل عددًا، لكن بتركيبة أفضل، وكانت تجتمع في وزارة الحربية، برئاسة الوزير[28].

قُلص حجم المرافقات الشخصية للسلطان الذي كان قد اتخذ في السنوات السابقة حجمًا غير طبيعي، حيث كان يتألف من 86 مرافقًا خاصًا (ياور) في الخدمة، و250 مرافقًا فخريًا، و350 مرافقًا اسميًا، يحوزون اللقب ولا يقومون بأي عمل. فألغيت الفئتان الأخيرتان، ووُضِعَ الضباط الذين كانوا أعضاء فيهما، تحت تصرف الوزير. وخُفِّضَ عدد المساعدين في الخدمة إلى 35 ضابطًا من الرتب المختلفة[29].

أُسست لجنة لمراجعة الرتب من أجل اقتراح التقاعد أو الاستبعاد من الجيش لجميع الضباط المعتبرين خارج نطاق الخدمة[30]. وسمح هذا الإجراء بتجريد

---

(26) SHAT, 7N1635, Constantinople, rapport no. 254 du 9 octobre 1908.

(27) تألف هذا المجلس من 8 مشيرين و6 جنرالات قادة فرق من الصف الأول و18 جنرال فرقة و10 جنرالات قادة ألوية و8 عمداء و8 عقداء، 6 رواد و5 رواد ثانين و3 نقباء، يُنظر:
SHAT, 7N1635, Constantinople, rapport no. 259 du 17 octobre 1908.

(28) تألف مجلس الشؤون العسكرية من المشير أحمد مختار باشا القائد السابق للجيش في ...
الصغرى، والمشير أدهم باشا القائد السابق للجيش في تساليا ووزير المدفعية ورئيس هيئة الأركان العامة وقائد الفيلق الأول والقائد العام للهندسة. وكان لهذا المجلس مهمات مماثلة تقريبًا لمهمات المجلس الحربي الأعلى. يُنظر:
[illegible]

(29)

(30)

الجيش العثماني من عدد كبير من الضباط، رؤساء أو مرؤوسين، غير القادرين على الخدمة بسبب كبر سنهم وعيوبهم الجسدية أو إعاقاتهم المهنية. كما سمح هذا الإجراء أيضًا بإعادة النظر بوضع أولئك الذين حصلوا على ترقيات سريعة جدًا. فأطاح الضباط الشبان بذلك ضباط الصف، غير المتخرجين في مدارس عسكرية. فأثار هذا الإجراء الجذري استياءً عميقًا لدى ضباط الصف، تطور بسرعة عبر ردة فعل رجعية، انفجرت في 13 نيسان/ أبريل 1909[31].

كما ألغيت حصص الضباط وزيدت الأجور. فالضباط من الرتب جميعها كانوا يتلقون حينذاك حصصًا عينية ترتفع نسبتها مع الرتبة. فقرر وزير الحربية إلغاء توزيع هذه الحصص، واستخدام قيمتها المعادلة في زيادة الأجور. علمًا أن كبار الضباط كانوا يتلقون، إضافة إلى رواتبهم، بدل خدمة يتغير وفقًا للمنصب.

الجدول (6-1)

الأجور الجديدة[32]

الرتب	الأجور بالقرش	الأجور بالفرنك الفرنسي
ملازم	600	129
نقيب	1000	215
رائد مساعد	1250	269
رائد	1500	323
عقيد	2000	430
عميد	2500	538

بتبع

(31) عرفت هذه الأحداث باللغة التركية باسم: «31 mart vakaası»، أي أحداث 31 آذار (وفق التقويم الجولياني). وهي واحدة من الأحداث المؤسسة للجمهورية التركية الحديثة. وكانت هذه المواجهة بين فصيلين من الجيش: جيش سالونيك بقيادة محمود شوكت باشا، ضد المتمردين حول الجيش الأول المتمركزين في اسطنبول، الذين انضمّوا إلى جمعية الاتحاد المحمدي *Ittihad Muhammedi Cemiyeti*، فجردوا ضباطهم من أسلحتهم وتجمعوا أمام المجلس العمومي. وطالب العسكر وجوب تطبيق بمراعاة الشريعة واستقالة وزير الحربية ورئيس المجلس العمومي، أحمد رضا. وأدت هذه الأحداث إلى إطاحة السلطان عبد الحميد، ونفيه إلى سالونيك.

(32)

تابع		
لواء	3000	645
فريق قائد فرقة	4000	860
فريق أول	5000	1075
مشير	7000	1500

أسس وزير الحربية جريدة عسكرية، هي نوع من الجريدة الرسمية العسكرية، حيث جرى إدراج مراسلات الوزارة كلها المتعلقة بالجيش، باستثناء الأوامر السرية والطارئة، الصادرة من طريق التلغراف. وفي العدد الأول من الجريدة العسكرية الصادر بتاريخ 1 أيلول/ سبتمبر 1908، نشر أمر بالخدمة مرسل إلى قائد الحرس السلطاني، وإلى قادة الألوية جميعهم في العاصمة. ووفقًا لهذا الأمر، بات على الضباط تأدية التحية بعضهم لبعض وعلى الجنود تأدية التحية للضباط. ولم يكن هناك تسامح إن لم يؤد أحد المرؤوسين التحية لرئيسه، وأولي المزيد من الاهتمام للباس الجنود والضباط. وكان الضباط الأعلى هم المسؤولون عن لباس جنودهم، مع صلاحية فرض عقوبات شديدة[33].

الصورة (6-1)

مناورات عثمانية (مجموعة IRCICA)

(33)

Ibid.

Scanned with CamScanner

قامت مجموعة من الضباط العاملين في الدولة، بإشراف من العقيد عثمان مناعي بيك، بتأسيس مجلة **العسكري** (*'Asker*) الشهرية، ابتداءً من 10 أيلول/ديسمبر 1908. وكان المشاركون بهذه المجلة أعضاء معروفين في جمعية تركيا الفتاة، ويسعون إلى ممارسة تأثير كبير في حركة تجديد الجيش: القادة فؤاد بيك وممتاز بيك والرائد سليم سري بيك والنقيبين نوري بيك وولي بيك[34]. وبناء على طلب عدد كبير من ضباط حامية اسطنبول، جرى تأسيس النادي العسكري في المدينة، وكان يتألف من ثلاثة فروع، في اسطنبول وفي بيرا، والثالث بين أسكُدار وحيدر باشا. ووافق السلطان على احتلال منصب الشرف فيه[35].

قامت وزارة الحربية بترجمة القوانين الألمانية الجديدة للمناورات وإطلاق النار الخاصة بالمشاة، لتُعتمد بعد ذلك من الجيش العثماني[36]. وتوضح هذه الأمثلة ظاهرة استيراد القوانين السائدة منذ القرن السابق. تُرجِمَتْ النصوص الأوروبية التي عُدِّلت من أجل الجيوش المحلية، حيث جرت محاولات لاحقة لاعتمادها وتطبيقها على الجيش العثماني. علاوة على ذلك، وفي خلال العقود الأخيرة، بات الأمر يتعلق بشكل خاص باعتماد القوانين الألمانية.

لسنوات عدة، لم يكن هناك في الجيش العثماني تدريب على الرماية، ولا مدارس لإطلاق النار، ولا مناورات من أي نوع. فأمرت وزارة الحربية أن تتدرب كتائب المشاة على الرماية، وأن يخضع جميع الأعضاء لتدريبات في مدرسة الرماية. وقام الجنود الذين لم يغادروا مناطقهم قط بمناورات متكررة في الخارج[37]. وجرى إعداد هذه التمارين والإشراف عليها من المدربين الألمان العاملين في خدمة السلطنة: فون ديتفورت باشا (von Ditfurt) للمشاة، وفون رودغيش باشا (von Rüdgisch) للفرسان، وإيمهوف باشا (Imhoff) للمدفعية[38]. وفي المدن كلها التي

---

(34) Ibid.

(35) S.H.AT., 7N1635, Constantinople, rapport no. 283 du 28 novembre 1908.

(36) S.H.AT., 7N1635, Constantinople, rapport no. 259 du 17 octobre 1908.

(37) في اسطنبول، على وجه الخصوص، كانت الكتائب والسرايا والبطاريات، تذهب بعدد متفاوت من مرتين إلى ثلاث مرات في الأسبوع للقيام بالمناورات على التلال المحيطة بالمدينة. يُنظر:

(38) Ibid.

وأيضاً: A. A.,Türkei no. 142, amb., no. 196, Thérapia, le 3 septembre 1908, Marschall M. le chancelier le comte von Blow.

Scanned with CamScanner

توجد فيها حاميات عسكرية، كانت الكتائب والسرايا وبطاريات المدفعية تقوم يوميًا بالمناورات الميدانية لأداء التدريبات القتالية[39]. وانخرط الجيش التركي في العمل؛ إذ أراد ضباطه - محركو الانقلاب - بناء جيش من الدرجة الأولى، على غرار جيوش القوى العظمى[40].

كانت إعادة تنظيم القوات البحرية ورشة عمل مهمة أخرى، تفوق القوات البرية أهمية؛ إذ بقي الأسطول العثماني بلا حراك لمدة اثنين وثلاثين عامًا، حيث كان بحاجة إلى إعادة إصلاح جذرية. فتبنت الحكومة الجديدة سياسة تطوعية، وأعدَّت قيادة البحرية قائمة بالسفن الحربية القديمة جميعها، غير الصالحة للاستخدام، والموجودة في الدردنيل والقرن الذهبي. كانت اللائحة طويلة وشملت اثنتين وعشرين قطعة[41]. هذه القوارب كلها، خارج الخدمة تمامًا، كان يقتضي بيعها على أنها خردة قديمة، ليضاف المبلغ الناتج من هذا البيع إلى الأموال المخصصة لإعادة تأهيل البحرية السلطانية.

كان يجب استبدال السفن العثمانية جميعها، التي كان معظمها في حالة سيئة جدًا، والاستعاضة عنها بسفن جديدة. أما البارجة «توفيق من الله» (Asâri Tewfik)، فأعيد ترميمها كليًا في مصانع مدينة كييل (Kiel) بمبلغ 300,000 ل.ت. لتصبح سفينة تدريبية لطلاب البحرية؛ إذ لم يكن لديها أي قيمة كوحدة قتالية. وبدأت سفن الأسطول التي كان لا يزال بمقدورها الإبحار بالعمل. وذهبت المدمرات، واحدة تلو الأخرى، لتنفيذ المناورات في خليج إزميد[42].

---

(39) في الفيلق الثاني، حيث كانت القوات أكثر تركيزًا، اغتنمت الفرصة لتنظيم مناورات حقيقية مزدوجة الوظيفة، شاركت فيها فرق الأسلحة الثلاثة.

يُنظر:

S.H.A.T., 7N1635, Constantinople, rapport no. 299 du 19 janvier 1909.

في خلال كانون الأول/ ديسمبر 1908، نفذ الأعضاء تدريبات على إطلاق النار من أعالي البوسفور، ولم يكونوا قد أطلقوا قط قذيفة واحدة من مدفع. يُنظر:

S.H.A.T., 7N1635, Constantinople, rapport no. 288 du 7 décembre 1908.

(40) *Archives diplomatiques du ministère des affaires étrangères français à Paris* (A.E.), N.S. Turquie, vol. 154, p. 259, Consulat de Serrès, Macédoine, 3 novembre 1908.

(41) قدم القائد ديلون قائمة السفن في تقريره رقم 259 بتاريخ 17 تشرين الأول/ أكتوبر 1908، (S.H.A.T., 7N1635) وهي: Mahmûdiye, Osmâniye, Mecîdiye, 'Aziye, Iclâliye, Asarî Şevket, Memduhiye, Ferk-i İslam, Mansur, Kiliç 'Âlî, Khayreddine, Bekça Ada, Salihiye, Yalı Köskü, Avdı, Cibali, Teşvikiye, Haniye, Arakadı, Siare, Zeynet-î Derya, Terakk-î Osmâniye.

(42) Ibid.

Scanned with CamScanner

بالتوافق مع لجنة إعادة تنظيم البحرية، أنشأت قيادة البحرية برنامجًا لإعادة تجديد الأسطول وإضافة التحسينات البحرية[43]. وكان تجديد ترسانات كمران والبصرة أيضًا على البرنامج، إلى جانب بناء رصيف معدني عائم، وحوض كبير عائم في الآستانة. كما جرى التخطيط أيضًا لتطوير 20 موقعًا للطوربيدات في البوسفور والدردنيل، وتركيب إرسال لاسلكي على ست سفن من الأسطول، وإنشاء محطات الإرسال اللاسلكية عند مدخل البوسفور والدردنيل. وكلف تنفيذ هذا البرنامج 17,860,000 ل.ت. (حوالى 410 مليون فرنك)، موزعة على موازنات السنوات الثماني المقبلة[44]. وللقيام بذلك، أُطلقت حملة استكتابات كبيرة.

شهد الجيش إعادة تنظيم حقيقية. وكان التساوي[45] بين الحقوق والواجبات الممنوحة لغير المسلمين[46]، عبر إجبارهم على أداء الخدمة العسكرية، من شأنه أن يزيد بشكل كبير من قوة الجيش التركي الذي كان يفترض أن يتضاعف عديده

---

(43) جرى التخطيط لبناء ست سفن حربية زنة الواحدة منها 17,000 طن، و12 مدمرة مضادة للطوربيدات بزنة 1000 طن، و14 مدمرة زنة 800 طن، وعشر مدمرات زنة 500 طن، و12 مدمرة زنة 400 طن، و24 زورقًا حربيًا محميًا، وست غواصات زنة 300 طن، وأربعة زوارق حربية نهرية، وحاملتي ألغام مخفية من 4000 طن، وحاملة مدمرات من 3000 طن، وسفينتين تدريبيتين، وسفينة مستشفى، وست سفن للنقل من 4000 إلى 6000 طن. S.H.A.T., 7N1635, Constantinople, rapport no. 299 du 19 janvier 1909.

(44) Ibid.

(45) مع ذلك، كان هناك خطر بأن يتعارض مبدأ المساواة مع نظام هرمي مطرد. وأكد هذه المشكلة مراد ميزانجي في ما يتعلق بالجيش. ففي الثكنات – وهو المكان المفضل للدعاية بالنسبة إلى تركيا الفتاة – توصل الجنود المستنيرون برؤى المساواة والأخوة إلى نبذ المكانة والتسلسل الهرمي وإلى قياس أنفسهم بقادتهم. يُنظر: M. Murad Mizancı, *Tatlı emeller, acı hakikatlar* (Istanbul, 1330 (1914)), pp. 71-72, ذكر في: Georgeon, «La Justice en plus,» p. 164.

(46) لم يميز قادة تركيا الفتاة قط في منشوراتهم على أساس العرق والدين. وطالبوا بنظام تمثيلي يكون ضامن الفعلي للسعادة والفائدة لجميع سكان السلطنة. ويكون لليهود والمسيحيين والمسلمين الواجبات والحقوق نفسها، وتصان مصالحهم المشروعة على قدم مساواة. ومذ ذاك، وتحت عنوان «العقيدة العثمانية»، ث فكرة الجميع على الدفاع عن البلاد من الصميم... مع ذلك، فإن قضية تجنيد غير المسلمين كانت بمنزلة شيطان القديم الذي لازم الإصلاحيين العثمانين منذ سنوات عدة. وكان قد جرى النظر فيها بجدية من لجنة من شكلتها وزارة الحربية، في عامي 1869 و1870، برئاسة القائد العام عمر لطفي باشا. واقترحت اللجنة حل واجب الخدمة العسكرية بالأرمن والبلغار؛ أي السكان المسيحيين الموالين للسلطة المركزية. لم ينفذ ه مشروع في عقب رفض ممثلي الطائفة الأرمنية له، فتم تأجيل هذه المسألة، لكنها ظلت معلقة، بانتظار أن ت لحظة مواتية. يُنظر: S.H.A.T., 7N1624, Constantinople, rapport no. 20 du 4 avril 1876.

Scanned with CamScanner

في خلال الأعوام العشرين التالية، حيث بات على كل عثماني أن يخضع للخدمة العسكرية بدءًا من سن الحادية والعشرين[47]. وكان سيتم إعفاء غير المسلمين الذين تخطت أعمارهم الرابعة والعشرين من الخدمة العسكرية، في مقابل دفع ضريبة الإعفاء، كما كانت الحال سابقًا. أما غير المسلمين الذين بلغوا الحادية والعشرين من العمر، فكانوا يخضعون للخدمة العسكرية، مثلهم مثل المسلمين، حتى سن الأربعين. وسرى هذا القانون الجديد بكامل مفعوله بعد عشرين عامًا، عندما انتهت الإعفاءات من الخدمة[48].

في وضعها ذاك، كانت السلطنة مكشوفة أمام أي هجوم خارجي. في الواقع، لم يكن هناك في الجزء الأوروبي سوى 1,750,000 مسلم تنطبق عليهم شروط التجنيد، كما كان مركز التجنيد الرئيس هو الأناضول، ما استلزم إحضار مجندين من الأناضول إلى أوروبا لإكمال خدمتهم[49]. ونتج من هذا النظام تعبئة بطيئة جدًا، خصوصًا بسبب عدم وجود اتصال بين الجزئين الآسيوي والأوروبي للسلطنة[50]. ومُدِّدَتْ الخدمة العسكرية خمسة وعشرين عامًا. في سن الحادية

---

(47) قال أحمد عزت باشا، ردًا على سؤال حول تجنيد غير المسلمين، بأنه لم يتم اعتماد أي قرار نهائي. لم تقارب الخدمة العسكرية بشكل عام، بل اقتصرت المقاربة في البداية على تجنيد المتطوعين، أي الأرمن والبلغار الذين كانوا الأكثر ولاء. مصير العرب من سوريا وفلسطين وشمال بلاد ما بين النهرين لم يكن قد تقرر بعد. أما بالنسبة إلى اليونانيين، فكانوا سيستبعدون، إلى جانب البدو الرحل. وتوافق وزير الحربية ورئيس الأركان على رفض إنشاء وحدات خاصة لغير المسلمين، لكنهما رغبا في دمجهم بالتشكيلات القائمة، يُنظر: A. A., Türkei no. 142, A.1882508, [s.d.].

إضافة إلى ذلك، لم يلق اعتماد الخدمة العسكرية الشاملة موافقة جميع المجتمعات؛ إذ طالب المجتمع اليوناني بتأليف أفواج يونانية مع ضباط يونانيين ومدة محددة للخدمة. يُنظر:
A. A., amb., Thérapia, 3 septembre 1908.

(48) A.E., N. S. Turquie, vol. 154, p. 262, division française de Serrès, Macédoine, 3 novembre 1908.

(49) بعد ذلك، كانوا يعودون إلى منازلهم كجنود في الاحتياط، وفي حالة التعبئة، كانوا ينقلون إلى أوروبا لدعم الفيالق الأول والثاني والثالث في الاستعداد للحرب.

(50) A.E., N. S. Turquie, vol. 154, p. 244, annexe à la dépêche du vice-consul à Üsküb, le 26 octobre 1908.

كانت حالة الفيلق الثالث حالة أنموذجية: جنود الاحتياط من فوج المشاة التاسع والستين المتمركز في ميتروفيتسا، كانوا قد جاؤوا من أيدين التي تبعد خمسمئة كيلومتر. وذهبوا سيرًا إلى إزمير، ثم بحرًا إلى رودوستو، ومن هناك مشيًا إلى موراتلي، وأخيرًا من طريق السكة الحديد إلى ميتروفيتسا. وفي المحصلة كان يستغرق الأمر ستة أسابيع قبل أن تتم تعبئة الجيش العثماني بشكل جزئي على الجبهة الأوروبية.

Scanned with CamScanner

والعشرين، كان المجند العثماني يخدم لمدة ثلاث سنوات في الجيش النظامي، وثم ست سنوات في الاحتياط النظامي، لينتقل إلى الاحتياط الرديف ويمضي أخيرًا خمس سنوات في قوات الحرس الوطني. وفي حالات الطوارئ، يمكنه أن يلتحق لمدة عامين بالحرس الوطني، قبل أن يصل إلى سن الخدمة في الجيش النظامي. مع ذلك، في الجزء الآسيوي، بقيت الخدمة في الحرس الوطني لسنتين فحسب للجنود الذين أتموا المدة. ووفقًا للأرقام الصادرة عن الضباط الألمان الذين خدموا في الجيش العثماني، جاء عديد القوات العاملة على النحو الآتي:

الجدول (6-2)

عديد القوات العاملة[51]

الفئة	عدد الرجال
الجيش النظامي (nizâm)	260,000
الاحتياط النظامي (ihtiyât)	120,000
دفعة الاستدعاء الأولى للاحتياط (redif)	270,000
دفعة الاستدعاء الثانية للاحتياط (redîf)	360,000
الحرس الوطني (mustahfazlık)	90,000
المجموع	1,100,000

في واحد من الإجراءات الأولى للحكومة، تقرّر إعادة جميع الجنود الذين أتموا ثلاث سنوات من الخدمة العسكرية إلى بيوتهم. في الواقع، في ظل الحكومة السابقة، كان الجندي كثيرًا ما يبقى في صفوف الجيش لمدة أربعة أو خمسة أو حتى ستة أعوام، ما يزيد قوات الجيش النظامي ويخفض قوات الاحتياط. الأمر الذي يفسر التفاوت في النسب بين جيش الخدمة الفعلية [النظامي] والاحتياط النظامي.

(51) Ibid.

Scanned with CamScanner

أُبقي تنظيم الجيش ضمن سبعة فيالق، تقوم مقارها العامة في اسطنبول وأدرنة وسالونيك وأرزينجان ودمشق وبغداد واليمن. وكانت هناك أيضًا فرقتان مستقلتان، الأولى في طرابلس الغرب، والأخرى في مكة. ومن دون الخوض في التفصيلات، يمكننا القول إن كل فيلق كان يتألف من القوات النظامية الآتية: فرقتان أو أكثر من المشاة، فرقة الفرسان، فرقة المدفعية، وكتيبة واحدة أو أكثر من كتيبة لوسائل النقل، والعدد الموازي من القوات الفنية. ويمكن اعتبار الأرقام الآتية للقوات في زمن السلم صحيحة تقريبًا:

الجدول (6-3)

جيش أوروبا[52]

الفيالق	الضباط والجنود	سلاح الفرسان	سلاح المدفعية
الفيلق الأول	28,000	2500	230
الفيلق الثاني	42,000	2500	330
الفيلق الثالث	70,000	3600	430
قوات القلاع للتحصينات المحلية	12,000		
المجموع	152,000	8600	990

الجدول (6-4)

جيش آسيا وغيرها[53]

الفيالق	الضباط والجنود	سلاح الفرسان	سلاح المدفعية
الفيلق الرابع	35,000	2000	120
الفيلق الخامس	19,000	1500	80
الفيلق السادس	19,000	2000	50

(52) p 244

(53) p 247

Scanned with CamScanner

نابع			
المعقو النابع	14,000	300	20
مرق طرابلس الغرب	15,000	2000	20
مرق مكة	6600	150	8
المجموع	108,600	7950	298

لو كانت قوات الجيش النظامي قد وضعت بسرعة في الخدمة لكان زاد عددها بنسبة 50 في المئة، حيث تبلغ قوة الجيش التركي في أوروبا وآسيا حوالى 375,000 جندي وضابط.

لصد هجوم على الحدود الأوروبية، كان بإمكان السلطنة تجهيز حملة تضم حوالى 150,000 رجلٍ في مراحل العمليات الأولى، بعد توفير المواقع العسكرية اللازمة، واستدعاء الاحتياط من أوروبا. بعد ستة إلى ثمانية أسابيع – وفي حال كانت قوات السلطنة مسيطرة على البحر ولم تتكبد أي خسائر – كان بإمكانها زيادة هذا العدد إلى 250,000 رجل، وذلك بفضل جنود الاحتياط من آسيا ومن القوات التي يمكن فصلها عن الفيلقين الرابع والخامس، من دون المساس بالوضع في آسيا. وكان سيكون هناك 52 كتيبة احتياط (رديف) من الفئة الأولى (35,000 رجل) في أوروبا، و332 سرية (235,000 رجل) في آسيا، موجودة كلها لخدمة الحملة بمجرد أن توضع قيد العمل.

كانت وزارة الحربية قد وضعت في عام 1909 عددًا من مشروعات إعادة تنظيم الجيش، لتقديمها كي تلقى موافقة المجلس العمومي. أُدرج معظم هذه المشروعات في برنامج «تركيا الفتاة»، واعتمد من دون أي صعوبة. تتناول المشروعات أولًا تغيير قانون التجنيد، مع الخدمة الإجبارية لغير المسلمين. ثم يأتي لاحقًا إنشاء ميليشيا وطنية وإصلاح قانون التقاعد وتنظيم الأجور ومراجعة التعرفات وتنظيم قواعد ترقية الضباط، مع وضع حد للسن لكل رتبة، وإصلاح كلية الأركان العامة، وتنظيم الخدمة في الأفواج العسكرية الخاصة بضباط هيئة الأركان العامة، وخفض مدة الخدمة في الجيش النظامي للجنود الذين يخدمون في اليمن والحجاز وغيرها من المناطق النائية، والدعوة السنوية لجنود الاحتياط من أجل التدريبات العسكرية، وتنظيم تدريبات سنوية ومناورات بالذخيرة،

Scanned with CamScanner

وابتعاث الضباط العثمانيين إلى الجيوش الأجنبية، وأخيرًا وليس آخرًا، تسعير المبلغ اللازم لهذه الإصلاحات في الميزانية السنوية[54].

قام المجلس العمومي العثماني أول مرة بمناقشة الموازنة العامة للسلطنة والتصويت عليها. وارتفع حجم النفقات العسكرية المرتقبة إلى 148,639,770 قرشًا، في مقابل 148,818,330 قرشًا في عام 1908 (1324هـ). إلا أن المسافة كانت شاسعة بين التوقعات والواقع؛ إذ ارتفع إجمالي المصروفات غير المسددة في الميزانيات السابقة إلى 362,552 ل.ت. ولربما كان عجز عام 1908 يقارب هذا المبلغ. منذ مجيء النظام الجديد، كانت الحكومة الجديدة مضطرة إلى الاقتراض من المؤسسات أو الشركات المالية المختلفة ما مجموعه 5,040,057 ل.ت. لتغطية النفقات كلها على اختلاف أنواعها، خصوصًا تلك التي يتطلبها تعزيز قواتها على الحدود مع بلغاريا. وعلى عتبة عام 1909، ارتفع العجز المطلوب تصفيته إلى 6,050,000 ل.ت.، أي 139 مليون فرنك[55].

أعقب تغيير النظام تغيير طاقم كبار العسكريين جميعهم. وكان الرئيس الجديد لهيئة الأركان العامة هو أحمد عزت باشا الذي كان قد شارك في الحرب التركية - اليونانية في عام 1897، كضابط ركن في مقر الفريق أدهم باشا. وإذ اشتبه بكونه مع تركيا الفتاة، نفي لمدة طويلة إلى دمشق. ثم كان بعد ذلك رئيس هيئة الأركان لدى المشير فوزي باشا في اليمن. وأخيرًا، قاد الفرقة الرابعة عشرة في اليمن. أما نائب رئيس هيئة الأركان، الفريق صالح باشا الذي كان قد أمضى حياته المهنية في هيئة الأركان العامة، فنفي أيضًا إلى سيواس لمدة طويلة بسبب أفكاره.

كان قادة فيالق الجيش هم: قائد الفيلق الأول الفريق محمود باشا، الذي كان قد شارك برتبة عميد في الحرب اليونانية - التركية، ثم جرى نبذه باعتباره ليبراليًا جدًا. أما قائد الفيلق الثاني فكان الفريق ناظم باشا[56]، وهو ضابط في الأركان

---

(54) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 299 du 19 janvier 1909.

(55) Ibid

(56) حسين ناظم باشا (1859/ 1860-1913) كان من أصل شركسي. بعد إنهائه دراسته في المدرسة العسكرية وكلية الأركان العامة، بدأ حياته المهنية ضابطًا في الجيش في عام 1882. وفي عام

خدمة، خدم باستمرار تحت إمرة فون در غولتز. وشغل الكثير من البعثات إلى الخارج، ومن ثم سجن بسبب صداقته مع فؤاد بك. ومن دون الاستماع إليه، حكم عليه المجلس الحربي بالسجن لمدة ست سنوات، وتجريده من رتبته. ثم فر من السجن واختبأ في طرابزون لغاية الأحداث الأخيرة، حيث قام قادة تركيا الفتاة بإعادة رتبته وحريته بعد أن قرب الخمسين من العمر. الفريق محمود شوكت باشا[57] ضابط في سلاح المدفعية، وعمره خمسون عامًا، كان قائد الفيلق الثالث، وكان مسؤولًا عن الكثير من البعثات إلى ألمانيا، وكونه مدير سلاح المدفعية في الوزارة، فقد كان أيضًا والي كوسوفو. ولكونه معروفًا بأفكاره المؤيدة لتركيا الفتاة، لم يشغل أي وظيفة قيادية. قائد الفيلق الرابع المشير عبد الله باشا، وهو ضابط ذو أفكار عصرية جدًا، كان رئيس المجلس العسكري للسلطان. المشير عثمان فوزي باشا («التتار» عثمان باشا) قائد الفيلق الخامس، كان قائد منطقة مناستر إبان الأحداث واختُطِف من القوات المتمردة التابعة لنيازي بيك، إلا أنه كان موضع ترحيب؛ إذ كان يشاركهم أفكارهم. الفريق محمد فاضل باشا القائد الموقت للفيلق السادس، قاد في وقت سابق القوات العثمانية عند الحدود الفارسية. أما قائد الفيلق السابع، فكان المشير العجوز فوزي باشا الذي سرعان ما استقال من منصبه[58].

=1909 عين وزيرًا للحربية، ومن ثم واليًا على بغداد. بعد تسميته من جديد وزيرًا للحربية في عام 1913، اغتيل في كانون الثاني/ يناير 1913.

(57) كان محمود شوكت باشا (بغداد 1856 – اسطنبول 1913) من أب شيشاني أصله من داغستان، سليمان العمري الفاروقي، وأم تركية. عند ولادته، كان والده متصرفًا على البصرة في العراق. ذهب إلى المدرسة الابتدائية في بغداد، ثم إلى المدرسة العسكرية والكلية الحربية في اسطنبول. دخل الجيش برتبة ملازم في الأركان العامة في عام 1882. وكانت وظيفته الأولى في الأركان العامة، ثم شارك في البعثة العلمية إلى كريت. في عام 1883 أعطى دروسًا في استعمال الأسلحة. وعمل لمدة سنة إلى جانب فون در غولتز وفون كامبهوفنر. أرسل في عام 1886 إلى ألمانيا لمتابعة طلبيات الأسلحة، ومن ثم إلى فرنسا في عام 1894 لمهمة نفسها. لدى عودته، تمت ترقيته إلى رتبة جنرال قائد فرقة [لواء] وعين في لجنة سك المدافع في ضبخانه. كان في عام 1901، لواء قائد فرقة، ثم قائد فيلق في عام 1905، كما أصبح واليًا في كوسوفو. ألف عشرة كتب في العلوم العسكرية. يُنظر: İhsanoğlu (ed.), *Osmanlı askerlik literatürü tarihi*, (تاريخ الفن العسكري والأدب العلمي في العصر العثماني) (Istanbul: IRCICA, 2004), vol. I, pp. 349-351

(58) SHAT, 7N1635, Constantinople, rapport no. 255 du 10 octobre 1908.

العامة، خدم باستمرار تحت إمرة فون در غولتز. وشغل الكثير من البعثات إلى الخارج، ومن ثم سجن بسبب صداقته مع فؤاد باشا. ومن دون الاستماع إليه، حكم عليه المجلس الحربي بالسجن لمدة ست سنوات، وتجريده من رتبته. ثم فر من السجن واختبأ في طرابزون لغاية الأحداث الأخيرة، حيث قام قادة تركيا الفتاة بإعادة رتبته وحريته بعد أن قارب الخمسين من العمر. الفريق محمود شوكت باشا[57] ضابط في سلاح المدفعية، وعمره خمسون عامًا، كان قائد الفيلق الثالث، وكان مسؤولًا عن الكثير من البعثات إلى ألمانيا، وكونه مدير سلاح المدفعية في الوزارة، فقد كان أيضًا والي كوسوفو. ولكونه معروفًا بأفكاره المؤيدة لتركيا الفتاة، لم يشغل أي وظيفة قيادية. قائد الفيلق الرابع المشير عبد الله باشا، وهو ضابط ذو أفكار عصرية جدًا، كان رئيس المجلس العسكري للسلطان. المشير عثمان فوزي باشا («التتار» عثمان باشا) قائد الفيلق الخامس، كان قائد منطقة مناستر إبان الأحداث واختُطِف من القوات المتمردة التابعة لنيازي بيك، إلا أنه كان موضع ترحيب؛ إذ كان يشاركهم أفكارهم. الفريق محمد فاضل باشا القائد الموقت للفيلق السادس، قاد في وقت سابق القوات العثمانية عند الحدود الفارسية. أما قائد الفيلق السابع، فكان المشير العجوز فوزي باشا الذي سرعان ما استقال من منصبه[58].

= 1909 عين وزيرًا للحربية، ومن ثم واليًا على بغداد. بعد تسميته من جديد وزيرًا للحربية في عام 1912، اغتيل في كانون الثاني/ يناير 1913.

(57) كان محمود شوكت باشا (بغداد 1856 – اسطنبول 1913) من أب شيشاني أصله من داغستان، سليمان العمري الفاروقي، وأم تركية. عند ولادته، كان والده متصرفًا على البصرة في العراق. فذهب إلى المدرسة الابتدائية في بغداد، ثم إلى المدرسة العسكرية والكلية الحربية في اسطنبول. دخل الجيش برتبة نقيب في الأركان العامة في عام 1882. وكانت وظيفته الأولى في الأركان العامة، ثم شارك في البعثة العاجلة إلى كريت. في عام 1883 أعطى دروسًا في استعمال الأسلحة. وعمل لمدة سنة إلى جانب فون در غولتز وفون كامبهوفنر. أرسل في عام 1886 إلى ألمانيا لمتابعة طلبيات الأسلحة، ومن ثم إلى فرنسا في عام 1894 بالمهمة نفسها. لدى عودته، تمت ترقيته إلى رتبة جنرال قائد فرقة [لواء] وعين في لجنة سبك المدافع في طوبخانه. كان في عام 1901، لواء قائد فرقة، ثم قائد فيلق في عام 1905، كما أصبح واليًا في كوسوفو. قام بتأليف عشرة كتب في العلوم العسكرية. يُنظر: E. İhsanoğlu (ed.), *Osmanlı askerlik literatürü tarihi*, (تاريخ الفن العسكري والأدب العلمي في العصر العثماني) (Istanbul: IRCICA, 2004), vol. 1, pp. 349-350

(58) S.H.A.T., 7N1635, Constantinople, rapport no. 255 du 10 octobre 1908.

Scanned with CamScanner

كانت نية وزير الحربية توجيه التعليمات للقوات للاستعداد للحرب. وتتويجها بمناورات سنوية كبيرة. وحتى لو لم تكن مناورات يشارك فيها عديد كثير نظرًا إلى اتساع أراضي السلطنة، وتشتت الحاميات العسكرية وعدم وجود الاتصالات، كان القصد عقد اجتماعات صغيرة للألوية أو حتى الفرق في بعض الأحيان، لأداء بعض التحركات الجماعية والمناورات التكتيكية[59].

إن الإصلاحات العسكرية بين عامي 1908 و1909، ووفقًا لعددها وحجمها وعمقها والسرعة التي جرى تنفيذها بها، تظهر الأهمية القصوى لتحديث الجيش بالنسبة إلى «تركيا الفتاة». مع ذلك، كان الأمر يتعلق بإعادة التنظيم أكثر منه بثورة في المجالات العسكرية. في الواقع، لم يكن هناك إعادة بناء لكامل هيكلية التنظيم العسكري، وإنما إصلاح عام، أثر في الوقت نفسه في الحالة المعنوية للجيش - المتأثر بالفكر العثماني - ونظم هذه الممارسة الجديدة عبر قواعد واضحة. كان مجيء الملكية الدستورية يعني للجيش العثماني أنه حان وقت التجديد، عبر إعادة الحرية إليه؛ حرية التفكير والتصرف والمناورة[60]. وسمح بالإعداد لإصلاح مهم للغاية وحساس جدًا: تجنيد غير المسلمين.

إن أهم الأحداث بعد «ثورة تركيا الفتاة»، كانت تعيين أنور ملحقًا عسكريًا في برلين، والاضطرابات ومشكلات الانضباط التي كانت لا تزال قائمة، وكذلك التغييرات في الجيش. رحبت السلطات الألمانية بهذا التعيين في بداية عام 1909. لم تعتبره بطلًا وطنيًا حقيقيًا، لكنها قدرت بأن تأثيره يمكن أن يكون كبيرًا بالنسبة إلى ألمانيا. فإن كان يملك معرفة أفضل بالألمان، سيكون أكثر قدرة على موازنة الأحكام المسبقة التي سادت بين قادة «تركيا الفتاة»[61]. وكان أنور قد ارتاد سابقًا كلية الأركان في برلين كضابط مشاة بين عامي 1899 و1902. وإذ تخرج ثانيًا على دفعته، جرى تعيينه في هيئة الأركان العامة، بموجب أوامر من حلمي باشا في سالونيك. وفي بداية تموز/ يوليو عام 1908، تلقى أوامر من اللجنة الثورية - مثله

(59) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 299 du 19 janvier 1909.

(60) Ibid.

(61) A. A., Türkei 159 no. 3, A. 19874, *Der König Deutsche Botschafter an Auswärtiges Amt*, no. 471, *Telegramm, ganz Geheim*, Péra, le 28 novembre 1908.

مثل الضباط الشبان جميعهم المنتمين إلى القوات المسماة «الولاء» في مقدونيا – بالتوجه إلى الجبال وإعطاء الأمر للقوات الدستورية للبدء بالقتال. وكان أنور قد درس اللغتين الألمانية والفرنسية، لكن كانت لديه معرفة أفضل بالفرنسية، لذا استمر باستخدامها في مراسلاته مع الألمان.

كان أنور ونيازي البطلين الأكثر شهرة في «ثورة تركيا الفتاة» في عام 1908، واجتذبا بسببها هالة حولهما. أما الجنرال فون ديتفورث باشا الذي كان أنور طالبًا لديه، فاقترح عليه أن يدخل في كوماندوس الجيش الإمبراطوري البروسي. إلا أن هذه القضية بقيت معلقة، بسبب منع الضباط العثمانيين من الذهاب إلى الخارج. وكانت فكرة أحمد عزت باشا، رئيس أركان الجيش المحبب جدًا لدى الألمان، بإرسال أنور إلى برلين؛ إذ رأى فيه فائدة للسفارة التركية في برلين، ومحاولة لتعزيز العلاقات بين الجيشين[62]. وجرى استدعاء جميع الملحقين العسكريين المعينين من السلطان عبد الحميد واستبدالهم بموالين لـ «تركيا الفتاة».

منذ تموز/يوليو 1908، هبت رياح الحرية في العقول، خصوصًا في العسكرية منها. وكانت الرقابة الذاتية التي سرت في ظل النظام السابق قد أفسحت الطريق للتدفق والغليان في أفكار الجيش وأعماله. وتحدث كثيرون من الضباط في الأوساط العسكرية أو حتى في الاجتماعات العامة للتعبير عن موافقتهم أو انتقادهم لقادتهم أو للإجراءات الحكومية. ووقعت حوادث في أدرنة، في خلال الأزمة الوزارية في شباط/فبراير 1909[63]. ونبَّهت هذه الحوادث السلطات العسكرية لتسلط الضوء على الانضباط المتداعي، فتوجه وزير الحربية إلى الجنرالات وقادة الفيالق بالتعميم الآتي[64]:

«مثلما أنه ليست هناك حاجة إلى إثبات الأمر، وحيث إن الهدف الأسمى لدى كل فرد هو المصلحة، وكف الشر والحفاظ على حياته، في الحياة العسكرية، فإنه بفضل التأثير الاستثنائي لهذه القوة الخلقية السحرية التي نسميها الانضباط

(62) A. A., Türkei 159 no. 3, A. 4037/09, *Militärbericht* no. 147, Constantinople, le 28 février 1909, von Strempel au ministère de la Guerre.

(63) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 318 du 27 février 1909.

(64) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 324 du 12 mars 1909.

Scanned with CamScanner

العسكري، نجد أنفسنا أمام معجزة يحققها المئات لا بل مئات آلاف الرجال، عند أدنى إشارة من مجرد ملازم أو من قائد، محتقرين الصلات الدنيوية كلها وذاهبين إلى موت محقق. إن النظام، هذا المبدأ الحيوي في الجيش، والتفاني في الحرب، يقومان كليًا على هذه القوة.

هذه القوة الخلقية العظيمة التي تحتاج إلى وقت طويل لتنمو وترسخ في الجيش، كان يمكن أن يتم تدميرها من أدنى خطأ أو تساهل من أولئك الذين يتحملون مسؤولية الحفاظ عليها، محدثين، عبر تحولها الجذري إلى قوة خبيثة، خراب الأمة والوطن. أي جندي يقدر هذه القيمة المجيدة للانضباط العسكري وضوابطه التي تجعله يمتنع من تلقاء نفسه عن أي سلوك مخالف لانتظامه، جامعًا بين حرية العمل الممنوحة له بموجب الدستور، وانتظام الجيش كله، يستحق الثناء بجدارة. في المقابل، من الواضح أن بعضًا من ضباطنا، الذين من خلال سلوكهم الخارجي وآرائهم التي عبّروا عنها بحرية كبيرة وتطلعاتهم يمكنهم إبطال تأثير الانضباط في أداء الجيش، هؤلاء يستحقون أن نضربهم بدقة القوانين وصرامتها.

بعض الضباط المساعدين، وكنتيجة طبيعية لأخطاء النظام السابق والأوضاع التي كانت سائدة حين وقع التغيير الأخير، أساء فهم معنى الحرية، وفي ما يختص بالعقوبة على هذا السلوك البغيض، أظهر قادته بعض التردد الذي لا يتفق تمامًا مع روح الانضباط الذي يجب أن يكون موجودًا بين الضباط ورؤسائهم.

أيضًا، من المهم تحديد المسؤوليات بحسب الترتيب الهرمي للضباط جميعهم، وإظهار أن أولئك الذين يعملون وفقًا للقانون ستتم مكافأتهم، كما ستتم معاقبة المخالفين.

إن الأعمال والوقائع التي لا تسمح بها القوانين العسكرية معروفة للذين هم جميعهم جزء من الجيش، لذا فإن التصرفات كلها ذات الطابع العدواني تستحق الحكم عليها بطبيعة الحال من الجميع بأنها تقوض الانضباط، وبالتالي تستحق العقاب.

أيضًا، وباستثناء الدوائر والنوادي العسكرية، يُمنع على الضباط المشاركة في الجمعيات الخاصة؛ والانشغال في السياسة باتباع هدف محدد؛ وحضور الاجتماعات أو إلقاء الخطب فيها؛ واستخدام الجمعيات الخاصة باعتباره

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

وسيلة تتغلب هذا الرأي أو ذاك؛ ونشر المقالات في الصحف لتأمين نجاح
بعض المطالبات الشخصية، أو قضية تتعلق بالجيش؛ والانغماس هنا وهناك
في أعمال تتعارض مع القوانين العسكرية.

إذ وضعت المحظورات المذكورة أعلاه من القوانين النافذة، فإن أي انتهاك
لهذه القواعد يجب أن يعاقب عليه وفق القانون العسكري. وفي حالة العودة
إلى العصيان، فإن العقوبات يجب أن تضاعف»[65].

كان هناك نوع من روح التمرد هبت منذ مدة على المدرسة العسكرية في
بغداني، حيث وقعت اضطرابات خطرة جدًا في كانون الثاني/ يناير 1909؛
طلب بعض الطلاب من الإدارة طرد الأساتذة أو المدربين الذين لا يلقون
استحسانهم، وإعادة النظر في المناهج الدراسية. أخفقت المفاوضات، واتخذت
إجراءات صارمة ضدهم. واستدعى وزير الحربية الطلاب المتمردين على
الانضباط وطلب إليهم ترك المؤسسة. فترك بعضهم المدرسة، وتابع آخرون
احتجاجاتهم. لذا طوقت القوات فورًا الطلاب جميعهم واعتقلت ما يقارب الستين
منهم، اتهموا بأنهم قادة الحركة. فتم سجنهم، ومن ثم عرضوا على المجلس
الحربي. أما رفاقهم الذين بقوا في المدرسة، فأقسموا على الطاعة المطلقة لأوامر
وزارة الحربية والانصياع لتعليمات الإدارة[66].

كان يُخشى من ردات فعل ضد الدستور. فعلى سبيل المثال، وفي كانون
الأول/ ديسمبر 1908، وقعت أعمال شغب عسكرية في كوبرولو، عندما أراد
عشرة جنود من الاحتياط إنهاء أمسيتهم بحضور عرض فني، إلّا أنهم تحامقوا.
وفي اليوم التالي، قام قائد الحامية الفريق محسن باشا، مخدوعًا بتقرير عرض
الأحداث كحركة مناهضة للدستور، بمحاصرة الثكنات عبر سريتين من المشاة،
وحمل الجنود الثلاثمئة الموجودون في الثكنات أسلحتهم للدفاع عن أنفسهم،
وأعقب ذلك تبادل لإطلاق النار. ويبين مثل هذا الحادث حساسية الوضع
آنذاك...[67]

(65) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, annexe au rapport no. 324 du 12 mars 1909.

(66) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport du 6 février 1909.

(67) S.H.A.T., 7N1635, Constantinople, rapport no. 291 du 12 décembre 1908.

Scanned with CamScanner

ثانيًا: الانقلابات والمواجهات العسكرية

اتُخذت تدابير وقائية ضد ردات الفعل. ومنذ تشرين الثاني/ نوفمبر 1908، قررت جمعية الاتحاد والترقي الإلغاء التدريجي لقوات الفرقة الثانية من الحرس السلطاني في العاصمة، التي كانت تعتبر موالية جدًا للسلطان ويمكنها أن تؤيد القيام بانقلاب مضاد. كان يجب على اثنتين من كتائبها[68] أن تبحرا في 30 تشرين الأول/ أكتوبر إلى جدة، إلا أنهما تمردتا ولم تذهبا. وتحملت كتيبة من القناصين (Avcı) آتية من الفيلق الثالث للجيش مسؤولية تهدئة هذه الكتائب، فجرى تبادل لإطلاق النار وقتل ستة من المتمردين. وبناء عليه تقرر أن تتبع الفرقة الثانية وزارة الحربية بشكل مباشر، مع إمكان تعيين كتائبها في أي مكان[69]. وجرى إرسالها بالفعل إلى الحجاز في خلال تشرين الثاني/ نوفمبر من دون وقوع أي حوادث[70]. واتُخِذ هذا الأمر كمثال؛ حيث تبعت كتيبة أخرى من حامية في اسطنبول المسار نفسه[71].

كان وزير الحربية قد قرر دمج عدد من مجندي الأناضول في كتائب المشاة المحلّية الألبانية والسورية من حرس السلطان، لكسر روح الخصوصية لديهم. وعندما وصلت المفرزة الأولى إلى اسطنبول، رفض المشاة السوريون استقبالهم، واستمروا في موقفهم غير المنضبط على الرغم من نصيحة ضباطهم. كما رفض المشاة المشاركة في المناورات المنظمة، وتجمعوا أمام الثكنات مشكلين الطوابير ومستعدين للمقاومة.

توجه الفريق محمود باشا قائد الفيلق الأول، والفريق جواد باشا قائد الفرقة الثانية، مصحوبين ببعض كبار الضباط، إلى المتمردين في محاولة لتهدئتهم. وتزايدت الإثارة بانضمام المشاة الألبان إلى السوريين. عندئذ صدر أمر باستخدام القوة. وقامت خمس كتائب من المشاة وكتيبة من القناصين من الفيلق الثالث في الجيش،

---

(68) تعلق الأمر بالأفواج الأول والسابع والثالث والثامن. يُنظر:
S.H.A.T., 7N1635, Constantinople, rapport no. 270 du 4 novembre 1908.

(69) Ibid

(70) S.H.A.T., 7N1635, Constantinople, rapport no. 280 du 28 novembre 1908.

(71) S.H.A.T., 7N1635, Constantinople, rapport no. 284 du 1er décembre 1908.

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

ومتمركزة في طاش قشله، بالتوجه إلى قصر يلدز، لمحاصرة المتمردين. وأُمرت
[illegible] تكون على استعداد لإطلاق النار. إلا أن قائد المشاة الألبان شهاب بيك،
[illegible] وتمكن من تهدئة رجاله. أُرسل إنذار نهائي إلى السوريين، وقام ثلاثة ضباط
[illegible] يلدز، المقدم شكري بيك، الرائد محمد علي والنقيب حمدي، مخاطرين
[illegible]، بالتقدم باتجاه المتمردين ونجحوا في اختراق صفوفهم. وتحدثوا إليهم
[illegible]، وقاموا بتحذيرهم، فخضع هؤلاء للأمر، وعادوا إلى ثكناتهم.

نقل المتمردون مساء اليوم نفسه إلى ثكنة طاش قشله، واستبدلوا في يلدز
[illegible] حرس الدستور» من القناصين. أما العناصر الثمانية والخمسون الذين
[illegible] بأنهم المسؤولون عن التمرد، فأرسلوا إلى طرابلس الغرب. وبعد بضعة
[illegible] جرى حل فوجي المشاة المحليين[72]. أما بالنسبة إلى كتائب القناصين التي
[illegible] إلى اسطنبول، فأرسلها كامل باشا، الصدر الأعظم، إلى مقدونيا، بحجة
[illegible] كانت تعد لانقلاب ضد السلطان[73].

1- المواجهة الأولى بين فصيلين من الجيش:
حوادث 13 نيسان/ أبريل 1909

كانت «ثورة تركيا الفتاة» قد انتصرت منذ تسعة شهور على يد ضباط الفيلق
[illegible]. وكان جنود حامية اسطنبول ينوون الانتقام عبر «ثورة مضادة»[74].

تشكلت معارضة ليبرالية ودينية، تتألف من العلماء من الصفوف الدنيا،
[illegible] العلوم الإسلامية في المدارس الدينية وشيوخ الأخويات (الصوفية)،
[illegible] جمعية الاتحاد والترقي، مستندة إلى المستائين من النظام الجديد: طلاب
[illegible] الدينية الذين كانوا يواجهون خطر عدم إعفائهم من الخدمة العسكرية،
[illegible] المسؤولون السابقون في النظام الحميدي الذين جرى الاستغناء عنهم، وضباط
[illegible] الذين أطاح بهم الضباط الخريجون. وقام «وحدتي»، وهو شيخ في الطريقة

(72) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 333 du 3 avril 1909.

(73) Georgeon, *Abdül Hamid*, p. 417.

(74) [Dossier: «31 Mart'ta ne oldu?,»] *Toplumsal Tarih*, no. 124 (Avril 2004), pp. 72-103.

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

النقشبندية، بتكثيف الدعاية الدينية عبر صحيفته **فولكان** (*Volkan*)، التي أُسست في كانون الثاني/ يناير 1908، وعبر جمعية الاتحاد المحمدي (*Ittihâd-i Muhammedi Cemiyeti*) التي أُسست في آذار/ مارس 1909. وتمكن أنصاره من خرق «الكتائب الدستورية» للقناصة في سالونيك لضمهم إلى قضيتهم. وقع حادث اغتيال حسن فهمي، رئيس تحرير **سربستي** (*Serbesti*) [الحرية] - وهي صحيفة ليبرالية معادية للاتحاديين - ليل 6-7 نيسان/ أبريل. وفي اليوم التالي، تحولت جنازته إلى تظاهرة مناهضة لجمعية الاتحاد والترقي، تطالب بأن تأخذ العدالة مجراها، وكان الوضع على وشك الانفجار[75].

كان للانتفاضة وبوضوح، طابع الانقلاب المضاد العسكري والديني على حد سواء. وجرى تشجيع هذه الحركة، بقيادة ضباط الصف، الذين كانوا يعتقدون أن قرار إبعادهم من الجيش تقرر من النظام الجديد. وكانوا ينتظرون فحسب لحظة الدفاع عن أنفسهم، بعد أن عُبِّئوا من طلبة العلوم الدينية. وإذ كان هؤلاء يعيشون في الثكنات مع رجالهم، وعلى احتكاك دائم معهم، فقد تقاسموا الأفكار نفسها، وكان لهم تأثير فيهم[76].

كان الجنود مستائين أساسًا من المناورات التي فُرِضَتْ عليهم وأطالت مدة خدمتهم، والتي كانت تحصل في أوقات الصلاة أحيانًا. هؤلاء الجنود كلهم - سواء أكانوا من عامة الشعب أم من المتدينين المسلمين - كانوا مصدومين أيضًا من تصرفات الضباط المتخرجين ومعظمهم من مؤيدي جمعية الاتحاد والترقي، ومن متشربي الثقافة الأوروبية؛ إذ كانوا لا يكادون يبالون بالمشاعر الدينية لرجالهم، ولم يترددوا في إظهار أفكارهم وارتياد مقاهي منطقة بيرا أكثر من المساجد. لذا اتسعت الهوة وازدادت عمقًا أكثر فأكثر بين الضباط وجنودهم الذين رأوا أخيرًا في كل ما كان يقوله أو يفعله قادتهم، إهانة للدين وتعديًا على معتقداتهم. من هنا، جاء غضبهم وسخطهم ثم انتفاضتهم. وتوجهت ثورة 13 نيسان/ أبريل ضد الضباط المتخرجين كلهم، وضد عقائد جمعية الاتحاد والترقي[77].

---

(75) Georgeon, *Abdül Hamid*, pp. 418-419.

(76) S H A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 337 du 16 avril 1909.

(77) Ibid

Scanned with CamScanner

كما وقعت أعمال تمرد في فيلق الجيش الأول المتمركز في موقع طاش قشله العسكري في اسطنبول، ليل 12 - 13 نيسان/ أبريل 1909، حيث جرد آلاف من الجنود ضباطهم من الأسلحة، ومعظمهم من الضباط المتخرجين المؤيدين لجمعية الاتحاد والترقي، وقاموا بسجنهم في ثكناتهم. ثم ذهبوا للتظاهر أمام المجلس العمومي (البرلمان). وفي 13 نيسان/ أبريل، زاد عددهم بانضمام جنود ورجال دين وطلاب في المدارس الدينية التقليدية. وفي نهاية الأمر، كان آخرين المجلس العمومي محاطًا بما يراوح بين خمسة آلاف وستة آلاف جندي مسلح. ووفقًا لشهود عيان، فإن المتظاهرين جميعهم كانوا قد تلقوا المال؛ إذ شوهدوا وهم ينفقون في 13 و14 نيسان/ أبريل، مبالغ لا تتناسب مع مواردهم. وكان هناك أيضًا الضباط المعروفون الذين أظهروا مبالغ كبيرة من المال عند استئجار السيارات التي كانوا يستخدمونها في مواكبهم[78].

كانوا يطالبون باستقالة الصدر الأعظم حسين حلمي باشا ووزير الحربية رضا باشا ورئيس جمعية الاتحاد والترقي أحمد رضا. كما طالبوا بنفي النواب الاتحاديين، والعفو عن القوات المتمردة. إضافة إلى ذلك، طالبوا باستعادة حكم الشريعة. ثم احتلوا المجلس العمومي ووزارة الحربية، واحتجزوا الضباط المتخرجين الذين قُتِلَ حوالى العشرين منهم، إلى جانب نائبين اثنين. وفي صباح 14 نيسان/ أبريل، سيطر المتمردون على العاصمة[79]. وجرى تعيين أحمد توفيق باشا، الذي شغل طويلًا منصب وزير الخارجية، بمنصب الصدر الأعظم، وصدر أمر إلى المجلس العمومي بالامتثال للشريعة[80].

2- المواجهة الثانية بين فصيلين من الجيش: انقلاب محمود شوكت باشا

لم تكن جمعية الاتحاد والترقي لتسمح بأن تتم إطاحتها بهذه السرعة. تسببت حوادث 13 نيسان/ أبريل بحالة غليان كبير في الدوائر العسكرية في الولاية. وكان

---

(78) A. Kansu, «Anadolu'da 31 Mart ve İttihad ve Terakki,» *Toplumsal Tarih*, no. 124 (avril 2004), p. 123.

(79) Georgeon, *Abdül Hamid*, pp. 419-420.

(80) يُنظر: Dumont et Georgeon, «La Mort d'un Empire,» pp. 581-583.

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

هناك رفض في كل مكان تقريبًا للاعتراف بالحكومة الجديدة. وبناء على دعوة من جمعية الاتحاد والترقي، قرر الفيلقان الثاني والثالث التوجه إلى العاصمة، لمعاقبة المذنبين واستعادة الدستور المهدد. وبدأت الحركة في ليل 16-17 نيسان/ أبريل[81].

في 24 نيسان/ أبريل، احتل اسطنبول جيش سالونيك التابع لمحمود شوكت باشا بعد هزيمة المتمردين. هاجمت القوات الاتحادية القوى الانقلابية (قوى الردة) والسلطان. كان «جيش الحركة» (hareket ordusu) التابع لمحمود شوكت باشا قد أوفى مهمته. وتابع احتلال المدينة ونزع سلاح قوات الحامية. كانت المقاومة أقوى من المتوقع، وكانت العملية الأصعب هي الاستيلاء على ثكنة تقسيم، حيث استلزم استخدام القصف المدفعي. مع ذلك، لم يشارك الأسطول في هذه العمليات[82].

أُعلِنَت حالة الحصار، وأدين المتمردون وحكم عليهم بقسوة. وجرى القبض على جميع المشتبه بمشاركتهم - كمحركين أو محرضين - في الحركة «المناهضة للثورة» في 13 نيسان/ أبريل. وجرت أكثر من ستمئة عملية اعتقال. كما سُجن جنود الفيلق الأول، واقتيدوا إلى معسكر تشاتالجا وقُسِّموا إلى ثلاث مجموعات: الجنود الذين حملوا السلاح أو قاوموا في الثكنات، حوِّلوا إلى المحكمة العسكرية. أما الجنود المسرحون، فجرى إرسالهم إلى بيوتهم. في حين جرى إرسال الآخرين إلى مقدونيا، ووزعوا في المواقع العسكرية للفيلق الثالث. ولم يعد للفيلق الأول أي وجود[83]. كان الهدف من هذه الإجراءات إثارة الخوف، لكن النتيجة الأكثر أهمية كانت سقوط السلطان عبد الحميد الثاني، عبر فتوى من شيخ الإسلام. ثم نُفيَ إلى سالونيك، ليعتلي شقيقه محمد رشاد العرش مكانه[84].

ما كان صدى محاولة الردة العسكرية في 13 نيسان/ أبريل في الولايات؟

---

(81) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 338 du 20 avril 1909.

(82) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 340 du 26 avril 1909.

(83) Ibid.

(84) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 341 du 30 avril 1909.

يُنظر: Dumont et Georgeon, «La Mort d'un Empire,» p. 584.

Scanned with CamScanner

كانت هناك على وجه الخصوص، ردة فعل عنيفة في فان وأرضروم، حيث وقعت حوادث مماثلة تقريبًا لتلك التي وقعت في اسطنبول. وعندما وصلت أخبار اسطنبول إلى أرضروم، انتشرت قوات الحامية، بقيادة القائد العسكري الفريق يوسف باشا، في الشوارع بعد أن لاحقت الضباط المتخرجين. وجرى نفي 52 ضابطًا موالياً لـ «تركيا الفتاة» من الحامية إلى بايبورت. لكن خبر نجاح الجيوش الدستورية وضع حدًا للفوضى، من دون وقوع حوادث خطرة. وفي فان، استُعيد الهدوء بسرعة، في حين استمر الوضع مضطربًا في أرضروم. وعلى الرغم من سجن يوسف باشا و45 من القادة الرئيسيين للحركة في أرزينجان، استمر موقف القوات يشكل مصدر تهديد؛ إذ رفض الجنود استقبال 52 ضابطًا من «تركيا الفتاة» المنفيين إلى بايبورت. وأنشأت الحكومة لجان تحقيق للعثور على أولئك الذين شجعوا هذه الحركة لمعاقبتهم[85]. من ناحية أخرى، كانت هناك مجازر حقيقية في أضنة، حيث كان الأرمن هم الضحايا من 14 إلى 16 نيسان/ أبريل 1909؛ إذ شارك 17,000 شخص في الهجوم وقتل 1900 أرمني[86]. كما كانت تُحضَّر مجازر في مرسين وطرسوس وكوزان وقونية وقيصرية ومرعش، لكن جرى إحباط هذه المخططات.

من خلال اتخاذ احتفالات تنصيب السلطان الجديد مقياسًا لشعبية النظام الجديد، يمكننا أن نلاحظ أن الاحتفالات أقيمت في اسطنبول وفي بعض المدن بفرح كبير، على خلاف مناطق أخرى كثيرة من السلطنة، وخصوصًا الأناضول، والأناضول الشرقية وألبانيا وأدرنة[87].

أحدثت المسألة الدينية هوة بين جمعية تركيا الفتاة الموجودة في السلطة والمجتمع المسلم التقليدي. وصدمت الأوساط المحافظة بإرسال المتطوعين المسيحيين لمهاجمة ثكنات اسطنبول. ولم يكن بالإمكان أن يفهموا مشاركة

---

(85) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 349 du 14 mai 1909.

(86) يُنظر: Kansu, «Anadolu'da 31 Mart ve İttihad ve Terakki,» p. 76.

İ. H. Danışmend, *Sadr-ı-a'zam Tevfik Paşa'nin dosyası resmi ve hususi vesikalara göre: 31 Mart vak'ası* (İstanbul: Istanbul kitabevi, 1961), p. 123.

(87) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 353 du 22 mai 1909.

Scanned with CamScanner

يهودي وأرثوذكسي في بعثة النواب الخمسة المكلفة تبليغ السلطان عبد الحميد قرار تنحيته عن السلطنة والخلافة. واعتُبر المسلمون جميعهم الذين شُنقوا دفاعًا عن الشريعة شهداء الإيمان. وأثار مشروع دمج المسيحيين في الجيش، والذي كان من الأفكار الرئيسة في برنامج «تركيا الفتاة» في ما خص المسائل العسكرية، النقمة. وبقي هذا السخط يتفاعل بين الناس والجنود، يغذيه بحنكة المدرسون الدينيون والعلماء وطلاب المدارس الدينية، والمسؤولون المستبعدون، وضباط الصف الذين كانت لديهم مصلحة ما في الارتداد على الوضع الجديد[88]

في أثناء اعتلاء رشاد العرش، قام الفريق محمود مختار باشا[89] بقراءة بيان السلطان الموجه إلى الجيش في ساحة وزارة الحربية:

---

(88)

(89) محمود مختار باشا (قاطرجي أوغلو) (اسطنبول 1867-1935) هو ابن الغازي أحمد مختار باشا. بعد دراسته في ثانوية «غلطة سراي»، دخل المدرسة العسكرية، وأرسل إلى ألمانيا لإكمال دراسته. تخرج برتبة ملازم في المدرسة العسكرية في ميتز في عام 1888، وعين في الحرس التابع للإمبراطور البروسي، ثم ارتاد كلية الأركان العامة. في عام 1897، في خلال الحرب اليونانية - التركية، كان برتبة عميد في جيش تساليا، وشارك في معارك في فليستين، وتشاتالجا ودوميك. مثل الحكومة العثمانية في خلال المناورات الفرنسية الكبرى التي أجريت في عام 1900. وأصبح نائب مدير فرقة المشاة في العام نفسه. وبعد «ثورة تركيا الفتاة»، جرى تعيينه قائد فيلق على رأس الحرس السلطاني. وبعد حوادث 13 نيسان/ أبريل خفضت رتبته وعين واليًا على أيدين. وبعد مدة وجيزة جرى تعيينه وزيرًا للبحرية. استقال من منصبه في عام 1911 ليشغله مرة أخرى في عام 1912 في حكومة والده. أصيب خلال حرب البلقان، فاضطر إلى ترك منصبه. وفي عام 1913 جرى تعيينه سفيرًا في برلين وشغل هذا المنصب حتى عام 1915. عرض عليه في عام 1919 منصب وزير الحربية لكنه رفضه. توفي في عام 1935 بينما كان في طريقه إلى نابولي على متن سفينة. كتب الكثير من المقالات والكتب المتعلقة بالعلوم العسكرية: *Ibid.*

Mi'raj-ı Ric'at-name-i Harb.

Mi'raj'ye bir nazar (Istanbul: Matbaa-i Ahmed İhsan, 1341 (1925)).

La Turquie, l'Allemagne, les événements d'Orient.

Acı bir hatıra, 3rd ed. (Cairo: al-Matbaat al-Amiriyya, 1932).

Afrika-yı Cenûbî Muharebesi (Istanbul: Matbaa-ı Ebuzziya, 1317 (1899)).

1900 Senesi Fransa'da icra olunan ordu manevraları.

Hatt-ı Dâhili harekât-ı harbiyesi, Mecmûa-*i fünun-i askeriye, 1325* (1907).

İstanbul'un karadan ve denizden müdafaası hakkında bir kaç söz (Istanbul: Artin Matbaası, 1326 (1908)).

Muhârebât-ı kalâ'a dair bir kaç söz (Istanbul: Şirket-i Mürettibiye Matbaası, 1317 (1899)).

Üçüncü kolordu ve ikinci Şark ordudusunun *Muhârebâtı* (Istanbul: Kanaat Matbaası, 1331).

يُنظر: •Kızının kalemiyle Mahmûd Muhtar Paşa'nin yaşamı (1866-1935),» *TaTo* (January 1986), pp. 20-24.

يُنظر: E. İhsanoğlu (ed.), *Osmanlı askerlik literatürü tarihi* (Istanbul: IRCICA, 2004), vol. 1, pp. 565-568.

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

جنودي وأولادي،

بنعمة من الله، وبفضل النبي، ورغبات الشعوب العثمانية وولائهم، وبفضل الحس الوطني وجسارة الجيش الذي تملأ مآثره التاريخ الوطني، اعتليت عرش أجدادي كأول حاكم دستوري.

إنني أشكر الله أن الشريعة الإسلامية كانت، حتى هذه اللحظة في حياتي، توجه كل ما عندي من تطلعات ومقاصد. الآن أيضًا، وبفضل البنية الثابتة للميثاق الدستوري، المصدر الوحيد لتحقيق السعادة والخلاص للأمة والوطن، وأحد المبادئ الأساسية للشريعة الإسلامية، أصبحت الخليفة، وأمير المؤمنين.

لن أدخر شيئًا لإعلاء مجد بلدنا الحبيب الذي سُقيت تربته بدماء أبنائه، ولضمان الرفاه والسعادة للأمة. فليبارك الله جهدي!

وباعتباره السبيل الوحيد للحفاظ على الحدود الطبيعية لسلطنتنا الدستورية سليمة ومصانة، يجب قيادتها بشكل ملائم نحو التقدم والازدهار، وحماية المصالح الوطنية وتحقيق أعلى نسبة من النظام والانضباط والجسارة العسكرية للقوات البرية والبحرية، وسأبذل قصارى جهدي من أجل تقدم الجيش وتطويره. فليحقق الله أمنياتي!

فلينعم عليّ العليّ القدير بأن أثبت أنني الابن البار لأجدادي الذين أظهرت أعمالهم المميزة اسم العثماني، وأسست هذه السلطنة العظيمة.

عندما يتم الجيش واجبه المقدس ببناء حصن منيع، عبر انضباطه ونظامه وجسارته، فإنه بذلك يملأ الكون بمجده. وعلى العكس من ذلك، عندما يتمرد الجيش ضد أوامر الله، وإرادة النبي، وقيادة الخليفة وسلطته وسلطة ضباطه، وعندما ينسى الجيش واجباته تجاه الله والبلاد والدولة وسلطانه وآبائه وأمهاته، وعندما يفقد الانضباط والطاعة، ولا يوفي بالمهمة الموكلة إليه بالعمل على خلاص البلاد، تهتز هذه الدولة العظيمة بعنف شديد حتى تكاد تغرق.

يجب علينا ألا ننسى أن نجاح الجيش يرتبط في المقام الأول بانضباطه. أيضًا، وللحفاظ عليه، فإنني أوصي، بقوة وحزم، الرؤساء بالدماثة، والمرؤوسين بالطاعة.

كما أنني أؤكد أن الضباط والجنود، أولادي، الذين سيقدمون كل ما لديهم من قوة وحسن نية لخدمة القوانين والتشريعات، سيكونون محط اهتمامي، لكنني

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

سأعاقب بشدة، كما يعاقب الأب أولاده المتمردين، من سيذهبون في الاتجاه المعاكس.

ليشهد الله، أنني سوف أبقى حتى آخر رمق في حياتي، وفيًا للدستور الذي يتماشى مع تعاليم الشريعة، معتمدًا في ذلك على قوة وعظمة جيشنا وبحريتنا، اللذين يشكلان دعمنا الأبدي.

كما أتبرأ من أولئك الذين ينتقدون أو يعملون ضد الميثاق الدستوري، وألعنهم.

الضباط لديهم السلطة المطلقة للحفاظ على الانضباط، وعليهم القيام بذلك من طريق كسب ثقة مرؤوسيهم، كما يجب أن يعمل الأخيرون من أجل كسب مودة رؤسائهم.

أنا القائد الأعلى للجيش والبحرية، اللذين يتميزان بفضائل أسلافنا النبيلة. الضباط والجنود على حد سواء، هم بنظري المساعدون والخادمون الأكثر قيمة من أولادي.

وإذ أود أن ألفت الضباط والجنود إلى هذه التوصيات، أتوجه إليهم جميعًا بتحياتي.

بوصفي القائد الأعلى للقوى البرية والبحرية جميعها، فأنا مرتبط قلبيًا بشكل خاص بالجيش. وأستطيع أن أقول إن الجيش هو مني وأنا منه. فليمنحنا الله السعادة والنجاح والعناية في هذا العالم، وفي العالم الآخر لأولئك الذين يخدمون بإخلاص الدولة والأمة»[90].

وضعت حوادث 13 نيسان/ أبريل في اسطنبول، في المقدمة، شخص الفريق محمود شوكت باشا، قائد الفيلق الثالث، وجيش الحركة (hareket ordusu)[91].

---

(90) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 358 du 31 mai 1909.

(91) بغدادي الأصل، أنهى المدرسة العسكرية في بانغالتي، في عام 1880. أرسل في عام 1884 إلى كريت برتبة نقيب في الأركان العامة، وأقام فيها عامًا ثم عاد إلى اسطنبول، كملحق لهيئة الأركان العامة. وبعد ثمانية عشر شهرًا من التدريب في ألمانيا، جرى تعيينه أستاذًا في مادتي قوانين حركة القذائف وتصنيع أسلحة الحرب في المدرسة العسكرية. وشغل هذا المنصب مدة عامين، وذلك بتوجيه من فون در غولتز. رقي إلى رتبة رائد في عام 1890، وتم إرساله من جديد إلى ألمانيا، وكان مسؤولًا عن استلام الأسلحة والذخائر المطلوبة في هذا البلد. أمضى تسع سنوات في ألمانيا، وعندما عاد إلى تركيا، جرى تعيينه فريقًا (قائد سرية) وعضو لجنة التجارب والخبرات التابعة للقيادة العليا للمدفعية. وفي عام 1902 أصبح رئيسًا لهذه اللجنة ومدير سلاح المدفعية في وزارة الحربية. وبعد ترقيته قائد فرقة في عام 1905، عين واليًا على كوسوفو. وبعد إعلان الدستور في عام 1908، قاد الجيش الثالث إلى سالونيك. ومنذ شهر كانون الثاني/

إثر عودة جمعية الاتحاد والترقي إلى السلطة بعد الثورة المضادة ونفي السلطان، تسلق كثير من طلاب فون در غولتز سلم السلطة. وطلب أحمد عزت باشا[92]، رئيس هيئة الأركان العامة استدعاء فون در غولتز للخدمة في الجيش العثماني عبر طلب رسمي في أيار/ مايو 1909[93]. وحضر فون در غولتز وضباط البعثة الجديدة إلى تركيا في شهر تشرين الأول/ أكتوبر 1909. أمضى فون در غولتز ثلاثة شهور في تركيا من منتصف تشرين الأول/ أكتوبر 1909 إلى منتصف كانون الثاني/ يناير 1910، حيث أشرف على المناورات والتدريبات. كما جرى تطبيق فكرة فون در غولتز المفضلة في عام 1910: أي إدخال أفواج أنموذجية، وإنشاء ميادين لتدريب الضباط، برئاسة ضابط أركان ألماني. وجرى تدريب ضباط المشاة في مراكز التدريب الجديدة هذه لمدة ثلاثة شهور[94].

3- جيش في حالة تحوّل (1909-1912)

في بداية عام 1909، ووفقًا لمصادر رسمية[95]، كان لا يزال هناك في الجيش والبحرية عدد ضخم من الضباط، ما يضر على حد سواء موارد الدولة المالية

=يناير 1909، شغل منصب المفتش العام بالإنابة لولاية الروملي. وبعد حوادث نيسان/ أبريل 1909 - حيث كان الوجه البارز - عين المفتش العام في الفيالق الأول والثاني والثالث، وهو منصب أنشئ خصيصًا له، ما أتاح له القيادة العليا للقوات العسكرية جميعها في تركيا الأوروبية. وبسبب إقامته الطويلة في الخارج، كانت لديه معرفة كاملة بالجيش الألماني. وكان يتحدث الألمانية بطلاقة، وإلى حد ما الفرنسية. ووفقًا لمراقبين أجانب، كان لديه الكثير من الصفات، وكثير من رباطة الجأش، والبراعة والطاقة والدبلوماسية. يُنظر:
S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 31 du 17 mai 1909.

(92) أحمد عزت باشا (Furgaç) (مناستر 1864 - اسطنبول 1937). بعد إتمام دراسته في المدرسة العسكرية وتخرجه الأول على دفعته في كلية الأركان، بدأ حياته المهنية في الجيش في عام 1887. عين معاونًا لفون در غولتز، وبدأ التدريس في الأكاديمية العسكرية. خدم في الحرب اليونانية - التركية عام 1897، ومن ثم في سوريا واليمن حيث عاش منفصلًا عن أسرته مدة ثلاث سنوات ونصف. لم يقم أي صلات بجمعية تركيا الفتاة. لكن بعد تعيينه فريقًا في عام 1907، ثم رئيسًا للأركان بعد ثورة تركيا الفتاة في عام 1908، شغل هذا المنصب لمدة سنتين ونصف، ثم أصبح وزيرًا للحربية في عام 1911. وفي عام 1918، عند سقوط حكومة الاتحاديين، جرى تعيينه في منصب الصدر الأعظم، ومن ثم وزيرًا للخارجية في حكومة توفيق باشا بين عامي 1920 و1922. يُنظر: Ahmed İzzet Paşa, *Feryadım*, 2 vols. (Istanbul: Nehir yayınevi, 1993).

(93) يُنظر: İzzet Pascha, *Denkwürdigkeiten des Marschalls* (Leipzig, 1927).

(94) *Bundes Amt-Militär Archiv* (B.A.-M.A), N. 155/3, décembre 1910, von der Goltz.

(95) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 335 du 9 avril 1909.

وتدريب الجيش. فسعت الحكومة الجديدة إلى تقليص عدد الضباط بشكل تدريجي[96].

كيف كانت الحالة الفكرية العامة في الأوساط العسكرية؟ أبدى الملحق العسكري الفرنسي، القائد موكور (Maucorps)، دهشته أمام المناقشات وتبادل الأفكار بين الضباط العثمانيين، إلى جانب تفضيلاتهم، ومعرفتهم الكبيرة بالمسائل العسكرية التي كانت تناقش في الخارج. ووفقًا لموكور، فإن هذه المعرفة الجيدة بقواعد العمل الأجنبية، إلى جانب «العصبية العسكرية»، كان يجعلهم قادرين تمامًا على اختيار ما يلائمهم[97].

الجدول (6-5)

عدد الضباط والجنود في عام 1909[98]

	الضباط	القوات	المعدل
الكلية الحربية	40,619	267,312	ضابط واحد لكل ستة جنود ونصف
إدارة سلاح المدفعية	1487	14,346	ضابط واحد لكل عشرة جنود
البحرية	5090	9781	ضابط واحد لكل جنديين
المجموع	47,196	291,439	

وإذ سعى الملحق العسكري إلى سبر أغوار الجنود الأتراك، قام بطرح هذا السؤال المحرج على الكثير من الضباط: «ماذا يعتقد الجندي التركي؟» وكانت الإجابة: «إنه يعتقد أنه عليه طاعة قائده الذي يعتبره بمنزلة الأب العادل والطيب، ويمكنه التسامح في أشياء كثيرة، إلا التهجّم على دينه»[99].

أما بالنسبة إلى الضابط العثماني، فنسب إليه موكور هذه الصفة المزدوجة «المتموِّج والمتنوِّع». وكان يبدو له أن الضابط العثماني لديه شخصية أكثر تميزًا

(96) Ibid.

(97) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 173 du 15 janvier 1911.

(98) Ibid.

(99) Ibid.

Scanned with CamScanner

مما كانت الحال عليه في فرنسا. أما المكونات التالية: العرق والخلفية الاجتماعية والأفكار السياسية والتأثير الأجنبي... فميزته من أقرانه. وعلى الرغم من الانقسام بينهم في وقت السلم، إلا أنه كانت لديهم روح الفريق في تحقيق مطالبهم. وفي وقت الحرب، فإن حب الوطن كان يجمعهم على التضامن للسير كرجل واحد ضد العدو[100].

اتخذ الكثير من التدابير المتصلة بالتطوع. أولًا، جرى التصويت على قانون تحديد سقف سن الخدمة في حزيران/ يونيو 1909[101].

الجدول (6-6)

حدود سن الخدمة[102]

الرتبة	العمر
ضابط صف	41 سنة
ملازم، ملازم ثان بحري	43 سنة
نقيب، ملازم بحري	46 سنة
رائد، قبطان سفينة حربية (قائد ملازم)	52 سنة
عقيد، قبطان فرقاطة (عقيد بحري)	55 سنة
عميد، قبطان سفينة (نقيب بحري)	58 سنة
فريق قائد لواء، عميد بحري	60 سنة
فريق قائد فرقة، فريق بحري	65 سنة
مشير، أميرال (فريق أول بحري)	68 سنة

(100) Ibid.

(101) يُنظر: *Berri ve Bahrî Erkân, Ümerâ ve zabıtanın tekaüdü için rütbe-i 'askeriyelerine göre tayin olunan sinleri mübeyyin kanun sureti* (Istanbul, 1325 (1909)), and «İkinci meşrutiyette silahlı kuvvetler ile ilgili üç önemli kanun», in: *4. 'Askerî Tarih Semineri* (Ankara: *Gnkur.*, 1989), pp. 124-125.

(102) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 371 du 18 juin 1909.

يُنظر: A. Biliotti et A. Sedad, *Législation ottomane depuis le rétablissement de la constitution* (Paris: Jouve & cie., 1912), vol. 1, pp. 181-182.

Scanned with CamScanner

في 25 تموز/ يوليو 1909، اعتُمِد قانون جديد يتيح إعادة النظر في الرتب العسكرية، ينطبق على الضباط العامين جميعهم وكبار الضباط وصغارهم في الجيش والبحرية، وأعضاء هيئة الصحة جميعهم وهيئة الطب البيطري ونظرائهم ممن لديهم رتبة عسكرية، وتوقع هذا القانون إطاحة المخبرين السابقين (المادة 2)، بما في ذلك أولئك الذين كانوا قد تقاعدوا بعد إعلان الدستور، بفصلهم من دون الاعتراف بحقوقهم التقاعدية. واستثني من ذلك أولئك الذين لم يتخرجوا في المدارس العسكرية وضباط الصف، أو لم يخدموا في الجيش النظامي أو الاحتياط (المادة 4)[103]. وجرى إلغاء الرتب الممنوحة للطلاب في أثناء دراستهم في المدارس (المادة 6)[104]. هذا القانون، الأشد حزمًا، سمح للجيش بالتخلص من الأشخاص غير المرغوب فيهم، خصوصًا أولئك الذين كانوا مفضلين عند النظام القديم ولهم صلات بالردة العسكرية.

في أوائل عام 1910، ولمحاربة الترقيات غير العادلة، جرى التصويت على قانون جديد يتيح إعادة النظر في الرتب، تسبب بخفض رتب جميع الضباط إلى أقصى درجة بلغوها مع البقاء أقصر مدة يسمح بها القانون في كل من الرتب السابقة[105]. قلص هذا القانون أكثر من ثلاثة أرباع كوادر هيئة الأركان العامة، وأثار الاستياء بين الضباط، ما أجج نار الفتنة[106].

جرى التصويت على القانون المسمى بـ «بيكايا» (bekaya) [ومعناها المتغيبون]، في أوائل عام 1910 لمنح العفو للفارين من تأدية الخدمة، والذين كان عليهم، لحظة إدراجهم، أن يخدموا في الجيش ضعف المدة المنصوص عليها

---

(103) كان هناك استثناء للضباط الصغار، وكبار الضباط والجنرالات في الموسيقى العسكرية السلطانية، وكذلك لموظفي قصر السلطان.

(104) Biliotti et Sedad, pp. 265-266.

Ibid., p. 267.

(105) يُنظر أيضًا: *Tasfiye-i rütbe-i 'askeriye layihâ kanûniyesi, Daire-i 'askeriye matbaası* (Istanbul, 1325 (1909)), and N. Eralp, «İkinci meşrutiyette silahlı kuvvetler ile ilgili üç önemli kanun,» dans: *4. Askeri Tarih Semineri* (Ankara: *Gnkur.*, 1989), pp. 123-124.

(106) يُنظر: S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, les rapports no. 371 du 18 juin 1909 et no. 173 du 15 janvier 1911.

Scanned with CamScanner

في القانون. وسعى القانون الجديد إلى تسكين وتهدئة الفارين القدامى الذين أصبح يجري عليهم الآن مصير العناصر من فئتهم، من دون عقاب[107].

أما القانون المتعلق بضباط الاحتياط، فأتاح تجنيدهم من بين الضباط المستقيلين، والضباط المتقاعدين، الملائمين منهم للخدمة أو من بين المجندين - والطلاب السابقين في الكليات - بعد متابعتهم لمدة عام الدراسة في مدرسة ضباط الصف، واجتيازهم الامتحانات النهائية.

كان لهذا القانون أهمية كبيرة، لأنه سمح تدريجًا باللجوء لتأطير تدريب جنود الاحتياط [الرديف] إلى ضباط ملحقين، ما يسمح بالحد من عدد الضباط العاملين الذين كانوا يعينون في وقت السلم للإشراف على هذه التدريبات. وقد كان لهذا القانون هدف مزدوج، يتمثّل في تحقيق وفر ثابت، واستخدام أفضل لضباط جيش الخدمة الفعلية الذي كان يتناقص عددهم. مع ذلك، كان يتألف ملاك ضباط كتائب الاحتياط الرديف أيضًا من ضباط التجنيد، فيما كانت توازيه نسبة معينة من ضباط جيش الخدمة الفعلية[108].

اعتُمد قانون بشأن التقاعدات والاستقالات في 23 آب/أغسطس 1909[109]. وإذ عُدِّل في وقت لاحق، تراجع الحق في الاستقالة من 10 إلى 15 عامًا من الخدمة. وبالمثل، فإن الحق في التقاعد الذي يمكن أن يكون الضباط أهلًا له بدءًا من عشرين سنة خدمة، تراجع أيضًا إلى ثلاثين عامًا للضباط العامين [رتبة عماد ولواء وعميد] وخمسة وعشرين عامًا للآخرين[110]. وكان القصد من

(107) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 173 du 15 janvier 1911.

(108) Ibid., rapport no. 67.

(109) يُنظر: *Askeri tekaüd ve istifâ kanûnnâmesi* (Istanbul: matbaa-i 'askeriye, 1325 (1909)), and N. Eralp, «İkinci meşrutiyette,» p. 126.

(110) حدد قانون التقاعد والاستقالة من الجيش في 11 آب/ أغسطس 1325/ 1909، المادة 13، والمعدل بقانون 20 حزيران/ يونيو 1326/ 1910، من حيث المبدأ، مدة عشرين عامًا للضباط القادة [عقيد - مقدم - رائد (المراجع)] والضباط الصغار [نقيب - ملازم أول - ملازم (المراجع)]، وثلاثين عامًا للضباط العامين كحد أدنى للمدة التي تسمح بالتقاعد. ينظر: Biliotti et Sedad, pp. 423-424.

هذا القانون الاحتفاظ بالضباط في صفوف الجيش[111]. وجرى حساب معدل التقاعد بالطريقة الآتية:

$$\frac{\text{عدد سنوات الخدمة} \times \text{أجر الرتبة}}{40^{[112]} \text{ أو } 45^{[113]}}$$

أما الحق في الإجازة، فأُقرّ من خلال قانون. مع ذلك، ينبغي أن تؤخذ متطلبات الخدمة في الحسبان. فلا تُمنح الإجازات في خلال المناورات المهمة إلا في حالة الضرورة القصوى. إضافة إلى ذلك، لم يكن مسموحًا أن يتجاوز عدد الضباط في الإجازات ربع عدد الضباط. ولم تمنح أي إجازة في أوقات الحرب والتعبئة[114].

هناك ثلاثة أنواع من الإجازات. الإجازات مع كامل الأجر والحصص، وهي الإجازات القانونية لمدة شهر ونصف في السنة، والتي تحق للضباط جميعهم. وإذا لزم الأمر، يمكن تمديد الإجازة العادية إلى ثلاثة شهور، منها شهر ونصف الشهر من دون حصص، وحتى إلى ستة شهور في حالة الضرورة القصوى، وفي هذه الحالة، يُدفع الأجر لمدة أربعة شهور ونصف الشهر فقط. ولأسباب مختلفة، يمكن أن يستفيد الضابط من إجازة لمدة سنة واحدة من دون أجر وحصص في الشهور الستة الأخيرة[115]. وللسفر إلى الخارج، كان على الضباط الحصول على إذن من وزير الحربية. أما بالنسبة إلى ضباط الصف، فكان بإمكانهم الحصول على إجازات لمدة أقصاها ثلاثة شهور في أثناء مواسم الحصاد[116].

صوّت المجلس العمومي على إعادة تنظيم الجيش من دون نقاش في اللجان البرلمانية أو في الجلسات العامة[117]. وكان من المقرر إقرار قوانين عدة، خصوصًا

---

(111) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 173 du 15 janvier 1911, and rapport 68.

(112) من أجل كبار وصغار الضباط.

(113) من أجل الضباط العامين.

(114)

(115) Biliotti et Sedad, p. 198.

(116) Ibid.

(117) Ibid., p. 200.

يُنظر: S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapports no. 35, 42, 71, 11, 161 et 172 notamment.

Scanned with CamScanner

في ما يتعلق بأذونات الضباط[118]، وغطاء الرأس[119]، وتنظيم عمليات فحص سلاح المدفعية وتفقده[120]، وتنظيم أفواج الفرسان الخفيفة التابعة للعشائر[121]، وزواج الضباط[122]، والمدارس وكلية هيئة الأركان التطبيقية ومدرسة بانغالتي العسكرية[123]، وإنشاء مدرسة ضباط صف في سلاح المشاة والمدفعية[124]. سعت هذه القوانين إلى تزويد الجيش بضباط صف مهنيين ومحترفين، يمكن الاعتماد عليهم لمدة ثماني سنوات في الأقل. في الواقع، وجد الجيش التركي نفسه تمامًا من دون ضباط صف، في عقب أحداث عام 1908. فأنشئت دورات تعليمية للضباط في عام 1909 قبل صدور المراسيم التأسيسية.

ارتفعت الميزانية العسكرية العامة لعام 1910 (1326هـ)، بما في ذلك ميزانية وزارة الحربية نفسها والتصنيع وصناديق التقاعد والشرطة لتبلغ 1,141,311,310 قروش (242 مليون فرنك). مع ذلك، ارتفع المبلغ الكلي المطلوب للتدريب في عام 1911 (1327 هـ) إلى حوالى 800 مليون فرنك، أي ما يقارب ثلث الميزانية. كما يجدر إضافة الميزانية الخاصة التي جرى التصويت عليها مدة ثلاث سنوات، والبالغة 105 ملايين فرنك، باستثناء النفقات المقررة للقوات البحرية، والتي كانت تبلغ حوالى الثلاثين مليونًا. ووافقت تركيا على بذل جهد مالي كبير من أجل تأمين استعدادها العسكري. واعترفت وزارة المالية بعجز قدره 115 مليون فرنك في الميزانية العادية. علاوة على ذلك، ينبغي أن يضاف إلى هذه النفقات العسكرية 115 مليونًا، صُوِّت عليها في المجلس العمومي عام 1908، لمصلحة القوات البحرية لشراء سفن خفر السواحل من إنكلترا بمبلغ يقارب الستة ملايين فرنك، وذلك لمنع تهريب الأسلحة في البحر الأحمر، إلى جانب المساهمات التطوعية من المسؤولين، والتي أضيفت إلى صندوق الاكتتاب

---

(118) يُنظر: S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 75.

(119) يُنظر: S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 72.

(120) يُنظر: S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 158.

(121) يُنظر: S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapports nos. 154 et 159.

(122) يُنظر: S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 151.

(123) يُنظر: S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 96.

(124) يُنظر: S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapports nos. 66 et 92.

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

الوطني لدعم الأسطول. في ظل هذه الأوضاع، نلمس مخرجَين وحيدين معتملين لسياسة الإصلاح في الجيش العثماني: الاقتراض أو الإفلاس[125].

في الواقع، كانت لعبة الرقابة البرلمانية على النفقات غير فاعلة، حيث كان وزير الحربية يميل إلى إعطاء الأوامر بدلًا من تقديم الطلبات إلى المجلس العمومي. ونظرًا إلى مكانته، والرأي العام، ومطالب الضباط، رأى أنه في موقع أعلى من موقع المجلس. إضافة إلى ذلك، لم يقم وزير المالية بوضع حد له بل قال: «إن عجز الموازنة له فضيلة تعليمية»[126].

الجدول (6-7)

أجور عام 1912[127]

الرتبة	الأجر الشهري الفعلي	الحصص
ملازم ثان	425	262
ملازم	500	262
نقيب	700	350
نقيب سابق (بعد 6 سنوات من الرتبة)	933	350
رائد	1250	735
عقيد	1500	735
عميد	2000	1003
لواء	3000	1382
فريق قائد فرقة	5000	2036
فريق قائد فرقة من الصف الأول	7000	2432
مشير	12,500	3039

(125) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 173 du 15 janvier 1911.

(126) Ibid

(127) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 466 du 25 juin 1912.

Scanned with CamScanner

تقدمت المشروعات المتعلقة بالأسطول، وعلى الرغم من الالتزام الذي قطعته لجنة الأسطول التي كانت قد تلقت في بداية عام 1912 مبلغ 130 مليون فرش، إلا أن هذا الجهد كان غير كاف، حيث سمح هذا المبلغ بشراء ثلاث مدمرات مضادة حديثة فقط، وبارجتين ألمانيتين، «باربا روس» و«تورغوت رايس». وكُيِّفَتْ عمليات الشراء مع الوسائل والإمكانات. لم تكن تركيا تملك أي مدرعة بحرية في خلال الحرب الإيطالية - التركية. أما «الرشادية» (Reşâdiye) التي كانت قد طُلِبَتْ، فلم تجهز إلا بعد سنة.

لم تسمح الميزانية بإنشاء أسطول قتالي صغير وقوي. وكان من المتوقع أن نحل محل الدفعات المنتظمة من المكلّفين، ضريبة بحرية وحيدة هدفها توفير الأموال اللازمة. هذه الضريبة البحرية التي قدرها مصطفى بيك بعشرة ملايين ليرة، كان يمكنها أن تكون بمنزلة قرض كاف لشراء أسطول صغير لكن فاعل من حيث النوعية[128].

كان هناك تيار مؤيد لانخراط ضباط البحرية الألمانية في الأوساط البحرية العثمانية التي أصيبت بخيبة أمل من الأداء المتوسط للإنكليز، ورأت أن الألمان يمكنهم القيام بأفضل من ذلك، واضعة في إيجابيات الألمان اثنتين من الصفات المهمة: طريقة العمل والمثابرة. وبعد أن رأت هذه الأوساط كيف استطاع الألمان الانتقال بالجيش من حال إلى حال، عرفت أنهم الأصلح لأسطولها لوجود تشابه بين البحارة الألمان والعثمانيين، إذ إن معظمهم من المزارعين الذين لا يعرفون شيئًا عن الشؤون البحرية. إن توفير هذا النوع من التعليم الأساسي في ألمانيا، سمح لهم بفهم أفضل لحاجات البحارة الأتراك الملتحقين حديثًا[129].

أُحرز تقدم جوهري في ما خصَّ التسلح والتحصين والمناورات. وبلغت طلبيات بنادق ماوسرس (Mausers) 66,000 قطعة لعام 1910، ما رفع عدد إجمالي البنادق إلى 1,173,000 بندقية، مع السماح بتسليح جميع التشكيلات

(128) S.H.A.T., 7N1637, Constantinople, annexe au rapport no. 409 du 31 mars 1912.

(129) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 370 du 28 janvier 1912.

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

المقررة في التنظيم الجديد. كانت هناك كذلك طلبية تتألف من 300 مليون طلقة جرى تسليمها في عام 1910، ما رفع عدد طلقات البنادق إلى 800 للبندقية الواحدة. ومع تسليم 180 مدفع رشاش في عام 1910، امتلكت السلطنة 300 مدفع رشاش. أما بالنسبة إلى سلاح المدفعية، فكانت تملك 558 مدفع ميدان من طراز كروب (Krupp)، أضيفت إلى المدافع التسعين المطلوبة في 30 كانون الثاني/يناير 1910. وأجريت تحسينات على قلاع سالونيك، وأخليت قلاع بولاير. وبُذِلَ جهد كبير من أجل قلاع كيركيليس [هي قرقلر ايلي بالتركية عاصمة محافظة قِرقلر ايلي] وخصوصًا من أجل قلاع أدرنة[130]. وفي خريف عام 1910، جرى تطويع حوالى ستين ألف رجل، استجابة لطلب كثير من الضباط[131].

لم تكن الحالة المعنوية السائدة في الجيش هادئة، بل كانت الانقسامات في تزايد مستمر. لقد ألهبت الحرب الإيطالية – التركية النعرات بين الأطراف المختلفة وأثارتها بقوة. كان الجيش مستاءً جدًا، وكان يعتقد أن السلطات العسكرية غادرت طرابلس الغرب تحت ضغط هجوم أجنبي. بعض الضباط كانوا مستائين – وكانت هناك حتى حالة من الكراهية الوطنية – تجاه وزيرهم. وجدوا أنفسهم متوافقين ضمنيًا مع أحزاب المعارضة، التي كانت قد بدأت إجراءات توجيه الاتهام إلى أعضاء حكومة حقي باشا. في هذه الحرب، وأبعد من مواقف محمود شوكت باشا الذي كان على استعداد منذ البداية للاستماع إلى المشورة من ألمانيا ولبدء مفاوضات السلام، كانت جمعية الاتحاد والترقي قد رفعت علم البلاد، ودافعت عن كامل التراب الوطني[132].

كان الضباط ينقسمون وفق سلسلة من المعايير: الأصل الإثني والاجتماعي، والعضوية في هيئة الأركان العامة أو كونهم من ضباط الصف[133]. أما بين الضباط العاملين، فسيطرت مجموعات عدة. واحدة تدور حول محمود شوكت

---

(130) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 173 du 15 janvier 1911.

(131) Ibid.

(132) S.H.A.T., 7N1637, Constantinople, rapport no. 359 du 13 janvier 1912.

(133) Ibid.

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

بانيا المتعاطف كليًا مع ألمانيا، حيث كانت تحظى بإعجابها لأعضائها، وكذلك
بضباط الأركان وقادة المواقع العسكرية (الحاميات). وكانت هناك أيضًا مجموعة
أخرى، يطلق عليها بعضهم اسم «الأنقياء والمتشددين»، وهم الذين كانوا يعودون
دائمًا إلى مبادئهم في خلال «ثورتهم»، والذين بقوا غير راضين عن الوزير وعن
جمعية الاتحاد والترقي. واتهموا الأعضاء المدنيين الكبار بتشويه التوجه الأساس
للحزب. وهم كانوا موجودين خصوصًا بين ضباط القوات في جيوش مقدونيا
والأناضول.

كان الجنود أقل انخراطًا في هذه الحركات السياسية، إلا أنهم كانوا متحفظين
حيال موقف رؤسائهم. وكان على الضباط، في معظم الحالات، أن يكونوا حذرين
جدًا أمام الجنود، وإخفاء أفكارهم ومشاعرهم مراعاة لحساسياتهم، وخصوصًا
الناحية الالتزام الديني. كانت هناك عداوات قوية، وازداد الميل إلى عدم الانضباط
بين الضباط[134].

لإعطاء فكرة عن حالة الغليان التي كانت سائدة، سوف نذكر بعض الأمثلة.
في مناستر، كانت الأوساط العسكرية في هياج تام. كان ضباط الحامية، وبعد
أن انسحبوا من جمعية الاتحاد والترقي بناء على أمر من الوزير، على وشك
تأليف نوع من لجنة خلاص عامة. كما أصبح قائد فيلق الجيش فتحي باشا
الذي عارض الأمر، موضع شبهة، وتلقى تهديدات بالقتل. فقام بتعليق جلسات
الدائرة العسكرية، حيث كان يجري ترويج أفكار تُعتبر هدامة. بعد مشاجرة بين
الضباط، قام فتحي باشا باعتقال المسؤولين. وتحكم بحزم بالملاك كله، ووضع
الكتيبة تحت قيادة الضباط المخلصين[135]. وفي إيبك، لم يتردد قائد السلاح خير
الدين بيك في إرسال برقية إلى الصحف في العاصمة، أعلن فيها أن جميع سكان
إيبك انضموا إلى حزب المعارضة. لم يتأخر العقاب، إذ أقاله وزير الحربية على
الفور[136].

(134) Ibid

(135) Ibid

(136) Ibid

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

في ألبانيا، كان المسلمون الألبان قد انضموا إلى تمرد المسيحيين من قبائل الرعاة «الماليسور» [وهم سكان الجبال بين ألبانيا والجبل الأسود] بدعم من إيطاليا التي كانت قد بدأت التحرك باتجاه طرابلس الغرب. وفي نهاية عام 1909، بدأ النواب الألبان حملة برلمانية للمطالبة باحترام الخصوصية، تحولت إلى مطالب استقلالية في عام 1910. وفي أشقودرة الألبانية، أثار استبقاء كثير من جنود الاحتياط في حال استنفار منذ تمرد الماليسور كثيرًا من السخط. وإذ أنهكوا من انتظار قرار تسريحهم، تحت المطر والبرد، وعرضة للأمراض، تمرد جنود الاحتياط في 22 كانون الأول/ ديسمبر، واحتلوا المقر العام وهددوا الضباط. فقام قائد الفرقة حسن رضا بيك بتهدئة حالة الغليان، عبر طلب تأخير التمرد لساعات عدة للتواصل مع اسطنبول. عاد المتمردون إلى مخيمهم، لكن حسن رضا بيك استقدم ليلًا مدافع رشاشة، مع أوامر بإطلاق النار عند أدنى حركة. ومنح حق التسريح لجنود الاحتياط، لكن العودة إلى ديارهم كانت على نفقتهم الخاصة[137].

لاستعادة الهدوء بين صغار الضباط، منحت حوالى مئة ترقية رئيسة في نهاية تموز/ يوليو 1912. وإذ اشتكى الضباط من عدم الترقي إلا بداعي الأقدمية، وضع وزير البحرية نظامًا يسمح بالترقيات بحسب الاختيار أو الأقدمية[138].

4- انقلاب الضباط المحرِّرين (1912)

حقق قادة «تركيا الفتاة» انتصارًا هشًا. وجاءت الضربة التي هزت سيادتهم من أحد معاقلهم في مقدونيا، حيث شكل الضباط مجموعات مناهضة للاتحاد في ربيع عام 1912: مجموعة الضباط الأحرار (Hâl'askâr zabıtân) في اسطنبول، مع ناظم باشا رئيسًا، قائد فيلق الجيش الأول المتمركز في اسطنبول. كانوا يعترضون على مضار السياسة في قلب الجيش، ويرغبون في إنهاء سيادة جمعية الاتحاد والترقي. واستمرت التهديدات بالتدخل العسكري إلى حين قدم سعيد باشا استقالته في 17 تموز/ يوليو. ثم جرى استقدام الغازي أحمد مختار باشا لتأليف

---

(137) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 359 du 13 janvier 1912.

(138) S.H.A.T., 7N1637, Constantinople, rapport no. 495 du 4 août 1912.

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

الوزارة التي غاب عنها الاتحاديون. وفي أوائل شهر آب/ أغسطس، حُل المجلس العمومي وخسر قادة تركيا الفتاة سندهم الأخير[139].

وقعت أعمال شغب وتظاهرات مختلفة في ألبانيا، في داخل الجيش، بين الضباط والقوات. وفي نهاية شهر حزيران/ يونيو، وقعت حادثة في مناستر. ففي 20 حزيران/ يونيو، وجد الفريق فتحي باشا قائد الفيلق السادس، والعميد في هيئة الأركان محمد علي قائد فرقة جنود الاحتياط الرديف، مظروفًا على مكتب كل منهما يحتوي على مطالب من ضباط الحامية. لم يشك الضباط في أن الفريق، الذي لطالما شجعهم، سينقل مطالبهم. لكن مع شعورهم بأنه سيتهرب، وبأنهم معرضون للخطر، صعّدوا تحركاتهم لتسريع مسار الأحداث، ووضع قائد فيلق الجيش والحكومة أمام الأمر الواقع. وبعد إخفاقه في انتزاع إعلان بالولاء من الضباط، استدعي فتحي باشا إلى اسطنبول وأُقيل. وكان الفريق كريم باشا، قائد الفرقة 17 في مناستر، على وفاق أيضًا مع المتمردين، وأظهر لهم صراحة إشارات بالموافقة. مع ذلك، بقي على رأس فرقته، تقريبًا من دون أي قوات بقيادته. فضلت الحكومة إرسال الفرقة الرابعة إلى مناستر، إلا أن سلوك الضباط أثار الشكوك منذ لحظة وصولهم، لأنهم تواصلوا مع ضباط الحامية. وبعد بضعة أيام، فر 70 رجلًا من الكتيبة الثالثة من فوج المشاة الحادي عشر إلى الجبال[140].

في شهر تموز/ يوليو 1912، ازداد الوضع سوءًا في أعالي ألبانيا يومًا بعد يوم، بسبب حالات الفرار والعصيان المتزايدة. وطالب الاحتياطيون (الاحتياط النظامي والاحتياط الرديف) بإعادتهم إلى منازلهم. وفي 2 تموز/ يوليو 1912، احتل 150 من جنود الاحتياط مكتب التلغراف في إيبك، وأبرقوا إلى وزارة الحربية للحصول على تسريح فوري. فأرسل العقيد جعفر طيار بيك قوات لمواجهتهم، فاستقبلوهم برصاص المسدسات، ما تسبب في قتل كثيرين. وجرى تسريحهم بعد بضعة أيام، وتقرر أيضًا إرسال عدد كبير من جنود الاحتياط النظامي إلى ديارهم.

---

(139) Dumont et Georgeon, «La Mort d'un Empire,» p. 602.

(140) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 487 du 23 juillet 1912.

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

في 9 تموز/يوليو، في فيريزوفيتز (Vrizovitz)، ذهبت كتيبة ونصف الكتيبة من فوج جنود الاحتياط الرديف في إشتب إلى المحطة، وأجبروا رئيس المحطة على تشغيل قطار لينقلهم في اليوم نفسه إلى كوبروفو. وبعد ذلك بيومين، جرى أيضًا نقل باقي الفوج، الموجود في فولتشش، إلى كوبروفو. وشجع ما حدث الكتيبة الثالثة من الفوج السادس والخمسين الموجودة في فولشترن على طلب العودة إلى كومانوفو، حيث تقع حاميتها. وفي فيريزوفيتز، قامت الكتيبة التاسعة عشرة من النيشانجي (Nisanci) بالسير إلى سكوبيه[141].

لم تبق هذه الأحداث معزولة، وانتشرت أخبارها بين القوات التي كانت على اتصال بالمتمردين الألبان. وتسببت الخسائر الفادحة التي أحدثتها في خلال الصراعات اليومية، ونصائح المبعوثين السريين بالتهدئة، بإحباط الروح المعنوية لدى القوات الموالية. ولم تعد الفرقة الأولى قادرة على الوقوف في وجه المتمردين. كما جرى نقل حسن عزت بيك إلى دياكوفا، بعد التوصل إلى اتفاق بين البيكوات الثائرين، والمتمردين. ما هو المثال الذي قدمه هؤلاء البيكوات الذين كانوا لا يزالون بالأمس نوابًا، ويتمتعون بمكانة اجتماعية بفضل ولادتهم ومنصبهم النيابي، وقد انتقلوا اليوم فجأةً إلى صف التمرد. وتراجع حسن عزت بيك إلى بريزفند (Prizvend)، حيث خاض معارك دامية جدًا، لكن، وبناء على طلب من قواته، دخل في مفاوضات مع المتمردين. وتوصلوا إلى اتفاق لإنهاء القتال، وأرسلوا برقية إلى السلطان لطلب إقالة الوزارة وحل المجلس. وقامت الفرقة 21 بتقليد سلوك الفرقة الأولى، ثم انسحبتا بعد ذلك إلى سهول كوسوفو.

في سكوبيه، قام سعيد بيك، قائد الفيلق السابع بالنيابة، بجمع ضباط الحامية ليسألهم عما إذا كانوا على علاقة جيدة برفاقهم من الفرقتين الأولى والحادية والعشرين. وإذ كانوا متحدين، طالبوا بقوانين خاصة بالمنطقة الألبانية، وبامتيازات تتوافق وحاجات البلاد. في هذه الأثناء، تواصلت حالات الفرار، ومنها حالة ملازم في قوات الدرك في سكوبيه، علي أفندي، مع مئة شخص إلى كومانوفو، وأيضًا ضابط الدرك عادل أفندي مع 25 رجلًا، وكذلك ضابط في بودييفو (Podiewo).

(141) Ibid.

في أشقودرة الألبانية، تكاثرت أعمال العصيان إلى حد أن قائد الفرقة، حسن رضا بيك، قام بسجن ثمانية من ضباطه. وانتشر الإحباط المعنوي على نطاق واسع بين عناصر الفرقة كلها. واستمر الرجال بالهرب والتوجه إلى الجبل الأسود. كما وقعت حوادث مماثلة في فرقة يانينه. وإلى الشمال من خط يانينه - مناستر - سكوبيه، لم تعد هناك سلطة حكومية في ألبانيا. وجرى طرد الضباط برتبة عقيد فما فوق، وأخلت القوات البلاد، أو بقيت مع إبقاء الأسلحة على الأرض[142].

شكل التمرد الألباني نقطة انطلاق التمرد العسكري، وكان بمنزلة القدوة للمناطق الأخرى، حيث كان يجب استعادة النظام في مقدونيا والأناضول الشرقية. هكذا بدأت أحداث عام 1908، عندما فر نيازي وأنور إلى الجبال مع مجموعات صغيرة من الجنود. لكن في ذلك الوقت لم يكن الأمر عبارة عن تمرد، وإنما هربٌ من قمع النظام الحميدي المستبد. اليوم تغيرت الأمور، هناك جزء من الجيش، مؤلَّف من الألبان، انتقل إلى معسكر أولئك الذين كانوا يقاتلون ضد الجيش. ورفض ألبان كانوا يؤدون خدمة العلم مهاجمة إخوانهم[143]. ما أظهر شعورًا عامًا وعميقًا من الاستياء تجاه القمع الذي تمارسه الحكومة. كان المثال الذي قدمه المتمردون في مناستر وبرليبي وديبري خطرًا. وكان من الممكن أن يتم اتباعه لو شكّل الألبان وحدات كاملة. لكنهم وجدوا أنفسهم موزَّعين كأقليات في السرايا والكتائب والأفواج[144].

مع ذلك، لم يكن لهذه التمردات طابع ألباني بحت كما ادعت الحكومة، بل كانت أيضًا مظهرًا من مظاهر استياء الضباط. واستهدفت اعتراضات الضباط الأعنف وزير الحربية، حيث اتهموه بتسليم الجيش إلى السياسة. كانوا يريدون منه أن يترك الضباط يشاركون في أندية جمعية الاتحاد والترقي. ولم يغفروا له تعريضه شرف الجيش للخطر في الانتخابات الأخيرة، عبر السماح له بالمشاركة في الألاعيب والضغوط السياسية. وكان محمود شوكت باشا يعاني الوطأة

---

(142) *Ibid.*

(143) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 457 du 9 juin 1912.

(144) *Ibid.*

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

الكاملة للأزمة؛ إذ لم يتردد الضباط الأعلى رتبة والأكثر شعبية، في التعبير عن آرائهم المعارضة للحكومة، ولمحمود شوكت باشا خصوصًا[145].

ضرب هذا التمرد النظام الجديد في نقطة حساسة، في مثالياته التي انهارت، وفي جيشه - إنجازه الأهم - الذي كان مصدرًا للهيبة في عيون العثمانيين كلهم[146]. ورفعت راية التمرد في وجه جمعية الاتحاد والترقي، وحالة الغليان التي تجلت لدى ضباط الفيلق السادس كانت موجهة أيضًا ضد الجمعية[147]، إضافة إلى المؤامرة التي كانت تحاك بين ضباط اسطنبول، وظهرت مجموعة جديدة أطلق عليها اسم «الضباط المحرِّرون»، قامت باستقطاب كثير من الأتباع، مطالبةً جمعية الاتحاد والترقي بعدم ممارسة السياسة بعد الآن، وباستقالة الحكومة، والشروع في انتخابات جديدة[148].

انتشر خبر عدم الانضباط هذا بين قوات السلطنة جميعها. ووصلت برقيات من الحاميات العسكرية كلها، تعرب عن المطالب نفسها. وفي الدردنيل وإزمير، ساد تساؤل عما إذا كانوا سيتوجهون إلى العاصمة لإقالة الحكومة. أُرسلت وفود من الضباط إلى وزير الحربية، وكذلك إلى القصر. وفي دمشق، تمرد سبعة وثلاثون ضابطًا، واعتكفوا في النادي العسكري مطالبين باستقالة قائد فيلق الجيش الثامن، وسعيد باشا قائد لواء الفرسان، ورئيس الأركان نوري بيك، وهم معروفون بارتباطهم بجمعية الاتحاد والترقي[149].

كان الاستياء في الجيش قد وجد في مطالب الألبان ركيزة ودعمًا إضافيًا لمواجهة الحكومة. إلا أن الجيش كان لديه الكثير من الشكاوى ضدها، مثل مسألة العدالة والإدارة السليمة للترقيات والتوزيع العادل للحاميات العسكرية والأوامر، واحترام التسلسل الهرمي والانضباط[150].

---

(145) S.H.A.T., 7N1637, Constantinople, rapport no. 480 du 10 juillet 1912.

(146) S.H.A.T., 7N1637, Constantinople, rapport no. 468 du 26 juin 1912.

(147) S.H.A.T., 7N1637, Constantinople, rapport no. 414 du 2 avril 1912.

(148) S.H.A.T., 7N1637, Constantinople, rapport no. 468 du 26 juin 1912.

(149) S.H.A.T., 7N1637, Constantinople, rapport no. 487 du 23 juillet 1912.

(150) Ibid.

Scanned with CamScanner

قدم محمود شوكت باشا استقالته، وشكل الغازي أحمد مختار باشا الوزارة الجديدة[151]. وفي اليوم التالي، لم يحصل الصدر الأعظم سعيد باشا على الثقة في البرلمان، فاستقال هو أيضًا. وهكذا، انتقلت جمعية الاتحاد والترقي إلى المعارضة. كانت البلاد تنتظر شفاء جرحين، كان أذاهما قد حل: نهاية الانتفاضة الألبانية واستعادة الانضباط في الجيش. ولدى وصوله على رأس وزارة الحربية، وجه ناظم باشا تعميمًا وزاريًا إلى فيالق الجيش والفرق المستقلة، داعيًا إياها إلى الإشارة إلى الضباط العاملين تحت إمرتها بالحظر المطلق لممارسة السياسة[152]. واستُقبل التعميم بإيجابية من قادة الأفواج جميعهم الذين سارعوا إلى إرسال برقية إلى وزير الحربية لإخباره عن الروح المعنوية الممتازة لدى مرؤوسيهم، مؤكدين أن الضباط قرروا الانشغال بواجباتهم العسكرية فحسب، والامتثال حصرًا لأوامر قادتهم وسلطانهم. وفي عقب هذا التعميم، تمت المصالحة بين ضباط مناستر، الذين كانوا قد انقسموا فريقين. وأُعلِنَ العفو عن الضباط المتمردين[153]. وتحدث وزير الخارجية نورادونغيان أفندي عن السياسة والجيش قائلًا:

«نحن نريد أيضًا استئصال آفة السياسة من الجيش. وسوف نفعل ذلك من دون أي شك، نظرًا لتكلّل جهدنا الأول بالنجاح. والجيش، كما قلت لكم قبل أيام قليلة، يفهم أنه لا يمكنه، تحت طائلة قيادة البلاد إلى الهاوية، أن ينقسم إلى أفواج حرس أميري مستقل بعضها عن بعض. بالطبع نحن لا يمكننا أبدًا منع وجود بعض المتهورين والمتعالين، الذين يخالفون الأوامر المعطاة لهم من السلطات العسكرية؛ لكننا سندفعهم إلى الاستقالة بلا رحمة. لدينا أمل وطيد بأن هذه الإجراءات الأولى ستعيد لنا النظام في البلاد، وستضمن لنا في المستقبل السكينة والهدوء والأمن التي تحتاجها البلاد أكثر من أي وقت مضى»[154].

باشر ناظم باشا إجراء سلسلة من التغييرات في القيادة العليا، وذلك كردة فعل

(151) S.H.A.T., 7N1637, Constantinople, rapport no. 490 du 24 juillet 1912.

(152) S.H.A.T., 7N1637, Constantinople, rapport no. 505 du 17 août 1912.

(153) Ibid

(154) Ibid

Scanned with CamScanner

على سلفه[155]. كثير من الضباط الألمان الذين انتهت عقودهم، جرى شكرهم ولم يكن هناك ضرورة لاستبدالهم (الرائدان كريسيوس وبنهولد)[156]. وأمر تعميم وزاري من ناظم باشا أنه يجب أن يُخطر وزير الحربية بإجازات الضباط، واستلام البيانات الشهرية للضباط الغائبين عن حامياتهم، حيث خلال الأوقات العصيبة، كان لدى الضباط عادة التغيب عن حاميتهم من دون إذن، والتوجه إلى اسطنبول، في معظم الأوقات، للمشاركة في الاجتماعات أو التظاهرات السياسية[157].

هدأ الانقسام بين الفريقين في خريف عام 1912، وكان بيان جمعية الاتحاد والترقي شاهدًا على ذلك. وتوجهت قيادة الجمعية بخطاب إلى الأمة قالت فيه:

...«اليوم، ستكون جمعية الاتحاد والترقي الداعم الأقوى للحكومة التي، في مواجهة العدو المدنّس لترابنا الوطني المقدَّس، لا تمثل حزبًا معينًا، وإنما تمثل العقيدة العثمانية. هذا الدعم، تلتزم جمعية الاتحاد والترقي تطبيقه، ليس من خلال عدم معارضة الحكومة فحسب، لكن بأي شكل آخر تطلبه الأخيرة، حيث تدعو جمعية الاتحاد والترقي جميع أعضائها إلى إتمام هذا الواجب الوطني بكل ما أوتوا من قوة. ونحن على ثقة أنه بفضل التوافق التام، والثقة المتبادلة بين الأمة والحكومة، لن يسقط الهلال على الأرض، بل سيبقى محلقًا في السماء»[158].

دعم ناظم باشا مشروع إعادة تنظيم الجيش، وهو عبَّر عن نفسه كما يلي:

«إن تنظيمنا الجديد عديم القيمة. فرقنا صغيرة جدًا. وأنا أريد جمعها في أربعة أفواج وتعزيز الألوية. سلاح الفرسان بأكمله بحاجة إلى الإصلاح. ومن ثم، علينا إعادة بناء فرق الاحتياط الرديف بأكملها: عليها أن تعتمد على قادة فيالق

---

(155) الفريق هادي باشا، والذي كان في غياب أحمد عزت باشا، يقوم في اليمن بوظائف رئيس هيئة الأركان بالإنابة، عين في هذا المنصب بشكل دائم. وتم تعيين الفريق محمود باشا، نائب رئيس هيئة الأركان، مديرًا لسلاح الفرسان وحل محله العميد جواد بيك، ابن شاكر باشا، قائد حرس المرافقات الشخصية للسلطان عبد الحميد. كما عين الفريق نظيف باشا، المدير السابق لسلاح الفرسان في منصب القيادة العامة للدرك. يُنظر: S.H.A.T., 7N1637, Constantinople, rapports no.499 du 6 août 1912 et no. 508 du 19 août 1912.

(156) S.H.A.T., 7N1637, Constantinople, rapport no. 508 du 19 août 1912.

(157) Ibid

(158) S.H.A.T., 7N1637, Constantinople, rapport no. 534 du 3 octobre 1912.

Scanned with CamScanner

الجيش، لكل منهم الأمر والإدارة في زمن السلم لواحدة أو اثنتين وأحيانًا ثلاثة منها. هذه مهمة كبيرة، وهيئة الأركان العسكرية تدرس الأمر بالفعل»[159].

ما إن أعيد تنظيم الجيش العثماني في عام 1910، في مسألتي الخدمات والاحتياطيين على سبيل المثال، حتى استعد لمواجهة اضطرابات أخرى في وحداته الرئيسة وفي مفاصله الأساسية وصولًا إلى قاعدته الإقليمية[160]. بين عامي 1909 و1912، كان لدى الجيش العثماني ثلاث سنوات ليستعدّ، وقد عمل كثيرًا في خلال أول سنتين لهذا الهدف. إلا أن التمرد الألباني - الذي شله بالفعل في عامي 1910 و1911 - إضافة إلى الصراعات السياسية، تسببت بتباطؤ هذا الجهد[161].

تخلل هذه الفترة من الإصلاح الكثير من العثرات، حيث تواجهت التطلعات إلى الحداثة مع الخضوع لتعاليم الإسلام. كانت أوقاتًا عصيبة، تحركها تيارات متضاربة، أثارت خمسة انقلابات في غضون ست سنوات. أما الأخطار الخارجية، فبدلًا من أن تتلاشى أمام هذا المجتمع الذي يعمل على تأهيل نفسه والتقدم نحو المستقبل، اتسعت وزادت حدتها، مهددة مصير السلطنة نفسه. فالصراعات المسلحة وفقدان الأراضي وتدفق المهاجرين الذين أتوا طالبين اللجوء في الأناضول، ذلك كله أثار حالة من التطرف، فكانت الحرب هي السبيل الوحيد إلى إنقاذ السلطنة.

ثالثًا: من حرب إلى أخرى

فاجأت ثلاث حروب الجيش في خضم إعادة تنظيمه، فكان فريسة للانقسامات. بدايةً مع الحرب الإيطالية - التركية، ثم مع الحروب البلقانية. ومنذ ذلك الحين، لم يعرف الجيش العثماني الراحة لغاية الحرب العالمية الأولى. وإذ كان مضطرًا للدفاع عن نفسه في هذه المواجهات الثلاث، لم يكن لديه الوقت لتضميد جراحه؛ إذ كان عليه أن يستعد لصراع آخر، أصعب وأعقد.

(159) S.H.A.T., 7N1637, Constantinople, rapport no. 508 du 19 août 1912.

(160) Ibid.

(161) Ibid.

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

1 - الحرب الإيطالية - التركية

نزل الإيطاليون في ليبيا مع 36,000 جندي. وأمل العثمانيون تأمين عدد مواز، إلا أنهم لم يتمكّنوا من تأمين سوى 4000 إلى 5000 جندي نظامي فقط[162]، وذلك بسبب الصراعات الأخرى التي أدت إلى تعبئة الجنود في أماكن بعيدة مثل اليمن. وحيث إنهم كانوا سادة متمرسين في الملاحة، كان للإيطاليين أفضلية غير قابلة للمنافسة. إضافة إلى ذلك، كان الإيطاليون يتوقعون الدعم من السكان المحليين، وخصوصًا من المنتمين إلى الطريقة السنوسية، الذين كانوا يعتقدون بأنهم معادون للعثمانيين. أساء الإيطاليون فهم تحفّظ السنوسيين تجاه السلطنة، باعتباره تعاطفًا محتملًا مع الأوروبيين. فلم يتم استقبالهم كمحررين[163].

حدث تعاون بين القوات التركية والسكان المحليين. أما القادة الذين عينوا في طرابلس الغرب، فجرى اختيارهم بعناية، وكانوا على ودّ مع السكان المحليين. كما أوفد عدد من الشبان الحزبيين: أنور وخليل وفتحي (Okyar) ومصطفى كمال وعزيز... أما أدهم باشا قائد اللواء السابق، فاستأنف خدمته من أجل الحرب، وقاد القوات التركية - العربية المتحدة في هذه المنطقة. كان يبلغ من العمر سبعين عامًا، لكنه كان لا يزال قويًا جدًا. وبفضل قوته ونفوذه في عصره، كان له تأثير كبير في البدو[164].

كان أنور بيك يتمتع بهيبة كبيرة بين البدو لأنه كان صهر [داماد] السلطان[165].

---

(162) عشية الغزو الإيطالي لليبيا، كان عدد القوات المسلحة العثمانية 4 جيوش و3 وحدات مستقلة، واحدة من هذه الأخيرة كانت متمركزة في ليبيا. في أوقات السلم، كان يمكن أن يكون هناك حوالى 5000 جندي في طرابلس الغرب و2500 في برقة. لكن لم يكن هناك في ذلك الوقت إلا حوالى 5000. وكان يتألف الجيش النظامي من الجنود المجندين في السلطنة، أي العرب وغير العرب. يُنظر:

R Simon, *Libya between Ottomanism and Nationalism*, Islamkundliche Untersuchungen (Berlin: K. Schwarz Verlag, 1987), vol. 105, pp. 33-34.

(163) يُنظر: A Martel, *La Libye 1835-1990, essai de géopolitique historique* (Paris: Presses universitaires de France, 1991), pp. 86-88.

(164) SHAT, 7N1636, Constantinople, rapport no. 422 du 16 avril 1912.

(165) كان أنور مدركًا تمامًا للموضوع وراضيًا... «ازدادت معنويات العرب يومًا بعد يوم وصولي على أنني قريب للخليفة ترك لديهم انطباعًا مؤثرًا. أما بالنسبة إلى القوات، فأنتم تعرفون ماذا يعني

وكانت الهيبة والتعاطف اللذين يتمتع بهما يقابلان بالطاعة الأكمل والأكثر حرصًا. وكان الشيوخ العرب يقبّلون ملابسه، وأظهرت النساء البدويات له أعظم الإعجاب. وعلى حد قول الجنرال أدهم باشا، قائد القوات التركية - العربية في طبرق:

«العرب يحبون أنور بيك من كل قلوبهم، لأنه يتعامل معهم باهتمام، ولأنهم يعرفون أنه مرتبط بعائلة السلطان على وجه الخصوص. وللارتباط أكثر بالعرب، اعتنق أنور بيك «المذهب» السنوسي، وأصبح ملازمًا دينيًا للشيخ الأكبر. لدى وصوله إلى درنة، لم يكن يعرف كلمة عربية واحدة، أما اليوم فهو يتحدث اللغة العربية بطلاقة»[166].

كان عدد الضباط في شرق ليبيا لا يقل عن 150 ضابطًا، فيما كان مجموع عديد القوات التركية لا يتخطى 5000 رجل. أما بالنسبة إلى القوات العربية، فلم تتجاوز 10,000 إلى 15,000 رجل[167].

طلب السلطان الدعم من السنوسيّة[168]، حيث توجه إلى أحمد الشريف

=أنور لها. السكان لا يحتاجون إلى التشجيع».... Defne *záviye*, dans: Ş. Hanioğlu (prép. à publ.), *Kendi mektuplarinda Enver Paşa* (*yayına hazirlayan*) (Istanbul: Der Yayınları, 1989), p. 89.

(166) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 422 du 16 avril 1912.

بما أن أنور تزوج سلطانة، فقد أصبح لذلك عضوًا في عائلة السلطان - الخليفة. وإذ كان ملحقًا عسكريًا في برلين، خطب في عام 1909 السلطانة نجية (Naciye)، التي لا تكاد تبلغ 12 سنة، في حين كان عمر أنور 30 سنة. وقد جرى إبرام عقد الزواج الرسمي في عام 1911، في برلين، في غياب نجية. ولم يقم حفل الزفاف حتى شهر آذار/ مارس 1914. يُنظر: A. İnan (prép. à publ.), *Enver Paşa'nin özel mektupları* (Ankara: İmge kitabevi yayınları, 1997), pp. 5-8.

(167) وفقًا لعثمان بيك، 100,000 رجل: ما لا يقل عن 10,000 موجودين في طبرق، وأكثر من 20,000 في درنة وفي بنغازي. ومع ذلك، وجد الملحق العسكري الفرنسي أن هذه الأرقام مبالغ فيها جدًا. علاوة على ذلك، ووفقًا لمحمود شوكت باشا، لم يكن هناك أكثر من 12,000 جندي عربي في بنغازي. يُنظر: S.H.A.T., 7N1637, Constantinople, rapport no. 364 du 27 janvier 1912.

(168) أسست السنوسية في مكة في عام 1837-1838 على يد محمد بن علي السنوسي، وتمركزت في برقة ووداي. امتدت زواياها من توات إلى الحجاز. كانت جمعية أخوية تدعو إلى العودة إلى أصول الدين ومراعاة الشعائر، في علاقات الصراع مع العثمانيين بشكل أساس، ولم تخل علاقة السنوسية بالسلطان - الخليفة من الغموض. وجاءت نقطة التحول بعد احتلال فرنسا لتونس في عام 1880. فحصل تقارب ملموس بين السنوسية والعثمانيين، على قاعدة دينية، كمظهر إقليمي لسياسة الوحدة الإسلامية التي أطلقها عبد الحميد =

Scanned with CamScanner

السنوسي طالبًا منه توجيه الأمر إلى جميع زواياه لخوض الحرب معًا في سبيل الله ودحر أعداء الدين[169]. كان أحمد الشريف على اتصال بأنور ويتعاون معه[170]. ومنح العثمانيون حلفاءهم السنوسيين الرتب الفخرية والمكافآت على أنواعها والأسلحة والألبسة والهدايا للمصالحة[171]. تلقى أحمد الشريف وسام العثمانية من الدرجة الأولى، إلى جانب سيف مرصّع بالألماس قيمته 25,000 ل.ت، وهدايا نفيسة أخرى[172]، لكنه لم يشارك بشكل مباشر في الحرب، ما أثار شكوك أنور[173].

لم تكن الأفواج العربية بقيادة الضباط الأتراك مباشرة، بل سارت إلى المعركة بقيادة شيوخها. وشكّل الضباط الأتراك القيادة العامة، وشغلوا وظائف المساعدين والوسطاء. كانوا يجرون الاستطلاعات، ويحملون إلى زعماء العشائر

= الثاني. منحتها الحكومة العثمانية تفويضًا عامًا لبناء زوايا جديدة، معتبرة ملكياتها وقفًا. ومنذ ذلك الحين، أصبح ولاء السنوسية لا يتزعزع تجاه الحكومة العثمانية. في عام 1909، وللمرة الأولى منذ عام 1842، استقبلت السنوسية على أرضها مسؤولًا عثمانيًا، كانت قد طلبته أساسًا. وكان في هذه الحالة قائمقام مقيمًا في الكفرة. يُنظر:
Martel, *La Libye 1835-1990*, p. 78.

وأثارت الإصلاحات العسكرية والضرائب التي أتت متزامنة، نزاعًا خطرًا وتوترًا متقدًا بين العثمانيين والسنوسية. وإذ كانت الطموحات الإيطالية تتطلع إليها، تحالفت هذه الولاية من دون قيد أو شرط مع السلطنة في حرب طرابلس.

(169) ينظر: Archives de l'état-major turc à Ankara (A.T.A.S.E.), K. 18, F. 1-28. Lettre adressée par le commandant d'État-major du Khalife à *Seyyid* Ahmed aṣ-Ṣarîf et à ses frères, [s. d.], and K. 18, F. 1-27 et F. 1-26.

(170) أشار أنور، في نهاية أيار/ مايو 1912، إلى رسالة دعم وجهها إليه أحمد الشريف.... «لقد حملوا إلي الآن رسالة من الشيخ السنوسي الأكبر، يعطيني فيها دعمًا معنويًا كبيرًا. أنا أحب هذا الرجل، من دون أن أعرفه، لأنه وطني جسدًا وروحًا. إنه حقًا الرجل الذي أتخيله
Hanioğlu (prép. à publ.), *Kendi mektuplarinda*, p. 132.

(171) طلب أحمد الشريف في رسالة إلى أنور توزيع الأسلحة والأوسمة لتشجيع عدد من الناس على القتال من أجل العثمانيين. يُنظر:
A.T.A.S.E., K. 1855, F. 1-10.

(172) «...أرسل جلالته معي النيشان العثماني من الدرجة الأولى إلى السيد أحمد، وسيفًا مرصعًا بالألماس بقيمة 25,000 ل.ت. وساعة مرصعة ...إلخ، آمل أن يقرر ذلك تمامًا اتحاد السنوسيين معنا.
Hanioğlu (prép. à publ.), *Kendi mektuplarinda*, p. 157.

(173) «...لا يزال لدي نقص في الضباط. ومن ناحية أخرى، أتوقع وصول صديقي الشيخ السنوسي الكبير. وأتساءل عما إذا كان سيغير موقفه الموالي»
Ibid., p. 155.

تعليمات القيادة، ويراقبون تنفيذها، ويوجهون الجهد وينسقونه. كما كانوا يعتنون بالإمدادات، ويؤدون واجبات هيئة الأركان[174].

تواصلت حرب العصابات. ووفقًا لعثمان بيك، وهو ضابط تركي، فقد شكل التعاون مع السنوسيين دعمًا كبيرًا لنجاح المقاومة. وسارت الأفواج العربية كلها باسم السنوسيين ورهن إشارتهم. وقاد الشيوخ الشبان السنوسيين، مستخدمين الموارد المادية والمالية التابعة للأخوية[175]. ووعد شيخ منطقة الكفرة الأكبر أن يأتي للنجدة عند الحاجة. بوجود السنوسيين إلى جانبهم، كان العثمانيون متأكدين من النصر. وإن وُقِّعَ السلام، فقد كانوا مقتنعين بأن البدو سيواصلون القتال[176].

كان عدد من وجهاء المسلمين الكريتيين قد أتوا للانضمام إلى البدو، وقد تميزوا بمهارتهم في الرماية. حمل عثمان بيك معه من مسرح الحرب إعجابًا عميقًا للبدو، لقوتهم وقامتهم وخفة حركتهم وقدرتهم على التحمل وشجاعتهم[177]. وظهر التضامن الإسلامي أيضًا من خلال كرم المصريين الذين سمحوا بإنشاء خمس مستشفيات في برقة[178]. لكن زخم تضامن الرأي العام الإسلامي تجلى أكثر عبر البيانات منه عبر المساعدات الملموسة بالرجال والسلاح والمال[179].

---

(174) S.H.A.T., 7N1637, Constantinople, rapport no. 364 du 27 janvier 1912.

(175) وفقًا لعثمان بيك، لم يملك السنوسيون أقل من 30 مليون فرنك في البنوك المصرية. يُنظر: Ibid.

(176) Ibid.

(177) وفقًا للتوصيف الذي قدَّمه عثمان بيك، فقد كانوا مكشوفي الساقين والذراعين، والجذع تغطيه فحسب قطعة قماش من الصوف الأبيض، يمتزج لونها بلون التربة. كان جهازهم العضلي ممتازًا، وكانوا يركضون بخفة لا تصدق مسافة كيلومترات عدة، ولا يكادون يستريحون. في النهار، كانوا يقفون مستعدين للقتال، وفي الليل، كانوا يرقصون ويغنون مآثرهم أو يرددون آيات من القرآن الكريم، بينما تقوم زوجاتهم بالطبخ. كانوا مسلحين ببنادق ماوزر ومارتيني هنري وغراس، وكانوا يستخدمون أيضًا البنادق التي استولوا عليها من الإيطاليين. لم يأخذ البدو من أعدائهم الملبس والسلاح فحسب، بل أيضًا مبالغ كبيرة من المال. وترك أنور بيك هذه الغنيمة لمن يجدها، فيما جمعت النساء البدويات ما تبقى. يُنظر: Ibid.

(178) Ibid.

(179) O. Koloğlu, *Libya Savaşında Islam Kamuoyu.*

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

استمرت الحرب الإيطالية - التركية في خلفية المشهد، واستمر ضباط وجنود عثمانيون بتجنيد المتطوعين المحليين حتى عام 1919[180]. وكان أنور قد خلق نسيجًا مقاومًا منذ بداية الصراع[181]. وعَرَّف المقاومة العربية التي قام بتأليفها على النحو الآتي:

... «ما هو أساس، هو أن العرب التابعين لي مثيرون للإعجاب حقًا، ويستحقون كل الثناء. ولمواصلة الحرب لسنوات وسنوات، أنا أعمل على رفع القادة المساعدين والقادرين على التحرك بناء على رغبتي، لكن مع مبادرة الجندي المتعلم، حيث إن غيابي أو اختفاء أي شخص لن يتمكن من وقف المقاومة العربية أو إبطائها»[182].

عندما جرى توقيع السلام، التقى أنور باشا أحمد الشريف السنوسي. وفُسرت زيارته على أنه وفد من جلالة السلطان إلى الشيخ[183]. ومُنح لقب «نائب السلطان في طرابلس الغرب وبنغازي» (*na'îb as-sultan Trablusgarb-u Bingâzî*)[184]، في بداية الحرب العالمية الأولى. كانت هناك حربٌ أخرى بدأت تشتعل في الأراضي الأوروبية للسلطنة: حرب البلقان الأولى. فاستدعي عدد من الضباط والجنود الأتراك للقتال على هذه الجبهة الجديدة. ولدى مغادرته، سلم أنور قيادة جبهة درنة إلى عزيز المصري. ونشأت مشكلات منذ ذلك الحين، لأن عزيز بيك لم يسلم القوات العربية الأسلحة والمواد الغذائية المخصصة لهم، ما أثار العداء تجاه الضباط الأتراك. وحوكم عزيز على سلوكه المريب في عام 1914 في محكمة عسكرية في اسطنبول[185].

---

(180) Martel, *La Libye 1835-1990*, pp. 86-88.

(181) اتُخذ هذا القرار حتى قبل وصوله إلى طرابلس. وفي رسالة قال: ...«في المحطة، اصطحبني الرفاق الذين كانوا بانتظاري إلى اللجنة المركزية. واستمر المؤتمر أكثر من خمس ساعات قبلوا في نهايته فكرتي المتعلقة بطرابلس. باختصار، إذا ما أجبرت الحكومة على الإذعان للإيطاليين، سنواصل نحن حربنا، أولًا، بتأليف حكومة موقتة في طرابلس، ومن ثم من طريق المقاطعة العامة. وحدها رغبتنا يمكنها تغيير هذه الفكرة. ولمواصلة القتال، نحن نقترح على الحكومة شن حرب عصابات»... سالونيك، في 4 أيلول/ سبتمبر 1911،

(182) Hanioğlu (prép. à publ.), *Kendi mektuplarinda*, p.77.

Ain-al-Mansûr, le 24 décembre 1911, in: Hanioğlu (prép. à publ.), *Kendi mektuplarinda*, p. 105

(183) يُنظر:

(184) Martel, *La Libye 1835-1990*, p. 91.

(185) ممثل السلطان في طرابلس الغرب وبنغازي.

O. Koloğlu, «Aziz Ali neyin peşindeydi?,» *Popüler Tarih* (Istanbul, May 2002), pp. 36-40.

2- بداية حروب البلقان

فاجأت الحرب العثمانيين في ظروف غير مواتية للغاية، إذ كانت قضية الحرب مع إيطاليا لا تزال معلقة على الصعيد الخارجي، ولم يكن قد تحقق السلام بعد. من ناحية أخرى، تواصل الاضطراب الداخلي مصحوبًا باقتتال داخلي. إضافة إلى ذلك، كانت القوات المتاحة قليلة جدًا، إذ جرت تعبئتها من أجل صراعات أخرى. كما تأخر وصول القوات مدة طويلة، إذ اضطرت القوى في الأناضول جميعها إلى المرور في مضيق بحر مرمرة المختنق. أما بالنسبة إلى الفيلق الثامن، فقد تمت تعبئته في سوريا بـ 60,000 جندي كانوا قد خدموا في اليمن لمدة عامين[186].

تطور القتال بسرعة كبيرة لغير مصلحة العثمانيين. وفي مطلع تشرين الثاني/ نوفمبر، غزا البلغار تراقيا الشرقية وحاصروا أدرنة في نهاية تشرين الأول/ أكتوبر، ثم وصلوا إلى خط تشاتالجا. ثم ضمت اليونان كريت، واحتلت إبيروس ومقدونيا الجنوبية وسالونيك، واستولت على جزر عدة. واستقر الصرب في شمال مقدونيا وكوسوفو والجبل الأسود وأشقودرة الألبانية. ثم وقع الأتراك والبلغار هدنة في تشاتالجا في 3 كانون الأول/ ديسمبر 1912. أما مؤتمر لندن الذي عقد في شهر كانون الأول/ ديسمبر 1912، فقد فشل بسبب مطالب المتحاربين[187].

منذ حرب البلقان، أثّر اثنان من التغييرات الكبرى في الملاكات كلها: الأذونات أولًا والسياسة على وجه الخصوص. في الواقع، لم يتردد الضباط في طلب إجازة من 10 و20 وحتى 30 يومًا للاسترخاء في اسطنبول، وكانت تمنح لهم[188]. ومنذ وقف الأعمال العدائية، مارس الضباط السياسة أكثر من أي وقت مضى. وأدى السجن ومحاكمة الاتحاديين الرئيسيين، ومسؤولية القادة جميعهم في الكوارث الأخيرة، وشروط الهدنة والمفاوضات التي جرت في لندن، إلى تغذية المناقشات، حيث كانت بمنزلة ذريعة للاتهامات. اتُّهِمَ ناظم باشا بالعجز

(186) S.H.A.T., 7N1637, Constantinople, rapport no. 533 du 2 octobre 1912.

(187) Dumont et Georgeon, «La Mort d'un Empire,» pp. 607-608.

(188) S.H.A.T., 7N1637, Constantinople, rapport no. 546 du 20 décembre 1912.
لا يمكننا إلا أن نستغرب منح مثل هذه الإجازات، بعد اعتماد القانون المتعلق بإجازات الضباط.

Scanned with CamScanner

في الإعداد للحرب وإدارتها. وانتُقِدَ بشكل خاص لأنه أخفق في مسألة تموين أدرنة. كما أعلن الاتحاديون أنهم لن يتخلوا أبدًا عن هذه المدينة التي في حال جرى تموينها، لن تسقط أبدًا. واتُهم ناظم باشا بأنه لم يكن يريد القتال، وطالبوه بالاستقالة. كما أنهم سحبوا ثقتهم منه، ولم يسمحوا له بالتوقيع على السلام باسمهم. هو الذي سعى لمنع الضباط من ممارسة السياسة، اتُّهِم بأنه استولى على السلطة من خلال مؤامرة. وسعى ناظم باشا، من طريق التنازلات، لأن يتصالح مع الضباط الاتحاديين الأكثر تأثيرًا، لكن من دون نجاح(189).

أما بالنسبة إلى الضباط المنتمين إلى حزب الرابطة العسكرية، فاعتبروه مشتبهًا به، بسبب محادثاته مع المسؤولين الاتحاديين. واتهمه الأكثر قسوة منهم بالخيانة، وبلغ بهم الأمر حد التوافق مع خصومهم من أجل نعته بالعجز. وكان الوضع في الوزارة مهتزًا جدًا(190).

بعد الحرب، أعلن محمود شوكت باشا أن اعتماد خيار الهجوم كاد يكون خطأً فادحًا، لأن الجيش لم يكن مستعدًا للقتال. وقال إن عبد الله باشا كان يوافقه الرأي، وإنه كان من الخطأ جعله كبش الفداء في الكوارث التي حدثت. وأضاف أنه لم يستطع أن يفهم كيف يمكن ناظم باشا التوقيع على أمر بالهجوم العام، مع علمه بوضع الجيش. فقيادة الأركان - المتمثلة بشخص برتيف باشا - والذي كان يُفترض به أن يفيده بالمعلومات حول وضع القوات، زاد عزمه على اتخاذ قرار الهجوم. وقال محمود شوكت باشا إنه لم يكن يثق به وإنه رفض، ما دام وزيرًا، ترك قيادة الأركان العامة له، والتي كان يطمح إليها. ووصفه بأنه «شاب يافع يصلح لخوض الحرب على خريطة مع أعلام صغيرة»(191). وكان قد كون رأيه فيه في خلال العام السابق، عندما كان رئيس الأركان لدى عبد الله باشا ضد تمرد قبائل الماليسور. وكان قد طلب 20 كتيبة، في حين أن أربع كتائب كانت لتكفي. كما استقدم إلى تراقيا آلاف الرجال، وأهمل الباقي كله؛ إذ كان عليه أولًا إرسال

---

(189) Ibid.

(190) Ibid.

(191) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 548 du 21 décembre 1912.

الذخيرة والمؤن، ومن بعدها إرسال الجنود[192]. فحمله محمود شوكت باشا مسؤولية الهزيمة. مع ذلك، كان ثمة من شاركه الرأي، إذ كان محمود مختار باشا أيضًا من المؤيدين للخطة الهجومية، حيث لم يكن يعتقد بوجوب التمسك بخطة فون در غولتز، والحفاظ على الدفاع عن إرغيني (Erghene)[193].

رأى محمود شوكت باشا أن هؤلاء الشبان جميعهم لا يعرفون جنودهم، وقد كانوا مخطئين بالتشكيك بهم ولومهم على الفرار. في الواقع، فر كثير من الضباط أولًا، مقدمين عذرًا وحيدًا بأنهم لا يستطيعون القتال مع مثل هؤلاء الجنود. هؤلاء كانوا على استعداد للقتال شريطة أن تتوافر لديهم الطلقات والخبز. لكن لم يكن لديهم شيء. وقال إنه بعد وقوع كوارث مثل تلك التي شهدوها، قد لا تعود القوات الفرنسية أو الألمانية في متناول اليد، وإنما الجنود الأتراك، الذين كانوا لا يزالون «خامًا»، فبدلًا من الهرب معهم، كان يجب تموينهم[194].

أما بالنسبة إلى محمود مختار باشا، فجرّم هيئة الأركان العامة التي قصرت في أدائها، وقال:

> «حتى لو أن كل شيء كان ضدنا: مفاجأة العدو والخطأ في التنظيم وطبيعة الأرض وسوء الأحوال الجوية وسواها، كان بإمكاننا أن ننسحب بشرف، لو كانت القيادة العليا في مستوى مهمتها. لكنها كما تعلمون، كانت دون المطلوب»[195].

بعد النقد الذاتي ضد هذا الإخفاق العسكري، استنتج محمود مختار باشا أنه، إذا كان العسكريون قد ارتكبوا أخطاء كبيرة - ويتحملون مسؤولية جسيمة - فإن هذه الأخيرة يجب أن تكون مشتركة مع وزارة الأشغال العامة، المسؤولة من جانبها عن البنية التحتية للسكك الحديد. وكانت لديه كلمات قاسية جدًا ضدهم:

> «... أولئك الذين يجب أن يُشنقوا، هم مسؤولو الأشغال العامة، هؤلاء الرجال

---

(192) Ibid.

(193) S.H.A.T., 7N1636, Constantinople, rapport no. 551 du 23 décembre 1912.

(194) Ibid.

(195) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 565 du 7 février 1913.

Scanned with CamScanner

الذين لم يجدوا، طوال أربع سنوات، وسيلة لبناء الطرق والسكك الحديد التي يُفترض أن تكون ضرورية لنا في حالة الحرب. كان يكفي مبلغ 13,000 ليرة لاستكمال جزء من 30 كيلومترًا بين فيس وكيركيليس. آه! لو تم ذلك! لكنّا تجنبنا جميع هذه الخسائر في الرجال والمعدات! ومن بابا إسكي إلى لولي بورغاز، كان الوضع هو نفسه!»[196].

علاوة على ذلك، نشأت مشكلات أخرى في أثناء التعبئة. وشكل النقص في خيول الجر مشكلة كبيرة، وتسبب في تأخير كبير لأفواج سلاح المدفعية[197].

قرر قادة «تركيا الفتاة» ممارسة دكتاتورية حقيقية. وفي خلال مفاوضات السلام، لم يتهاونوا في مسألة أدرنة. ووفقًا لتصريحات أفاد بها جمال بيك للملحق العسكري الفرنسي، فقد توقع استئناف السياسة الألمانية، وعبر عن ذلك بما يلي:

«باختصار، لدينا مع الألمان الوسيلة الأفضل لإسماع صوتنا، لأن عدوّنا مشترك: أي السلاف»[198].

في خلال المفاوضات في لندن، أجمع الضباط على المطالبة بأدرنة، وإلا ستكون هناك حرب. وأيدت الأغلبية هذا الحل الأخير، وقالت:

«الآن، نحن مستعدون؛ وعلينا أن ننتقم»[199].

شاع في الأوساط العسكرية تمجيد الشرف العسكري الجريح الذي يتوق إلى الانتقام. كما سعت المصالح السياسية والشخصية لتحقيق ذاتها. وقد كانت على استعداد للمخاطرة بكل شيء؛ إذ لم يعد هناك شيء لتخسره. أما الشكاوى المتكررة من عدم تبصر القيادة العليا وعجزها، وتطاحن كبار الضباط في ما بينهم، فخلق حالة من الهيجان، حيث كان هناك انشغال بالسياسة أكثر من العمل على الاستعدادات العسكرية[200].

---

(196) S.H.A.T., 7N1637, Constantinople, rapport no. 471 du 27 juin 1912.

(197) Ibid.

(198) S.H.A.T., 7N1637, Constantinople, rapport no. 548 du 21 décembre 1912.

(199) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 554 du 11 janvier 1913.

(200) Ibid.

Scanned with CamScanner

رأى المسؤولون أن ضباط الاحتياط وضباط الصف لم يكونوا لامعين في أدائهم. واتُهِموا بأنهم كانوا يفتقرون إلى المبادرة، وإلى السلطة على رجالهم وإلى الشجاعة. وجرى تقييم الضباط الأصغر سنًا والأكثر تعلمًا بأنهم الأفضل، في حين اعتبرهم رفاقهم «ضباط صالونات». وبانت قيمة الجنود غير المسلمين، من اليونانيين والأرمن والبلغار، لأنهم قاتلوا بشكل جيد. في المقابل، فإن سكان المدن - وخصوصًا الاسطنبوليين - شكلوا لهم مشكلة، لأنهم كانوا لا يقوون على المسير[201].

S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 558 du 14 janvier 1913. (201)

Scanned with CamScanner

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

الفصل السابع

الجناح العسكري لتركيا الفتاة في السلطة (1913-1914)

لغاية عام 1913، عاش قادة «تركيا الفتاة» على أمل أن يستطيعوا العيش مرة أخرى داخل حدود الدولة العثمانية التي جرى الاعتراف بها في مؤتمر برلين في عام 1878. وكانت الأيديولوجيا الرسمية لجمعية الاتحاد والترقي في البداية هي العثمانية، لكنهم تطوروا تدريجًا إلى هوية أكثر إسلامية، وقومية تركية[1].

كانت حروب البلقان قد حطمت بعمق معنويات قادة «تركيا الفتاة» وضباطها. لذلك، بدا أن الحرب هي الطريقة الوحيدة لاسترداد الأراضي المفقودة. ولتحقيق هدفهم، لم يروا الخلاص إلا في القومية التركية والتحديث. وقاد الثلاثي أنور وطلعت وجمال البلاد. ونجح أنور في تحقيق تقدم غير مسبوق، وكانت له اليد الطولى في الشؤون العسكرية منذ بداية عام 1914.

أولًا: الجيش يستولي على السلطة

في هذه الحقبة من الأوقات العصيبة وخيبات الأمل، فرض الجناح المتشدد في جمعية الاتحاد والترقي نفسه؛ إذ قام بتغذية استراتيجية حقيقية للاستيلاء على

(1) M. Gencer, *Jöntürk Modernizmi ve «Alman Ruhu»* (Istanbul: Iletişim, 2003), p. 40.

Scanned with CamScanner

السلطة، علمًا أنه أمر مكلف. لكن مهما كان الثمن، استبعدت جمعية الاتحاد والترقي أولئك الذين لا يريدون السياسة في الجيش، وتصرفت بطريقة استبدادية.

1- الهجوم على الباب العالي

أوصل هذا الانقلاب بقيادة أنور، محمود شوكت باشا إلى السلطة في 23 كانون الثاني/ يناير 1913. وقبل وقت قصير من هذه الأحداث، عبر أنور عن الحالة المعنوية بما يلي:

> ... «لا يخشى من ردة الفعل تجاه النظام القديم، فهو جدير فحسب بخزينا تمامًا في نهاية المطاف؛ إذ بماذا ينفع أن تكون وطنيًا مخلصًا أو جنديًا! لا، أريد أن أسبح ضد التيار أو أموت في قعر الهاوية. ولا تلوموننني إن كنت أكتب في حين أن بلادي على شفير الهاوية»...[2].

لم تتردد المعارضة في توجيه الاتهام إلى الحكومة بالتراخي، عبر قبولها التخلي عن أدرنة لمصلحة البلغار، وناضلت من أجل المقاومة. وتوجهت مفرزة من الجنود إلى الباب العالي، ووقفت في قاعة مجلس الوزراء، فقام أنور، وسلاحه في يده، بإجبار كامل باشا على الاستقالة. وكان على رأس هذه المفرزة اللواء جمال باشا والعقيد أنور بيك مع عشرات من الضباط[3]. وفي خلال هذه الأحداث، اغتيل وزير الحربية ناظم باشا[4]. وأنهى هذا الانقلاب فترة فاصلة ليبرالية امتدت ستة شهور.

---

(2) في 11 كانون الثاني/ يناير 1913، في: Ş. Hanioğlu (prép. à publ.), *Kendi mektuplarinda Enver Paşa* (*yayına hazirlayan*) (Istanbul: Der Yayınları, 1989), p. 202.

(3) منذ نهاية كانون الثاني/ يناير 1913، بدا من المؤكد أن هذا الانقلاب كان من تدبير طلعت وأنور. ينظر: Service historique de l'armée de terre, archives militaires françaises à Vincennes (S.H.A.T.), 7N1638, Constantinople, rapport no. 560 du 30 janvier 1913, et P. Dumont et F. Georgeon, «La Mort d'un Empire (1908-1923),» dans: R. Mantran (éd.), *Histoire de l'Empire ottoman* (Paris: Fayard, 1990), p. 608.

(4) استنكر كثير من الضباط مقتل وزير الحربية، الذي كانوا يثنون على نبله واعتداله، تلك الصفات التي بفضلها لم تعامل حكومة كامل باشا مؤيدي تركيا الفتاة بقسوة. مع ذلك، وافقوا على الاعتراف بأنه كان متهورًا في إدارة الحرب، وكذلك في اتخاذ التدابير العسكرية الضرورية لسلامة الحكومة وسلامته الشخصية. يُنظر: Ibid.

Scanned with CamScanner

حوالى الساعة الثانية من يوم 23 كانون الثاني/ يناير 1913، توجهت تظاهرة إلى الباب العالي احتجاجًا على التخلي عن أدرنة. وكان بين المحتجين بعض الضباط وعدد كبير نسبياً من الطلاب. وحمل هذا الانقلاب الاتحاديين إلى السلطة التي حافظوا عليها حتى نهاية الحرب العالمية الأولى[5]. وجرى تعيين محمود شوكت باشا في منصب الصدر الأعظم ووزير الحربية، وجمع حوله زملاءه السابقين جميعهم، مستبعدًا أولئك الذين لديهم ارتباطات بحزب الرابطة[6].

كانت أدرنة بالنسبة إلى الاتحاديين مسألة شرف وطني. وقال جمال بيك في هذا الخصوص:

.. «كان يجب علينا أن نتحرك، وكان هناك متسع من الوقت للقيام بذلك لتجنب فيضان من الدماء. شعرنا أنه كان من المستحيل أن نلجم الشعب الذي لا يريد أن يتخلى عن أدرنة، والجيش الذي يريد الثأر لشرفه والانتقام. كان يجب التخلص من مجلس الوزراء وهذا ما كنا نريد القيام به، لا شيء آخر... لن نوافق على السلام إلا إذا احتفظنا بأدرنة. وما دام لتركيا جيش يستطيع القتال، فإنها لن توافق على خسارة عاصمتها الثانية. حتى إننا سنحتفظ بها مفككة إذا لزم الأمر. لا يزال بوسعنا أن نوافق على ذلك، لكننا سنحتفظ بها. خلافًا لذلك، وبحق الله! بمَ نخاطر؟ بتقطيع عام للأوصال؟ أنا أوافق على ذلك. لكن ذلك ينتظرنا بعد سنوات من الآن، إن سقطت الحدود الجديدة في تراقيا فعلًا، إن لم نقل حدودنا في أوروبا. سنموت فحسب مبكرًا، هذا كل شيء»[7].

وأضاف:

... «لا يمكننا التنازل عن أدرنة؛ وإذا كنا نريد الاحتفاظ بها، فذلك ليس بسبب الاعتبارات الاستراتيجية؛ فمع الحدود الجديدة، لا يجدر البحث في الأمر، لكن بسبب أنه لا يمكننا أن نخسرها من دون أن نفقد شرفنا؛ إذ بعد أدرنة، سيأتي غدًا، أو بعد غد ربما، دور الآستانة [اسطنبول]. يجب أن يأتي وقت نقول فيه لا. وقد حان هذا الوقت. ومن خلال مقاومة المطالب البلغارية، نحن نعيد إلى الأمة

(5) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 559 du 25 janvier 1913.

(6) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 560 du 30 janvier 1913.

(7) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 559 du 25 janvier 1913.

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

الشعور بوجودها، ونثير فيها غريزة البقاء. فيما عبر التخلي عن أدرنة، تتخلى الأمة عن نفسها؛ لكن ماذا إن سقطت المدينة؟ حسنًا، نحن لن نستسلم على الرغم من ذلك! حيث إن استسلمنا سيستولي البلغار على الآستانة، وسيعبرون إلى آسيا، ويحتلون دمشق وحلب وقونية وبغداد، وسنكون نحن حوالى 15 شخصًا فقط في البصرة، رافضين التخلي عن أدرنة!»[8].

إن أُشبِعَت هذه الكلمات بالاستعارات المبالغ فيها، فلأنها كانت تدل على الحالة المعنوية التي كانت سائدة لدى الأوساط الحاكمة من تركيا الفتاة. ويبرود وحزم، ختم جمال:

«مع فتحي في جيش غاليبولي، وأنور في الفيلق العاشر، بإمكاننا أن نبني آمالًا كبيرة»[9].

في الواقع، تغذت هذه المشاعر بالأمل في «انتقام عاطفي» مليء بالتهور. فكنا نود أن نعرف، على سبيل المثال، كيف يمكن لآخر فَلّ من خمسة عشر رجلًا في البصرة أن يعوق سقوط أدرنة؟ أعربت هذه الاستعارات الأدبية والروح الانتقامية عن جرح لا يُحتمل، وإهانة لا سابق لها في حق الشرف الوطني، كان من الضروري غسلها، مهما كلف الأمر.

أما بالنسبة إلى أنور، فتوقع أن ينشئ الجيش جبهة مشتركة للدفاع عن أدرنة، وأن تكون المعركة لمصلحتهم. وعلى النقيض من جمال، كان يعتزم شن هجوم والاستيلاء الفوري على أدرنة[10]. وفي جنازة ناظم باشا[11]، أدلى بالتصريحات الآتية:

---

(8) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 563 du 7 février 1913.

(9) Ibid.

(10) لم تتوقف ألمانيا، والتي أصبحت المستشار المعتمد من حكومة تركيا الفتاة، عن تقديم المشورة لها في المقاومة، واستئناف القتال. وأيدت هذه السياسة من طريق إرسال الأسلحة والذخائر والمعدات العسكرية والتجهيزات الجديدة التي وافقت الصناعة الألمانية على منحها. ومع موافقة مسبقة من المالية الألمانية، أصبح من الممكن دفع رواتب جميع المسؤولين الذين لم يتلقوا رواتبهم منذ 14 كانون الثاني/يناير 1913، يُنظر: S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 560 du 30 janvier 1913.

(11) سَرَت شائعات بأن المتطوعين الشركس واللاز (ناظم باشا كان شركسي الأصل) ثاروا وطالبوا بتسليم جثة وزيرهم السابق لتنظيم جنازة لائقة له. يُنظر: Ibid.

... «لا تظنوا أن الجيش منقسم في الوقت الحاضر. وفي ما يتعلق بمسألة أدرنة، ليس له إلا رأي واحد فحسب. بالتأكيد، هناك دومًا ضباط يؤيدون الاتحاديين وضباط يؤيدون الرابطة. لكن الآن ليست المسألة قضية حزب، بل هي قضية وطنية... جيشنا الآن أفضل بعشر مرات مما كان عليه في بداية الأعمال العدائية. وسنقوم بقيادته بشكل أفضل، وسنجدد قيادته العليا. والآن، رجالنا كلهم مخضرمون ومتعلمون، وقاموا جميعًا بإطلاق ما لا يقل عن الأربعين طلقة. لدينا من الذخيرة أكثر مما يلزم. وهذه المرة، لن يموت رجالنا من الجوع...»[12].

مع ذلك، لم يكن الجيش كتلة متجانسة وراء مطالب جمعية الاتحاد والترقي. وظهر تياران بين الضباط. الأول، هو رأي الاتحاديين المتطرفين، الذين أعلنوا أن السلطة ليست على عجلة من أمرها، لذا عليهم مواصلة النضال لأجل غير مسمى، وأنهم يتوقعون حريقًا أوروبيًا شاملًا. والرأي الثاني أن البلاد ليس لديها ما تربحه من الحرب، ولن تتمكن من استعادة أدرنة، وأنه لم يكن يستحق الأمر أن يقتل ناظم باشا والكثير من الرجال من أجل لا شيء. بما أن الشرف قد صين، فإن من الأفضل تحقيق السلام. لكن الحكومة المنبثقة من انقلاب 23 كانون الثاني/ يناير 1913 ما كان يمكنها أن تجد الحل عبر التخلي عن أدرنة[13].

ارتفعت أصوات متعارضة، وأرسلت لجنة العمل التابعة لسلك الضباط بيانًا رسميًا إلى وزير الحربية، متهمة إياه بإعلان استعداده لقبول السلام بشروط أسوأ من تلك التي قبلت بها الحكومة السابقة، وبعدم فتح التحقيق في مقتل ناظم باشا، داعية إياه إلى تقديم استقالته[14].

كان الساسة والعسكريون يزاوجون في ما بينهما سلطات متماثلة. فالعسكريون قد أصبحوا في السلطة، وباتوا من صنّاع القرار السياسي. لكنهم لم يؤمنوا الإجماع في الجيش، لذا اعتبرت قراراتهم سياسية في المقام الأول، ولا تستحث الانضباط العسكري. واختل التوازن نتيجة هذا الخلط بين السلطات

---

(12) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 559 du 25 janvier 1913.

(13) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 570 du 27 février 1913.

(14) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, annexe au rapport no. 573 du 24 mars 1913.

يُنظر الملحق.

Scanned with CamScanner

والأساليب، والذي حمل في طياته طابعين رئيسين اثنين هما: هيمنة الجيش على الساحة السياسية مع ما تستتبعه، وتسلل السياسة إلى المجالات العسكرية. فتبددت حيادية هذه المؤسسة، وتعرضت وحدتها للتهديد. وكانت أفكار أحد الضباط في هذا الخصوص مفيدة:

«سيبقى جيشنا ضحية السياسة إلى الأبد. إن جنرالاتنا السياسيين، وأبطال الحرية هم من أوصلونا إلى ما نحن عليه. لا يمكننا الهروب من المصير الذي ينتظرنا، حيث ليست هناك إلا الكراهية والدم بيننا!»[15].

ساد شكل من أشكال الفوضى في الجيش والدولة، ولدته المؤامرات الدائمة. كان الاتحاديون على استعداد لقلب الحكومة لو أنها استسلمت، كما خطط التوافقيون لاستعادة السلطة. فطالب بعضهم بالانقلاب على الفور قبل عار التخلي عن أدرنة[16]. وقام الاتحاديون، على سبيل المثال، بنفي خصومهم «التوافقيين» إلى أرزينجان[17]. لم يعد الانضباط كما كان عليه. وقام وزير الحربية وجمال بيك بمضاعفة التعاميم ليضموا إلى الجيش الضباط الذين رفضوا ذلك. وأولئك الذين قبضت عليهم السلطات العسكرية مثلوا أمام المحكمة العسكرية[18]. كما ذهب طلعت بيك خفية في 26 شباط/ فبراير إلى الدردنيل، لتهدئة هيجان ضباط الجيش وأفراد الأسطول الذين كانوا منزعجين جدًا[19].

---

(15) SHAT. 7N1638. Constantinople, rapport no. 570 du 27 février 1913.

(16) SHAT. 7N1638. Constantinople, rapport no. 571 du 12 mars 1913.

(17) ذكرت البيانات الرسمية حالة ستة ضباط «توافقيين» وعشرة من الاتحاديين، لخلق حالة من الوهم. ولم تكن هذه الأرقام معقولة بالنسبة إلى الملحق العسكري الفرنسي. يُنظر: Ibid

(18) بعد التحقيق، تبين أن هناك مجموعة تشكلت كحركة ثورية لإطاحة الحكومة. وتألفت هذه المجموعة من الأشخاص الآتية أسماؤهم: لطفي بيك المعين أمين سر للأمير صباح الدين، وصدقي بيك من أرضروم، وسعيد ابن أحد وجهاء موش، وحسن المقيم في هورهور، قرب آق سراي، وآخرين لم يتم الكشف عن أسمائهم لكنهم كانوا يجتمعون في منزل الأمير صباح الدين. يُنظر البيان الرسمي المتعلق بالمؤامرة.. في: SHAT. 7N1638. Constantinople, annexe au rapport no. 571 du 12 mars 1913.

(19) Ibid

كان جيش تشاتالجا مهتاجًا منذ بداية عام 1913. وشاع خبر أنه في شهر كانون الثاني/ يناير حدثت المواجهات في جيش تشاتالجا. ووقع 280 جريحًا، معظمهم من الضباط، وتمت إعادتهم إلى المستشفيات. كما شاع خبر آخر عن قطار بأربعين عربة وصل إلى سيركيجي مليئًا بالجرحى، يُنظر:
SHAT. 7N1638. Constantinople, rapport no. 560 du 30 janvier 1913.

2- نهاية حروب البلقان وإعادة تنظيم الجيش

بعد أيام قليلة من الهجوم على الباب العالي، قطعت المفاوضات في مؤتمر لندن. وفي 3 شباط/ فبراير، استأنف البلغار القصف على أدرنة وتشاتالجا. وانتهت حرب البلقان الأولى على النحو الآتي.

نجح الأتراك في الانتقال إلى خط الهجوم، لكن من دون نتيجة تذكر. واستولى اليونانيون على يانينه، في 6 آذار/ مارس، كما سقطت أدرنة في 28 آذار/ مارس. ومن ثم، في منتصف نيسان/ أبريل، احتل سكان الجبل الأسود أشقودرة الألبانية. استؤنفت المفاوضات في لندن في نهاية شهر أيار/ مايو. وفي 30 أيار/ مايو 1913 جرى توقيع معاهدة تحرم السلطنة من أراضيها الأوروبية جميعها، باستثناء حزام ضيق حول اسطنبول[20].

في البلقان، وبعد التوقيع على معاهدة لندن، تقاتل الأعضاء السابقون في التحالف البلقاني بشراسة على تقاسم الأراضي المحتلة. كان الجميع مستائين، وفي نهاية حزيران/ يونيو 1913، قام البلغار الغاضبون من رؤية مكاسبهم الإقليمية يتنازع عليها في كل مكان، بشن هجوم ضد صربيا واليونان، أي ضد حلفائهم السابقين. وكانت هذه الحرب البلقانية الثانية أقصر بكثير من الأولى؛ إذ استمرت 15 يومًا فقط. هُزِمَت بلغاريا، وانتقلت الدولة العثمانية إلى خط الهجوم، واستعادت أدرنة، المدينة الرمز، في 22 تموز/ يوليو 1913. أعيد التفاوض حول السلام، وحددت معاهدة بوخارست في 10 آب/ أغسطس 1913، التي استُكملت باتفاقات أخرى، تقسيمًا جديدًا للأراضي في منطقة البلقان. من جانبها، أكدت الدولة العثمانية سيادتها على أدرنة والأراضي الواقعة شرقي ماريتزا (المعاهدة التركية - البلغارية في 29 أيلول/ سبتمبر 1913). هكذا تعرضت الدولة العثمانية، التي بُتر معظم أراضيها الأوروبية، لصدمة قاسية، خُفِّفَت بعد استرداد أدرنة وتراقيا الشرقية[21].

---

(20) Dumont, et Georgeon, «La Mort d'un Empire (1908-1923),» p. 609.

(21) Ibid., pp. 610-611.

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

في خلال حرب البلقان الأولى، بدأ وضع أسس إعادة تنظيم الجيش العثماني، لكنها لم تنفذ إلا بعد انتهاء الحرب. أصبح التنظيم الجديد مناطقيًا، وهو مستوحى من نظام الجيوش الفرنسية والألمانية، تقرر بموجبه التخلي عن الاحتياط الرديف. وقسمت الأناضول إلى مناطق لكل منها فيلق من الجيش، حيث ستتمركز الوحدات الناشطة التي ستؤمن من هناك مواردها ورجالها الإضافيين اللازمين للتعبئة. وكان ينبغي النظر في تخفيض عدد فيالق الجيش، لأن النقص في الكوادر - الضباط وضباط الصف - فضلًا عن موارد السلطنة الآنية، لم يسمحا بالحفاظ على فيالق السلطنة الأربعة عشر، ومعها الفرق الثلاث المستقلة من الجيش النظامي[22].

نص قانون التجنيد الجديد على أن مدة الخدمة في الجيش النظامي لن تتغير: 3 سنوات و6 سنوات و9 سنوات. لكن مدة الخدمة في الحرس الوطني رُفِعَت من سنتين إلى 7 سنوات. أما جنود الاحتياط فلن يكونوا بعد الآن في فرق مستقلة عن إمرة قيادة الجيش. وعهدت خدمة التأطير هذه إلى ضباط مختصين[23].

أوصى المفتش العام (المستشار) فؤاد باشا بالخدمة العسكرية الإقليمية، وعرضها على النحو الآتي:

«هناك شيء واحد لا يمكننا أن ننكره، وهو أن الخدمة العسكرية أصبحت بغيضة لمواطنينا، لأنه أسيء استخدام الاستدعاءات، ولأنهم لا يريدون الذهاب لأداء خدمتهم العسكرية في مناطق بعيدة، المناخ فيها قاتل بالنسبة إليهم. من الضروري أن تكون الخدمة العسكرية إقليمية. وطنهم هو منطقتهم، ولا جدوى من الاعتماد على وطنية هؤلاء الرجال البسيطين والجاهلين عندما نرسلهم إلى سوريا أو أرمينيا للدفاع عن تراقيا»[24].

تم تأييد هذه التوصية، وأتم المجندون خدمتهم العسكرية في وقت السلم في المفتشية العسكرية لمنطقتهم. وفي حال أمرت الحكومة بتعزيز الحاميات الحدودية،

---

(22) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 598 du 26 mars 1913.

(23) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 624 du 3 août 1913.

(24) Ibid.

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

كان على الجميع الطاعة. وحدهم الجنود المتجهون إلى الحجاز واليمن وعسير ونجد، كان يتم اختيارهم بالتناسب مع عديد قوات السلطنة بأكملها[25].

بعد حرب البلقان الثانية، كان الاستياء عامًا في الجيش، سواء بين الجنود – الذين كانوا يطمحون فحسب إلى العودة إلى ديارهم – أم بين الضباط الذين أعربوا عن الأمر علنًا. وأصبح كثير من الضباط معادين للاتحاديين[26]. واتهموا طلعت وأنور وجمال بالتصرف كطغاة حقيقيين. وبلغ الاستياء أيضًا وزير الحربية أحمد عزت باشا – وهو رجل محترم في الجيش – ونائبه محمود باشا. وكان الجيش أحد أصعب المشكلات التي واجهتها الحكومة[27].

3- اغتيال محمود شوكت باشا

في 11 حزيران/ يونيو، وبعد أيام قليلة من توقيع معاهدة لندن (30 أيار/ مايو 1913)، وحرمان السلطنة من أراضيها الأوروبية جميعها باستثناء حزام ضيق حول اسطنبول، اغتيل محمود شوكت باشا على قارعة الطريق، عند مغادرته وزارة الحربية. كان «الوفاق الليبرالي»، بقيادة كامل باشا، قد قام بإعداد «انقلاب مضاد» قبل وقت قصير، إذ أراد أن يثأر للانقلاب الذي أعاد الاتحاديين إلى السلطة قبل بضعة شهور. ويبدو أن مشاركة الجيش في المؤامرة كانت أمرًا لا يمكن إنكاره، لكن إلى أي مدى سيصل الجيش؟[28]. كان القمع رهيبًا. وحُكِم غيابيًا على ستة عشر شخصية بالموت، من بينهم صالح باشا، قريب لعائلة السلطان، والأمير صباح الدين[29]. واتخذت جمعية الاتحاد والترقي الكثير من الخطوات لتعزيز موقعها: إعلان حالة الطوارئ، واعتقال أعضاء المعارضة ممن تطالهم اليد، وإغلاق المؤسسات الصحفية المشبوهة.

---

(25) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 636 du 31 août 1913.

(26) 80 في المئة من الضباط يفترض أن يكونوا ضد الاتحاديين،
S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 642 du 21 septembre 1913.

(27) Ibid.

(28) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 610 du 21 juin 1913.

(29) Dumont et Georgeon, «La Mort d'un Empire (1908-1923),» pp. 609-610.

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

عُيّن سعيد حليم باشا، وهو أحد أحفاد خديوي مصر محمد علي، وهو أيضًا عضو في جمعية الاتحاد والترقي، في منصب الصدر الأعظم. أما بالنسبة إلى منصب وزير الحربية، فأسند إلى أحمد عزت باشا الذي كان يتمتع بمكانة مرموقة في الجيش العثماني. لكنه لم يكن اتحاديًا، وكان مؤيدًا بقوة للتراتبية العسكرية ولإبقاء الجيش بعيدًا عن السياسة. وربما أتى هذا التعيين لعدم وجود كبار بين أعضاء جمعية الاتحاد والترقي. ونال ضباط اتحاديون آخرون حقائب وزارية عدة. أما في الممارسة العملية، فجرى إسكات أحزاب المعارضة كافة. وهكذا وُهبت الدولة العثمانية نظامًا دكتاتوريًا[30].

4- بعثة عسكرية ألمانية جديدة

اعتبر وصول البعثة العسكرية الألمانية أمرًا مفيدًا على العموم. وتوقع منها الضباط الأتراك سلطة معنوية كبيرة يمكن فرضها على الجميع، تتيح إعادة تنظيم عميق للجيش، حيث كان الجيش الألماني لا يزال يتمتع بمكانة مرموقة. لم تنسب مسؤولية الكوارث الأخيرة إلى المدربين الألمان، وإنما إلى العثمانيين، الذين لم يستمعوا إليهم. لذلك، كان من المتوقع منحهم المزيد من الصلاحيات[31]. غير أن عددًا قليلًا من الضباط الساخطين اعتبروا أن البعثة هذه لن تكون أكثر فاعلية من سابقاتها، لأنها قد تصطدم بمسألة عدم الانضباط. فهل كان الأمر عبارة عن إصلاح زائف[32]؟

وصل الجنرال ليمان فون ساندرز (Liman von Sanders) إلى تركيا في 13 كانون الأول/ ديسمبر 1913، يرافقه عشرة من ضباط البعثة[33]، ليستمر طوفان الضباط الألمان المعينين في السلطنة بالنمو. وفي بداية عام 1914، انضم إليهم سبعة ضباط

---

(30) Ibid., p. 610.

(31) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 646 du 29 novembre 1913.

(32) Ibid.

(33) كان يرافقه الكولونيل برونسات فون شليندورف والكولونيل فيبر والمايجور فون فلدمان والمايجور فون سترمبل والمايجور بيرينيت فون تاوفيناي والكابتن كونيغ والملازم ميوهلمان ومستشار الإشراف بورشاردت والكولونيل الطبيب والبروفيسور ماير والمايجور الطبيب نيكولاي. يُنظر:
S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 654 du 18 décembre 1913.

جدد[34]. كان يجب أن تتكون البعثة من حوالى أربعين ضابطًا، بمن فيهم أولئك الذين كانوا يعملون أساسًا في الجيش العثماني. وكانت تحت قيادة الجنرال ليمان فون ساندرز الذي حصل على رتبة فريق أول (birinci ferik) وارتبط مباشرة بوزارة الحربية. كما كان عليه أن يكون قائدًا للفيلق الأول المرابط في اسطنبول.

إضافة إلى ذلك، أصبح الجنرال ساندرز عضوًا في المجلس الأعلى للشؤون العسكرية (şûrâ-i 'askeriye) ومدير التعليم العام في الجيش. كان معظم الضباط ينتمون إلى فيلق الجيش الأول هذا، الذي أصبح بمنزلة الجيش الأنموذج. وشغل بعض الضباط مناصب مختلفة خصوصًا في هيئة الأركان العامة، في المدارس وفي الولايات[35]. علاوة على ذلك، دخل عدد من الضباط الألمان في الجيش العثماني بعد التخلي عن جنسيتهم. هم لا ينتمون إلى البعثة، إما بسبب حجم عديدها الذي لا يسمح بذلك - بسبب نقص في الموارد المالية - وإما لأنهم لم يتمكنوا من الإدعاء أنهم استُبعدوا من الجيش الألماني[36].

عند وصول البعثة، كانت مشروعات التقليص قد أصبحت على جدول الأعمال. وكان يجب أن يُخفض عدد الفرق العسكرية من 43 إلى 36، يتم توزيعها على 13 فيلقًا في الجيش.

الجدول (7-1)

فيالق الجيش الجديدة[37]

الفيلق	المركز	عدد الفرق
الأول	الآستانة	الأولى والثانية في الآستانة والثالثة في تشاتالجا
الثاني	أدرنة	اثنان في أدرنة وواحدة في كيركيليس
الثالث	غاليبولي	3

يتبع

(34) SHAT, 7N1638, Constantinople, rapport no. 692 du 1 mars 1914.

(35) SHAT, 7N1638, Constantinople, rapport no. 646 du 29 novembre 1913.

(36) يمكننا تقديم مثالين: الملازم بنتهايم الذي عينه ضابطًا مناوبًا والقائد شنعر الذي نحر

SHAT, 7N1638, Constantinople, rapport no. 710 du 7 avril 1914.

يُنظر:

SHAT, 7N1638, Constantinople, rapport no. 650 du 1 décembre 1913.

(37)

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

تابع		
الرابع	إزمير	3
الخامس	أنقرة	4 واحدة منها في رودوستو
السادس	حلب	2
السابع	اليمن	3
الثامن	دمشق	2
التاسع	أرضروم	3
العاشر	أرزينجان	3
الحادي عشر	فان	3
الثاني عشر	الموصل	2
الثالث عشر	بغداد	2

بدأت عملية حل فرق الاحتياط الرديف، بعد أن اتخذ القرار بشأنها منذ وقت طويل. وقسمت الأراضي منذ ذلك الحين بحسب مناطق فيالق الجيش، وكان على كل منطقة أن توفر لفيلق الجيش المعني الرجال المكملين له، وأن تؤمن إنشاء عدد من وحدات الاحتياط في حالة التعبئة[38]. وكان هناك قانون جديد للتجنيد، قيد التحضير، يعيد النظر بكامل القاعدة الإقليمية للجيش العثماني[39].

لم يتمتع رئيس البعثة العسكرية ليمان فون ساندرز بمكانة مرموقة في الجيش العثماني؛ إذ كان بعيدًا جدًا، وصعب المنال. واشتكى جنرال كان قد طلب منه عقد جلسة استماع - الأمر الذي كان مخالفًا للعادات التركية - وأنه بقي منتظرًا مدة طويلة[40]. كما أن بنات فون ساندرز أثرن بعض الحوادث، إذ جرى التعليق على سلوكهن بطريقة جد سلبية من الأتراك، الأمر الذي تسبب بأزمة صغيرة، وسرى حديث عن إقالة فون ساندرز في خريف 1913[41].

---

(38) Ibid.

(39) Ibid.

(40) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 678 du 25 janvier 1914.

(41) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 710 du 7 avril 1914.

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

منحت قيادة الفيلق الأول إلى ضابط أجنبي كبير، الأمر الذي أثار غضبًا بين نعمات الدبلوماسية الأجنبية. واحتجت روسيا على وجه الخصوص على هذا الإجراء وقامت بالضغط كي يتم التخلي عنه[42]. ورأى أنور باشا أن الفيلق الأول يمكن أن يكون الفيلق الأنموذج، إذا كان بقيادة جنرال تركي، شرط أن يساعده رئيس هيئة أركان ألماني[43]. وكان على الجنرال ليمان فون ساندرز أن يشغل منصب نائب رئيس المجلس الحربي الأعلى، وهي مشاركة أكثر أهمية من قيادة الفيلق الأول[44]. عولجت القضية من طريق حل المجلس الحربي الأعلى، ووجد فون ساندرز نفسه معفيًا من اثنتين من مسؤولياته الرئيسة[45].

رُقي ليمان فون ساندرز إلى رتبة مشير، وأسندت قيادة الفيلق الأول إلى العميد في هيئة الأركان نوري بيك. كما أسندت إلى فون ساندرز إدارة البعثة العسكرية الألمانية والتفتيش في المدارس العسكرية[46]. تدريجًا، عزز الألمان نفوذهم وفرضوا ثقافتهم. وكان على ضباط المدرسة العسكرية جميعهم في بانغالتي أن يتبعوا بدأب دورات تعلم اللغة الألمانية. وأولئك الذين كان مستواهم ضعيفًا جدًا باللغة الألمانية، كانوا مهددين بتكليفهم بمهمة في الولايات. وأصبحت اللغة الألمانية إلزامية كما كانت الفرنسية سابقًا[47].

ثانيًا: مسارات الحرب

قام قادة تركيا الفتاة، لحماية سلامة الدولة العثمانية، بتمجيد عسكرة المجتمع. وأدت بهم الحماسة القومية أيضًا إلى التدخل في المجال الاقتصادي. هذا التوجه الملموس منذ عام 1908، ترجم على وجه الخصوص من خلال الاستعدادات للحرب التي أوصلتهم إلى التحالف مع ألمانيا.

---

(42) قدمت روسيا مطالب سياسية جريئة، بحجة أن حرية المضائق كانت على المحك، وأن ألمانيا تريد وضع يدها على الجيش العثماني. يُنظر:

S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 654 du 18 décembre 1913.

(43) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 668 du 12 janvier 1914.

(44) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 646 du 29 novembre 1913.

(45) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 668 du 12 janvier 1914.

(46) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 678 du 25 janvier 1914.

(47) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 695 du 19 mars 1914.

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

1- عسكرة المجتمع

احتذت تركيا الفتاة بكتاب **الأمة المسلَّحة** الذي ألَّفه فون در غولتز. وترجم الأخير كتابه إلى اللغة التركية (*Millet-i Musallaha*) فكان له صدى كبير في أنحاء أوروبا جميعها. وفي هذا الصدد، كان أحمد رضا، وهو أحد كبار مفكري جمعية تركيا الفتاة، مقتنعًا بالدور الأساس الذي سيقوم به الجيش. كان يجب أن تكون الدولة العثمانية دولة عسكرية. فكتبَ الكثير من الأعمال في هذا الخصوص، تمجِّد دور الجيش المخلِّص، والذي يعتبر نخبة، مشيدًا بفضائل الوطنية الوليدة التي تحتاج إلى أن تنتشر بين شرائح السكان جميعهم بغض النظر عن العرق أو الدين. كما دعا إلى قيام أمة مسلحة وشكل من أشكال الدولة العسكرية في كتيبه **واجب الجندي ومسؤوليته**[48]. أما انقلاب 23 كانون الثاني/ يناير 1913 الذي أوصل محمود شوكت باشا إلى السلطة، فسلط الضوء على استيلاء العسكريين على السلطة. وبعد حروب البلقان، وضعت هذه المبادئ موضع التنفيذ. وبدأت بعد ذلك عسكرة المجتمع، من خلال إنشاء منظمات شبه عسكرية، وصولًا إلى «حشد» طلاب المدارس. في الواقع، جرى حشد الشبان في المدارس بعد عام 1908، وخصوصًا في المدارس الكبرى جميعها، خارج الكلية الحربية، وكلية العلوم السياسية (mülkiye) والجامعة (Dâr-ül-fünun)[49]. وأنشئت المنظمات شبه العسكرية بمبادرة من جمعية الاتحاد والترقي للدفاع عن البلاد، مثل جمعية الدفاع الوطني (Müdâfa-i Milliye Cemiyeti). واستلهمت جمعية القوة التركية التي أنشئت في عام 1913 (Türk Gücü Cemiyeti)، بدورها، من المنظمات الكشفية الألمانية (Pfadfinder) مبادئها ومنهجها حيث كانت الجمعيتان تقدمان في وقت واحد النشاط الرياضي والتعليم والتدريب العسكري. أما أيديولوجيًا، فكانت تنادي بالتتريك، وتلقت الدعم من وزارة الحربية في أعمالها. وفي عام 1914، جرى استبدالها بجمعيات القوة العثمانية (Osmanlı Güç dernekleri)، وهي تنظيم لميليشيات الشبان، تحت إشراف الألماني فون هوف (von Hoff)[50].

---

(48) نشر في القاهرة في عام 1906.

(49) Y. Aktar, «Tanzimat'tan Cumhuriyet'e Gençlik,» *Tanzimat'tan Cumhuriyet'e Türkiye Ansiklopedisi* (Istanbul: İletiştim yayınları, 1985), vol. 2, pp. 518-530.

(50) Z. Toprak, *İttihad-Terakki ve devletçilik* (Istanbul: Tarih Vakfi Yurt Yayınları, 1995), vol. 2, pp. 531-536.

Vazife ve mes'uliyet: 'asker.

Scanned with CamScanner

سعت جمعية الاتحاد والترقي أيضًا إلى تأطير الجماهير وتعبئتها. وقامت بتنظيم لقاءات جماهيرية وفتحت باب الاشتراكات الشعبية الواسعة، بهدف شراء سفن حربية جديدة على وجه الخصوص. واعتمدت مقاطعة منتوجات النمسا بعد ضم البوسنة والهرسك (تشرين الأول/ أكتوبر 1908)، ومن ثم مقاطعة المنتوجات الإيطالية بعد غزو طرابلس الغرب في عام 1911. ضمنيًا، كانت تلوح في الأفق فكرة إنشاء «الاقتصاد الوطني» (millî iktisâd)[51]، وهو الجانب الاقتصادي لقومية متنامية، والتي، مرة أخرى، اقتدت بالمثال الألماني. وفي حين كانت البرجوازية العثمانية تتألف أساسًا من الأقليات، جرى تشجيع ظهور البرجوازية التركية في الدولة العثمانية، ما سمح لها بالسيطرة على عجلة الاقتصاد. وقبل بداية الحرب العالمية الأولى بمدة قصيرة، سنت الحكومة قانونًا بشأن تشجيع الصناعة، من خلال تقديم سلسلة من التدابير لمصلحة المنتجين المحليين، بما في ذلك أفضلية الحصول على العطاءات الحكومية[52].

2- أنور في القيادة

اضطر وزير الحربية أحمد عزت باشا الى «الاستقالة القسرية». وبعد الكثير من المؤامرات[53]، نجحت جمعية الاتحاد والترقي بفرض أنور بيك على هذا المنصب. وبالتأكيد، استقطب أنور هيبة جديدة عبر استرداد أدرنة في تموز/ يوليو 1913، ووصفه بعضهم بـ«فاتح أدرنة الثاني»[54]. رقي إلى رتبة عميد في 18 كانون الأول/ ديسمبر 1913، ثم عين فريقًا في 1 كانون الثاني/ يناير 1914[55]، فأثار هذا التعيين الاستغراب[56]. وبعد ثلاثة أيام، أعلن نفسه رئيس هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة. وهكذا، وفي سن الرابعة والثلاثين، أصبح أنور بيك

---

(51) Dumont et Georgeon, «La Mort d'un Empire,» p. 595.

(52) Ibid., pp. 612-613.

(53) اقتُرح على أحمد عزت باشا، بسبب أصوله الألبانية، أن يكون المرشح العثماني للعرش الملكي في ألبانيا.

(54) Aydemir, *Enver Paşa*, II, p. 438.

ويستشهد بعصمت إينونو، وهو شاهد قريب لأنور، عرفه منذ دخوله التنظيم السري في سالونيك.

(55) Ibid., 430.

(56) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 661 du 3 janvier 1914.

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

أنور باشا ووضع يده على الجيش. ومهما بدا الأمر غريبًا، فقد علم السلطان بهذه الترقية من طريق الصحافة[57]. وبات يمكن تحضيرات حفل زواج أنور بابنة أخت السلطان أن تبدأ. وفي الوقت نفسه، ارتفع جمال درجتين، وأصبح باشا، وعُيِّن وزيرًا للبحرية.

كان الشاغل الأول لأنور هو إصلاح الجيش وتعزيز البعثة العسكرية الألمانية[58]. وكان يطمح إلى إنشاء نواة صلبة وقوية في الجيش، وقال:

«هدفي هو خلق جيش صغير، لكن قوي للحفاظ على بلدنا ضد جيراننا الصغار، الجشعين»[59].

بعد مدة وجيزة من تعيينه، شرع أنور بوضع خطة تقاعد منهجية؛ فدفع الثمن 25 قائد فرقة من أصل 27، إضافة إلى 40 لواء. وجرى التخلص من جميع أولئك الذين لم يقدموا ولاءهم إلى جمعية الاتحاد والترقي أو كان مشتبهًا بهم. واتخذ هذا الإجراء بمهارة، من خلال استحضار مصلحة الجيش العليا، وضرورة إعادة عنصر الشباب إلى الملاك... وعلى الرغم من ذلك كله، أيد معظم الضباط انقلاب أنور.

«كان يجب أن نصل إلى هنا؛ بما أن المسنين لم يستطيعوا القيام بأي عمل جيد، فلنأمل إذًا أن يقوم الشبان بما هو أفضل». هكذا كان يقول الضباط[60].

في البحرية، قام جمال باشا بالأمر نفسه، واستبعد ضباطًا اعتبرهم غير قادرين، وأحال العميد البحري رستم باشا على التقاعد، وهو مفتش (müsteşâr) القسم. كما جدد لمدة عام عقد الأميرال (فريق بحري) ليمبوس (Lympus) باشا، وكذلك عقد الضباط البريطانيين. وإذ كان حريصًا على التعليم، أرسل جمال باشا بعثة تضم 15 من ضباط البحرية إلى إنكلترا. وكان على معظمهم أن يكونوا جزءًا من طواقم السفينتين الحربيتَين «السلطان عثمان» و«الرشادية». أما إصلاحات

---

(57) Aydemir, *Enver Paşa*, II, p. 434.

(58) Ibid., p. 433.

(59) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 682 du 28 janvier 1914.

(60) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 670 du 12 janvier 1914.

Scanned with CamScanner

إلى الأرواح الكبيرة؛ فكانت في الطريق، وكان جمال قد أعطى الأمر باستكمالها في 9 تموز/يوليو 1914[61].

كان أنور قد عين رجاله - وهم من الضباط الاتحاديين الأقحاح - لقيادة بالق الجيش وأقسامه. أما أولئك الذين كانت لديهم سمعة مرموقة، لكن من دون الانتماء إلى دائرته، فجرى تعيينهم في مناطق بعيدة، مثل العمداء علي رضا بك (بالكسير)، وخليل بيك (حلب)، وإحسان بيك (موش) ...إلخ. وزفض بعضهم مراكزهم، مثل محمود مختار باشا الذي جرى تعيينه في أرزينجان، وقد كان ضحية لنضال والده الغازي أحمد مختار باشا ضد الاتحاديين، عندما شغل منصب الصدر الأعظم[62].

تضاف إلى هذه التدابير، المحاكمات التي ينظر إليها على أنها تصفية حسابات. وأثار القبض على القائد عزيز بيك، وهو من أصل شركسي[63]، الاضطراب في الجيش، حيث كان يتمتع بشعبية كبيرة. كان ضابطًا ذكيًا جدًا، يذهب دائمًا إلى مقدونيا، وقبل «ثورة عام 1908»، شارك في حملات القمع في اليمن، ومن ثم في حملة ليبيا على جبهة درنة. عندما عاد عزيز بيك إلى اسطنبول في عام 1913، رفض تعيينه في قونية. وفي 28 تشرين الأول/أكتوبر 1913، كان واحدًا من الأعضاء المؤسسين للجمعية السرية «العهد» (الاتحاد)[64] من الضباط العرب في الجيش العثماني، وتمكنت من حشد حوالى 315 من أصل

---

(61) S.H.A.T. 7N1638, Constantinople, rapport no. 719 du 9 août 1914.

(62) S.H.A.T. 7N1638, Constantinople, rapport no. 670 du 12 janvier 1914.

(63) ولد عزيز علي المصري (1880-1965) في القاهرة. وفي عام 1898 تخرج في مدرسة غلطة سراي، ودخل المدرسة العسكرية. وفي عام 1904، حصل على رتبة نقيب (Yüzbaşı) وأرسل إلى منطقة البلقان. وقد كان في الدفعة نفسها مع أنور وفتحي (Okyar). ولكونه عضوًا في جمعية الاتحاد والترقي، خاض بنجاح المعارك ضد العصابات البلغارية والألبانية... وشارك في جيش الحركة (hareket ordusu) في عام 1909. ومنذ عام 1910، ناضل لمصلحة القومية العربية. وفي عام 1910، قاتل إلى جانب أحمد عزت باشا لقمع انتفاضة الإمام يحيى. وفي عام 1911، جرى تعيينه على جبهة درنة في طرابلس الغرب بأمرة أنور الذي فوضه صلاحياته عند رحيله. وبعد إدانته، عاد إلى مصر. وفي عام 1926 أصبح مديرًا للأكاديمية العسكرية في القاهرة. وكان الرئيس عبد الناصر واحدًا من طلابه وقد عينه سفيرًا في موسكو. اعتبره التأريخ التركي واحدًا من الشخصيات الرئيسة في القومية العربية، في حين اعتبره التأريخ التركي خائنًا.
O. Koloğlu, «Aziz Ali neyin peşindeydi?,» *Popüler Tarih* (Istanbul, May 2002).

(64) ترجمت الكاتبة اسم الجمعية إلى الاتحاد والصحيح هو العهد فحسب. (المراجع)

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

490 من الضباط العرب في الجيش العثماني الذين انضموا إليها، الأمر الذي كان في أساس نشأة تيار قومي عربي، استمر عزيز بيك في النضال لمصلحته[...]

قدم استقالته في 20 كانون الثاني/ يناير 1914 وأُلقي القبض عليه بعد مدة وجيزة. وفي خلال اعتقاله، اتُهِمَ بالتفاوض مع الإيطاليين وإخفاء مبلغ 6000 ل.ت. كانت قد أُرسلت إليه لدعم القوات التي كان يقودها. وبدت التهم غير صحيحة بالنسبة إلى الجميع، نظرًا إلى وطنية عزيز بيك، وشهرته العسكرية الكبيرة وماضيه[66]. إلا أنه كان ثمة شاهد مزعج ضده، سليمان العسكري، وهو من أصل عربي وأحد أبرز أعضاء المنظمة الخاصة[67]. كما اتهم أيضًا بتأسيس تنظيم «العهد» السري.

ثم مثل أمام المحكمة العسكرية، وحُكِمَ عليه بالموت. لكن تحت ضغط من الرأي العام العربي - في اسطنبول وبيروت والقاهرة - وخصوصًا البريطاني، خُفِّفَتْ عقوبة الإعدام في البداية إلى خمس عشرة سنة من السجن، ومن ثم صدر عفو عنه ورُحل إلى مصر[68]. ولم يتورع الكثير من الضباط عن القول:

«كل ما اتهم به أنور رفيقه السابق في السلاح في طرابلس الغرب، يمكن أن يتهم نفسه به»[69].

---

(65) تدخل المفوض السامي الإنكليزي اللورد كتشنر شخصيًا لمصلحته. وكان لعزيز اتصالات في مصر؛ إذ كانت أخته زوجة باشا مصري تحت قيادة بريطانية، يُنظر:

(66) Ibid

(67) أسست «المنظمة الخاصة» (Teskilat-i Mahsusa) رسميًا في 5 آب/ أغسطس 1914 وبدأ عملها خلال حرب طرابلس (1911-1912) لمكافحة التهريب بشكل خاص. كما كانت تستخدم أيضًا من الكوادر النقابية لتعبئة العشائر العربية إلى جانب العثمانيين. وفي عام 1913، بعد حرب البلقان الثانية، أصبحت تراقيا الغربية تحت السيادة البلغارية. وخدمت إذًا للدفاع عن حقوق الأتراك.

عندما أصبح أنور باشا وزير الحربية في أوائل عام 1914، بدأ بتشريع هذه المنظمة وتم إرسال مبعوثين سريين إبان الدخول في الحرب والدعوة إلى الجهاد لتحريك كل من المجتمعين التركي والمسلم في إيران وأفغانستان وآسيا الوسطى والقوقاز والحبشة ومصر والسودان. قاد هؤلاء المبعوثون بوضع قوامها الوحدة الإسلامية والوحدة التركية. وكانت أغلبية كوادرها من جمعية الاتحاد والترقي وقد لكن هذه الدعاية التي كانت تدعمها ألمانيا حصدت قليلًا من النجاح؛ إذ تلاشت في نهاية الحرب بعد الأولى بعد الهزيمة. وعند تأسيس الجمهورية، أنشئت منظمة الأمن الوطني.

(68) Ibid

(69) SHAT, 7N1638, Constantinople, rapport no. 724 du 10 mai 1914.

Scanned with CamScanner

490 من الضباط العرب في الجيش العثماني الذين انضموا إليها، الأمر الذي كان في أساس نشأة تيار قومي عربي، استمر عزيز بيك في النضال لمصلحته.

قدم استقالته في 20 كانون الثاني/ يناير 1914 وأُلقي القبض عليه بعد مدة وجيزة. وفي خلال اعتقاله، اتُهِمَ بالتفاوض مع الإيطاليين وإخفاء مبلغ 6000 ل.ت. كانت قد أُرسلت إليه لدعم القوات التي كان يقودها. وبدت التهم غير صحيحة بالنسبة إلى الجميع، نظرًا إلى وطنية عزيز بيك، وشهرته العسكرية الكبيرة وماضيه[66]. إلا أنه كان ثمة شاهد مزعج ضده، سليمان العسكري، وهو من أصل عربي وأحد أبرز أعضاء المنظمة الخاصة[67]. كما اتهم أيضًا بتأسيس تنظيم «العهد» السري.

ثم مثل أمام المحكمة العسكرية، وحُكِمَ عليه بالموت. لكن تحت ضغط من الرأي العام العربي - في اسطنبول وبيروت والقاهرة - وخصوصًا البريطاني، خُفِّفَتْ عقوبة الإعدام في البداية إلى خمس عشرة سنة من السجن، ومن ثم صدر عفو عنه ورُحل إلى مصر[68]. ولم يتورع الكثير من الضباط عن القول:

«كل ما اتهم به أنور رفيقه السابق في السلاح في طرابلس الغرب، يمكن أن يتهم نفسه به»[69].

---

(65) تدخل المفوض السامي الإنكليزي اللورد كتشنر شخصيًا لمصلحته. وكان لعزيز اتصالات في مصر؛ إذ كانت أخته زوجة باشا مصري تحت قيادة بريطانية، يُنظر:
Ibid.

(66) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 711 du 7 avril 1914.

(67) أسست «المنظمة الخاصة» (Teşkilat-ı Mahsusa) رسميًا في 5 آب/ أغسطس 1914 وبدأ أنور بيك عملها خلال حرب طرابلس (1911-1912) لمكافحة التهريب بشكل خاص. كما كانت تستخدم أيضًا من الكوادر النقابية لتعبئة العشائر العربية إلى جانب العثمانيين. وفي عام 1913، بعد حرب البلقان الثانية، أصبحت تراقيا الغربية تحت السيادة البلغارية. وخدمت إذًا للدفاع عن حقوق الأتراك.
عندما أصبح أنور باشا وزير الحربية في أوائل عام 1914، بدأ بتشريع هذه المنظمة. وتم إرسال مبعوثين سريين إبان الدخول في الحرب والدعوة إلى الجهاد لتحريك كل من المجتمعين التركي والمسلم: في إيران وأفغانستان وآسيا الوسطى والقوقاز والحبشة ومصر والسودان. قاد هؤلاء المبعوثون بروباغندا قوامها الوحدة الإسلامية والوحدة التركية. وكانت أغلبية كوادرها من جمعية الاتحاد والترقي والضباط. لكن هذه الدعاية التي كانت تدعمها ألمانيا حصدت قليلًا من النجاح؛ إذ تلاشت في نهاية الحرب العالمية الأولى بعد الهزيمة. وعند تأسيس الجمهورية، أنشئت منظمة الأمن الوطني.

(68) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 724 du 10 mai 1914.

(69) Ibid.

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

اعتقد كثيرون من الضباط أن أنور كان يصفي حسابه مع عزيز، وأثّرت هذه المسألة في هيبة أنور. وإذا كان هناك سعي لمنع عزيز من التآمر، فإن محاكمته أعطته سمعة جديدة، عبر جعله كبش فداء[70]. تضررت المجموعة العربية، وحركت أسئلة كثيرة عقول الضباط العرب. وتولّت صحيفة طنين بتكذيب خبر الصحيفة العربية المصرية **الأهرام** الذي يفيد بأن الحكومة سوف تفصل جميع الضباط من أصل عربي من الجيش النظامي. كان لا بد من القيام بتنازلات. ووُجد مكان للعقيد الكبير محمود كامل بيك، وهو من أصل عربي، والذي كان يتمتع بروح تآمرية أقلقت أنور، حيث كان زعيم الشبكة التي وضعت يدها على مناصب مهمة في وزارة الحربية[71].

قدم أنور تصريحًا بخصوص الانضباط والطاعة، واتخذ ثلاثة تدابير لإعادة النظام في الجيش. فلقد كان بعض الضباط يتخلفون عن الالتحاق بمراكزهم أو يتأخرون كثيرًا في الانتقال، إذا لم تعجبهم مناصبهم. هدد أنور جميع الذين نالوا تعيينات جديدة وفق التنظيم الجديد بالالتحاق بها في موعد أقصاه 23 كانون الثاني/ يناير، تحت طائلة إحالتهم على التقاعد الإلزامي[72].

تطرق التدبير الثاني إلى المظهر. ففي حين كان ارتداء الزي العسكري بعيدًا عن الكمال، أصدر أنور أمرًا بعدم السماح للضباط المتقاعدين بارتداء الزي إلا في خلال الأعياد المدرجة في القوانين العسكرية[73]. علاوة على ذلك، أمر أنور الضباط المتقاعدين بالعودة إلى بلادهم الأصلية. وهدف هذا القرار بالتأكيد كان منع تكتل المستائين في اسطنبول[74].

هكذا، كانت هيئة الأركان العامة مجتمعة تقريبًا بالكامل في العاصمة. وكان تحت إمرة أنور 50 ضابطًا ألمانيًا، لا يعرفون البلاد ولا اللغة، و280 إلى 300 من

---

(70) Ibid.

(71) Ibid.

(72) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 682 du 28 janvier 1914.

(73) هذا التدبير يبدو أيضًا مستوحى من الاهتمامات السياسية. يُنظر: S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 682 du 28 janvier 1914.

(74) Ibid.

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

ضباط الأركان. كان هذا العدد قليلًا قياسًا باتساع مساحة السلطنة[75]. وتمنى أنور فرض الانضباط، معلنًا أنه لا يتوقع من الجيش سوى شيئين اثنين: الطاعة المطلقة والعمل الشاق. وحَذَّر الضباط من أن مستقبلهم كله في أيدي رؤسائهم الذين يقررون ترقيتهم أو معاقبتهم. ووحدها التقديرات الجيدة من رؤسائهم هي التي ستكون أساسًا للترقية. وأوصى بإظهار الطاعة المطلقة، والعمل بجد ليلًا ونهارًا، واعتبار من هم أقل رتبة على أنهم أولادهم والثكنات منزلهم. ستتم ملاحظة كل شيء، من العمل إلى المظهر، ومن يظهر علامات الإهمال لن يترقى أبدًا. كانت هذه رؤية أبوية وسلطوية على حد سواء للوظيفة العسكرية التي أراد أن يحكمها بقبضة من حديد[76].

في تدبير تأديبي آخر، حظَّر أنور على الضباط التردد إلى الملاهي. فالتواجد في مثل هذه الأماكن وتناول الكحول يضر، وفقًا له، بالهيبة العسكرية ويخالف الدين. وأي انتهاك لهذا الحظر سيؤدي مباشرة إلى التقاعد القسري أو اعتبار المنتهك من المذنبين. كما أصدر أنور أمرًا آخر يتعلق بالدين، قال فيه إن الجيش من دون دعم الإيمان أو الدين لن ينجح أبدًا. فالإيمان هو القوة المعنوية التي من شأنها ضمان الانضباط في الجيش وتعزيز الوحدة الوطنية. وأوصى أصحاب الرتب الرفيعة بالسهر على أن يتبع الجنود المسلمون وغير المسلمين التعليمات الدينية[77].

تمنى أنور اتخاذ عدد من التدابير الجذرية والفاعلة، وطبع الجيش العثماني بشخصه. فقرر، على سبيل المثال، معالجة الإملاء التركي في البريد العسكري، وأخذ على عاتقه تغييره. وإذ اعتبر أن عدم وجود حرف علة - مع وجود أحرف مرتبطة ببعضها بطريقة يمكن أن يختفي بعضها في المجموع - يمكن أن يكون مضللًا، فاتخذ إصلاحًا يقضي بإضافة حروف علة اخترع هو إشاراتها وفواصلها. لكن هذه «الثورة الكتابية» لم تلق قبولًا من جميع زملائه في الوزارة[78]. وثمة

---

(75) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 711 du 7 avril 1914.

(76) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, annexe au rapport no. 682 du 28 janvier 1914.

(77) Ibid.

(78) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 711 du 7 avril 1914.

Scanned with CamScanner

إجراء آخر كان سيئ الوقع عند الجنود، وهو خفض رواتبهم إلى النصف، في حين أن حصة القوات كانت قد انخفضت أساسًا بشكل ملحوظ[79].

تحت عنوان الزيادات، من الضروري الإشارة إلى الزيادة في الراتب الشهري لقادة الفرق المستقلة ومقداره 1000 قرش لذوي رتبة فريق (لواء)، و750 قرشًا لرتبة عميد، و500 قرش لرتبة عقيد. وزادت أيضًا أجور قادة إدارة التجنيد في بالق الجيش (400 قرش)، وأجور رؤساء الخدمة في الفرق (200 قرش)، والأجور الشهرية للمفتشين الصحيين برتبة عميد، والمفتشين في فرقة الفرسان ومدفعية الميدان (500 قرش). كما زادت أيضًا أجور رتبة عقيد، من قادة أقسام الفرسان الخفيفة الحميدية، بمقدار 500 قرش[80].

إذا كان التغيير طفيفًا في تعرفة أجور الضباط، فإن الأمر لم يكن نفسه بالنسبة إلى الجنود؛ إذ كانت التغييرات كبيرة، حيث إن الجندي في السنة الأولى لم يتلق إلا ربع ما كان يتلقاه سابقًا. وحده الجندي في السنة الثالثة حافظ على التعرفة القديمة، وقدرها 20 قرشًا، فتحقق وفر جدي في هذا الصدد. أما بالنسبة إلى الحصص الخاصة، فلم تعد تحق للضباط. وأصبحت الحصص العينية اختيارية للجنود وضباط الصف. وقد كانت الحجة هنا أن الكثير منهم كانوا يبيعونها للعامة. وفي هذه الحالة، كان يُستحسن استبدال الحصص العينية بمنحة شهرية قدرها 87 قرشًا ونصف القرش[81].

جرى تغيير تجنيد الضباط في الجيش النظامي. فالضابط الطموح، وبعد أن يكون قد أمضى ستة أو سبعة شهور في فوج أنموذجي (المواد 2 و4 و5)، كان يدخل في 1 نيسان/ أبريل إلى المدرسة العسكرية ليتابع فيها الدورات لمدة أحد عشر شهرًا (المادة 6)، ويتخرج يوم 1 آذار/ مارس من السنة التالية، مع لقب «تلميذ ضابط»، ويخدم كضابط في فوج لمدة ستة أو سبعة شهور (المادة 7). ومن ثم يعين ضابطًا رسميًا في 1 تشرين الأول/ أكتوبر. كانت مدة الدورة سنتين - بما

---

(79) Ibid

(80) Ibid

(81) Ibid

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

في ذلك أكثر بقليل من عام في الجيش - ستة شهور قبل المدرسة وستة شهور بعدها، ما يترك أحد عشر شهرًا للتعليم العام[82].

الجدول (7-2)

أجور الضباط[83]

الرتبة	الأجر الشهري بالقرش
مارشال	15.000
فريق أول (برنجي)	9000
لواء قائد فرقة	7000
لواء	4500
عميد	3000
عقيد	2500
رائد	2000
مدير فوج	1500
مرشد فوج	1500
نقيب فوج	1300
سكرتير فوج	1250
سكرتير كتيبة	1050
نقيب مساعد قبطان	800
مرشد كتيبة	900

بنع

(82) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 723 du 10 mai 1914.

(83) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 718 du 9 mai 1914.

Scanned with CamScanner

نابع	
ملازم أول	800
ملازم	700
ضباط الإشارة وخبراء الأسلحة	700
معلّمو النجارة والحدادة	550
معلّمو صناعة الأسرجة والحدوات	550
سكرتير مساعد	600

الجدول (7-3)

أجور ضباط الصف والجنود[84]

الرتبة	الأجر الشهري بالقرش
معاون أول	30
رقيب أول	25
مسؤول الأعلاف	20
عريف	5
جندي في أول سنة خدمة	5
جندي في ثاني سنة خدمة	10
جندي في ثالث سنة خدمة	20
عريف لصناعة الأسرجة والأسلحة	25
حدّادون صانعو الحدوات	30

Ibid

(84)

الجدول (7 - 4)

أجور المفتشين في الجيش[85]

الرتبة	الأجر الشهري بالقرش
مارشال	15,000
فريق أول	13,500
لواء قائد فرقة	12,000
عميد قائد لواء	10,000

الجدول (7 - 5)

أجور قادة فيالق الجيش[86]

الرتبة	الأجر الشهري بالقرش
لواء قائد فرقة	9500
لواء	7500
عميد	6000

كانت هذه التدابير بمنزلة ردة فعل على الدراسات النظرية للنظام الحميدي. ففي ظل النظام القديم، كان البرنامج ينصّ على ثلاث سنوات في المدرسة العسكرية، من دون أي تدريبات خارجية. تليها ثلاث سنوات في كلية الأركان العامة في يلدز للربع الأول من الدفعة، ومن ثم إقامة مطولة في مكاتب الوزارة. لم يكن يعلم كبار القادة المستقبليين أي شيء عن طبيعة العسكر. وكانت «ثورة عام 1908» قد أدخلت تحسينات، من خلال الحد من الإقامة في المدرسة العسكرية لمدة عامين، مع تمارين خارجية متكررة؛ والاشتراك في مباراة الدخول إلى كلية يلدز، بعد تمضية ثلاث سنوات في الأفواج العسكرية. وقد كان واحد من الأهداف المرجوة هو زيادة عدد الضباط الجدد؛ حيث إنه، وقبل 1 أيلول/ سبتمبر 1915،

(85) bid.

(86) Ibid.

خلال عام ونصف العام، كان يُفترض ضمّ ثلاث دفعات من 1200 إلى 1500 إلى فيالق القوات.

مع ذلك، لم تحل مشكلة العناصر الجديدة في سلك الضباط. في الواقع، لم يكن هناك تأكيد على أن عديد الدفعات سيزداد؛ إذ كان عدد الناجحين في امتحانات الإعدادية لعام 1912 منخفضًا جدًا، حيث انخفض عديد دفعة الحربية نحو الربع. لذا بقي القلق حول النوعية مستمرًا[87].

واصلت وزارة البحرية بذل نشاط مكثف. وفي نهاية عام 1913، منحت الشركات الإنكليزية «أرمسترونغ- فيكرز» تسهيلات تتعلق بترسانات إزميد والقرن الذهبي، حيث حصلوا على تلزيم الترسانة الكاملة الكائنة عند القرن الذهبي[88].

الجدول (7-6)

عدد الطلاب في المدارس العسكرية لعام 1914[89]

الصف	عدد الطلاب
الصف الثالث في بانغالتي	300
الصف الثاني في مدرسة المدفعية	190
الصف الثاني في بانغالتي	300
الصف الأول في مدرسة المدفعية	220
الصف الأول في بانغالتي	400
القادمون من كوليلي (إعدادية)	150

يتبع

Ibid.

(87) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 656 du 18 décembre 1913.

(88) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 729 du 2 juin 1914.

(89) Ibid.

(90) يقصد بهم جميع طلاب الصف الثالث من خمس إعداديات (idâdiye) مجتمعة في كوليلي، منها تلك التي في أدرنة ودمشق وأرزينجان وبغداد. وبإضافة 150 من المرفعين من طريق تدابير خاصة، نصل إلى مجموع 914، وهو العديد الكامل لدفعة في الإعدادية. يُنظر:

Scanned with CamScanner

تابع

الصف الثالث (إعدادية كوليلي)[90]	764
الصف الثاني (إعدادية كوليلي)	275
الصف الأول (إعدادية كوليلي)	380
مجموع الطلاب	2979
العدد الإجمالي للطلاب المتخرجين ضباطًا في تاريخ 1 تشرين الأول/ أكتوبر 1918	4052
ضباط الاحتياط المتخرجين والمنضمّين إلى الجيش النظامي[91]	100
مجموع الضباط المنوي تخريجهم في عام 1918	4152

أثار شراء المدرعة البحرية «ريو دي جانيرو» بسعر 2,340,000 ل.ت.، حماسة كبيرة في البلاد، وحصلت على اسم «السلطان عثمان». وقام جمال باشا بالتفاوض لاستقدام جزء كبير من طاقمها، وكذلك الأمر بالنسبة إلى المدرعة «الرشادية». ويبدو أن صحيفة **طنين** أفشت إحدى غايات هذه الصفقة: ممارسة تأثير كبير في تسوية قضية الجزر[92].

توقع الرأي العام والحكومة إنشاء صناعة عسكرية عثمانية بمساعدة من رؤوس الأموال والمتخصصين الأجانب، حيث تسمح هذه الصناعة العسكرية العثمانية للجيش بتصنيع ذخيرته ومعلّباته في زمن الحرب، وإعفائه في زمن السلم، إلى حد ما، من الاعتماد على الموردين الأجانب. وراقت هذه الفكرة الرأي العام لكونها تدغدغ القومية العثمانية[93].

---

(91) جرى قبول هؤلاء الضباط من الاحتياط في الجيش النظامي، بعد عام من الدراسة في مدرسة بانغالتي. يُنظر المصدر نفسه.

(92) كانت الحكومة العثمانية قد أنفقت منذ 29 كانون الأول/ ديسمبر 1913 مبلغ 12,000,000 ل.ت.، مسحوب من قرض بيربيه. يُنظر:

S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 668 du 6 janvier 1914.

(93)

S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 721 du 9 mai 1914.

Scanned with CamScanner

كان قرار التحالف مع ألمانيا قد اتخذه أنور، على الأرجح، في شهر حزيران/ يونيو 1914. وجرى التوقيع على المعاهدة السرية للتحالف في 2 آب/ أغسطس 1914، حيث يمكننا وضع دوافع عدة كفرضية لهذه المبادرة. ففي مواجهة أوروبا الموحدة نسبيًا، كانت الدولة العثمانية تخاطر بمواجهة منافستها التقليدية، روسيا. وكان التحالف مع القوى المركزية يبدو على أنه السد الدفاعي الأكثر فاعلية، حيث كانت هناك، أولًا وقبل كل شيء رغبة في الانتقام، واسترداد الأراضي المفقودة، ومن ثم إنهاء الوصاية المالية لنظام التنازلات.

حققت إعادة تنظيم الجيش الجاري تنفيذها، تغييرات جوهرية. وقامت على أساس 36 فرقة نظامية، تتوزع على 13 فيلقًا (جيشًا) وفرقتين مستقلتين. وأُسس قانون التجنيد الجديد على مبدأ اقتصادي عام. عمومًا، كان كل شيء يتجه إلى تبسيط الجيش وتجديده من خلال الخدمة في الولايات والتقاعد وخفض عدد الوظائف. اعتلى الضباط الشبان من هيئة الأركان العامة برئاسة أنور السلطة، وبدأوا العمل بحماسة وعزيمة.

«اليوم، كما في الأمس، كان الأمر يتعلق بالحرب الكبرى، مع جيوش بلغ مجموعها مئات الآلاف. بالنسبة إلى هذه الجماهير، لا يكفي الارتجال حتى لو بلغ الحد الذي يدفع إليه الأتراك. الأمر يتطلب إعدادًا طويلًا، منهجيًا ودقيقًا، ولإنجاز ذلك بطريقة ناجحة، من الضروري على وجه التحديد أن تتوافر صفات تنقص الشرقي، والتركي على وجه الخصوص»[94].

كان هناك تحيز معين بدا في تصريحات الملحق العسكري الفرنسي، لكن الوقت كان قد نفد لتحفيز الجهاز العسكري القديم الموروث عن الحقبة الحميدية، وهو جهاز باهت، بأعبائه وأخطائه. لذلك جاء في أهداف «تركيا الفتاة» إعادة تشكيل هذا الجهاز بأنموذج جديد، وبث روحيّة جديدة فيه. ووضع التنظيم الذي أسسه محمود شوكت باشا قيد التطبيق، وجرى تشجيع التعليم في كل مكان.

(94) S.H.A.T., 7N1638, Constantinople, rapport no. 713 du 8 avril 1914.

إلا أن الثورات الداخلية - ألبانيا واليمن وحوران - إضافة إلى السياسة وعدم توافر الوقت تسببت بجعل هذا الجهد شاقًا. وحيث خرج مشوهًا من حروب البلقان، بدا أنه من الصعب أن يتمكن الجيش، بعد عام، من تحقيق التقدم الهائل المطلوب. اتسعت الخسائر في صفوف الجيش، الذي كان لديه ما يكفي من الوقت لحصرها وإعادة تنظيم صفوفه. ولم يتمكن سوى في شهر نيسان/ أبريل 1914 من استعادة قاعدته الإقليمية[95].

وصلت البعثة الألمانية، لكنها لم تكن سوى أداة. وجرى وضع خطة إعادة تنظيم جديدة، كانت مجرد إطار قابل للتعديل في كل يوم. وبقي العمل التنظيمي قيد التنفيذ، عبر التعاون بين البعثة العسكرية الألمانية والسلطات العسكرية العثمانية.

كان أحد الأسباب الرئيسة للانتكاس في الجيش العثماني هو سوء التأطير فيه. فمشكلة النقص في الكوادر التي كان يعانيها في خلال الحرب الأخيرة، بنقص يبلغ حوالى 6000 ضابط، لم تكن قد حلت بعد. وفي الواقع، فإن عدد الذين فقدهم الجيش في خلال الحرب، وأولئك الذين أحيلوا على التقاعد، يتطابق تقريبًا مع الخفض في الكوادر الناتج من التنظيم الجديد[96].

قبل الحرب، كان عدد ضباط الصف صغيرًا جدًا. وبحلول عام 1909، جرى القضاء على جميع أولئك الذين شاركوا في الانقلاب المضاد، وعشية بدء الأعمال العدائية، فإن إقالة دفعة عام 1908 (1324هـ)، وهي الأقدم، حرمت الأفواج من العدد الأكبر والأفضل منهم[97].

أما بالنسبة إلى القوات، فبالكاد نال ربع العديد تعليمًا عامًا. ووُضعت موضع التنفيذ دورات التدريب الممتدة على ستة أسابيع، والمخصصة لجنود الاحتياط الرديف. لكن إلى أي مدى استفادت منه هذه القوات؟ وهل كان بإمكانها أن تعادل

---

(95) Ibid.

(96) Ibid.

(97) Ibid.

دفعة كاملة جديدة؟ اقتصر الأمر على استدعاء المعيلين في جيش الخدمة الفعلية، لكن لم يحصل أي شيء في ما يتعلق بجنود الاحتياط. وحدهم الذين ذهبوا إلى الحرب كانوا قد تلقوا تعليمهم وتدريبهم. لكن التجربة كانت مرة؛ إذ إنهم ذهبوا مكرهين ومجبرين في شهري أيلول/ سبتمبر وتشرين الأول/ أكتوبر 1912.

لم يتجاوز عدد العناصر في الكتائب 400 جندي في المتوسط. وكان من المفترض أن يزداد هذا العدد ليبلغ 1000 جندي، عند التحاق جنود الاحتياط[98]. أما بالنسبة إلى سلاح الفرسان، فكان يفتقر إلى السروج والخيول والتعليم والتكتيك. كانت فرقة سلاح المدفعية قد فقدت كثيرًا من معداتها. وكان يمكنها تحميل حوالى نصف دزينة من البطاريات. ولم يكن هناك بطارية للفيلق. وتكونت هذه البطاريات من مدافع ميدان أو مدافع جبلية مختلفة، كروب وشنايدر. وقد كان من الممكن اصطحاب 350 طلقة للقطعة الواحدة، لكن كان هناك نقص في العربات التي تجرها الدواب. من أين كانت تتم مصادرتها؟[99]

لم تكن الخدمات متطورة جدًا، إذ أظهرت الخدمات الصحية محدوديتها في خلال حروب البلقان. كما أن الخدمات الخلفية، بما فيها تنظيم القطارات، لم تكن تعمل بشكل جيد جدًا، وكان الوقت قد فات لإعادة إصلاحها. أما في خلال الحرب السابقة، فلم يتم تأمين الغذاء والذخيرة.

لم يكن تنفيذ التعبئة سهلًا، وذلك بسبب تغيير قواعد تحضيرها: قوائم التجنيد والتعيينات ووسائل الاتصال. وكانت الوحدات الناشطة لا تزال تتشكل في كثير من الأماكن، فيما الأخرى وصلت إلى مواقعها العسكرية. وبالنسبة إلى تدريب أفواج الاحتياط الرديف فكان أيضًا أكثر صعوبة، لعدم توافر مسؤوليها التنفيذيين ومدفعيتها وخدماتها. وتمت تعبئة الأقسام الناشطة من طريق استقدام جميع الرجال المتعلمين الذين أمكن جمعهم وتأطيرهم[100].

---

(98) Ibid.

(99) Ibid.

(100) Ibid.

Scanned with CamScanner

كانت مشكلة حشد القوات في تراقيا الغربية أو في شرق الأناضول، عصيّة على الحلّ في بداية الحرب الثانية. وتطلبت الحرب على نطاق واسع الحد الأدنى من البنية التحتية الاقتصادية للبلاد التي كان لديها القليل من الطرق، وعدد قليل من خطوط السكك الحديد ذات الاتجاه الواحد. من وجهة النظر هذه، كان الوضع على حاله. وبهدف أن يكون الجيش قوة قابلة للاستخدام - إضافة إلى تدريبه وتعليمه ومعداته - فقد كان التقدم الاقتصادي ضروريًا. ولتحقيق ذلك، كانت السلطنة بحاجة إلى فترة طويلة من الهدوء الداخلي.

كان من الضروري أن تنسى البلاد ما مرت به، وأن تستعيد الثقة بقادتها، وتعيد بناء روح معنوية جديدة. افتُتحت ورش جديدة للجيش العثماني، من دون أن تُنجز. وهذا بالضبط ما كان متوقعًا من سر الطريقة الألمانية. فهذا التعاون لم يكن بالتأكيد سيحدث من دون احتكاكات وصدامات، ومن دون مقاومة وعقبات، لكن كان هذا هو التحدي بعينه.

بعد «ثورة تركيا الفتاة» في عام 1908، اعتلت السلطة الكوادر المدنية في جمعية الاتحاد والترقي، مثل طلعت باشا، لكن في خلال انقلاب الباب العالي في كانون الثاني/ يناير 1913، انتقلت مقاليد السلطة إلى أيدي الضباط العسكريين في جمعية الاتحاد والترقي، وخصوصًا أنور باشا الذي حرض على ذلك. ومنذ عام 1908، أصبحت مسألة الجيش والسياسة ذات أهمية كبيرة. وانقسم الباشاوات مجموعتين: كان هناك من جهة الباشاوات الاتحاديون، الذين وضعوا الجيش في قلب السياسة (أنور وجمال)، ومجموعة أخرى من الباشاوات كانت تدعم منذ عام 1909 فكرة أن الجيش يجب أن يبقى بعيدًا عن السياسة (مصطفى كمال وفوزي جقماق) والذين جرى استبعادهم وتهميشهم. وشهدت هذه الفترة التصفية الجسدية أيضًا لوزراء الحربية الذين أرادوا إبقاء الجيش بعيدًا عن السياسة: ناظم باشا (1912) ومحمود شوكت باشا (1913).

عندما تولى أنور باشا منصب وزير الحربية، أدار الأمور بطريقة شخصية جدًا. وكانت سياسة ضخ دم الشباب في المِلاكات التي تولاها، ستؤتي ثمارها على المدى الطويل. كما جرى تدريب الكثير من كوادر حرب الاستقلال. وعلى

المدى القصير، قرر أنور التحالف مع ألمانيا ودخول الحرب العالمية الأولى، لتنفيذ خططه التي تنزع إلى الوحدة الإسلامية.

بدأ التعارض بين مصطفى كمال وأنور في خلال أول اشتباك داخل الجيش في عام 1909[101]، حيث تواجهت اثنتان من وجهات النظر المتعارضة. كان أنور ملحقاً عسكرياً في برلين، ولديه خطط كبيرة للسلطنة[102]. وفي بداية الحرب العالمية الأولى، كان مسؤولاً عن كارثة سَريقَميش، حيث رمى بالجنود العثمانيين. وفي الوقت نفسه، أراد مصطفى كمال، وهو من دعاة الواقعية السياسية، أن يمسك بأي ثمن بمفتاح الدردنيل في جناكالي [هي قلعة سلطانيه، أي قلعة السلطان] العصية على العدو. وفي نهاية الحرب العالمية الأولى، شرع أنور بمغامرات جديدة في آسيا الوسطى، حيث سقط في ساحة المعركة في أثناء قتاله مع البلاشفة. وفي الفترة نفسها، قاد مصطفى كمال حرب الاستقلال التي تُوِّجَت بالنصر.

---

(101) Z. Toprak, «İrtica» dan «Inkılâp'a,» *Toplumsal Tarih* (April 2004), p. 80.

Aydemir, *Enver Paşa*, II, p. 439.

(102) الاستشهاد بعصمت إينونو في:

Scanned with CamScanner

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

خاتمة

فتحت «التنظيمات» عصرًا جديدًا، عبر تغيير صفات الدولة في المجتمع. كما أنشأت علاقة جديدة بين الحكام والمحكومين، وأدت إلى هيمنة الدولة الأمة في القرن العشرين. وشجع الترويج للمدارس المدنية والعسكرية والجيش الجديد خصوصًا، على ظهور هويات جديدة. وبعد حل الانكشارية في عام 1826، أعيد تعريف الجيش العثماني مثلما أعيد إنتاج الهوية العثمانية.

حملت سياسة المركزة ثمارها في الجيش العثماني، عبر تحقيق هيكلية تنظيمية كاملة لمؤسسة أُعيد إصلاحها. وكان التجنيد في المناطق المعفاة لا يزال يقدم إلى السلطان كطلب نابع من حاجة محلية، في حين كان الأمر يتعلق بتغير موازين القوى. ووجب على سلطات الدولة، تبعًا للتقليد العثماني، أن تقوم بالتفاوض مع وجهاء وشيوخ العشائر لإيجاد حل وسط.

أنجزت الإصلاحات المتعاقبة مركزية الجيش، مع بعض المقاومات المحدودة. وانتقل الإصلاح في الجيش العثماني من «المركز»، من الجيش النظامي، لينتشر تدريجًا إلى «الأطراف»، شاملًا في هذه العملية القوات المساعدة. وهكذا تفرع «المركز»، وفتح القنوات، واستقطب الموارد البشرية لمصلحته في الأراضي السلطانية. وفي هذا الفضاء العسكري ذي الهندسة المتغيرة، كان هناك انتقال من مواجهة محتملة إلى مأسسة، وبالتالي توطيد الدولة[1]. وانطلاقًا من فضاءات «المركز»، حيث يعد تنظيم الجيش الحديث وظيفيًا، وعبر ترسانة من

---

(1) K. Barkey, *Bandits and Bureaucrats: The Ottoman Route to State Centralization* (Ithaca: Cornell University Press, 1994), p. 3.

Scanned with CamScanner

التدابير الملائمة لكل ولاية، مهما بلغت التكاليف، انتهجت الحكومة سياسة ثابتة لدمج «مجالات الأطراف».

بدءًا من عام 1908، لم يعد تنظيم الجيش فتويًا، بل وُضعت أسس الجيش الوطني. ودشنت إصلاحات «تركيا الفتاة» العسكرية في عام 1908 الانسجام - من ناحية التجنيد - في داخل الجيش، هو أمر سيتم الانتهاء منه في ظل الجمهورية. فأذنت بنهاية الخصوصيات المحلية والمناطقية، وأعطت زخمًا إضافيًا لسياسة المركزة والتثاقف. وجرى تأطير التشكيلات غير النظامية أكثر فأكثر، خصوصًا منذ انطلاق «ثورة تركيا الفتاة» في عام 1908، للدخول في مرحلة انتقالية نحو الاندماج بالجيش النظامي، وهو الأمر الذي كان مخططًا له في عام 1914 للقوات الحميدية، على سبيل المثال.

أصبح التنظيم الجديد أكثر أهمية، ومهد بدرجات متتالية الطريق إلى حضور الدولة. لكن هذه الإصلاحات لم تكن قادرة على تحقيق وحدة التراب السلطاني بأكمله، الأمر الذي سيكون سببًا للضعف والإخفاق الذي شهدته في خلال الحرب العالمية الأولى. كما أن بعض الولايات، ولا سيما ولايات الجزيرة العربية، لم ينخرط فعلًا في نسيج السلطنة، ومن هنا كان الانقسام في الدولة العثمانية الذي كشف خاصرتها.

تغيرت العلاقات بين الدولة والأفراد. واستثمر جهاز الدولة إمكانات الولايات والمقاطعات عبر شبكة المدارس العسكرية، وفيالق الجيش في كل ولاية، مع الحرس المستقر وتدريباته التي تجمع الجنود في أماكن صغيرة. بكلمة واحدة، فرضت الدولة والجيش نفسهما على الحياة اليومية لرجال السلطنة.

تطورت القدرات العسكرية المحلية للأطراف تدريجًا نحو الاندماج في الجيش النظامي العثماني. وظهرت هويات جديدة، الهويات العسكرية للنظامي: ضابط خريج - تدرب في المدارس العسكرية الجديدة - أو ضابط صف - ضابط سابق تدرب في الميدان - والجندي المجند. وساهم التجنيد في ظاهرة الشخصنة: من خلال إقامة علاقة مباشرة بين الفرد والدولة وإلغاء وساطة المجتمع. واتخذت الهويات القديمة للقوى «التقليدية» المحلية أشكالًا «حديثة». واكتسب الجيش

Scanned with CamScanner

الجديد الذي أنشأه محمود الثاني هوية إسلامية كان قد حافظ عليها طوال القرن التاسع عشر.

إن ظاهرة خضوع التطور العلمي والتقني لاحتياجات الجيش أسفرت عن انتشار ضئيل للعلوم الحديثة في المجتمع. ففي النصف الأول من القرن التاسع عشر، كان تدريس التخصصات العلمية الحديثة حكرًا على المدارس العسكرية. وهدف نقل هذه المعارف إلى التحسين الجوهري لأداء الجيش في مجالات المدفعية والتحصينات أو بناء السفن. ولم تُنشأ مدرسة للهندسة المدنية إلا في عام 1884. وشاركت مساهمة العسكريين في العلوم والتعليم أيضًا في إرساء الأسس الفكرية للأمة التركية الحديثة.

شكَّل الضباط المتعلمون نخبة قليلة العدد، ما أعطى لهم مكانة خاصة جدًا في المجتمع. فكانت المدارس بمنزلة مصعد اجتماعي، ومعظمهم جاء من الشعب. وإذ غدوا بطبيعة الحال ضباطًا في الجيش، كانت لديهم أيضًا الكفاءة لشغل وظائف الملاكات المدنية. ومن هنا تأتي المكانة الخاصة جدًا للجيش في المجتمع التركي. فهو يُعتبر مؤسسة للامتياز والنخبة، من حيث التدريب وحيازة المعارف الرائدة. وفي الحقبة الحميدية، شغل العسكريون مناصب إدارية في الولايات، وزاد هذا التوجه بعد عام 1908؛ إذ إن العسكريين كانوا محركي هذه «الثورة». في الواقع، أصبح هناك المزيد من العسكريين في الإدارة أكثر من ذي قبل. ولم يكن هناك انفصال وانعزال بين المجالين العسكري والمدني.

لم يعد هؤلاء الضباط متموضعين تحت الولاء غير المشروط لعاهل أو سلطان، وإنما لسلطنة أو إمبراطورية. وأصبح بقاء الدولة العثمانية الخالدة (devleti ebed müddet) واستمراريتها هو أولويتهم. وإذ تدربوا ضمن روحية العمل الجماعي، وضعوا مهنيتهم في خدمة السلطنة. وتجدر الإشارة إلى أن جمعية الاتحاد والترقي أسست في قلب كلية الطب العسكرية في اسطنبول، وانتشرت تدريجًا في السلطنة، بدءًا من الكليات العليا في اسطنبول: الأكاديمية العسكرية، والأكاديمية البحرية، وبعض المراكز التي أصبحت ناشطة جدًا، مثل تلك الموجودة في سالونيك ومناستر.

Scanned with CamScanner

في نهاية القرن التاسع عشر، سمحت المدارس العسكرية أيضًا بـ «عثمنة» طلابها، الأمر الذي شكل خطوة كبيرة إلى الأمام في مجال التثاقف (التبادل الثقافي)؛ إذ إن اللغة الأم للشباب في بعض الولايات لم تكن التركية (المدرسة العشائرية). كما أن وظائفهم وإقامتهم في اسطنبول كانت مؤشرات أيضًا على درجة التثاقف لديهم. الجيش العثماني، وبالتأكيد أكثر من الإدارة، ومن خلال الانضباط الذي حافظ عليه في صفوفه وبعثاته، حافظ أيضًا على روحية العمل الجماعي.

من هذا التنوع، تظهر شخصية الضباط المتخرجين اللامعة، والذين ساهموا بمهاراتهم المتميزة: سواء في الجيش، أم في إدارة الولايات، وكذلك في التعليم؛ مثل أول وزير للمعارف على سبيل المثال. كما ساهموا أيضًا في تحريك الأفكار والنقاشات الجديدة: مثل سليمان باشا الذي ابتكر مفهوم «الجامعة التركية» منذ ستينيات القرن التاسع عشر. كما أن التزامهم الإصلاح السياسي كان أيضًا قويًا جدًا، وكانوا معنيين، في المقام الأول، إلى جانب المثقفين المدنيين في عملية التغيير. وهكذا، فإن الضباط المدربين في خلال الحقبة الحميدية - قادة «تركيا الفتاة» لثورة 1908 - هم أيضًا بناة الدولة الأمة، التي خلفت الدولة العثمانية في البلقان والشرق الأوسط.

سنشهد على حالة غير مسبوقة في الدولة العثمانية، حيث تعددت النزاعات في الجيش. وفي هذا الصدد، لم تكن هناك بالفعل حدود قانونية بين الضباط والجنود؛ إذ طال التعسف الحميدي المستويات جميعها: الضباط والجنود على حد سواء. جميعهم تأثرت علاقتهم بالسلطة الحميدية، حيث أبقى الجنود بشكل عام في الخدمة لمدة أطول مما ورد في الأحكام التنظيمية، بسبب الانتفاضات في أنحاء السلطنة جميعها. في الواقع، وبعد مؤتمر برلين، لم تعرف السلطنة إلا حربًا واحدة في عام 1897، تلاها الكثير من المشكلات: لم تُدفع أجور الضباط لشهور عدة، ولم يتمكن الجنود من إعالة أسرهم، وعانى جميع السكان العواقب. وإذ ألقى واجب الخدمة بثقله على العنصر الإسلامي فحسب حتى عام 1909، زادت أيضًا حدة التوتر بين الطوائف الإسلامية وغير الإسلامية.

Scanned with CamScanner

لم تكن مطالب الجنود سياسية، لكنهم شاركوا، بمستويات أكثر تواضعًا لكن أكثر أهمية عملانية، إلى جانب الضباط الذين كانوا يحملون مشروعًا اجتماعيًا، في ديناميات التغيير في المؤسسة العسكرية والمجتمع العثماني.

تطورت الإمكانات المحلية العسكرية في الولايات النائية نحو الاندماج في الجيش العثماني. ووفر «الجيل الأول» من الحميديين المعينين بين العشائر الكردية، الكوادر للأفواج العشائرية. أما أبناء زعماء العشائر، فتابعوا دراستهم في مدرسة العشائر أو المدارس المحلية. في حين أن أولئك الذين ذهبوا إلى العاصمة، مثل ابن إبراهيم باشا الملّي، للدراسة في الكلية الحربية، انضموا إلى الجيش النظامي، وساهموا في تثبيت المؤسسة العسكرية في منطقتهم(٤). وبفضل تعليمهم وشهاداتهم، وجد «الجيل الثاني» نفسه في مناصب رفيعة جدًا من المسؤولية في الدول التي خلفت الدولة العثمانية.

كانت فاعلية الإصلاحات مهمة، بسبب تطور الجيش. وبعد أن كان الجيش في البداية «أداة» للدفاع عن السلطنة، أصبح في عهد تركيا الفتاة - وبفضل الإصلاحات في الحقبة السابقة - «أداة» لتحديث المجتمع.

كانت النزعة العسكرية والحفاظ على سلامة السلطنة ووحدتها محركين قويين لدى تركيا الفتاة. لذلك كانا الجهة الفاعلة في التغييرات المستدامة في السلطنة؛ مثل «ثورة تركيا الفتاة» (1908) التي وضعت أسس الجيش الوطني، وأنهت تنظيمه الفئوي. كما أتت هذا الثورة أيضًا نتيجة الإصلاحات العسكرية التي أقرها عهد «التنظيمات» في القرن التاسع عشر، وحملت في داخلها بذور «الثورة الكمالية». لذلك، ساهم تبني العلوم الغربية في ظاهرة قادت النخب في تركيا إلى «التفكير الأوروبي».

بدءًا من عام 1908، أصبحت مسألة الجيش ودوره في السياسة غاية في

(٤) مع ذلك، في عام 1925، غادر معقل العائلة في بلدة قبر الشهير - التي كنت هناك في تركيا
مصغر في شمال سوريا، وأصبح في ما بعد عضوًا في مجلس الشعب السوري. يُنظر
R. Brubaker, Ottoman Nationalism: Violence, Entrepreneurship and Identity in the Ottoman Borderlands, Princeton University Press, 2017, p. 69
Syria in the Last Decades of Ottoman Rule," *Iran and Iraqi Arab Studies*, XVII 1-2 (1983), p. 69

الأهمية. وكانت هناك مزايدة مستمرة، يغذيها ضغط الحروب، في طرابلس الغرب والبلقان. الباشاوات الذين أرادوا إبقاء الجيش بعيدًا عن السياسة، كانوا ضحايا تصفية الحسابات، حيث جرى القضاء عليهم جسديًا (ناظم باشا ومحمود شوكت باشا) أو جرى تهميشهم، مثل مصطفى كمال باشا وفوزي جقماق باشا. لكنهم عادوا بعد الحرب العالمية الأولى، عندما تبعثرت جماعة أنور بعد الهزيمة، وأصبح هناك نوع من الفراغ في السلطة. واحتلت قوات التحالف الأناضول، وكُرِّسَ تقسيم السلطنة عبر معاهدة سيفر (Sèvres) (10 آب/ أغسطس 1920). ورأس مصطفى كمال حركة التحرير الوطني التي أعطته شكلًا جديدًا من أشكال الشرعية. وسمحت الانتصارات الكمالية بالبدء بمفاوضات جديدة، أدت إلى معاهدة لوزان (24 تموز/ يوليو 1923).

جرت التغييرات المؤسسية للجمهورية التركية الشابة على ثلاث مراحل: إلغاء السلطنة في عام 1922، وإعلان الجمهورية التركية في عام 1923، وإلغاء الخلافة في عام 1924. ثم اعتُمِد برنامج الإصلاحات الجذرية المخصص لإنتاج الدولة الأمة التركية الجديدة، مقطوعة عن ماضيها العثماني. وفي تركيا المعاصرة، استُثمِر الجيش في مهمة مميزة وخاصة، تتخطى الدور التقليدي في الدفاع عن الوطن. في الواقع، وبعد حرب الاستقلال، تحول جيش التحرير الوطني «المنتصر» إلى جيش جمهوري وطني وعلماني. وفي دستور عام 1928، أصبحت العلمانية ركيزة القانون الوضعي التركي، تكفلها القواعد الداخلية للقوات المسلحة التركية. وإذ أُبْعِدَ عن السياسة، لم يعد الجيش هو ذلك السيف المسلط فوق رقبة الأحزاب. ومنذ عام 1960، استدعى المدنيون في السلطة الجيش للدفاع عن مبادئ النظام الجمهوري العلماني، فاستجاب للنداء بثلاثة انقلابات ونصف، الأمر الذي يثبت أن المدنيين كانوا لا يزالون يعتبرون الجيش حارس النظام، «وفقًا للتقاليد العثمانية»، وهي نزعة تميل ببطء نحو التلاشي.

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

المراجع

Archives françaises[1]

Archives diplomatiques françaises

A.E.: Archives diplomatiques du ministère des affaires étrangères français à Paris

Consultation systématique des registres thématiques relatifs à la défense nationale et à la marine relevant de la correspondance politique et commerciale (C.P.C.). Nouvelle Série (N.S. 153 à 163, 1897-1918).

NS 2 à 9, Turquie, politique intérieure, Jeunes Turcs.

NS 151 à 153, Turquie, politique intérieure, Mésopotamie, Golfe persique.

NS 165 à 186, Tuquie, politique étrangère.

NS 432 à 435, Panislamisme.

C.C.C (correspondance commerciale et consulaire) de Bosna-Seraï, vol. 1 à 3, 1812-1878.

C.C.C de Mostar, vol. 1 à 3, 1863 à 1878.

C.P.C. (correspondance politique et commerciale) de Serajevo, vol. 7 à 12, 1869-1879.

A.E.N.: Archives consulaires du ministère des affaires étrangères français à Nantes.

- Série E

Fonds Constantinople, nos. 434-443, cartons relatifs à l'armée de terre et à la marine. 1847-1911.

- Série D

Fonds Smyrne, nos. 54-55.

- Série B

(1) تستند هذه الدراسة إلى ثلاثة مصادر رئيسة من المحفوظات: الفرنسية والعثمانية والألمانية.

Scanned with CamScanner

Fonds Berlin

. Correspondance avec les échelles, dont le fonds Diarbékir, 1874-1914, le fonds Erzérum 1842-1914.

. Petis Fonds

Fonds Sarajévo, vol. 1-19, 1851-1914.

Archives militaires françaises

S.H.A.T.: Archives du Service Historique de l'Armée de Terre, à Vincennes.

7N1624 à 7N1641, 1875 à 1919, rapports des attachés militaires.

7N cartons thématiques relatifs à l'armée ottomane.

20 N et 5 N cartons relatifs à la guerre d'indépendance.

Archives ottomanes

B. O. A.: Başbakanlık Osmanlı Arşivi, Istanbul.

D. H.: *Dâhîliye Nezareti Evrakı.*

Harbiye ve Askeriye defterleri.

Irade tasnifi.

M. V.: *Meclis-i Vükelâ Mazbataları.*

Vilâyetler Gelen-Giden.

Y.A.-H.U. S: *Yıldız Sadâret Husûsi Mâruzat Evrakı.*

Y. E. E.: *Yıldız Esas Evrakı.*

Y. M. T. V.: *Yıldız Mütenevvi Mâruzat Evraki.*

Archives militaires ottomanes

ATASE: Archives de l'état-major turc, à Ankara

- série guerre italo-turque

- série Première guerre mondiale

D.M.A.: Deniz Müzesi arşivi, Istanbul.

- séries postérieures à la révolution jeune-turque de 1908

Archives allemandes

Archives diplomatiques

P.A.-A.A.: Politisches Archiv-Auswärtiges Amt, Berlin

Scanned with CamScanner

Série I.A.B.q.

Série Türkei 139, vol. 1-33, 1880-1914.

Série Türkei 142, vol. 1-43, 1881-1915.

Série Türkei 158 secr, vol. 1-2, 1981-1919.

Série Türkei 159 n° 3, vol.1-4, 1887-1919.

Série Türkei 181 secr., vol. 1-2, 1889-1917.

Série Türkei 202 secr., guerre italo-turque, vol. 1-2, 1911-1912.

Série Türkei 202 secr., guerres balkaniques, 1 vol., 1912.

Archives militaires

B.A.-A. A.: Bundes Amt-Militär Archiv, Freiburg i. B.

Archives privées du général Kaehler (1830-1885), N65/11, vil. 10-17, 1882-1885

Archives privées de l'amiral Souchon (1864-1946), N 156, vol. 1-21, 1913-1917.

Archives privées du général von Seeckt (1866-1936), N 247, vol. 40-54, 1916-191

Archives privées du général von Seeckt (1866-1936), N 247, vol. 247/202 c, 247/283.

Archives privées du général von der Goltz (- 1916), N 737, vol. 5-13, 1894-1913.

Archives privées du général Liman von Sanders, MSG1-441, MSG1-546, MSG1-895, MSG1-101/205.

Archives de la marine impériale allemande, Freiburg i. B.

Série RM2 et RM3, correspondances de l'attaché naval à Istanbul.

Série RM5, Première guerre mondiale.

Série RM40, actes de commandos de la marine en Turquie.

المصادر

1897 Türk-Yunan harbi. Kültür ve Turizm bakanlığı yayınları, 1982.

Abu Manneh, B. «Sultan Abdul Hamid II and Shaikh Abulhuda Al-Sayyadi. » *Middl Eastern Review*. vol. 15. no. 2 (1979).

_____. «Sultan Abdülhamid II and the Sharifs of Mecca (1880-1900). » *Asian and African Studies*. vol. 9 (1973).

Adanir, F. *Die makedonische Frage: Ihre Entstehung und Entwicklung bis 1908.* Wiesbaden: Steiner, 1979.

Scanned with CamScanner

_____. «The Macedonian Question: The Socio-Economic Reality and Problems of its Historiographic Interpretations. » *International Journal of Turkish Studies*. vol. 3. no. 1 (1984-1985).

Agulhon, M. *L'Histoire vagabonde*. 3 vols. Paris: Gallimard, 1988.

_____. *La République au village: Les populations du var de la révolution à la seconde république*. Paris: le Seuil, 1979.

Ahmad, F. *The Young Turks: The Committee of Union and Progress in Turkish Politics 1908-1914*. Oxford: Clarendon Press, 1969.

Ahmed, S. *Son osmanlı Rus muharebesi*. Egypte: Hindiye Matbaa, 1328 H. [1910].

Ahmed Emín, Y. *Turkey in the World War*. New Haven: Yale University Press, 1930.

Akarli, E. D. «Economic Policy and Budgets in Ottoman Turkey, 1876-1909. » *Middle Eastern Studies*. vol. 28. no. 3 (July 1992).

_____. «Friction and Discord within the Ottoman Government under Abdülhamid II (1876-1909).» *Boğazici Üniversitesi Dergisi, Beşeri Bilimler-Humanities*. vol. 7 (1979).

_____. *The Long Peace, Ottoman Lebanon, 1861-1920*. Berkeley; Los Angeles; London: University of California Press, 1993.

_____. «The Problem of External Pressures, Power Struggles and Budgetary Deficits in Ottoman Politics under Abdülhamid II (1876-1909). » PhD. Dissertation, Princeton University, 1976.

Akçura, Y. *Üç tarz-ı siyaset*. Ankara: T.T. K., 1991.

Akpınar, A. *Osmanlı devletinde 'aşiret mektebi*. Istanbul: Göçebe yayınları, 1997.

Aksan, Virginia. «Breaking the Spell of the Baron de Tott: Reframing the Question of Militray Reform in the Ottoman Empire 1760-1830. » *The International History Review*. vol. 24. no. 2 (June 2002).

_____. «Locating the Ottomans among Early Modern Empires.» *Journal of Early Modern History*. vol. 5 (1999).

_____. «Ottoman Political Writing 1768-1808.» *International Journal of Middle East Studies*. vol. 25 (1993).

Akşin, S. *31 mart olayı*. Ankara: Ankara Universitesi, Siyasal Bilimler Fakültesi, 1970.

_____. *100 soruda Jön Türkler ve İttihad ve Terakki*. Istanbul: Gerçek Yayınevi, 1980.

Scanned with CamScanner

_____. *Jön Türkler ve İttihat ve Terakki*. Istanbul: Remzi Kitabevi, 1987.

Aktar, Y. « Tanzimat'tan Cumhuriyet'e Gençlik. » In: *Tanzimat'tan Cumhuriyet'e Türkiye Ansiklopedisi*. vol. 2. Istanbul: İletişim yayınları, 1985.

Akün, Ö. F. «Nâmık Kemal ile Süleyman Paşa'nin Bağdad sürgünlüğü sırasında ilk mekteplaşmaları.» *Türk Dili ve Edebiyatı Dergisi*. vol. 23 (1977).

Alderson, A. D. *The Structure of the Ottoman Dynasty*. Oxford: Clarendon Press, 1956.

Alkan, A. T. *İkinci meşrutiyet devrinde ordu ve siyaset*. Ankara: Cedit Neşriyat, 1992.

_____. «Üç tarz-ı siyasete.» *Türkiye günlüğü*. no. 31 (October-November 1994).

Allen, W. E. D. and P. Muratoff (eds.). *Caucasian Battlefields: A History of the Wars on the Turco-Caucasian Border 1828-1921*. Cambridge: University Press, 1953.

Anastassiadou, M. *Salonique, 1830-1912: Une Ville ottomane à l'âge des réformes*. Leiden: E. J. Brill, 1997.

Anderson, D. *The Balkans Volunteers*. London: Hutchinson, 1968.

Anderson, J. H. *Russo-Turkish War 1877-8, in Europe*. London: [s. n.], 1910.

Anderson, M. S. *The Eastern Question, 1774-1923: A Study in International Relations*. London; New York: Macmillan, 1966.

Andreas, W. *Geist und Staat, Historische Porträts: (Helmut von Moltke)*. Göttingen; Berlin: Musterschmidt, 1960.

Anscombe, F. F. *The Ottoman Gulf: The Creation of Kuwait, Saudi Arabia and Qatar, 1870-1914*. New York: Columbia University Press, 1997.

Arai, M. *Turkish Nationalism in the Young Turk Era*. Leiden: E. J. Brill, 1990.

Arcelin, A. « Une Mission militaire en Turquie (1784-1788).» *Revue de la société littéraire, historique et archéologique du département de l'Ain* (1873).

Aristarchi Bey, G. *Législation ottomane, ou recueil des lois, règlements, ordonnances traités, capitulations et autres documents officiels de l'Empire ottoman* Constantinople, 1873.

Armaoğlu, F. H. *Siyasi tarih, 1789-1960*. Ankara: Sevinç Matbaası, 1973.

_____. *Siyasi tarih dersleri. 1789-1919*. Ankara: Sevinç Matbaası, 1961.

Aron, R. *Penser la guerre, Clausewitz*. 2 vols. Paris: Gallimard, 1976.

Askeri Tarih Bulteni (A.T.B.) (August 1984).

Atabinen, S. R. *Les Turcs occidentaux et la Méditerranée*. Istanbul: T. A. C. T., 1951

Scanned with CamScanner

Aulneau, J. *La Turquie et la guerre*. Paris: Bibliothèque d'histoire contemporaine, 1915.

Avcı, A. *Türkiye'de 'askerî yüksek okullar tarihçesi*. Ankara: Genelkurmay Basımevi, 1963.

Aydemir, Ş. S. *Makedonya'dan Ortaasya'ya Enver Paşa*. 2nd ed. 3 vols. Istanbul: Remzi Kitabevi, 1976.

_____. *Suyu arayan adam*. Istanbul: Remzi Kitabevi, 1961.

_____. *Tek adam*. 3 vols. Istanbul: Remzi Kitabevi, 1966.

Aydoğan, E. and Eyyüpoğlu. *Bahaeddin Şakir Bey'in bıraktığı vesikalara göre, İttihat ve Terakki*. Istanbul: Alternatif Yayınları, 2004.

Aytar, O. *Hamidiye alaylarından köy koruculuğuna*. Istanbul: Medya güneşi yayınları, 1992.

Azouri, N. Bey. *Le Réveil de la nation arabe dans l'Asie turque*. Paris: Plon, 1905.

Baker Pasha, V. A. *War in Bulgaria: A Narrative of Personal Experience*. 2 vols. London: Low, Marston, Searle; Rivington, 1879.

Balkan, A. K. *Plevne müdafaası ve Gâzî Osman Paşa*. Balıkesir, 1952.

Balkan harbi (1812-1913), Inci cilt, *Harbin sebepleri, 'askerî hazırlıklar ve Osmalı devletinin harbe girişi*. Ankara: Gnkur. Basımevi, 1970.

Barckhausen, J. *Männer und Mächte am Bosporus: Abdul Hamid und seine Zeit*. Berlin: Schwetzen Verlag, 1938.

Bareilles, R. *Le Crépuscule ottoman, 1875-1933. Un Français chez le dernier grand sultan*. Paris: Privat, 2002.

Barkey, H. J. (ed.). *Reluctant Neighbor: Turkey's Role in the Middle East*. Washington, D.C.: United States Institute of Peace Press, 1996.

Barkey, K. *Bandits and Bureaucrats: The Ottoman Route to State Centralization*. Ithaca: Cornell University Press, 1994.

_____ and M. V. Hagen (eds.). *After Empire: Multiethnic Societies and Nation Building: The Soviet Union and the Russian, Ottoman and Habsburg Empires*. Boulder: Westview Press, 1997.

Barnett, C. *The Swordbearers: Studies in Supreme Command in the First World War*. London: Eyre and Spottiswoode, 1963.

Batatu, H. *The Old Social Classes and the Revolutionary Movements in Iraq*. Princeton: Princeton University Press, 1978.

Scanned with CamScanner

Batu, H. and Alric J.-P. (éds.). *L'Empire ottoman, la république de Turquie et la France*. Istanbul: Éd. Isis, 1986.

Baumont, M. *L'Essor industriel et l'impérialisme colonial (1878-1904)*. Paris: F. Alcan, 1937.

Bayerle, G. *Pashas, Begs and Effendis: A Historical Dictionary of Titles and Terms in the Ottoman Empire*. Istanbul: The İsis Press, 1997.

Bayrak, O. *Osmanlı tarihi yazarları*. Istanbul: Osmanlı yayınevi, 1982.

Bayur, H. K. *Sadrazam Kâmil Paşa siyasî Hayati*. Ankara: Sanat Basımevi, 1954.

Bayur, Y. H. *Türk Inkılabı Tarihi*. 10 vols. Ankara: Maarif Matbaası, 1940-1967.

Behar, C. *Osmanlı İmperatorluğu'nun ve Türkiye'nin Nüfusu 1500-1927*. Ankara: Devlet İstatistik Enstitüsü (Tarihi İstatistikler Dizisi, II), 1996.

Belen, F. *Birinci cihan harbinde Türk harbi*. 5 vols. Ankara: Genelkurmay Harb Tarihi ve Stratejik Etüt Başkanlığı, 1963-1967.

Belin, F. A. *Des Capitulations et des traités de la France en Orient*. Paris: Challamel, 1870.

Benoist-Mechin, J. *Histoire de l'armée allemande*. Paris: Michel, 1954.

vol. 1: *De l'armée impériale à la Reichswehr (1918-1919)*.

vol. 2: *De la Reichswehr à l'armée nationale (1919-1938)*.

Berkes, N. *The Development of Secularism in Turkey*. Montréal: McGill, 1964.

Berktay, H. and S. Faroqhi (eds.). *New Approaches to State and Peasant in Ottoman History*. London: Frank Cass and Co. Ltd., 1992.

Beydilli, K. *1790 Osmanlı-Prusya ittifakı*. Istanbul: İstanbul Üniversitesi Yayınlar 1984.

_____. *Türk bilim ve matbaacılık tarihinde mühendishâne, mûhendishâne matbaası ve kütüphanesi (1776-1826)*. Istanbul: Eren Yayıncılık, 1995.

Beylerian, A. « L'Impérialisme et le mouvement national arménien (1885-1890). » *Relations internationales*. no. 3 (1975).

_____. « Aux origines de la question arménienne, du traité de San Stefano au congrès de Berlin. » *Revue d'histoire diplomatique* (Janvier-Juin 1973).

Bihl, W. *Die Kaukasus-Politik der Mittelmächte*. Wien, Köln: Graz, H. Böhlau, 1975.

Bilici, F. « Révolution française, révolution turque et fait religieux. » *Les Arabes, les Turcs et la révolution française* (REMMM). nos. 52-53 (1990).

Scanned with CamScanner

Biliotti, A. and A. Sedad. *La Législation ottomane depuis le rétablissement de la constitution*. Paris: Jouve, 1912.

Biren, M. T. *II. Abdülhamid, Meşrutiyet ve Mütareke Devri Hatıraları*. 2 vols. Istanbul: Akma Yayınları, 1993.

Birinci, A. *Hürriyet ve itilâf firkası: II meşrutiyet devrinde Ittihad ve Terraki'ye karşi çıkanlar*. Istanbul: Dergâh Yayınları, 1990.

Bischoff, N. de. *La Turquie dans le monde: L'Empire ottoman*. Trad. de Bénouville. Paris: Payot, 1936.

Blaisdell, D. C. *European Financial Control in the Ottoman Empire*. New York: Columbia University Press, 1929.

Blumi, I. «Looking beyond the Tribe: Abandoning Paradigms to Write Social History in Yemen during the 1st World War. » *New Perspectives on Turkey*. vol. 22 (2000).

Bodinier, G. «Les Missions militaires françaises en Turquie au XVIIIème siècle.» Communication pour le colloque international d'histoire militaire. Vienne. 6-10 juin 1983 (dactylo.).

Bombaci, A. *Histoire de la littérature turque*. Paris: Klincksieck, 1968.

Boppe, A. «La France et le militaire turc au XVIIIème siècle.» *Feuilles d'histoire du XVIIe au XXe siècle* (Paris, 1912).

Bosna-Hersek ile ilgili arşiv belgeleri (1516-1919). Ankara: T.C. Başbakanlık Arşivleri Genel Müdürlüğü, 1992.

Bostan, İ. *Osmanlı Bahriye Teşkilatı: XVII. Yüzyılda Tersâne-i Amire*. Ankara: TTK, 1992.

_____. «Osmanlı bahriyesinin modernleşmesinde yabancı uzmanların rolü (1785-1819).» *Istanbul Üniversitesi Edebiyat Fakültesi Tarih Dergisi*. Pr. Dr. Hakki Dursun Yıldız hatıra sayısı, no. 35. Istanbul: Edebiyat Fakültesi Basımevi, 1994.

Bouthoul, G. *Traité de sociologie: Les Guerres, Éléments de polémologie, Méthodes, doctrines, et opinions sur la guerre*. Paris: Payot, 1951.

Bozarslan, H. «Révolution française et Jeunes Turcs (1908-1914).» *Les Arabes, les Turcs et la révolution française* (REMMM). nos. 52-53 (1990).

Bozbora, N. *Osmanlı yönetiminde Arnavuttuk ve Arnavut ulusçuluğu'nun gelişimi*. Istanbul: Boyut kitapları, 1997.

Bozdemir, M. *Armee und Politik in der Türkei*. Frankfurt: Dayeli Verlag, 1988.

Scanned with CamScanner

_____. *Les Clés de la Méditerranée orientale: Turquie, Grèce, Chypre*. Paris, Fondation pour les études de défense nationale, Dossier no. 25 (1989).

_____. *Türk ordusunun tarihsel kaynakları*. Ankara: Ankara Üniv. Siyasal Bilgiler Fakültesi Yayını, 1982.

Bozkurt, G. *Alman-İngiliz belgelerin ve siyasi gelişmeleri işığı altında, gayrimüslim osmanlı vatandaşlarının hukuki durumu, 1839-1914*. Ankara: T.T. K. Basımevi, 1989.

Brandes, G. M. C. *Feldmarschall Moltke*. München: A. Langen, 1902.

Brandt-van der Veen, J. *De voor geschiedenis van de Balkanoorlog*. Utrecht: Kemink and fils, 1935.

Braude, B. and B. Lewis. *Christians and Jews in the Ottoman Empire*. 2 vols. New York: Holmes and Meier Publishers, 1982.

Braudel, F. *Civilisation matérielle, économie et capitalisme XVe-XVIIIe siècle*. 3 vols. Paris: Colin, 1979.

_____. *La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II*. 2 vols. 3ème éd. Paris: A. Colin, 1976.

Bremond, G. (ed.). *Le Hedjaz dans la guerre mondiale*. Paris: Payot, 1931.

Brifaut, V. *Abdül-Hamid II et les puissances*. Bruxelles: Soc. Belge de Librairie, 1897.

British Documents on Ottoman Armenians. vols. 1-4 (1856-1895). ed. by B. Şimşir. Ankara: Türk Tarih Kurumu, 1982-1990.

Brown, L. C. *Imperial Legacy, the Ottoman Imprint on the Balkans and the Middle East*. New York: Columbia University Press, 1996.

Brummet, P. *Image and Imperialism in the Ottoman Revolutionnary Press*. 1908-1911. State University of New York, 2000.

Brunker, H. M. E. *Story of the Russo-Turkish War 1877-78*. London: Forster Groom and Co, 1911.

Burhan, O. *Yüzyıllar boyunca Alman gerçeği ve Türkler*. Istanbul: Can Matbaa, 1983.

Buzpinar, Ş. T. «Abdülhamid II and Sayyid Fadl Pasha of Hadramawt, an Arab Dignitary's Ambitions (1876-1900).» *Osmanlı Araştimaları*. vol. 13 (1993).

_____. «The Hijaz, Abdul Hamid II and Amir Hussein's Secret Dealings with the British, 1877-80.» *Middle Eastern Studies*. vol. 36. no. 1 (January 1995).

_____. «Opposition to the Ottoman Caliphate in the Early Years of Abdülhamid II: 1877-1882.» *Die Welt des Islams*. vol. 36. no. 1 (1996).

Scanned with CamScanner

Çağatay, M. *Gâzi Osman Paşa*. Istanbul, 1957

Çağır, Y. «Plevne müdâfaası ve Gâzi Osman Paşa.» Theses of Istanbul University edebiyat fak. Istanbul, 1974.

Çalık, R. «Colmar Freiherr von der Goltz (Paşa) ve bazı yönleri.» *Atatürk Araştırma Merkezi Dergisi*. vol. 12, no. 36 (1996).

Cambon, P. *Correspondance, 1870-1924*. vol. 1. Paris: Grasset, 1940.

Çaycı, A. *La Question tunisienne et la politique ottomane (1881-1913)*. Izmir: Edebiyat Fakültesi Matbaası, 1963.

Çelik, H. *Ali Suavi ve Dönemi*. Istanbul: İletişim, 1994.

Çelik, Z. *The Remaking of Istanbul: Portrait of an Ottoman City in the Nineteenth Century*. Seattle: The University of Washington Press, 1986.

Çetin, A. *Tunuslu Hayreddin Paşa*. Ankara: Kültür Bakanlığı, 1999.

_____ and R. Yıldız (eds.). *Sultan II: Abdül Hamid Han, Devlet ve Memleket Görüşlerim*. Istanbul: Çığır Yayınları, 1976.

Çetinkaya, Y. D. *1908 Osmanlı boykotu*. Istanbul: İletişim Yayınları, 2004.

Cemal, A. *Plevne müdâfaası*. Istanbul: 1325 [1907-1908].

Cevdet Paşa, Ahmed. *Ma'rûzât*. Istanbul: Çağrı yayınlar, 1980.

Cevat, A. *İkinci Meşrutiyetin İlanı ve Otuzbir Mart Hadisesi*. Ankara: Türk Tarih Kurumu, 1960.

Chaliand, G. (dir.). *Les Kurdes et le Kurdistan*. Paris: Maspero, 1981.

Chatnay, J.-P. *Les Contre-Orients ou comment penser l'autre selon soi*. Paris: Sindbad, 1980.

_____. *Critique de la stratégie*. Paris: l'Herne, 1990.

_____. *L'Islam et la guerre, de la guerre juste à la révolution sainte*. Paris: Fayard, 1986.

_____. *Islamic Culture and Socio-Economic Change*. Leyde: Brill, 1971; 2nd ed., 1981.

_____. *Principes de stratégie arabe*. Paris: l'Herne, 1984.

_____. *Sociologie religieuse de l'Islam*. Paris: Sindbad, 1978.

Childs, T. W. *Italo-Turkish Diplomacy and the War over Libya, 1911-1912*. Leyde: New York: E. J. Brill, 1990.

Cholet, A. P. *Arménie, Kurdistan et Mésopotamie*. Paris: Plon, 1892.

Scanned with CamScanner

Choublier, M. *La Question d'Orient depuis le Traité de Berlin. Étude d'histoire diplomatique*. Paris: A. Rousseau, 1897.

Cioeta, D. J. «Ottoman Censorship in Lebanon and Syria 1876-1908.» *International Journal of Middle East Studies*. vol. 10 (1979).

Ciriacy, L. F. v. *Théâtres de guerre de l'Autriche et de la Russie dans la Turquie d'Europe*. Paris: Levrault, 1828.

Çizgen, E. *Photography in the Ottoman Empire 1893-1919*. Istanbul: Haset Kitabevi, 1987.

Clausewitz, C. von. *De la guerre*. Trans. by D. Naville. Paris: éd. Minuit, 1963.

Clay, C. S. *Gold for the Sultan: Western Bankers and Ottoman Finance, 1856-1881*. London: I. B. Tauris, 2001.

Clayer, N. *Religion et nation chez les Albanais XIXe-XXe siècles*. Istanbul: İsis, 2003.

Cloarec, Y. (textes rassemblés par) *Napoléon: Comment faire la guerre*. Paris: Champ libre, 1973.

Çoker, F. *Bahriyemizin yakın tahrihinden kesitler*. Ankara: Dz. K. Karargāh Basımevi, 1994.

_____. *Tümamiral, Deniz harp okulumuz 1773*. Ankara: Dz. K. Karargāh Basımevi, 1994.

Cook, M. A. (ed.). *Studies in the Economic History of the Middle East*. London: Oxford University Press, 1970.

Cooke, W. S. *The Ottoman Empire and its Tributary States (Excepting Egypt) with a Sketch of Greece*. Amsterdam: B. R. Grüner, 1968.

Courbage, Y. et P. Fargues. *Chrétiens et juifs dans l'islam arabe et turc*. Paris: Fayard. 1992.

Cuinet, V. *Syrie, Liban, Palestine, géographie administrative, statistique, descriptive et raisonnée*. Paris: E. Leroux, 1896.

_____. *La Turquie d'Asie, géographie administrative, statistique, descriptive et raisonnée de l'Asie Mineure*. 4 vols. Paris: E. Leroux, 1892-1895.

Danışmend, S. *İzalı OsmanlıTarihi Kronolojisi*. vol. 4. Istanbul: Türkiye Yay., 1955.

Davison, R. H. *Essays in Ottoman and Turkish History, 1774-1923: The Impact of the West*. London: Saqi Books, 1990.

_____. *Reform in the Ottoman Empire, 1856-1876*. Princeton: Princeton University Press, 1963.

Scanned with CamScanner

Dawn, C. E. *From Ottomanism to Arabism. Essays on the Origins of Arab Nationalism.* Urbana: Chicago; London: University of Illinois Press. 1973.

_____. «The Rise of Arabism in Syria.» *Middle East Journal.* vol. 16 (Spring 1962).

Demirbaş, B. *Musul Kerkuk olayı ve osmanlı devletinde Kuveyt sorunu.* Istanbul: Arba. 1991.

Deringil, S. «Abdülhamid döneminde törenler, simgeler, mitler.» *Toplum ve Bilim.* no. 62 (Summer-Fall 1993).

_____. «The Invention of Tradition as Public Image in the Late Ottoman Empire, 1808-1908.» *Comparative Studies in Society and History.* vol. 35 (1993).

_____. «Legitimacy Structures in the Ottoman State: The Reign of Abdülhamid II (1876-1909).» *International Journal of Middle East Studies (IJMES).* vol. 23 (1991).

_____. «Osmanlı Imaratorluğu'nda geleneğin icadı muhayyel cemaat, panislamizm.» *Toplum ve Bilim.* nos. 54-55 (Summer-Fall 1991).

_____. «The Struggle against Shiism in Hamidian Iraq. A Study in Ottoman Counter-Propaganda.» *Die Welt des Islams.* vol. 30 (1990).

_____. *The Well-Protected Domains, Ideology and Legitimation of Power in the Ottoman Empire, 1876-1909.* London: I. B. Tauris. 1998.

Devereux, R. *Documents diplomatiques ottomans, affaires arméniennes.* vols. 1–4 (1886-1895). ed. by B. Simsir. Ankara: Türk Tarih Kurumu, 1985-1999.

_____. *The First Ottoman Constitutional Period.* Baltimore: Johns Hopkins Press, 1963.

_____. «Suleyman Pasha's: 'The Feeling of the Revolution'.» *Middle Eastern Studies.* vol. 15 (1979).

Doise, A. and M. Vaisse. *La Politique étrangère de la France, diplomatie et outil militaire (1871-1991).* Paris: Seuil, 1992.

Douin, G. *Une Mission militaire française auprès de Mohamed Ali.* Le Caire: Institut Français d'archéologie orientale, 1923.

Dölen, E. «Tanzimattan Cumhuriyete Bilim.» In: *Tanzimat'tan Cumhuriyet'e Türkiye Ansiklopedisi.* vol. 1. Istanbul: İletişim yayınları, 1985.

Driault, E. *La Question d'Orient depuis ses origines jusqu'à la paix de Sèvres (1920).* Paris: Alcan, 1921.

Duben, A. and C. Behar. *Istanbul Household, Marriage, Family and Fertility, 1880-1940.* Cambridge: Cambridge University Press, 1991.

Scanned with CamScanner

Duda, H. W. *Balkantürkische Studien*. Wien: Rudolf M. Rohrer in Komm., 1949.

_____. *XIX. Yüzyılın sonu ile XX. yüzyılın başında Türkiye'de hilâfet ve cumhûriyet'e geçiş*. Trad. by Abdurrahman Güzel. Ankara: Türk kültürünü araştırma enstitüsü, 1989.

Duguid, S. «The Politics of Unity: Hamidian Policy in Eastern Anatolia,» *Middle Eastern Studies*. vol. 9. no. 2 (Mai 1973).

Dumont, P. *Mustafa Kémal*. Bruxelles: éd. Complexe, 1983.

_____ and F. Georgeon (éds.). *La Turquie au seuil de l'Europe*. Paris: L'Harmattan, 1991.

_____ and _____ (éds.). *Villes ottomanes à la fin de l'Empire*. Paris: L'Harmattan, 1992.

Dünden Bugüne İstanbul Asiklopedisi. 8 vols. Istanbul: Kültür Bakanlığı Tarih Vakfı, 1993-1995.

Durmuşzade (Milaslı, Milas müftüsü). *Cihâd-i ekber (le grand djihâd)*. Cağaloğlu: Amdi matbaası, 1339-1342 [1923-1924].

Duroselle, J.-B. *Tout empire périra: Théorie des relations internationales*. Paris: A. Colin, 1992.

Earle, E. M. *Turkey, The Great Powers and the Bagdad Railway*. New York: Russell and Russell, 1966.

Économie et sociétés dans l'empire ottoman (fin du XVIIIe - début du XXe siècle). Actes du colloque de Strasbourg (1-5 juillet 1980). Published by Jean-Louis Bacqué-Grammont and Paul Dumont. Paris: Editions du C.N.R.S., 1973.

Eldem, E. *A History of the Ottoman Bank*. Istanbul: Ottoman Bank Historical Research Center, 1999.

Eldem, V. *Osmanlı Imperatorluğunun İktisadi Şartları Hakkında bir Tetkik*. Ankara: Türkiye İş Bankası Kültür Yayınları, 1970.

Emin, A. *Turkey in the World War*. New York: Yale University Press, 1930.

Encyclopédie de l'Islam. 2nd éd. Leiden: E. J. Brill, 1955.

Engelhart, E. *La Turquie et le Tanzimat, ou histoire des réformes dans l'Empire ottoman depuis 1826 jusqu'à nos jours*. 2 vols. Paris: Cotillon, 1882-1884.

Engin, V. *II. Abdülhamid ve Dış Politika*. Istanbul: Yeditepe yayınevi, 2005.

_____. *Rumeli demiryolları*. Istanbul: Eren yayınevi, 1993.

Eralp, T. N. «İkinci meşrutiyette silahlı kuvvetler ile ilgili üç önemli kanun,» *4. Türk Tarih Semineri*. Ankara: Onkur., 1989.

Scanned with CamScanner

Eski Avrupa Türk toplumunda silâh kavramı ve Osmanlı [illegible] kullanılan silâhlar. Ankara: T.T.K., 1993.

Fisekçi, C. H. *Abdülhamid ve islâm birliği. Osmanlı Devleti'nin İslâm Siyaseti, 1876-[illegible]*. Istanbul: Ötüken neşriyat, 1992.

Fisek, A. C. *Mahmud II zamanında Bosna-Hersek*. Istanbul: Nurgök matbaası, 1965.

Fişel, D. *Secularism in Turkey: Past and Present*. Ankara: Foreign Policy Institute, 1987.

Fişek, N. *Yıldız Sarayında Müzik, Abdülhamid II Dönemi*. Ankara: Kültür Bakanlığı yay., 1988.

Fişek, O. N. *Türk maarif tarihi*. Istanbul: MEB Yayınları, 1941.

_____. *Türk maarif tarihi*. vols. 1-4. Istanbul, 1939-1943.

Fişek, Mustafa. *II. meşrutiyet devrinde eğitim hareketleri (1908-1914)*. Ankara: Ocak Yayınları, 1996.

Fişek, H. *Türk-Arap ilişkileri*. Ankara: Genel Kurmay Yayınları, 1976.

Fahmy, K. *All the Pasha's Men: Mehmed Ali, his Army and the Making of Modern Egypt*. Cambridge: Cambridge University Press, 1997.

Farah, C. E. «Arab Supporters of Sultan Abdülhamid II: 'Izzet al-'Abid.» *Archivum Ottomanicum*. vol. 15 (1997).

_____. «Great Britain, Germany and the Ottoman Caliphate.» *Der Islam*. vol. 66. no. 2 (1989).

_____. «Reassessing Sultan Abdülhamid II's Islamic Policy.» *Archivum Ottomanicum*. vol. 14 (1995-1996).

Farrar, L. L. *War: A Historical, Political, and Social Study*. Santa Barbara: ABC, 1978.

Fesch, P. *Constantinople aux derniers jours d'Abdul-Hamid*. Paris: Marcel Rivière, 1907.

Findley, C. V. *Bureaucratic Reform in the Ottoman Empire: The Sublime Porte, 1789-1922*. Princeton: Princeton University Press, 1980.

_____. «Economic Bases of Revolution and Repression in the Late Ottoman Empire.» *Comparative Studies in Society and History*. vol. 18. no. 1 (January 1986).

_____. *Kalemiyeden Mülkiyeye, osmanlı memurların toplumsal tarihi*. Istanbul: Tarih Vakfi Yurt Yayınevi, 1996.

Scanned with CamScanner

. *Ottoman Civil Officialdom: A Social History*. Princeton: Princeton University Press, 1989.

Fleury, A. *La Pénétration allemande au Moyen-Orient, 1919-1939: Le Cas de la Turquie, de l'Iran et de l'Afghanistan*. Leiden: Sijthoff, 1977.

Fortna, B. *Imperial Classroom: Islam, the State and Education in the Late Ottoman Empire*. Oxford: Oxford University Press, 2002.

Frémeaux, J. *L'Afrique à l'ombre des épées (1830-1930)*. vol. 1. *Des établissements côtiers aux confins sahariens*. vol. 2. *Officiers, administrateurs et troupes*. Paris: S.H.A.T., 1993.

_____. *Les Bureaux arabes dans l'Algérie de la conquête*. Paris: Denoël, 1993.

_____. *La France et l'Islam depuis 1789*. Paris: Presses universitaires de France, 1991.

Frement, P. *Abdul-Hamid et son règne*. Paris, 1895.

Friedman, I. *Germany, Turkey and Zionism 1897-1918*. Oxford: Clarendon Press, 1977.

Le Gall, M. «Pashas, Bedouins and Notables: Ottoman Administration in Tripoli and Benghazi, 1881-1902.» PhD. Dissertation. Princeton University. New Jersey, 1986.

Gambiez, Gal F. and Col. M. Suire. *Histoire de la première guerre mondiale*. 2 vols. Paris: Fayard, 1968.

Garnier, J.-P. *La Fin de l'Empire ottoman du Sultan rouge à Mustafa Kemal*. Paris: Plon, 1973.

Gâzi Osman Paşa ve Plevne savunması. Ankara: Kültür ve Turizm bakanlığı yayınları, 1982.

Gencer, A.I. *Bahriye'de yapılan Islahât Hareketleri ve Bahriye Nezâreti'nin Kuruluşu (1789-1867)*. Istanbul: Edebiyat Fakültesi, 1985.

_____. «Istanbul Tersanesinde açılan ilk Tıb Mektebi.» *TD*. vol. 31 (1977).

Gencer, M. *Jöntürk Modernizmi ve 'Alman Ruhu': 1908-1918 dönemi Türk-Alman İlişkileri ve eğitimi*. Istanbul: İletişim yayınları, 2003.

Gencer, R. T. *Mir'ât-ı Mekteb-i Tıbbiye*. 2 vols. Istanbul, 1328-1330, [1910-1912].

Genelkurmay Harb Tarihi Başkanliği. Resmî Yayınları. Gnkur. [i.e. Genelkurmay] Basımevi, 1967.

Georgeon, F. *Abdül Hamid II: Le Sultan calife (1876-1909)*. Paris: Fayard, 2003.

Scanned with CamScanner

_____. *Aux origines du nationalisme turc. Yusuf Akçura (1876-1935).* Paris: ADPF. 1980.

_____. «Un Intellectuel turc admirateur des Lumières et de la Révolution: Ahmed Ağaoğlu.» *Les Arabes, les Turcs et la révolution française. REMM.* nos. 52-53 (1989).

_____. *Des Ottomans aux Turcs: Naissance d'une nation. Analecta Isisiana.* Istanbul: éd. Isis. 1995.

_____. «*Le Rêve panturc.*» *Les Turcs.* no. 76 (Septembre 1994).

_____. «Le Sultan caché: Réclusion du souverain et mise en scène du pouvoir à l'époque de Abdülhamid II (1876-1909).» *Turcica, revue d'études turques.* vol. 29 (1997).

_____ and P. Dumont (éds.). *Vivre dans l'Empire ottoman, sociabilités et relations intercommunautaires (XVIIIe-XXe siècles).* Paris: L'Harmattan. 1997.

Gerber. H. *Ottoman Rule in Jerusalem, 1890-1894.* Berlin: Klaus Schwarz Verlag. 1985.

Gibb. E. J. W. *A History of Ottoman Poetry.* 5 vols. London: Luzac and Co., 1900-1907.

Gibb. H. A. R. «Lutfi Paşa on the Ottoman Califate.» *Oriens.* vol. 15 (1962).

_____. «Some Considerations on the Sunni Theory of the Califate.» In: S.-J. Shaw and W. R. Polk (eds.). *Studies on the Civilization of Islam* (Boston: Beacon Pr., 1962). pp. 141-150.

_____ and H. Bowen. *Islamic Society and the West. Islamic Society in the 18th Century.* 2 vols. London: Oxford University Press. 1950-1957.

Girault. R. *Diplomatie européenne et impérialismes, 1871-1914.* Paris: Masson. 1979.

Gök. H. and M. Uyar. «Birinci dünya savaşindaki alman askerî yardim heyetinin bilinmeyen bir Yönü. Bir arşiv yağmasinin bir hikâyesi.» *Plumsal Tarih Dergisi.* (Nov. 2000)

Gondicas, D. and C. Issawi (ed.). *Ottoman Greeks in the Age of Nationalism. Politics, Economy and Society in the Nineteenth Century.* Princeton: Darwin Press, 1999.

Gooch. G. P. and H. Temperley (ed.). *British Documents on the Origins of the War, 1898-1914.* vol. 5. H.M.S.O., 1928.

Gordon. Le Land, J. *American Relations with Turkey 1830-1930.* Philadelphia: Lancaster Press, 1932.

Gourdi. S. *Les Revendications turques.* Paris. 1932.

Scanned with CamScanner

Gökalp, Z. *The Principles of Turkism*. Leyde: Brill, 1968.

_____. *Turkish Nationalism and Western Civilisation*. London: George Allen an Unwin Ltd., 1959.

Godevarica, S. *L'État: L'Analyse du phénomène étatique par la théorie de la guerr de Carl von Clausewitz*. Thèse 3ème cycle. Paris: EHESS, 1971.

Goltz, C. v. d. *La Défaite de la Jeune Turquie et la possibilité de son relèvement*. Trans. by G. Dietrich. Paris: Henri Charles Lavauzelle, éd. militaire, 1914.

_____. *Denkwürdigkeiten*. préparé et publié sous la dir. de F. von der Goltz and W. Förster. Berlin: Mittler, 1932.

_____. *La Nation armée, organisation militaire et grande tactique modernes*. Trans. by E. Jaeglé. Paris: Louis Westhausser, 1889.

Griffiths, M. A. «The Reorganisation of the Ottoman Army under Abdülhamid II (1880-1897).» Ph.D. Dissertation. University of California. Los Angeles, 1966.

Groot, A. H. *The Ottoman Empire and the Dutch Republic: A History of the Earliest Diplomatic Relations 1610-1630*. Leiden; Istanbul: Publications de l'Institut historique et archéologique néerlandais de Stamboul, 1978.

Grothusen, K.-D. (éd.). *Jugoslawien: Integrationsprobleme in Geschichte und Gegenwart*. Beiträge der Deutschen Forschungsgemeinschaft zum V. Internationalen Südosteuropa-Kongreß der Association Internationale d'Etudes du Sud-Est Européen, Belgrade, 11-17 septembre 1984. Göttingen: Vandenhoeck and Ruprecht, 1984.

Gülen, N. *Dünden bugüne bahriyemiz*. Istanbul: Kastaş yayınevi, 1988.

Gülsoy, U. *Hicaz demiryolu*. Istanbul: Eren yayınevi, 1994.

_____. *Osmanlı gayrimüslimlerinin askerlik serüveni*. Istanbul: Simurg, 2000.

Güresin, E. *31 mart isyanı*. Istanbul: Habora Kitabevi, 1969.

Gürkan, K. Ş. *Türkiye'de hekimliğin Batiya dönüşü*. Istanbul: Yenilik Basımevi, 1967

Haberer, G. «Die Aufstellung von Redîf Truppen in der frühen Tanzimatzeit.» Maîtrise présentée à l'Université de Munich, 1984.

Habsburisch-Osmanische Beziehungen: Relations Habsbourg-ottomanes. Wien, 26-30 September 1983: Colloque sous le patronage du Comité international des études préottomanes et ottomanes (CIEPO), Éd. by Andreas Tietze, Wien, Verlag des Verbandes der wissenschaftlichen Gesellschaften Österreichs (1985).

Haerkötter, R. *Sultan 'Abdülhamid II in der türkischen Publizistik seit der Republik vom kemalitischen Feindbild zur Symbolfigur national-religiöser Kreise*. Frankfurt: am Main, Peter Lang, 1996.

Scanned with CamScanner

Haffner, S. *Profils prussiens*. Trans. by W. Venohr. Paris: Gallimard, 1983.

Hagan, G. «The Prophet Muhammad as an Exemplar in War: Ottoman Views on the Eve of World War I.» *New Perspectives on Turkey*. vol. 22 (2000).

Hajjar, J. *L'Europe et les destinées du Proche-Orient*, III, *Bismarck et ses menées orientales 1871-1882*. 2 vols. Damas: Tlass, 1990.

Halaçoğlu, Y. *XVIII: yüzyılda Osmanlı İmparatorluğu'nun iskân siyaseti ve aşiretlerin yerleştitilmesi*. Ankara: T.T.K. yayınları, 1991.

Hale, W. *Turkish Politics and the Military*. London; New York: Routledge, 1994.

_____ and A. I. Bağis (eds.). *Four Centuries of Turco-British Relations*. Beverley: Eothen Pr., 1984.

Hammer-Purgstall, J. von. *Histoire de l'Empire ottoman depuis son origine jusqu'à nos jours*. 18 vols. trans. by J. J. Hellert. Paris: Bellizard, 1831-1841.

Hanioğlu, M. Ş. *Bir siyasal örgüt olarak, doktor Abdullah Cevdet ve dönemi*. Istanbul: Üçdal neşriyat, [s. d.].

_____. *Bir siyasal örgüt olarak «osmanlı Ittihad ve Terakki cemiyeti» ve «Jön Türklük.»* 2nd ed. Istanbul: İletişim yayınları, 1989. vol. 1. (1889-1912).

_____. *Kendi mektuplarinda Enver Pacha (yayına hazirlayan)*. Istanbul: Der Yayınları, 1989.

_____. *Osmanlı İttihad ve Terakki Cemiyeti ve Jön Türklük*. vol. 1. *1889-1902*. Istanbul: İletişim yayınları, 1985.

_____. *Preparation for a Revolution, The Young Turks, 1902-1908*. Oxford: Oxford University Press, 2001.

_____. *The Young Turks in Opposition*. New York; Oxford: Oxford University Press, 1995.

Harputlu, K. B. *La Turquie dans l'impasse. Une Analyse marxiste de l'Empire ottoman à nos jours*. Paris: Anthropos, 1974.

Harris, G. S. *Turkey, Coping with Crisis*. London: Croom Helm, 1985.

Hartmann, E. «Osmanische Militärreform une die Tätigkeit deutscher Offiziere Sultan Abdülhamid II (1876-1909).» Maîtrise, Université Libre de Berlin, 2002.

Haslip, J. *The Sultan: The Life of Abdul Hamid 1842-1918*. London: Casselle, 1958.

Hasluck, F. W. *Christianity and Islam under the Sultans*. 2 vols. Oxford: Clarendon Press, 1929.

Hâtıratı Niyazi. *Hürriyet Kahmramanı Resneli Niyazi hatıratı*. Istanbul: Örgün Yayınevi, 2003.

Haury, P. *Exposé simple et clair de la question d'Orient: 1770-1913.* Paris: Vuiben, 1913.

Haydarn, H. S. «Aşiret mektebi ve aşiret alayları.» *Yakın tarihimiz.* vol. 2 (1963).

Heidborn, A. *Manuel de droit public et administratif de l'Empire ottoman.* 2 vols. Vienne; Leipzig: Stem, 1908-1912.

Heinzelmann, T. «Die Auflösung der Janitscharentruppen und ihre historischen Zusammenhänge: Sahhaflar Şeyhizade Mehmed Esad Efendis *Üss-i Zafer.*» *Asiatische Studien/Études asiatiques.* vol. 54, no. 3 (2000).

. *Heiliger Kampf oder Landesverteidigung? Die Diskussion um die Einführung der allgemeinen Militärpflicht im Osmanischen Reich, 1826-1856.* Heidelberger Studien zur Geschichte und Kultur des modernen Vorderen Orients, sous presse.

Heller, M. *Histoire de la Russie et de son Empire.* Paris: Flammarion, 1997.

Heper, M. «Center and Periphery in the Ottoman Empire, with Special Reference to the Nineteenth Century.» *International Political Science Review.* vol. 1 (1980).

Herbert, W. von. *The Defence of Plevna, 1877.* Ministry of Culture Publications/1160. Cultural Works Series/146. Ankara: Kiliçaslan Matbaacilik, 1990 [1911].

Herzl, T. *Journal, 1895-1904: Le Fondateur du sionisme parle.* Paris: Calmann-Lévy, 1990.

Hewin, S. [et al.]. *Turkey's International Role.* London: Euromoney Publications, 1988.

Heyd, U. *The Foundations of Turkish Nationalism.* London: Luzac, 1950.

Hezarfen, A. «Bir çavuşun Yemen anıları- I.» *Tarih ve Toplum.* no. 19 (July 1985).

Hitzel, F. «Relations interculturelles et scientifiques entre l'Empire ottoman et les pays d'Europe occidentale (1453-1839).» Thèse. Paris IV, 1994.

Hobsbawm, E. *L'Ère des impérialismes.* Paris: Fayard, 1989.

Hocaoğlu, M. *Abdülhamit Han'ın Muhtıraları.* Istanbul: Selekte Yay., [s. d.; 1975].

Hokayem, A. *L'Empire ottoman, les Arabes et les grandes puissances, 1914-1920.* Beyrouth: Université du Liban, 1981.

_____. *Les Provinces arabes dans l'Empire ottoman.* Beyrouth: Université du Liban, 1988.

Horn, P. *Geschichte der türkischen Moderne 1900-1915.* Leipzig: Amelanges Verlag, 1916.

Scanned with CamScanner

Hourani, A. H. *Histoire des peuples arabes*. Trad. fr. Paris: Le Seuil, 1993.

_____. *La Pensée arabe et l'occident*. Trans. by Sylvie Besse Ricord. Paris: Groupe Naufal, 1991.

Howard, H. N. *The Partition of Turkey: A Diplomatic History 1913-1923*. Norman: University of Oklahoma Press, 1931.

Hurewitz, J.C. *Middle East Politics: The Military Dimension*. New York: Praeger, 1969.

Hülagü, M. *Gâzî Osman Paşa*. Istanbul: Boğaziçi yayınları, 1993.

_____. *Topal Osman Nuri Paşa*. Ankara: O.T.A.M., 1989.

Hüsni. *Risale-i fotoğrafya*. Istanbul: Ceride-i Askeriye Matbaasi, 1288/1289 (1873).

İhsanoğlu, E. *Geçmişe bir bakış*. Istanbul: İslâm Tarih Sanat ve Kültür Araştırma Merkesi, 1992.

_____. «Tanzimat öncesi ve Tanzimat dönemi Osmanlı bilim ve eğitim anlayişi.» *150 yılında Tanzimat* (150 ans de *Tanzîmât*). Ankara, 1992.

_____. *Transfer of Modern Science and Technology to the Muslim World*. Istanbul: İRCICA, 1992.

_____ (ed.). *Osmanlı askerlik literatürü tarihi*. 2 vols. Istanbul: İRCICA, 2004.

_____ (ed.). *Osmanlı devleti ve medeniyeti tarihi*. Istanbul: İRCICA, 1994.

II. Abdülhamid'in Sadrazamları: Kâmil Paşa ve Said Paşa'nin Anıları. Çaşalı-Güven éd. Istanbul: Arba, 1991.

Ilbert, R. *Alexandrie 1830-1930: Histoire d'une communauté citadine*. 2 vols. Paris: Bibliothèque d'études, Institut français d'archéologie orientale, 1996.

_____. *Alexandrie 1860-1960: Un Modèle éphémère de convivialité: Communautés et identité cosmopolite*. Paris: Autrement, 1992.

Images d'Empire: Aux origines de la photographie en Turquie. Catalogue de l'exposition, collection de P. Gigord, textes de G. Beaugé et E. Çizgen. Istanbul: Institut d'études françaises d'Istanbul, 1993.

«Imperial Self-Portrait, The Ottoman Empire as Revealed in Sultan Abdul Hamid II's Photographic Albums.» *Journal of Turkish Studies*. vol. 12. Special no. (1988).

İnal, İ. M. K. *Osmanlı Devrinde Son Sadrazamlar*. 6 vols. Istanbul: Dergah, 1940-1953.

İnalcik, H. «Centralization and Decentralization in Ottoman Administration.» In: T. Naff and R. Owen (eds.). *Studies in the Eighteen Century Islamic History*. Carbondale: South Illinois University Press, 1977.

Scanned with CamScanner

_____. *Osmanlı İmparatorluğu, toplum ve ekonomi*. 2nd ed. Istanbul: Eren Yayıncılık, 1996.

_____. «Osmanlılar'da Ateşli Silâhlar.» *Belleten*. vol. 21 (1957).

_____. *The Ottoman Empire: The Classical Age, 1300-1600*. Trans. by N. Itzkowitz and C. Imber. New York: Praeger, 1973.

_____. *The Ottoman Empire: Conquest, Organization and Economy*. London: Variorum Reprints, 1978.

_____. *Tanzimat ve bulgar meselesi*. doktora tezi'nin 50. yılı. Istanbul: Eren Yayıncılık, 1992.

_____ and C. Kafadar (ed.). *Süleyman the Second and his Time*. Istanbul: The İsis Press, 1993.

_____ and D. Quataert (ed.). *An Economic and Social History of the Ottoman Empire, 1300-1914*. Cambridge: Cambridge University Press, 1994.

İnan, A. (prép. à publ.). *Enver Paşa'nin özel mektupları*. Ankara: İmge kitabevi yayınları, 1997.

İnci 'askerî tarih semineri bildirileri I (23-25.10.1995, Istanbul). Ankara: Gnkur. Basımevi, 1996.

Iorga, N. *Geschichte des Osmanischen Reiches nach den Quellen*. 5 vols. Gotha: Perthes, 1908-1913.

İrtem, S. K. *31 Mart İsyanı*. Istanbul: TEMEL, 2003.

İzzet Bey, Rıza. *La Turquie réformatrice et Midhat Pacha*. Lille: Impr. coopérative 'La Gutenberg', 1913.

İzzet Pascha. *Denkwürdigkeiten des Marschalls İzzet Pascha: ein kritischer Beitrag zur Kriegsschuldfrage*. Trans. and ed. by K. Klinghardt. Leipzig: Koehler, 1927.

Janson, A. v. *Moltke, ein Lebensbild für das deutsche Volk*. Berlin: Wien, Ullstein und Co, 1915.

Jawdat, A. *Dhikrayât 1900-1958*. Beyrouth: Matâbi' al-Wafd, 1967.

Jelavich, B. *History of the Balkans, Eighteenth and Nineteenth Centuries*. vol. I. Cambridge: Cambridge University Press, 1983.

Jewad, K. *Du Califat aux coups d'État: Les Cinq coups d'État militaires au sein de l'Empire ottoman de 1908 à 1913*. Paris: Alphabeta, 1995.

Jomini, A. G. *Russia in the East 1876-1880: The Russo-Turkish War*. Presented by B. Jelavich and C. Jelavich. Leiden: E.J. Brill, 1959.

Scanned with CamScanner

Jonquiere, A. de la. «L'Armée ottomane et l'épuration des grades.» *Le Bosphore* (4 septembre 1908).

_____. *Histoire de l'Empire ottoman*. 2 vols. Paris: Hachette, 1914.

_____. *Histoire de l'Empire ottoman depuis les origines jusqu'au Traité de Berlin*. Paris: Hachette, 1897.

Jung, E. *Les Puissances devant la révolte arabe*. Paris: Hachette, 1906.

Kabacalı, A. *Doğmayan hürriyet ve yarıda kalan ihtilâl: bir ihtilâlcinin serüvenleri*. Istanbul: Cem yayınevi, 1989.

Kabayali, I. and C. Arslanoğlu. *Iran'ın Anadolu'ya uzanan gölgesi ana çizgiler ve gerçeklerin kısa tarihi, 1453-1989*. Ankara: [s. n.].

Kalbskope, W. *Die Aussenpolitik der Mittelmächte im Tripoliskrieg und die letzte Dreibunderneuerung 1911-1912*. Erlangen: Karal Döres, 1932.

Kansu, A. *The Revolution of 1908 in Turkey*. Leiden: E. J. Brill, 1997.

Karabekir, K. *İttihat ve terakki cemiyeti (1896-1909)*. Istanbul: Emre yayınları, 1993.

Karaca, A. *Anadolu Islahatı ve Ahmet Şakir Paşa*. Istanbul: Eren, 1993.

Karakişla, Y. S. *Exile Days of Abdülhamid II in Salonica (1909-1912) and Confiscation of his Wealth*. Istanbul: Boğaziçi Üniversitesi, Yüksek Lisans Tezi, 1990.

Karal, E. Z. *Osmanlı tarihi*. rééd. 8 vols. Ankara: T.T. K. Yayınları, 1988.

_____. «Tanzimattan evvel Garplılaşma Hareketleri (1718-1839).» *Tanzimat*. vol. 1. Istanbul: Maarif, 1940.

Karateke, H. T. Padişahım çok yaşa. Istanbul: Kitapyayınevi, 2004.

Karpat, K. H. «Historical Continuity and Identity Change or How to be a Modern Muslim, Ottoman and Turk.» In: K. Karpat (ed.). *Ottoman Past and Today's Turkey*. Leiden: E. J. Brill, 2000.

_____. *Ottoman Population, 1830-1914, Demographic and Social Characteristics*. Madison: University of Wisconsin Press, 1985.

_____. «Pan-İslamizm ve İkinci Abdülhamid: Yanlış bir Görüşün Düzeltilmesi.» *Türk Dünyası Araştirmaları*. vol. 48 (1987).

_____. *The Politicization of Islam: Reconstructing Identity, State, and Faith, and Community in the Late Ottoman State*. Oxford: Oxford University Press, 2001.

_____. *Studies on Ottoman Social and Political History*. Leiden: E. J. Brill, 2002.

_____. «The Transformation of the Ottoman State, 1789-1908.» *International Journal of Middle East Studies*. vol. 3 (1972).

Scanned with CamScanner

Kayali, H. *Arabs and Young Turks: Ottomanism, Arabism and Islamism in the Ottoman Empire, 1908-1918*. Berkeley: University of California Press, 1997.

Kedourie, E. *England and the Middle East: The Destruction of the Ottoman Empire, 1914-1921*. London: Bowes a. Bowes, 1956.

Kelekian, D. *La Turquie et son souverain: La Crise actuelle, ses origines, sa solution*, vol. 40. London: NIC., 1896.

Kemal, I. *The Memoirs of Ismail Kemal bey*. Ed. by Sommerville Story. London, 1920.

Kent, M. *The Great Powers and the End of the Ottoman Empire*. London: G. Allen and Unwin, 1984.

_____. *Oil and Empire, British Policy and Mesopotamian Oil, 1900-1920*. London: Macmillan, 1976.

Kessel, E. *Moltke*. Stuttgart: K.F. Koehler, 1957.

Khalidi, R. I. *British Policy towards Syria and Palestine, 1906-1914*. London: Ithaca Press, 1980.

_____ [et al.] (eds.). *The Origin of Arab Nationalism*. New York: Columbia University Press, 1991.

Khoury, P. S. *Urban Notables and Arab Nationalism, the Politics of Damascus 1860-1920*. Cambridge: Cambridge University Press, 1983.

Kirişçi, K. and G. M. Winrow. *Kürt sorunu, kökeni ve gelişimi*. Istanbul: Tarih vakfi yurt yayınları, 1997.

Klein, J. «Power in the Periphery: The Hamidiye Light Cavalry and the Struggle over Ottoman Kurdistan, 1890-1914.» PhD. Dissertation, Princeton University. New Jersey, 2002.

Kocahanoğlu, O. S. *Midhat Paşa'nin hatıraları*. 2 vols. Istanbul: TEMEL, 1997.

Koçak, C. *Abdülhamid'in mirası*. Istanbul: Arba yayınları, 1990.

Kodaman, B. «II Abdülhamid ve'aşiret mektebi.» *Türk Kültürü Araştırmaları Dergisi*. vol. 15. nos. 1-2 (1976).

_____. *Abdülhamid devri eğitim sistemi*. Ankara: T. T. K., 1991.

_____. «Aşiret mekteb-i Hümâyunu.» *Diyanet Vakfi, Islam Ansiklopedisi*. vol. 4 (Istanbul, 1993).

_____. *Sultan II Abdülhamid devri doğu Anadolu politikası*. Istanbul: Kardeşler matbaası, 1983.

Scanned with CamScanner

Koloğlu, O. *Abdülhamid'in Gerçegi*. Istanbul: Gür Yayınları, 1987.

_____. *Abdülhamit ve Masonlar*. Istanbul: Gür Yayınları, 1991.

_____. « Enver Paşa efsanesinde alman katkısı. » 2 art. *Tarih ve toplum*. no. 78-79 (1989).

_____. « Enver Paşa hakkında saray dedikoduları.» *Tarih ve toplum*. no. 153 (September 1996).

_____. *The Islamic Public Opinion During the Libyan War 1911-1912*. Tripoli: Libyan Studies Center, 1988.

_____. *Mustafa Kemal*. 5th ed. Boyut Kitapları. Istanbul, 2001.

_____. *Osmanlı meclislerinde Libya ve Libyalılar*. Boyut Kitapları. Istanbul, 2003.

_____. *Türk çağdaşlaşması islama etki islamdan tepki*. Istanbul: Boyut kitapları, 1995.

Komischke, H. *Ahmed Midhat und seine Beiträge zur diplomatischen Vorgeschichte des russisch-türkischen Krieges von 1877-78*. Würzburg: R. Mayr, 1938.

Korinman, M. *Quand l'Allemagne pensait le monde: Grandeur et décadence d'une géopolitique*. Paris: Fayard, 1990.

Krikorian, M. K. *Armenians in the Service of the Ottoman Empire, 1860-1908*. London: Routledge and Kegan Paul, 1977.

Kudret, C. *Abdülhamid Devrinde Sansür*. Istanbul: Milliyet Yay., 1977.

Kühn, T. «Krisenprovinz Weihrauchland? Der osmanische Jemen im Urteil osmanischer Reformer, 1879-1910.» In: Jemen-Report, Deutsch-Jemenitische Gesellschaft e. V., Fribourg i. B., 27ème année, fasc. 2, 1996.

Kuneralp, S. *Son dönem Osmanlı Erkân ve ricali (1839-1922), Prosopografik Rehber*. 2nd ed. Istanbul: İsis, 2003.

Kuntay, M. C. *Namık Kemal Devrinin İnsanları ve Olayları Arasında*. 3 vols. Istanbul: Maarif Basımevi, 1944-1949.

Kuran, E. «Küçük Said Paşa (1840-1914) as a Turkish Modernist.» *International Journal of Middle East Studies*. vol. 1 (1970).

Kurat, Y. T. *Henry Layard'in İstanbul Elçilişi (1877-80)*. Ankara: AÜSBF Yay., 1968.

Kürkçüoğlu, Ö. *Osmanlı devletine karşı Arap bağımsızlık hareketi (1908-1918)*. Ankara: Ankara Üniversitesi Siyasal Bilgiler Fakültesi Yayınları, 1982.

Kurt, C. *Die Türkei auf dem Weg in die moderne Bildung, Politik und Wirtschaft vom Osmanischen Reich bis heute*. Frankfurt a. Main: Lang, 1989.

Scanned with CamScanner

Kurtoğlu, F. *Türk deniz tarihi*. Istanbul: Sebat Matbaası, 1932-1935.

Kushner, D. *The Rise of Turkish Nationalism, 1876-1908*. London: Frank Cass, 1977.

Kutschera, C. *Le Mouvement national kurde*. Paris: Flammarion, 1979.

Landau, J. M. «The Fortune and Misfortunes of Pan-Turkism.» *Central Asian Survey* (CAS). vol. 7. no. 1 (1988).

_____. *The Hejaz Railway and the Muslim Pilgrimage: A Case of Ottoman Political Propaganda*. Detroit: Wayne State University Press, 1971.

_____. «The Organisation of Pan-Islam in the Late Ottoman Empire.» *Bar-Ilhan Studies in History*. Ramat-Gan. Israël (Bar-Ilhan SH). vol. 3 (1991).

_____. *The Politics of Pan-Islam, Ideology and Organization*. Oxford: Clarendon Press, 1990.

Lange-Akhund, N. *The Macedonian Question, 1893-1908, from Western Sources*. New York: Columbia University Press, 1998.

Langer, W. *The Diplomacy of Imperialism: 1890-1902*. 2nd ed. New York: Knopf, 1951.

_____. *European Alliances and Alignements, 1871-1890*. 2nd ed. New York: Knopf, 1950.

Laurens, H. *La Question de Palestine*. vol. 1. *1799-1922. L'Invention de la Terre sainte*. Paris: Fayard, 1999.

Lawrence, T. E. *Les Sept piliers de la sagesse*. Paris: Payot, 1936.

Lee, D. E. *Great Britain and the Cyprus Convention Policy of 1878*. Cambridge: Harvard University Press, 1934.

Levaux, P. F. *Gâzî Osman Pacha, souvenirs historiques de la guerre des Balkans*. Paris: Liège, 1891.

Levy, A. «The Military Policy of Sultan Mahmud II, 1808-1839.» PhD. Dissirtation Harvard University. Cambridge, Mass., 1968.

_____. «Military Reform and the Problem of Centralization in the Ottoman Empire in the 18th Century.» *Middle Eastern Studies*. vol. 18 (1982).

_____. «The Officier Corps in Sultan Mahmud II's Ottoman Army, 1826-39.» *International Journal of Middle Eastern Studies*. vol. 2 (1971).

_____. «The Ottoman Ulema and the Military Reforms of Sultan Mahmud II.» *Studies in Asian and African Studies*. vol. 7 (1971), pp. 13-39.

Lewis, B. *Islam et laïcité, la naissance de la Turquie moderne*. Paris: Fayard. 1988.

Scanned with CamScanner

_____. «The Ottoman Archives: A Source for European History.» *Supplement to Research Bibliography Middle East Institute* (Washington, 1956).

_____. «Ottoman Observers of Ottoman Decline.» In: *Islam in History. Ideas, Men and Events in the Middle East.* London: Alcove Pr., 1973. [réimp. *Islamic Studies*, I, 1962].

_____. «Some Reflections on the Decline of the Ottoman Empire.» *SI*. vol. 9 (1958).

_____. «The Use by Muslims Historians of Non-Muslim Sources.» In: B. Lewis and P. M. Holt (eds.). *Historians of the Middle East.* London: Oxford University Press, 1962.

Lewis, G. King. *Critical Times in Turkey and England's Responsability.* London: Hodderand Stonghton, 1905.

Mac Dowall, D. *A Modern History of the Kurds*. London; New York: Tauris, 1996.

Macfie, A. L. *The End of the Ottoman Empire: 1908-1923*. London: Longman, 1998.

Mackenzie, K. *Turkey in Transition: The West's Negleced Ally*. London: Institute for European Defense and Strategic Studies, 1984.

Mahmud, Celâleddin Paşa. *Mir'ât-ı hakîkat*. Prepared for Publication by İ. Miroğlu. Istanbul: Berekât Yayınevi, 1983.

Majer, H.-G. (ed.). *Die Staaten Südosteuropa und die Osmanen*. München: Selbstverlag der Südosteuropa Gesellschaft, 1989.

Mandel, N. J. *The Arabs and Zionism before World War I*. Berkeley: University of California Press, 1976.

Mandelstam, A. *Le Sort de l'Empire ottoman*. Paris: Payot, 1917.

Mansel, P. *Constantinople, la ville que désirait le monde 1453-1924*. Paris: Le Seuil, 1997.

Mansfield, P. *The Ottoman Empire and its Successors*. London: MacMillan, 1973.

Mantran, R. *Histoire d'Istanbul*. Paris: Fayard, 1996.

_____ (éd.). *Histoire de l'Empire ottoman*. Paris: Fayard, 1989.

Ma'oz, M. (ed.). *Studies on Palestine during the Ottoman Period*. Jerusalem: The Magnes Press, 1975.

Mardin, Ş. « 1908 kadınları. » *Tarih ve Toplum*. no. 7 (Juillet 1984).

_____. *The Genesis of Young Ottoman Thought*. Princeton: Princeton Univeristy Press, 1962.

Scanned with CamScanner

_____. *Jön Türklerin siyasi fikirleri 1895-1908*. 4th ed. Istanbul: Iletisim Yay., 1992.

_____. *Religion and Social Change in Modern Turkey: The Case of Bediüzzaman Said Nursi*. Albany: State University of New York, 1989.

Martel, A. *Les Confins saharo-tripolitains de la Tunisie (1881-1911)*. Paris: Presses universitaires de France, 1966.

_____. *La Libye 1835-1990: Essai de géopolitique historique*. Paris: Presses universitaires de France, 1991.

Massie, Robert K. *Dretnot, Ingiltere, Almanya ve yaklaşan savaşın ayak sesleri*. [Trad. by Dreadnought; *Britain, Germany and the Coming of the Great War*, 1991]. Istanbul: Sabah Kitaplari, 1995.

Mayakon, Ş. M. *Yildiz'da Neler Gördüm*. Istanbul: Semih Lutfi Kitabevi, 1940.

McCarthy, J. *Death and Exile: The Cleansing of Ottoman Muslims, 1821-1922*. Princeton: Darwin Press, 1995.

_____. *Muslims and Minorities: The Population of Ottoman Anatolia and the End of the Empire*. New York: New York University Press, 1983.

_____. *The Ottoman Turks: An Introductory History to 1923*. New York; London: Longman, 1997.

McCullagh, F. *The Fall of Abdul Hamid*. London, 1910.

Medlicott, W. N. *The Congress of Berlin and After: A Diplomatic History of the Near Eastern Settlement, 1878-1880*. London: Cass, 1963.

Mehmet Selahaddin Bey. *İttihad ve Terakki'nin kuruluşu ve osmanlı devleti'nin yıkılışı hakkında bildiklerim*. 2nd ed. Istanbul: İnkilab, 1989.

Melville, R. and H.-J. Schröder (ed.). *Der Berliner Kongress von 1878. Die Politik der Grossmächte und die Probleme der Modernisierung in Südosteuropa in der zweiten Hälfte des 19. Jahrhunderts*. Wiesbaden: Franz Steiner Verlag, 1982.

Meyer, P. *Die Neutralität Deutschlands und Österreich-Ungarns im italienisch-türkischen Krieg, 1911-1912*. Göttingen: Göttinger Tagebl., 1932.

Meyrier, G. *Les Massacres de Diarbékir: Correspondance diplomatique du Vice-Consul de France*. [s. l.: s. n., s. d.].

Midhat, bey A. H. *Midhat-Pacha, sa vie, son œuvre*. Paris: Stock, 1908.

Miller, W. *The Ottoman Empire and its Successors, 1801-1927*. Cambridge: Cambridge University Press, 1936.

Millman, R. «The Bulgarian Massacres Reconsidered.» *The Slavonic and East European Review*. vol. 58. no. 2 (April 1980).

Scanned with CamScanner

Moreau, O. «19: yüzyıl sonunda Osmanlı Ordusunun görüntüsü nasıldı.» *Tarih ve Toplum*. no. 206 (2001).

_____. *Anatolia Moderna, Yeni Anadolu VII*. Paris: Maisonneuve, 1997.

_____. «L'Armée ottoman à l'aube de la mondialisation des conflits.» In: *Méditerranée et mer Noire entre mondialisation et régionalisation: Actes du colloque international d'Antalya, 11, 12 et 13 séptembre 1997*. Coordinated by M. Bazin [et al.]. Istanbul: Institut français d'études anatoliennes Georges Dumézil; Paris; Montréal; Budapest: l'Harmattan, 2000.

_____. «Catégorisation et espaces du militaire dans l'Empire ottoman aux 19e et 20e siècles.» In: Kemal Çiçek (ed.). *Pax Ottomana, Studies in Memoriam Prof. Dr. Nejat Göyünç*. Haarlem: Sota; Ankara: Yeni Türkiye, 2001.

_____. «Les Causes de l'effondrement des forces turques vues par un officier allemand.» *Grande Guerre, année 1918, Revue historique des armées*. no. 3 (1998).

_____. «La Création de deux régiments de cavalerie timariote bosniaque, en 1874.» In: *Anatolia Moderna, Yeni Anadolu VII*. Paris: Maisonneuve, 1997.

_____. «L'Enseignement dans l'armée ottomane au XIX^{ème} siècle: Les Exemples de l'école militaire et de l'école d'état-major (en langue turque).» In: *Osmanlı Düinyasında Bilim ve Eğitim Milletlerarası Tebligleri*, ed. by H. Nuhoglu. Istanbul: IRCICA éd., 2001.

_____. «Entre innovation et tradition, une lecture du réformisme ottoman à travers l'outil militaire, du Congrès de Berlin à la Première Guerre mondiale (1878-1914).» Thèse de doctorat. Université de Paris-Sorbonne, Paris IV, 2 vols., 1997.

_____. «La Guerre russo-turque de 1877-1878: Quelques remarques sur l'équilibre des forces et des conceptions stratégiques.» Mélanges offerts à Jacques Thobie, professeur l'Université de Paris 8, L'Harmattan, Paris, 2003.

_____. «Du Jihâd à la laïcité, l'évolution de l'institution militaire turque.» In: M. Bozdemir (éd.). *Islam et laïcité, approche globale et régionale*. Paris: L'Harmattan, 1996.

_____. «Les Missions militaires allemandes dans l'Empire ottoman (en langue turque).» In: K. Çiçek (ed.). *Osmanlı*. vol. 2. Istanbul, 1999.

_____. «Objectifs et stratégies dans l'aide militaire allemande aux Ottomans.» *Revue Internationale d'Histoire Militaire*. no. 81 (2001).

_____. «Quelques aperçus sur l'évolution des relations entre la Sanûsiyya et l'Empire ottoman à l'aube du XXe siècle.» In: G. Meynier et M. Russo, *L'Europe*

Scanned with CamScanner

et la Méditerranée. Stratégies et itinéraires politiques et culturels en Méditerranée, France et Italie, 19-20 siècles. Une Approche comparative, Actes du colloque de Nancy-Malzéville, 4-5 septembre 1997. Paris: L'Harmattan, 1999.

_____. «The Recruitment of Bosnian Soldiers During the 19th Century (1826-1876).» *Islamic Studies*. vol. 36. nos. 2-3 (1997).

_____. «Les Ressources scientifiques de l'Occident au service de la modernisation de l'armée ottomane (fin XIXe-début XXe siècle).» *Revue des Mondes Musulmans et de la Méditerranée (REMMM)*. nos. 101-102: *Science moderne et pouvoir: entre l'Orient et l'Occident. XIXème-XXème siècle* (2003).

_____. «La Révolution jeune turque de 1908 et les réformes militaires, à la lumière des documents français.» (en langue turque), *Türk Tarih Kongresi Kongreye sumdan bildiriler*. vol. 3. Türk Tarih Kurumu, Ankara, 1999.

Mugheid, T. *Sultan Abdul Hamid II im Spiegel der arabischen Dichtung*. Berlin: K. Schwarz. 1987.

Muhtar Paşa, Ahmed. *1294/1877 Anadolu Rus Muharebesi: 1877 Anadolu Rus Savaşı*. 1326. H. [1908-1909].

_____. *Anılar. Sergüzeşt-i hayatım'ın, cild evveli*. Yayına hazırlayan Nuri Akbayar. Istanbul: Tarih Vakfi Yurt yayınlarıı, 1996.

_____. *Osmanlı topçular*. Istanbul, 1314 [1896-1897].

Muhtar Paşa, Mahmud. *Balkan Savaşı, Üçüncü Kolordu'nun ve İkinci doğu ordusu'nun muharebeleri*. 2nd ed. Istanbul: Güncel Yayıncılık, 2003.

_____. *Maziye bir Nazar*. rééd. Istanbul: Ötüken, 1999.

Mumcu, U. *Kazım Karabekir anlatıyor, yayına hazırlayan* (Kazım Karabekir raconte). (ayant préparé à la publication). İstanbul: Tekin Yayınevi, 1990.

Müller, I. *De la guerre, le discours de la deuxième internationale, 1889-1914*. Genève: Droz, 1980.

Müşir gâzi Ahmet Muhtar Paşa. Ankara: Gnkur. basımevi, 1984.

Nalbandian, L. *The Armenian Revolutionary Movement*. Berkeley: University of California Press, 1963.

Nikitine, B. *Les Kurdes*. Préf. de L. Massignon. Rééd. éd. de 1956. Plan-de-la-Tour. Coll. Les introuvables. Var: Ed. d'Aujourd'hui, 1975.

Norabounghian, G. *Recueil d'actes internationaux de l'Empire ottoman*, III et IV. Paris: 1902-1903.

Scanned with CamScanner

Nuri, O. *Abdülhamid-i Sani ve Devr-i Saltanatı: Hayat-i Hususiye ve Siyasiyesi*. 3 vols. Istanbul, 1327 [1911].

Oberhummer, E. *Die Türken und das Osmanische Reich*. Leipzig; Berlin: Teubner, 1917.

Oberling, P. «A History of Turkish Aviation, Part I: Aerostation among the Ottomans.» *AO*. vol. 9 (1984).

Ochsenwald, W. *The Hijaz Railway*. Charlottesville: University Press of Virginia, 1980.

_____. *Religion, Economy and State in Ottoman-Arab History*. Istanbul: The Isis Press, 1998.

_____. *Religion, Society and the State in Arabia: The Hijaz under Ottoman Conrol, 1840-1908*. Columbus: Ohio, 1984.

Oliver, R. and G. N. Sanderson (ed.). *The Cambridge History of Africa*, vol. 6, 1870-1905. Cambridge: Cambridge University Press, 1985.

Olson, R. *The Emergence of Kurdish Nationalism and the Sheick Said Rebellion, 1880-1925*. Austin: University of Texas Press, 1989.

Orhonlu, C. *Osmanlı İmparatorluğu'nda aşiretlerin iskânı*. Istanbul: Eren Yayıncılık, 1987.

_____. «Osmanlı İmparatorluğu'nda aşiretlerin iskânı.» *Türk Kültürü, Araştırmaları dergisi*. vol. 15. nos. 1-2 (1976).

Ortayli, İ. «19 yüzyılda panislamizm ve osmanlı hilafeti.» *Türkiye Günlüğü*. vol. 31 (October-November 1994).

_____. *İkinci Abdülhamîd Döneminde Osmanlı İmperatorluğunda Alman Nüfuzu*. Ankara: Ankara Üniv. Basımevi, 1981.

_____. *Studies on Ottoman Transformation*. Istanbul: The İsis Press, 1994.

Osman Senaî, E. *Dömeke meydan muharebesi*. 1912.

Osmanlı. 12 vols. ed. by G. Eren. Yeni Türkiye Yay. 1999.

Osmanoğlu, A. *Avec mon père le sultan Abdul-Hamid*. Trad. fr. Paris: L'Harmattan, 1991.

_____. *Babam Sultan Abdülhamid (Hâtiralarım)*. 2nd ed. Istanbul: Selçuk Yay., 1960.

Osmanoğlu, Ş. *Hayatımın Acı ve Tatli Günleri*. Istanbul, 1966.

Owen, R. *The Middle East in the World Economy, 1800-1914*. London; New York: Methuen, 1981.

Scanned with CamScanner

_____. «The Role of the Army in Middle Eastern Politics - a Critique of Existing Analyses.» *Review of Middle Eastern Studies*. vol. 3 (1978).

Öke, Mim Kemal. *Hilafet hareketleri*. Ankara: Türkiye Diyanet Vakfi, 1991.

_____. *Saraydaki casus: Gizli belgelerle II. Abdülhamid devri ve Ingiliz ajanı Yahudi Vambery*. 4th ed. Istanbul: Hikmet Neşriyat, 1991.

Özbek, N. *Osmanlı İmperatorluğunda Sosyal Devlet: Siyaset, İktidar ve Meşruiyet (1876-1914)*. Istanbul: İletişim, 2003.

_____. «The Politics of Poor Relief in the Late Ottoman Empire, 1876-1914.» *New Perspectives on Turkey*. no. 21 (1999).

Özbudun, E. *The Role of the Military in Recent Turkish Politics*. Harvard University, Center for International Affairs, 1966.

Özcan, A. *Pan-Islamizm, Osmanlı devleti, Hindistan müslümanları ve Ingiltere (1877-1914)*. Istanbul: ISAM yayınları, 1992.

Özendes, E. *Osmanlı İmparatorluğu'nda Fotoğrafçılık (1839-1919), Photography in the Ottoman Empire (1839-1919)*. 2nd ed. Istanbul: İletişim Yayınları, 1995.

Özkaya, Y. *Osmanlı İmparatorluğunda âyânlık*. no. 273. Ankara: Ankara Üniv. Dil ve Tarih-Coğrafya fakültesi Yayınları, 1977.

Palmer, A. *The Decline and Fall of the Ottoman Empire*. London: John Murray, 1992.

Pamuk, Ş. *Osmanlı ekonomisinde bağımlık ve büyüme (1820-1913)*. 2nd ed. Istanbul: Tarih Vakfi Yurt Yayınevi, 1994.

_____. *Osmanlı-Türkiye iktisadî tarihi, 1500-1914*. 3rd ed. Istanbul: Gerçek Yayınevi, 1993.

_____. *The Ottoman Empire and European Capitalism: 1820-1913*. Cambridge: Cambridge University Press, 1987.

Panzac, D. (éd.). *Histoire économique et sociale de l'Empire ottoman et de la Turquie (1326-1960)*. Congrès international, Aix-en-Provence, 1-4 juil. 1992. International, Comité International d'Histoire Économique et sociale de l'Empire ottoman et de la Turquie. Peeters, 1995.

_____. *La Population de l'Empire ottoman, cinquante ans (1941-1990) de publications et de recherches*. Aix-en-Provence: C.N.R.S., 1993.

Parlak, T. *Ege denizinde ilk türk derya beyleri*. Istanbul: İsis, 1979.

Pears, Sir E. *Life of Abdul Hamid*. London: Constables, 1917.

Peez, C.v. *Ein türkischer Grossvezier aus Graz*. Wien: Verl. Manz, 1916.

Pernot, M. *La Question turque*. Paris: Grasset, 1923.

Scanned with CamScanner

Piri. Reis. *Kitab-i bahriyye. Denizcilik kitabı*. 2 vols. préparé à la publication par Y. Senemoğlu. Ankara: Tercüman, 1973.

Pollitzer, M. *Frédéric II, disciple de Machiavel, d'après des documents d'archives inédits*. Paris: Nouvelles éditions latines, 1966.

Pomiankowski, J. *Der Zusammenbruch des Ottomanischen Reiches*. Graz: Akademische Druck- und Verlagsanstalt, 1969 [1928].

Pool, D. «From Elite to Class: The Transformation of Iraqi Leadcarship 1920-1939.» *International Journal of Middle East Studies*. vol. 12 (1980).

Poole, S. L. *Lord Stratford Canning'in Türkiye anıları*. (Trad. Can Yücel). Ankara: Yurt Yayınları, 1988.

Popovic, A. *L'Islam balkanique: Les Musulmans du sud-est européen dans la période post-ottomane*. Berlin: Osteuropa-Institut an der Freien Universität Berlin, Balkanologische Veröffentlichungen, 1986.

_____ et G. Veinstein (éds.). *Les Voies d'Allah*. Paris: Fayard, 1996.

Prätor, S. «Der arabische Faktor in der jungtürkischen Politik: Eine Studie zum osmanischen Parlament der II: Konstitution (1908-1918).» *Islamkundliche Untersuchungen*. vol. 170 (1993).

Quataert, D. *Social Disintegration and Popular Resistance in the Ottoman Empire, 1881-1908, Reactions to European Economic Penetration*. New York: New York University Press, 1983.

_____. *Workers, Peasants and Economic Change in the Ottoman Empire, 1730-1914*. Istanbul: Isis Press, 1993.

_____ and E. J. Zürcher (eds.). *Workers and the Working Class in the Ottoman Empire and the Turkish Republic (1839-1950)*. London: Tauris Academic Studies; Amsterdam: IISH, 1995.

Ragıp, M. *İttihad ve Terakki tarihinde esrar perdesi*. 2nd ed. Istanbul: Örgün Yayınevi, 2004.

Ramsaur, E. E. *The Young Turks, Prelude to the Revolution of 1908*. Princeton: University Press; réimpr. Beyrouth: Khayats, 1965.

Ramsay, W. M. *The Intermixture of Races in Asia Minor, Some of its Causes and Effects*. Proceedings of the British Academy. vol. 7. London: H. Milford, 1917.

Recherches sur la ville ottomane: Le Cas du quartier de Galata, Première Rencontre internationale sur l'Empire ottoman et la Turquie moderne... [Paris], 18-22 janvier 1985. [Organisée par l'Institut français d'études anatoliennes, le Centre national de la recherche scientifique et la Maison des sciences de l'homme.

Scanned with CamScanner

Ouvrage éd. par Edhem Eldem. Varia Turcica; 13. Istanbul; Paris: Éd. Isis; IFEA, 1991.

Redlich, F. *The German Military Enterpriser and his Work Force*. 2 vols. Wiesbaden: Steiner, 1964-1965.

Refik, M. *Ordu teşkilâtı*. 2 vols. Istanbul, 1300 [1882-1883].

Regla, P. de. [Desjardin, P.-A.]. *La Turquie officielle, Constantinople, son gouvernement, ses habitants, son présent et son avenir*. Paris: Librairies imprimeries réunies, 1891.

Renouvin, P. *Histoire des relations internationales*. vol. 6, *Le XIX^e siècle*, vol. 2, *De 1871 à 1914, l'apogée de l'Europe*. Paris: Hachette, 1955.

Riza, A. *La Faillite morale de la politique occidentale en Orient*. Paris: Librairie Picart, 1922.

_____. *Tolérance musulmane*. Paris: Imprimerie Clamaron-Griff, 1897.

Robins, P. *Turkey and the Middle East*. London: Pinter Publishers, 1991.

Roche, M. *Éducation, assistance et culture françaises en Turquie (Constantinople, Smyrne, Brousse) de 1784 à 1868*. Istanbul: Isis Press, 1989.

_____. «Éducation, assistance et culture françaises en Turquie (Constantinople, Smyrne, Brousse) de 1784 à 1868.» Thèse de doctorat de 3^eme cycle présentée à l'Université de Paris I-Panthéon-Sorbonne, 1982.

Roded, R. «Ottoman Service as a Vehicle for the Rise of New Upstarts among the Urban Elite Families of Syria in the Last Decades of Ottoman Rule.» *Asian and African Studies*. vol. 17. no. 1-2 (1983).

Rogan, E. L. «Aşiret Mektebi: Abdülhamid II's School for Tribes (1892-1907).» *International Journal for Middle East Studies*. vol. 28 (1996).

_____. *Frontiers of the State in the Late Ottoman Empire. Transjordan, 1850-1921*. Cambridge: Cambridge University Press, 1999.

Roloff, G. *Die Enstehung des Balkankrieges von 1912*. Giessen: O. Kindt, 1922.

Rustow, D. A. «The Army and the Founding of the Turkish Republic.» *World Politics*. vol. 11 (1959).

_____. «The Military in Middle Eastern Society and Politics.» In: S. Nettleton Fisher (ed.). *The Military in the Middle East: Problems in Society and Government*. Colombus: Ohio State University Press, 1963.

Said, P. *Said Paşa'nin Hatıratı*. 3 vols. Istanbul: Sabah Matbaası, 1328; [1912].

Said Paşa'nin Kâmil Paşa Hatıratına Cevapları: Şarkî Rumeli, Mısır ve Ermeni Meseleleri. Istanbul, 1327 H. [1911].

Scanned with CamScanner

Sakaoğlu, N. «Aşiret mektebi.» *İstanbul Ansiklopedisi*. vol. 1. İstanbul, 1993.

Salim, C. *Ordu ve donanma teşkilâtı ve istatistik*. İstanbul, 1340 [1921-1922].

Salt, J. *Imperialism, Evangelism and the Ottoman Armenians, 1878-1896*. London: Frank Cass, 1993.

Sami. *Ordu teşkilâtı, kara, deniz, hava*. Istanbul, 1927.

Saray, M. *Türk-Iran münâsebetlerinde şiiliğin rolü*. Ankara: Türk Kültürünü, 1990.

Sarrou, A. *La Jeune Turquie et la révolution*. Paris: Berger Levrault, 1912.

Saydam, A. « Orta Anadolu aşiretlerinin iskân.» Prof. Dr. Bayram Kodaman'a armağan'dan ayrı basım. Samsun, 1993.

_____. «Tanzimatçıların ağalık ve beylik kurumunu kaldırmaya yönelik çabaları.»*Toplumsal Tarih Dergisi*. vol. 10 (October 1994).

Schmidt, J. *Through the Legation Window, 1876-1926: Four Essays on Dutch, Dutch-Indian and Ottoman History*. Istanbul: Nederlands Historisch-Archaeologisch Instituut, 1992.

Schmiterlöw, B. v. *Aus dem Leben des Generalfeldmarschalls Freiherr von der Goltz-Pascha. Nach seinen Briefen an seinen Freund*. Berlin; Leipzig: Koehler, 1926.

Schölch, A. *Egypt for the Egyptians! The Socio-Political Crisis in Egypt, 1878-1882*. London: Ithaca Press, 1981.

Sedes, H. *1875-1876 Bosna-Hersek ve Bulgaristan ihtilâlleri ve siyasi olaylar*. I. Istanbul: Çituri Birader Basımevi, 1946.

_____. *Osmanlı-Romen harbi*. 12 vols.

Seignobosc, H. *Turcs et Turquie: La Vieille Turquie, l'armée ottomane, la Turquie et la guerre*. Paris: éd. Payot, 1920.

Sellier, J. et A. Sellier. *Atlas des peuples d'Orient: Moyen-Orient, Caucase, Asie centrale*. Paris: La Découverte, 1993.

Shaw, S. *Between Old and New: The Ottoman Empire under Selim III, 1789-1807*. Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1971.

_____. *History of the Ottoman Empire and Modern Turkey (1280-1808)*. 2 vols. London; New York; Melbourne: Cambridge University Press, 1976.

_____. «The Ottoman Census System and Population, 1831-1914.» *International Journal of Middle East Studies*. vol. 9 (1978).

_____. «Ottoman Population Movements during the Last Years of the Empire, 1885-1914: Some Preliminary Remarks.» *Osmanlı Araştımaları*. vol. 1 (1980).

Scanned with CamScanner

———. «The Population of Istanbul in the 19th Century.» *International Journal of Middle East Studies*. vol. 10 (1979).

———. «Sultan Abdülhamdi: Last Man of the Tanzimat.» In: *Tanzimat'ın 150. Yıldönümü Uluslararası Sempozyomu*. Ankara, Millî Kütüphane Yay., 1991.

——— and E. Shaw. *History of the Ottoman Empire and Modern Turkey*. Cambridge: Cambridge University Press, 1977.

Simon, R. *Libya between Ottomanism and Nationalism, Islamkundliche Untersuchungen*. vol. 105. Berlin: K. Schwarz Verlag, 1987.

Sivrikaya, İ. «Osmanlı İmparatorluğu idaresindeki aşiretlerin eğitimi ve ilk 'aşiret mektebi.» *Belgelerle Türk Tarihi Dergisi*. vol. 11. no. 63 (Ankara, 1972).

Skendi, S. *The Albanian National Awakening 1878-1912*. Princeton: Princeton University Press, 1967.

Sloane, W. M. *Bir tarih laboratuarı Balkanlar*. Istanbul: Süreç Yayıncılık, 1987.

Somel, S. A. *The Modernization of Public Education in the Ottoman Empire, 1839-1908: Islamization, Autocracy and Discipline*. Leyde: E. J. Brill, 2001.

Stoddard, P. «The Ottoman Government and the Arabs 1911-1918: A Preliminary Study of the Teşkilat-ı Mahsusa.» Ph.D. Dissertation. Princeton University. New Jersey, 1963.

Strezoff, G. *L'Intervention et de la péninsule balkanique*. Genève: libr. Stapelmohr, 1892.

Stuermer, H. *Deux ans de guerre à Constantinople: Etudes de morale et politique allemandes et jeunes-turques*. Paris: Payot, 1917.

Sullivan, C. «Stamboul Crossings. German Diplomacy in Turkey 1908-1914.» Ph.D. Dissertation. Nashville, Vanderbildt University, 1977.

Sultan II. Abdülhamid ve Devri Semineri, 27-29 mayıs 1992. Istanbul: Edebiyat Fakültesi Basımevi, 1994.

Sumner, B. H. *Russia and the Balkans: 1870-1880*. Oxford: Oxford University Press. 1937.

Sūleyman Paşa. *Umdet-ül hakayik*. 6 vols. Istanbul: 'Askerî Matbaa, 1928.

Sūleymân Paşazade Sâmî Bey. *Süleymân Paşa Muhâkemesi*. Istanbul: Matbaa-i 'Askeri, 1237-1328 H. [1911-1912].

Swallow, C. *The Sick Man of Europe. Ottoman Empire to Turkish Republic, 1789-1923*. London: Tonbridge, E. Benn, 1973.

Şehsuvaroğlu, H. Y. «Sultan İkinci Abdülhamit.» *Resimli Tarih Mecmuası*. vol. 6. nos. 61-70 (January-October 1955).

Scanned with CamScanner

Şinasi, İ. *Makaleler*. Ed. by F. Tansel and A. Tansel. 4 vols. Ankara: Doğu matbaası, 1960.

Şirin, V. *Asakir-i Muhammediyye ordusu ve seraskerlik*. Istanbul: Tarih ve Tabiat Vakfi, 2002.

Tahsin, P. *Sultan Abdülhamid, Tahsin Paşa'nin Hatıraları*. Istanbul: New ed. Boğaziçi Yay., 1990.

Tanzimat'tan Cumhuriyet'e Türkiye Ansiklopedisi. vol. 5. Istanbul: İletişim Yayınları, 1985.

Tasios, T. G. *The Megali Idea and the Greek-Turkish War of 1897*. Boulder: East European Monographs, 1984.

Taylor, A. J. P. *The Struggle for Mastery in Europe: 1848-1918*. Oxford: Oxford University Press, 1954.

Temo, I. *Ittihad ve Terakki Cemiyetinin teşekkülü*. Mecidiye, Romanya, 1939.

Tengüz, H. *Osmanlı bahriyesinin mazisi, resim albümü*. Istanbul: T.C. Deniz kuvvetleri Komutanlığı, 1995.

Thobie, J. *L'Administration générale des phares de l'empire ottoman et la société Collas et Michel: 1860-1960: Un Siècle de coopération économique et financière entre la France et l'Empire Ottoman*. Paris: L'Harmattan, 2004.

_____. *Intérêts et impérialisme français dans l'Empire ottoman 1895-1914*. Paris: Imp. nat., 1977.

_____. *Phares ottomans et emprunts turcs (1904-1961)*. Paris: Publications de la Sorbonne, éd. Richelieu, 1972.

_____. «Pouvoir, espace, finance: Le Hodeida-Sanaa - un chemin de fer dans les sables 1899-1913.» In: H. G. Majer and R. Motika (eds.). *Türkische Wirtschafts- und Sozialgeschichte von 1071 bis 1920*. Wiesbaden: Harrassowitz Verlag, 1995.

Toğan, Z. V. *Umumi Türk Tarihine Giris*. Istanbul: Ismail Akgün, 1946.

Tokay, G. *Makedonya sorunu, Jön Türk ihtilalinin kökenleri (1903-1908)*. Istanbul: Afa Yayınları, 1996.

Toker, Ş. «Süleymân Nesip.» In: *Yaşamları ve yapıtlarıyla, Osmanlılar Ansiklopedisi*. vol. 2. Istanbul: Yapı Kredi Yayınları, 1999.

Toledano, E. R. «The Emergence of Ottoman-Local Elites 1700-1900: A Framework for Research.» In: I. Pappe and M. Maoz (eds.). *Middle Eastern Politics and Ideas: A History from Within*. London: Tauris Academic Studies. 1997.

Scanned with CamScanner

_____. *The Ottoman Slave Trade and its Suppression: 1840-1890*. Princeton: Princeton University Press. 1982.

Topf, E. *Die Staatenbildungen in den arabischen Teilen der Türkei seit dem Weltkriege nach Entstehung. Bedeutung und Lebensfähigkeit*. Hamburg: Freinderischen, 1929.

Toprak, B. *Islam and Political Development in Turkey*. Leiden: E. J. Brill, 1981.

Toprak, Z. *İttihad-Terakki ve devletçilik*. Istanbul: Tarih Vakfi Yurt Yayınları, 1995.

_____. «İttihat ve Terakki'nin paramiliter gençlik örgütleri.» *Boğaziçi Universitesi Dergisi*. vol. 7 (1979).

_____. *İttihat-Terakki ve Cihan harbi 1914-1918*. Istanbul: Homer Kitabevi, 2003.

Triaud, J.-L. *La Légende noire de la Sanûsiyya. une confrérie musulmane saharienne sous le regard français (1840-1930)*. 2 vols. Paris: éd. de la Maison des Sciences de l'Homme. 1995.

_____. *Tchad 1900-1902. une guerre franco-libyenne oubliée?: Une Confrérie musulmane. la Sanûsiyya face à la France*. Paris: L'Harmattan, 1987.

_____. *Voilà ce qui est arrivé: Bayân mâ waqa'a d'al-Haâgg 'Umar al-Fûti: Plaidoyer pour une guerre sainte en Afrique de l'ouest au XIX° siècle*. éd. Et transcrit par S. M. Mahibou et J.-L. Triaud. Paris: Éd. du CNRS, 1983.

Trumpener, U. *Germany and the Ottoman Empire 1914-1918*. Princeton: Princeton University Press. 1968.

Tugay, A. *Saray dedikoduları ve bazi mârûzat*. Istanbul: Ersa Matbaacılık, 1964.

Tugay, E. F. *Three Centuries: Family Chronicles of Turkey and Egypt*. London: 1963.

Tunaşar, S. *Dört Mason Sadrazam*. 2 vols. Istanbul: Piramit, 2003.

Tunaya, T. Z. *Hürriyet'in ilânı*. 2nd ed. Istanbul: Araba Yayınları, 1996.

_____. *İslamcılık akımı*. Istanbul: Simavi yayınları, 1991.

_____. *Türkiye'de Siyasal Partiler, I, Ikinci Mesrutiyet Dönemi (1908-1918)*. 2nd ed. Istanbul: Hüriyet vakfi yayınları, 1988.

_____. *Türkiye'nin siyasi hayatında batılılaşma hareketleri*. 2nd ed. Istanbul: Arba Yayınları, 1996.

Tunçay, M. and E. Zürcher. *Socialism and Nationalism in the Ottoman Empire, 1876-1923*. London: British Academic Press; Amsterdam: IISH, 1994.

Turfan, M. N. *Rise of the Young Turks: Politics, The Military and Ottoman Collapse*. London: I. B. Tauris, 2000.

Scanned with CamScanner

Tilecarzâde, İbrahim Hilmi. *Balkan Harbi dâr ul harekât, Avrupa-? 'Osmani Romanya, Bulgaristan, Serbistan, Karadağ, Yunanistan, Istanbul, Dersa'adet, Kütüphâne-i İslâm ve 'askerî, İbrahim Hilmi.* no. 46. Matba'a hayriyye ve Şurekâsı, 1326 H. [1908-1909].

Türk Silahlı Kuvvetleri tarihi. Ankara: Gnkur. Yayınevi, 1978.

Türkmen, Z. «II. Abdülhamid döneminde osmanlı ordusu'nun modernisasyonu için kurulan tecchizât-ı askeriye nezâreti ve faaliyetleri,» In: *Prof. Dr. Hakkı Dursun Yıldız Armağanı.* Istanbul : Marmara Üniversitesi Yayını, 1996.

Türköne, M. *Siyasi ideoloji olarak İslamcılığın doğuşu.* Istanbul: İletişim yayınları, 1991.

Ubicini, A. and Pavet de Courteille. *Etat présent de l'Empire ottoman, statistique, gouvernement, administration, finances, armée, communautés non-musulmanes, etc.* Paris: Dumaine, 1876.

Uçarol, R. *1878 Kıbrıs Sorunu ve Osmanlı-İngiliz Anlaşması (Ada'nın İngiltere'ye).* Istanbul: Edebiyat Fakültesi Basımevi, 1978.

_____. *Gâzî Ahmet Muhtar Paşa: bir osmanlı Paşasi ve dönemi.* Istanbul: Milliyet Yayınları, 1976.

_____. *Uluslararası Midhat Paşa Semineri.* Ankara: Türk Tarih Kurumu, 1986.

Uzunçarsılı, İ. H. « *İkinci Abdülhamid'in Ingiliz siyasetine dair muhtıraları.* I.Ü.E.F. » *Tarih dergisi.* Vol. 7. no. 10 (September 1953.

_____. *Midhat Paşa ve Rüstü Paşaların Tevkiflerine Dâir Vesikalar.* Ankara: Türk Tarih Kurumu, 1946.

_____. *Midhat Paşa ve Taif Mahkumları.* 2nd ed. Ankara: Türk Tarih Kurumu, 1985.

_____. *Midhat Paşa ve Yıldız Mahkemsi.* Ankara: Türk Tarih Kurumu, 1967.

_____. *Osmanlı Devleti Teşkilatından Kapukulu Ocakları.* 2 vols. Ankara: Türk Tarih Kurumu, 1943-1944.

_____. *Osmanlı Devletinin Ilmiye teşkilatı.* Ankara: Türk Tarih Kurumu, 1965.

_____. *Osmanlı Devletinin Merkez ve Bahriye Teşkilatı.* Ankara: Türk Tarih Kurumu, 1948.

_____. *Osmanlı Devletinin Saray Teşkilatı.* Ankara: Türk Tarih Kurumu, 1945.

_____. *Osmanlı Tarihi.* 14 vols. Ankara: Türk Tarih Kurumu, 1982.

_____. «Şıpka Kumandani Süleymân Hüsnü Pasa'nin menfa hayatina dair bazi vesikalar.» *Belleten.* vol. 12. no. 45 (1948).

Scanned with CamScanner

Vambery, A. «Personal Recollections of Abdul Hamid II and his Court.» *The Nineteenth Century and After*. vols. 65-66 (1909).

_____. *The Story of my Struggles*. 2 vols. London: T. Fisher Unwin, 1904.

_____. *La Turquie d'aujourd'hui et d'avant quarante ans*. Paris: 1898.

Van Bruinessen, M. *Agha, Shaikh and State*. London: Zed Books, 1992.

Vaner, S. «The Army.» In: Irvin Cemil Schick and Ertuğrul Ahmet Tonak (eds.). *Turkey in Transition: New Perpectives*. New York; Oxford: Oxford University Press, 1987.

Vatin, N. et G. Veinstein. *Le Sérail ébranlé, essai sur les morts, dépositions et avènements des sultans ottomans (XIVe-XIXe siècle)*. Paris: Fayard, 2003.

Veinstein, G. (éd.). *Salonique, 1850-1918: La 'Ville des Juifs' et le réveil des Balkans*. Paris: Autrement, 1992.

Vella, A. P. *An Elizabethan-Ottoman Conspiracy*. Malta: Printex, 1972.

Wallach, J. L. *Anatomie einer Militärhilfe: Die preußisch-deutschen Militärmissionen in der Türkei 1835-1919*. Düsseldorf: Droste, 1976.

Wanty, G. E. *La Pensée militaire des origines à 1914*. Bruxelles; Paris: Brepols, 1962.

Ward, R. E. and D. A. Rustow (ed.). *Political Modernization in Japan and Turkey*. Princeton: Princeton University Press, 1964.

Weber, F.G. *Eagles on the Crescent, Germany, Austria and the Diplomacy of Turkish Alliance, 1914-1918*. London: Cornell University Press, 1970.

Westarp, E. J. *Unter Halbmond und Sonne*. Berlin: Veröffentl. d'Allgemeinen Vereins für deutsche Literatur, 1913.

Wolpin, M. D. *Militarism and Social Revolution in the Third World*. Allenheld, NJ: Osmun, 1981.

Yalçinkaya, A. *Sultan II. Abdülhamid Han'ın Notları*. Istanbul: Sebil, 1996.

Yapp, M. E. *The Making of the Modern Near East, 1792-1923*. London; New York: Longman, 1987.

_____. «The Modernization of Middle Eastern Armies in the Nineteenth Century: A Comparative View.» In: V. J. Parry and M. E. Yapp (ed.). *War, Technology and Society in the Middle East*. London: Oxford University Press, 1975.

Yasamee, F. A. K. «Abdülhamid II and the Ottoman Defence Problem.» *Diplomacy and Statecraft*. vol. 6. no. 1 (mars 1993).

_____. *Ottoman Diplomacy: Abdülmahid II and the Great Powers 1878-1888*. Istanbul: Isis, 1996.

Scanned with CamScanner

rasimos, S. *Azgelişmişlik süresince Türkiye (Bizans'tan 1971'e)*. Istanbul: Gözlem yay., 1980.

_____. «Les Ingénieurs ottomans.» In: E. Longuenesse (ed.). *Bâtisseurs et bureaucrates: Ingénieurs et société au Maghreb et au Moyen-Orient*, Etudes sur le Monde Arabe; 4. Lyon: Maison de l'Orient, 1990.

erlikaya. «Yıldız'ın hatası: Devlet-i Aliyye ve Rusya muharebesi.» *Tarih ve Toplum* (TaTo). vol. 18. no. 106 (1992).

etkin, S. *Ege'de eşkiyalar*. Istanbul: Tarih Vakfi Yurt Yayınları, 1996.

ildiz *Fotograf Albümleri Kataloğu*. Istanbul, 1992.

olalıcı, E. «Education in the Ottoman Empire in the 19th Century.» In: *The Great Ottoman Turkish Civilization*. vol. 2. Ankara: 2000.

Young, G. *Corps de droit ottoman*. 7 vols. Oxford: Clarendon Press, 1905.

Zarcone, T. *Mystiques, philosophes et francs-maçons en Islam, Rıza Tevfik, penseur ottoman (1868-1949), du soufisme à la confrérie*. Paris: Libr. d'Amérique et d'Orient Adrien Maisonneuve, 1993.

_____. *Secret et sociétés secrètes en Islam*. Archè, 2002.

_____. *La Turquie moderne et l'Islam*. Paris: Flammarion, 2004.

Zboïnski, H. *L'Armée ottomane*. Paris: Librairie militaire de J. Dumaine, 1877.

Zeki, A. «Essai sur les causes de la décadence de l'Empire ottoman.» Thèse, 1929.

Zinkeisen, J. W. *Geschichte des Osmanischen Reiches in Europa*. 7 vols. Hambourg: 1840-1868. [réimp. Darmstadt, 1963].

Zürcher, E. J. (ed.). *Arming the State: Military Conscription in the Middle East and Central Asia 1775-1925*. London: I. B. Tauris, 1999.

_____ (ed.). «Between Death and Desertion: The Experience of the Ottoman Soldier in World War I.» *Turcica*. vol. 28 (1996).

_____. *Milli mücadelede ittihatçılık*. 2nd ed. Istanbul: Bağlam Yayınları, 1995.

_____. *Turkey, A Modern History*. London; New York: I. B. Tauris, 1993.

_____. *The Unionist Factor: The Role of the Committee of Union and Progress in the Turkish National Movement*. Leiden: Brill, 1984.

Scanned with CamScanner

فهرس عام

الآستانة: 235، 263، 315-316
آسيا: 165، 267، 316
آسيا الصغرى ينظر الأناضول
آسيا الوسطى: 343
إبراهيم باشا (نجل محمد علي باشا): 130
إبراهيم باشا الملي: 135-136، 147، 150-152، 156-157، 349
إبيروس (اليونان): 307
الاتحاد الإسلامي: 105
الاتحاديون: 156، 161، 257، 276-277، 295، 307-308، 315، 317-318، 321-322، 329
الأتراك: 35، 83، 96، 105، 130، 136، 149، 165، 177، 206، 307، 319، 324، 339
الأتراك المتعصبون القدامى: 202، 207
أثينا: 229
الاحتلال البريطاني لسوريا (1918): 111
الاحتلال العثماني الأول لليبيا: 165
أحزاب المعارضة: 292-293، 322
الأحساء (السعودية): 67
إحسان أوغلو، أكمل الدين: 14
إحسان بيك: 329
أحمد بيك (نجل المشير كرد إسماعيل باشا): 223
أحمد باشا (قائد الحرس): 27
أحمد، آرال (بيك): 205-206
الأحمدية (العراق): 130
الأخوة الإسلامية: 133
الأخويات الصوفية: 275
الأدب: 78، 80، 189، 193-194، 199
الأدب الأوروبي: 81
أدب الرحلات: 78
الأدب العثماني: 86، 199
الأدب العسكري: 92
الأدب الفرنسي: 80، 194
أدرنة (تركيا): 59، 103-104، 153، 191، 222، 228، 236، 266، 271، 279، 292، 307-308، 310، 314-319، 327
أدهم، إبراهيم (آغا): 174
أدهم، إبراهيم (باشا): 77
أدهم باشا (المشير): 222، 268، 302-303
أربيل (العراق): 130
أرداهان: 47، 49

أرزينجان (تركيا): 103، 135-136، 147-148، 150، 225، 266، 279، 318، 329
أرضروم (تركيا): 45، 48-49، 65، 103، 116، 131، 134-138، 140، 146-147، 149-152، 160، 177-179، 202، 219، 225، 235، 279
أرطغرل (الأمير): 225
إرليك، باك فون (الكولونيل): 85
الأرمن: 33، 54-55، 58-59، 84، 131، 279، 311
أرمينيا: 320
إزميد (تركيا): 262، 337
إزمير (تركيا): 189، 197، 298
الاستبداد العثماني: 24، 231-232، 254، 314
إسحق باشا (اللواء): 225
اسطنبول (تركيا): 14، 26-28، 45، 49، 56، 59-60، 62، 66-68، 75، 77-78، 81، 95-96، 99، 102-104، 107-108، 110، 112-114، 116، 126، 130، 133-134، 136-137، 139، 143، 149، 151-152، 154، 157، 164، 174-175، 177-180، 184، 188-192، 194، 196، 200-202، 210، 216-217، 220-221، 224-225، 229، 234-237، 251، 257، 261، 266، 274-275، 277-279، 282، 294-295، 298، 300، 306-307، 315، 319، 321، 323، 329-331، 347-348
أسعد، محمد (أفندي): 27
الإسكندرونة: 154-155، 220
الإسلام: 157، 194
إسلام بيك: 225
الأسلحة العلمية: 74، 94
إسماعيل باشا: 179، 223-225
إسماعيل، قرت (باشا): 48
أشقودرة (ألبانيا): 66-67، 117، 120، 162، 202، 256، 294، 297، 307، 319
الإصلاح التعليمي: 80
الإصلاح السياسي: 199، 348
الإصلاحات البحرية: 23
الإصلاحات العسكرية: 15-16، 20، 22، 31، 39، 80، 82، 93-94، 120، 122، 249، 270، 300، 345-346، 349
الإصلاحات الغربية: 39
الإصلاحيون: 25، 31، 76، 79
الإصلاحيون الاتحاديون: 157
الإصلاحيون العثمانيون: 226
أضنة (تركيا): 61، 279
الأطماع الإيطالية: 164
الإعفاءات: 16، 33-34، 51، 59-60، 65-68، 70، 115، 125، 127، 138، 163، 264
الإعفاءات الإقليمية: 17، 66
الإعفاءات الجزئية: 68
الإعفاءات الضريبية: 161
الإعفاءات الظرفية: 66-67
الأعمال العدائية: 307، 317، 340
أعيان البلاط: 26
الأعيان المحليون: 20-21، 23، 34

Scanned with CamScanner

أفريقيا: 16، 65، 165
أفندية اسطنبول: 221
الأفواج التكتيكية: 34، 41
الأفواج الحميدية: 16-17، 109، 128، 135، 138-140، 144، 146-150، 152-154، 156-157، 160، 224، 226
الأفواج الخاصة: 19
أفواج سلاح الفرسان: 38، 47، 49، 126-128، 141، 144، 146، 160، 225، 236
أفواج سلاح المدفعية: 48، 310
الأفواج العربية: 304
الأفواج العشائرية: 349
أفواج الفرسان البوسنيين: 17، 118، 128
أفواج الفرسان الخفيفة: 157-158، 289، 333
أفواج الفرسان غير النظامية: 128، 146
أفواج القوزاق (في الجيش الروسي): 38، 134، 146
الأفواج الكردية: 138
أفيون (تركيا): 189
الإقطاعيون: 119
الإقطاعيون الأكراد: 130
الأقليات: 187، 297، 327
أكاديمية برلين الحربية: 80-81، 92
الأكراد: 66، 107، 109، 117، 130-131، 133، 135، 137-139، 143، 147، 149، 151، 157، 161
الأكراد الحميديون: 150-152
الأكراد العلويون: 139
أكوزر، علي سامي: 94-95
إلازغ (تركيا): 103، 116
ألاشكرت (تركيا): 147، 149
الألبان: 120، 162، 238-239، 294، 297-298
الألبان المسيحيون: 163
ألبانيا: 35، 118، 120، 162، 189، 202، 239، 256، 279، 294-297، 340
إلزامية التعليم: 58
ألكسندر الثاني (القيصر): 206
ألكسيناتز (صربيا): 203
الألمان: 101-102، 207، 261، 271، 291، 310، 322، 325
ألمانيا: 13-14، 81-82، 89، 91، 98-99، 101، 180، 223، 247، 269-270، 291-293، 325، 339، 343
الأمة التركية الحديثة: 347، 350
الأمراء الأكراد: 129، 131
أمين باشا: 79، 82، 151
أمين، سرويلي أحمد: 94
الأناضول: 23، 35، 47، 50، 52، 76، 102-103، 113، 131، 135، 178، 184، 200، 234، 251، 264، 274، 279، 293، 301، 307، 320، 350
- الشرقية: 16، 49، 66، 77، 104، 109، 115، 117، 128، 133-135، 146، 148-149، 156-157، 175، 177، 197، 233، 279، 297، 342
انتشار الأوبئة: 64-65
الانتفاضات: 25، 110، 118-120،

Scanned with CamScanner

131، 136، 174، 202، 234،
242، 253-254، 348
انتفاضات جبل لبنان: 201
الانتفاضة الألبانية: 299
الإنجيل: 84
الاندماج الاجتماعي: 16، 112
الانضباط: 23، 106، 108، 151، 155،
174، 231، 240، 242، 256،
270-271، 282
الانضباط العسكري: 141، 144-145،
271-273، 281، 298-299،
317-318، 331-332، 348
أنقرة: 14، 156
انقلاب 23 كانون الثاني/يناير 1913:
314-315، 317، 326، 342
الانقلاب الدستوري: 182
انقلاب عام 1876: 229، 257
الانقلاب العسكري المضاد: 276، 321،
340
الانقلابات العسكرية: 17، 247
إنكلترا ينظر بريطانيا
أنور بيك: 250، 270-271، 297،
302-304، 306، 313-314،
316، 321، 327-332، 339
أنور باشا (وزير الحربية): 62، 85، 306،
325، 328، 342-343، 350
أوياتوريا (شبه جزيرة القرم): 201
أورفه (تركيا): 136، 151-152، 156
أوروبا: 16، 25، 31، 38، 73-74، 82،
96، 98، 165، 175، 181، 183،
202، 214، 217، 264، 267،
315، 326، 339
أوشريدا: 250
إيبك (كوسوفو): 238، 293، 295
الأيديولوجيات الماركسية - اللينينة: 256
أيديولوجية الغزو: 232
إيران: 130
إيطاليا: 175، 180، 294، 307
الإيطاليون: 166، 302، 330
إيمهوف باشا: 261
أيوب باشا (شيخ عشيرة زيلان): 109

-ب-

الباب العالي: 21، 35، 38، 55، 66
75، 99، 119-120، 123-
124، 127-131، 152-153،
155، 182، 187، 229-230،
314-315، 319، 342
بابا اسكي (تركيا): 310
باريس: 13، 82، 96، 98، 175
الباشاوات الاتحاديون: 342
الباشاوات المتمردون: 210
باطوم (جورجيا): 45، 47-48، 178
بالكسير (تركيا): 329
بانغالتي (اسطنبول): 83، 103-104،
273، 325
بايبورت (تركيا): 279
البحارة الأتراك: 291
البحر الأحمر: 289
البحر الأدرياتيكي: 177
بحر إيجه: 102، 195
بحر مرمرة: 307
بحري باشا (اللواء): 226
البحرية الألمانية: 291
البحرية (قوات - جيش): 19، 22، 53،
63، 73، 94-95، 101-102،
216، 237، 240، 262-263،
281-283، 286، 289، 328
البدل التعويضي: 66، 69-70
البدل الشخصي: 69

Scanned with CamScanner

البدل النقدي: 69
بدليس (تركيا): 103، 132، 135، 225
برتيف باشا: 308
البرجوازية التركية: 327
البرجوازية العثمانية: 327
برجيه، ليون: 134
برلين: 14، 270–271
البرنامج العسكري الفرنسي: 92
برهان الدين (الأمير): 95
البروباغندا الإسلامية: 37
بريتانيه دي لا فليش (فرنسا): 98
بريزرن (كوسوفو): 239
بريزفند: 296
بريشتينا (كوسوفو): 239
بريطانيا: 37، 77–78، 94، 175، 289، 328
بشكتاش (اسطنبول): 192، 201، 209
البصرة (العراق): 67، 106، 111، 198، 263، 316
البطريركيات: 61
البطريركية الأرمنية: 55
البعثات الدبلوماسية الأجنبية: 325
البعثات العسكرية: 75
البعثة الإصلاحية الألمانية: 85
البعثة العسكرية الألمانية: 50، 96، 98، 181، 207، 214–217، 223، 247، 322–325، 328، 340
بغداد: 49، 61، 67، 102–103، 106، 116–117، 130، 155–156، 190، 192، 195–199، 210، 266، 316
البكتاشية: 25، 253
بلاد فارس: 133، 157، 236
بلاد ما بين النهرين: 134، 147
البلاشفة: 343
البلاغة: 80، 194
البلغار: 33، 38، 54، 58–60، 307، 311، 314، 316، 319
بلغاريا: 47، 57، 60، 84، 100، 177، 191، 268، 319
البلقان: 23، 47، 49، 118، 161، 191، 319، 348، 350
بليفني (بليفنا) (في بلغاريا اليوم): 50، 100، 203–209، 211، 222
بنغازي (ليبيا): 165، 306
البنك العثماني: 220، 243
بنهولد (الرائد): 300
بنيالوكا (البوسنة): 124
بودوريم: 204
بورصة (تركيا): 103، 173–174، 198، 201
البوسنة: 16، 25، 35، 47، 54، 56، 66، 103، 117–123، 127، 174–175، 177، 189، 191، 202، 217، 327
البوسنيون: 119–121، 125–126
بولاير (تركيا): 292
البولنديون: 38
بومان (الجنرال): 101
بون (ألمانيا): 14
بيازيد (اسطنبول): 47، 109، 131–132، 179
بيرا (تركيا): 276
بيرانى (كوسوفو): 239
بيروت (لبنان): 38، 102–103، 113، 117، 220، 243، 330
البيروقراطيون: 114، 182، 230–231
البيكوات: 122–123، 126، 296
البيكوات البوسنيون: 123

بيوغلو (اسطنبول): 108
-ت-
تاريخ الأتراك القدامى: 194
تاريخ الإسلام: 106، 194
التاريخ الأميركي: 82
التاريخ الأوروبي: 82
التاريخ التركي: 199
تاريخ التعليم: 81
تاريخ الحرب: 92
تاريخ السلالات العثمانية: 107
التاريخ السياسي: 186
التاريخ العثماني: 82، 86، 107، 194
التاريخ العسكري: 80-82، 186، 206
تاريخ الفن العسكري: 92
التريك: 326
التجسس: 214، 221، 224-225
التجنيد الإجباري: 15-16، 20، 24-25، 31، 33-34، 36، 38، 40، 42، 49-53، 56، 62، 65-66، 68-69، 83، 93، 115،، 117، 119-121، 139، 141، 160، 162-165، 233، 253-254، 264، 306، 333، 341، 345-346
تجنيد الأرمن: 33
تجنيد الأكراد العلويين: 139
تجنيد البلغار: 33
تجنيد البوسنيين والألبان: 120
التجنيد العسكري ينظر التجنيد الإجباري
تجنيد العشائر العربية: 161
تجنيد غير المسلمين: 15، 54، 56، 58، 270
التحديث: 173، 313
تحديث الأداة العسكرية: 249
تحديث التعليم: 80
تحديث الجيش: 40، 71، 74-75، 233، 270
تحديث المجتمع: 75، 349
تحسين باشا (السكرتير الأول للسلطان): 241
التخصصات العلمية الحديثة: 82، 347
التدخل العسكري: 17، 294
التدريب العسكري: 26-27، 63، 149، 164، 169، 210، 267، 326
التدريبات القتالية: 262
التراتبية العسكرية: 322
تراقيا: 47، 60، 307-308، 315، 319-320، 342
تريبيني (الهرسك): 177
الترقيات الجماعية: 251
التركمان: 139، 143
تساليا (اليونان): 222-223
التسامح الديني: 187
التسلسل الهرمي: 23، 85، 175، 183، 219، 222، 225، 242، 254، 272، 298
تسور، بيرم (بيك): 240
تشاتالجا (اسطنبول): 179، 278، 307، 319
تشايكوفسكي، مايكل (صادق باشا): 38
تششمه (تركيا): 26، 73
تشيرنايف (المارشال): 202
التصوير الفوتوغرافي: 76، 94-95
التضامن: 59، 72، 76، 216، 285
التضامن الإسلامي: 305
التضامن العشائري: 139
التطور التقني: 347
تطور الجيش: 16، 349

Scanned with CamScanner

التطور العلمي: 347
التظاهرات: 237، 243، 277، 295، 300، 315
تعاليم الإسلام: 282، 301
التعسف الحميدي: 348
التعليم: 53، 58، 60، 68، 72، 75، 85، 103، 105، 107، 111، 121، 144، 161، 198-199، 291، 326، 328، 334، 339، 341، 347-348
التعليم الديني: 67، 72، 332
التعليم العسكري: 76، 78، 85، 326
التعليم العملي: 92
التعليم العمومي: 72
التعليم الغربي: 213
تعليم القرآن: 82، 106-107
التقاعد: 34، 111، 226، 258، 267، 287-288، 328، 339-340
التقاعد الإلزامي: 331-332
التقدم الاقتصادي: 342
التقنيات الألمانية: 81، 91
التقنيات الأوروبية: 20، 73
التقنيات الحديثة: 76
التلمود: 84
التمرد: 16، 25، 27، 31، 60، 66، 119، 149، 177، 202، 216-217، 220، 225، 233-243، 250، 254-256، 273-275، 277-278، 294، 296-298
تمرد الأفواج الحميدية (1908): 153
التمرد الألباني: 297، 301
تمرد البوسنيين (1831): 119
التمرد الشعبي في حلب (1850): 66
التمرد العسكري: 297
التمرد في الجيش الحميدي (1884): 216
تمرد الماليسور: 294، 308
التنظيم الاجتماعي: 254
التنظيم الإداري: 85
تنظيم الجيوش الأجنبية: 92
التنظيم العسكري: 24، 37، 180، 270
- تنظيم الجيش: 39، 66، 76، 161، 187، 254، 266-267، 288، 300-301، 319-320، 322، 339، 345-346
- تنظيم القوات البحرية: 262-263
- تنظيم القوات العثمانية: 45
تنظيم المدارس: 93
التنظيمات الإصلاحية العثمانية: 31، 37، 71-72، 75-77، 79، 102، 117، 139، 173، 180، 213، 226، 254، 345، 349
- خط كلخانه: 33-35
- خط همايون: 37
التوافقيون: 318
توبي، جاك: 13-14
توفيق، أحمد (باشا): 277
توفيق بيك: 205
توكات (الأناضول): 200
التيار الإصلاحي الألماني: 181
التيمار: 19-20، 23، 123
التيمارجيون: 19، 21، 121-122، 124-125، 162
التيمارجيون البوسنيون: 115، 118، 121
تيمو، إبراهيم: 229

-ث-

ثانوية غلطة سراي السلطانية: 83، 96

Scanned with CamScanner

الثقافة: 16، 70، 78، 174
الثقافة الانكشارية: 253
الثقافة الأوروبية: 276
الثقافة العسكرية: 31
الثورات الانكشارية: 243، 252، 254
الثورات الداخلية: 340
ثورة الانكشاريين (أيار/ مايو 1807): 23
ثورة بابان (1806): 131
ثورة بدر خان (1843-1847): 131
ثورة تركيا الفتاة (1908): 15-16، 33-34، 71، 84، 89، 93، 113، 160، 169، 180، 183، 211، 213، 228، 234، 249، 251-252، 270-271، 275، 342، 346، 349
الثورة العربية الكبرى (1916): 113
الثورة الفرنسية (1789): 24، 80، 194، 255
الثورة الكمالية: 15، 349
الثورة المضادة (1909): 157، 275، 283
ثورة محمد باشا (1834): 131
ثورة يزدان شير (1853-1855): 132

-ج-

الجامعة التركية: 348
جاملیكا (اسطنبول): 190
الجبل الأسود: 47، 56، 67، 118، 125، 174-175، 177، 180، 236، 294، 297، 307، 319
جبهات الدانوب: 45
جبهة الأناضول: 50
الجبهة الأوروبية: 50
جبهة الجبل الأسود: 236
جبهة درنة (ليبيا): 306، 329
الجبهة الروسية: 133
الجبهة الصربية: 127
جدة (السعودية): 274
الجزائر: 134
جزايرلي، حسن (باشا): 22، 73، 102
الجزية: 54، 119، 152
جزيرة تاسوز: 67
جزيرة رودس: 197
جزيرة سيزام: 67
جزيرة كاندیا: 117
جزيرة كريت: 56، 66-67، 115، 117، 177-179، 189، 201، 236، 307
جزيرة ليسبوس: 195
جزيرة هيبلياداً: 81
الجغرافيا: 73، 77، 82، 86، 107، 186
الجغرافيا الإحصائية: 92
الجغرافيا الاستراتيجية: 92
جقماق، فوزي: 342، 350
جلال الدين، محمود (باشا): 48، 50
جمال باشا: 102، 310، 313، 315، 318، 321، 328-329، 338، 342
الجمعيات الخاصة: 272
جمعيات القوة العثمانية: 326
الجمعيات الماسونية: 231
جمعية الاتحاد العثمانية: 229
جمعية الاتحاد المحمدي: 276
جمعية الاتحاد والترقي: 149-150، 158، 161، 182، 213، 224، 230-231، 249، 251، 257، 274-278، 283، 292-294، 297-300، 313-314، 317،

Scanned with CamScanner

321-322، 326، 328، 342،
347
جمعية التربية الإسلامية: 190
جمعية التعليم الديني: 198
جمعية الدفاع الوطني: 326
الجمعية العثمانية للحرية: 231
جمعية العهد السرية: 329-330
جمعية القوة التركية: 326
الجنود الأتراك: 284، 306، 309، 320
الجنود الأكراد: 48
جنود الاحتياط النظامي: 34-36، 38-
42، 45، 48، 51-53، 56، 58،
61، 64، 115، 118، 121-122،
124-125، 142، 145، 161،
234، 251، 265، 267، 273،
286-287، 294-295، 311،
320، 324، 341
الجنود البوسنيون: 127
جنود الحرس الوطني (المستحفظة): 42،
45، 47، 51، 53، 56، 63، 69،
121، 125، 201، 234، 265،
320، 346
الجنود الشبان: 57، 60
الجنود الطرابلسيون: 166
الجنود غير المسلمين: 311، 332
الجنود القدامى: 41-42، 61
الجنود اللاز: 48
الجنود المحترفون: 253
الجنود المحليون: 48
جنود المساندة: 49
الجنود المسرحون: 42، 278
الجنود المسلمون: 332
الجهاد: 27-28، 37
جهاز التجسس: 225
جهاز الدولة: 72، 111، 346
الجهاز العسكري: 339
جودت، أحمد (باشا): 120-121
جودت باشا: 77، 175
جودت، عبد الله: 229
جورجون، فرانسوا: 14
جورجيا: 45
الجيش الألماني: 96، 98-100، 322-
323
الجيش البروسي: 115، 271
الجيش التركي المعاصر: 16، 350
الجيش الروسي: 50، 146، 203
الجيش العثماني: 15، 20، 24-26،
38، 43، 45، 52، 55، 66، 76،
92، 96، 98-100، 112، 130،
169، 173، 181، 187، 214،
218، 224، 228، 231، 252،
254، 259، 261، 265، 290،
301، 322-323، 329-330،
332، 340، 345، 348-349
- جيش الأناضول: 48، 116، 178،
293
- الجيش الانكشاري: 13، 15، 19-
21، 23-27، 76، 119، 188،
252-254، 345
- جيش بلاد العرب (الجيش السوري
السادس): 36، 116
- الجيش البوسني: 119، 126
- جيش تساليا: 222-223
- جيش التيموك: 202
- جيش الحركة (التابع لمحمود
شوكت باشا): 278، 282
- جيش الدانوب: 191
- جيش الروملي: 116، 201
- الجيش السلطاني: 135، 143،
201

Scanned with CamScanner

- جيش العراق والحجاز: 116
- الجيش المحمدي المنصور: 26
- الجيش النظامي: 34-35، 41-42، 51-53، 57، 64، 69-70، 116، 124-125، 143-144، 149-150، 159، 161-162، 234، 265، 267، 286، 320، 331، 333، 346، 349
- جيش اليمن: 117
- جيوش مقدونيا: 249، 293
الجيش الفارسي: 84
الجيوديسيا (علم مساحة الأرض): 77
الجيوش الأجنبية: 92، 159، 268
الجيوش الأوروبية: 24، 40، 50، 217
الجيوش المصرية: 27
الجيوش النمساوية - المجرية: 217

-ح-

الحاخامات: 61
حافظ، محمد باشا: 54، 164-165
الحجاز: 62، 67، 104، 106، 191، 257، 267، 274، 321
الحداثة العثمانية: 31، 102، 118، 301
الحدود الأوروبية: 45، 267
الحدود الروسية: 134، 137
الحدود العثمانية: 130
الحدود الفارسية: 56، 157، 236، 269
الحدود اليونانية: 137
الحراك الاجتماعي: 112
الحرب الإيطالية - التركية (1911-1912): 166، 291-292، 301-302، 306
حرب البلقان الأولى (1912-1913): 61، 306-307، 319-320
حرب البلقان الثانية (1913): 319، 321
الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا والنمسا - المجر (1787-1792): 21
الحرب الروسية - التركية (1877-1878): 16، 27، 43، 45، 49-50، 55، 80-81، 86، 91، 118، 133، 171، 178-179، 181، 183، 191، 196، 210-211، 230
- (1828-1829): 27
- (1768-1774): 21
الحرب العالمية الأولى (1914-1918): 13، 17، 37، 65، 85، 90، 101، 247، 301، 306، 315، 327، 343، 346، 350
حرب العصابات: 305
حرب القرم (1853-1856): 37، 54، 201
الحرب المقدسة ضد الكفار: 37
الحرب اليونانية - التركية (1897): 95، 102، 208، 223، 268
الحرس السلطاني: 79، 116، 137، 189، 204، 217، 237، 241، 260، 274
الحرس الوطني (المستحفظة): 42، 45، 47، 50-51، 53، 56، 63، 69-70، 121، 125، 177، 201، 234، 265، 320
حركات العصيان: 217، 233، 254، 273، 295، 297
الحركات القومية: 118
الحركات القومية الأرمنية: 139
حركة التحرير الوطني: 350
حركة الترجمة: 76
حركة تركيا الفتاة: 57، 101، 113،

Scanned with CamScanner

128، 169، 182-183، 187،
192، 194، 224، 229-231،
249، 251، 256، 261، 267-
271، 279-280، 294-295،
310، 313، 316، 325، 339،
346، 348-349
الحركة الدستورية: 169
الحركة الشريفية: 114
الحركة المناهضة للثورة: 278
حروب البلقان: 62، 65، 85، 247،
301، 307، 313، 319، 326،
340-341
الحرية: 156، 271-272
حرية التصرف: 270
حرية التعبير: 211
حرية التفكير: 270
حرية العبادة: 187
حرية العمل: 272
حرية المناورة: 270
حزب الرابطة العسكرية: 308، 315،
317
الحساب (علم): 79-80، 82، 86،
106-107
حسن بيك: 94
حسن، سليمان (باشا): 78، 80-81،
188-190، 192
حسني باشا: 241
حسين بيك: 175
الحسين بن علي (شريف مكة): 113
الحصار العثماني على بغداد (1638):
130
الحصار بليفني (1877) ينظر معركة
بليفني (1877)
الحضارة (علم الحال): 106
الحقبة الانكشارية: 253
حقي، إسماعيل: 147
حقي باشا: 241، 292
الحكومة البريطانية: 182، 250
الحكومة العثمانية: 66، 85، 123، 129،
133، 164، 234، 236، 338
حلب (سوريا): 66-67، 103، 106،
111، 151، 196، 316، 329
حلمي، حسين (باشا): 270، 277
حليم، سعيد (باشا): 322
حمدي (النقيب): 275
حمص (سوريا): 117
حملة نيكشيش: 125
الحميدية: 16، 157، 162
- الحقبة: 75، 82، 95، 99، 117،
169، 211، 213، 339، 347-348
- السلطة: 169، 348
- العشائر: 140، 155-156
- القوات: 136، 140-141، 143،
151، 156، 162، 216، 346
- كتيبة المشاة: 163
حوران (سوريا): 66، 340
حيدر باشا (اسطنبول): 261
حيدرانلي، حسين باشا: 150-151،
155، 157

-خ-

خاركوف (أوكرانيا): 206
خالد، محمد (أفندي): 188
خدمة الأركان الميدانية: 92
الخدمة العسكرية: 16، 31، 35-38،
41، 51-54، 56، 58-64، 66-
70، 85، 115، 117-120، 122،
126، 130، 135، 138، 140-
141، 144، 151، 161، 164،
205، 217، 230، 233-234،
253، 259، 263-265، 267،
275، 285-288، 320، 339

Scanned with CamScanner

الخدمة العسكرية الإقليمية: 320
الخدمة النظامية: 53، 69، 126، 222
خربوط (تركيا): 151، 157
خسرو باشا (وزير الحربية): 27
خط الرقعة (من أشكال الخط العثماني): 106-107
خليل آغا: 152، 223، 302، 329
خير الدين بيك: 293
خيري باشا (الحاج): 223
خيري، حسن (باشا): 146
-د-
دافعو الضرائب: 166، 235
داود باشا: 216، 225
الدراسات العسكرية: 174، 223
درسيم: 39، 117، 136، 139، 175
درنة (ليبيا): 108، 303، 306، 329
درويش باشا (الضابط): 74، 175، 178، 223
الدستور العثماني: 210، 256-257، 272-273، 278، 286
الدعاية الدينية المضادة: 198
دلماسيا (البوسنة): 177
الدليل العسكري: 148
دمشق: 66، 102-103، 113، 116-117، 190، 224، 230، 241-242، 266، 268، 298، 316
دو بونفال (الكونت): 73
دوبون (الجنرال): 195
الدولة العسكرية: 233، 326
دوميزيل، جورج: 13
ديار بكر (تركيا): 103، 106، 130، 132، 134، 138، 155، 157، 160، 225-226
دياكوفا (كوسوفو): 238-240، 296
دير الزور (سورية): 67، 106، 151
ديليبابا (أرضروم): 178
الدين: 24-25، 119، 184، 189، 233، 326، 332
الدَّين العام: 101، 123، 221
الديوان السلطاني: 34، 134
-ذ-
ذوو الاحتياجات الخاصة: 68
-ر-
الرأي العام: 55، 290، 338
الرأي العام الإسلامي: 305
الرأي العام العربي: 330
الرتب العسكرية: 95، 113، 221، 239، 286
الرتب الفخرية: 162، 304
رجال الدين: 67، 70
رجب باشا: 161
رحمي، حسن (باشا، الأميرال): 257
الردة العسكرية: 278، 286
الرديف الثاني: 42
الرديف المقدم: 42
رديف باشا (وزير الحربية): 45، 47، 176، 189، 202
رستم باشا (العميد): 328
الرسم: 92، 94-95، 107، 174
رشدي، عمر (باشا، المشير): 257
رشيد، محمد: 229
رضا، أحمد: 182، 213، 229-233، 277، 326
رضا باشا (الوالي): 134، 222
رضا باشا (وزير الحربية): 207، 224، 238، 258، 277
رضا بيك: 205، 240
رضا، حسن (بيك): 294، 297

Scanned with CamScanner

رضا، علي (بيك): 329
رضا، محمد (باشا، المشير): 257
رفعت، محمد (باشا): 241
الروس: 131، 134-135، 178-179، 184، 203، 206
روسيا: 21، 27، 43، 45، 136، 150، 202، 224، 250، 325، 339
رومانيا: 203
الرومانيون: 49، 203، 206
الروملي (تركيا): 35، 54، 102-103، 220
الرياضيات: 72-73، 92-93، 174

-ز-

زانيغول خانم: 209
زعماء العشائر: 48، 109-110، 131، 133-134، 138-139، 143، 145-147، 155-157، 161، 303-304، 345، 349
زعيم، آدم: 238
زكا (الملا، الزعيم الألباني): 238
زكي باشا، محمد (المشير): 135-139، 148، 150-151، 157، 224-225، 257-258
زكية (السلطانة): 209

-س-

الساحل السوري: 59
سالونيك (مقدونيا): 101، 103، 208، 216، 223، 229، 231، 250-251، 266، 270، 276، 278، 292، 307، 347
سامي، بحريلي علي: 94-95
سامي، عبد الرحمن (باشا): 190
سان بطرسبرغ (روسيا): 140
ساندرز، ليمان فون (الجنرال): 322-325
السباهية: 21، 23، 25، 123-124، 126
ستاركه (الكولونيل): 101
سراييفو: 124، 126
سري، سليم (بيك): 261
السعدون، عبد المحسن بن فهد: 111
السعودية: 191
سعيد، إنغيليز (باشا): 191
سعيد باشا (الصدر الأعظم): 197، 257، 294، 298-299
سعيد بيك: 225، 296، 298
سعيد، كجك (باشا): 191
السكان الأكراد: 66، 117
السكان المسيحيون: 54، 226
سكوبيليف، ميخائيل (الجنرال): 203
سكوبيه (كوسوفو): 238-240، 296-297
سلاح المدفعية: 19-20، 22، 25-26، 28، 48، 73، 95، 99، 121، 241، 261، 266، 269، 89، 292، 310، 333، 341، 347
سلاح المشاة: 26، 139، 289
السلطات الألمانية: 270
السلطات الدينية: 59
السلطات العسكرية: 61، 127، 149، 154، 236، 271، 292، 299، 318، 340
السلطات الكنسية المحلية: 58
السلطات المحلية: 16
السلطات المدنية: 57
السلطات المركزية: 16، 21، 54، 66، 118، 130-131، 157، 236
السلطة السياسية: 171، 211، 213، 253
السلك العسكري: 76، 183، 187

Scanned with CamScanner

سليم الثالث (السلطان): 20-21، 23، 25-26، 71، 253
سليمان باشا: 126، 171، 191-198، 348
سليمان القانوني (السلطان): 130
السنوسي، أحمد الشريف: 303-304، 306
السنوسية: 302-303، 305
السنوسيون: 302، 304-305
سوران (العراق): 130
سوريا: 36، 61، 66، 106، 112-114، 116-117، 131، 147-148، 157، 162، 191، 201، 307، 320
السوريون: 58، 112-113، 274-275
سيف الله (الفريق): 222
سيليفري (اسطنبول): 234
سيناون (ليبيا): 165
سيواس (تركيا): 103، 154، 219، 225، 268
سيويرك (تركيا): 152، 156

-ش-

شاكر، أحمد (باشا): 134، 146
شاكر، بهاء الدين: 231
شبه جزيرة القرم: 22، 201
الشرف العسكري: 204، 310
شرف، عبد الرحمن (بيك): 77
الشرق الأوسط: 348
الشركات الإنكليزية أرمسترونغ - فيكرز: 337
شرناي، جان بول: 14
الشريعة الإسلامية: 60، 277، 280-282
شريف بيك: 225
الشعائر الدينية: 198
شكري بيك: 275
شمال أفريقيا: 163
شمال سوريا: 157
شمسي باشا: 250
شهاب بيك: 275
شهرزور (العراق): 130
شوفان، بيير: 13
شوقي بيك: 182
شوكت، محمود (باشا، الفريق): 269، 277-278، 282، 292، 297-299، 308-309، 314-315، 321، 326، 339، 342، 350
شوليه (الكونت): 148
شومن (بلغاريا): 177
شيبكا (بلغاريا): 191
الشيعة: 117، 198

-ص-

صالح باشا: 225، 268، 321
صباح الدين (الأمير): 231، 321
الصحافة العثمانية: 55، 224
الصحافة المحلية المصرية: 182
الصحف العسكرية: 207
صحيفة **الأهرام**: 331
صحيفة **سربستي**: 276
صحيفة **طنين**: 331، 338
صحيفة **فولكان**: 276
صحيفة **ميزان**: 224
الصراطية السنية: 139
الصراعات السياسية: 301
الصراعات المسلحة: 301
الصرب: 50، 58-59، 307
صربيا: 54، 56، 118، 123، 190، 202-203، 319

Scanned with CamScanner

الصفويون: 130
صناع القرار السياسي: 317
الصناعة العسكرية العثمانية: 338
صناعي، عثمان (بيك): 261
صنعاء (اليمن): 103، 117
-ض-
الضباط الاتحاديون: 308، 322، 329
الضباط الأتراك: 147، 304، 306، 322، 324
الضباط الألمان: 100-101، 207، 216، 265، 300، 322-323، 331
الضباط البريطانيون: 328
الضباط الحميديون: 143، 157
الضباط الخريجون: 227-228، 275، 277، 279
الضباط الشريفيون: 114
ضباط الصف: 85، 99، 143، 147، 160، 180، 214، 217، 221، 226-228، 254، 259، 275-276، 280، 286-288، 292، 311، 320، 333، 340
الضباط العثمانيون: 59، 92، 99-100، 112، 140، 169، 217، 268، 271، 284
الضباط العرب: 330-331
الضباط الفرنسيون: 207
ضباط المدفعية الألمانية: 99
الضرائب: 31، 55، 125، 130، 138، 144، 185، 215، 236
ضرائب الأرض: 123، 235
ضريبة الإعفاء (بدل عسكري): 34، 37، 54-58، 61-62، 66، 70، 264
ضريبة الأغنام: 138، 144، 161
الضريبة البحرية: 291
ضريبة الخراج: 37
ضريبة العشر: 144، 161
الضريبة العقارية: 165
الضريبة غير العادية: 123
الضغوط الأوروبية: 249
الضغوط السياسية: 297
ضياء بيك: 191
-ط-
طاش قشلة (اسطنبول): 192، 275، 277
الطاشناق (الاتحاد الثوري الأرمني): 231
طاهر باشا (المشير): 205، 222
طاهر، بويوك (أفندي): 80
الطائف (السعودية): 199
طبرق (ليبيا): 303
الطبقات الميسورة: 69، 233
طبقة النبلاء: 119
طرابزون (تركيا): 103، 178-179، 202، 269
طرابلس الغرب: 16-17، 61، 67، 103-104، 106، 108، 115، 117، 137، 146-147، 162-166، 247، 257، 266، 275، 292، 294، 302، 306، 327، 330، 350
الطرابلسيون: 164-166
طرسوس (تركيا): 279
الطريقة النقشبندية: 276
طشقند: 202
طلعت بيك: 231، 313، 318، 321، 342
الطوائف الإسلامية: 348
الطوائف الدينية: 72

Scanned with CamScanner

الطوائف غير الإسلامية: 37، 55-56، 348
الطوائف اللغوية: 72
طوبخانه (اسطنبول): 179
طوط، فرانسوا دو (البارون): 22، 73
طيار، جعفر (بيك): 295

-ع-

عادل أفندي: 296
عارف باشا (اللواء): 257
عبد الحميد الأول (السلطان): 22
عبد الحميد الثاني (السلطان): 75، 95، 101-102، 113، 137، 156، 181، 190-192، 199-200، 209-210، 217، 223، 229، 254، 271، 278، 280
عبد الرحمن باشا (الجنرال): 240
عبد السلام أفندي: 108
عبد العزيز (السلطان): 39، 175، 181، 189-192، 199، 202، 216، 223، 229، 254، 257
عبد الكريم باشا: 190
عبد الله باشا (المشير): 269، 308
عبد المجيد (السلطان): 35، 39، 120
عبيد السلطان: 26
عثمان بيك: 305
عثمان الثاني (السلطان): 253
العدالة: 231، 276، 298
عدم الانضباط: 232-233، 236، 239
العراق: 66، 111-112، 114، 116-117، 161-162، 191، 197
العراقيون: 113-114
العرب: 107، 164-165
عرب الداخل: 162
عزت، أحمد (عزت العربي): 113، 268، 271، 283، 321-322، 327
عزت، حسن (بيك): 296
عزيز بيك: 306، 329-331
العزيزية (تركيا): 179
عسكرة المجتمع: 17، 325-326
العسكري، سليمان: 330
عسير (السعودية): 176، 321
العشائر الألبانية: 162، 239
العشائر البدوية: 141
العشائر العربية: 106، 109، 143، 161
العشائر الكردية: 48، 128، 131، 133، 136، 139، 349
عشائر دروز سورية: 147
عشيرة بدرخان: 133
عشيرة جبران: 148
عشيرة الحديديين: 111
عشيرة حيدران: 151، 157
عشيرة حيدرمانلي: 155
عشيرة خورمك: 148
عشيرة زيلان: 109
عشيرة شمر: 147، 156، 162
عشيرة طي: 156، 162
عشيرة العنزة: 147، 156، 162
عشيرة كاراكجي: 152
عشيرة ملي: 152، 156-157
عشيرة المنتفق: 147
العصابات البلغارية: 239
العصبية الدينية: 203
العصبية العسكرية: 284
عطا بيك: 150، 226
العطاءات الحكومية: 327
العقيدة الألمانية: 92، 98
العقيدة السنية: 198

Scanned with CamScanner

العلاقات التجارية الإيطالية: 164
علاقات القوة: 16، 187
علم الأرض: 77
علم الفلك: 74، 77، 186
العلمانية: 350
العلوم الإسلامية: 275
العلوم التقنية: 72
العلوم الحديثة: 76، 78، 102، 347
العلوم الدينية: 69، 106-107، 275-276
العلوم السياسية: 191
العلوم الطبيعية: 74، 86
العلوم الغربية: 349
علوم الهندسة: 68، 73، 80، 82، 86، 93-94، 107، 345
علي بيك: 109، 154
علي، جودت: 113
علي رضا، أشقودرلي (باشا): 94
علي، محمد (الجنرال): 59
العمل التجسسي: 224-225
العمل العسكري: 33، 176
العمليات الحربية: 202
العنف: 25، 240، 256
عوني، حسين (باشا): 39-40، 176، 189، 192، 202

-غ-

غارسوديد أفندى: 226
غالب باشا: 80-81
غاليبولي (تركيا): 316
غدامس (ليبيا): 165
غراداتشيفيش، حسين: 119
الغرب: 74، 76، 102، 174
غروب، بيتر: 14
الغروميون: 134
غيديكلر (تركيا): 178
غير المسلمين: 33، 37-38، 40، 54-62، 70، 84، 158، 187، 208، 263-264، 267، 270، 311، 332

-ف-

فاضل، محمد (باشا، الفريق): 269
فان (تركيا): 103، 132، 135-136، 138، 140، 157، 161، 219، 279
فانسين (فرنسا): 13
فتحي باشا: 293، 295، 302، 316
فرايبورغ (ألمانيا): 14
الفرس: 68
فرقة الإشكنجيان (فرسان الخيالة): 25
فرقة الفرسان: 19، 26، 38، 47، 49، 83، 86، 103، 111، 122، 124-125، 127، 136، 146-147، 154، 261، 266، 333
فرقة المشاة: 19، 47، 49، 64، 83، 86، 103، 111، 153، 201، 205، 235، 238-239، 261، 266، 273-275، 295
الفرمان السلطاني (1856): 54
- (1875): 55
- (1909): 59
فرنسا: 13، 22، 37، 63، 77، 80-81، 98، 101، 213، 285
الفروق الاجتماعية: 124
الفروق الإقطاعية: 124
فريمو، جاك: 14
فضلي باشا: 127
الفقراء: 70، 184
فن الخط العثماني: 106-107

Scanned with CamScanner

فن الفروسية: 141
فهمي، حسن: 276
فؤاد باشا: 207، 225، 261، 269، 320
فوزي، عثمان (باشا): 250، 268–269
فوشيرين (كوسوفو): 239
فون در غولتز، فيلهلم: 51، 68، 76، 80–81، 91–93، 98، 100، 269، 283، 309، 326
فون ديتفورت (باشا): 261، 271
فون رودغيش (الكولونيل): 101، 164، 261
فون شيلغن: 214
فون كاهلر باشا (الكولونيل): 181، 214
فون مسمر (الكابتن): 101
فون هوف: 326
فيدين (بلغاريا): 202–203
فيريسوفيتز (كوسوفو): 238
الفيزياء: 72، 74، 79
فيصل باشا: 236
فيلهلم الثاني (الإمبراطور): 95
فيينا: 96، 130، 175

-ق-

القادة الأكراد: 109، 133، 135، 137، 149، 151، 157، 161
القادة الدينيون: 68
قارص: 47، 131، 178–179
القاعدة الضريبية: 55
قانون التجنيد (1886): 51–53، 66–67، 69، 267
- (1914): 62–63، 320، 339
قانون التجنيد الشامل: 70
قانون الحكم الذاتي للولايات (1864): 117، 219
قانون العقوبات العسكري: 145
القانون الوضعي التركي: 350
القاهرة: 330
القدرات العسكرية المحلية: 346
القدس: 95، 106
القرقلباغيون: 143
القرن الذهبي (اسطنبول): 262، 337
القروض الخارجية: 39
قسطموني (تركيا): 103، 173
قصر الدولمه باهجه: 192
قصر عصمه سلطان: 107
قصر يلدز: 137، 209، 214، 235، 239، 241، 275
قلعة جناكالي: 343
قلعة كوكبان: 176
القوات الاتحادية: 278
القوات الإقليمية: 20
القوات الألمانية: 309، 320
القوات البرية: 50–51، 63، 78، 81، 94، 98، 101، 262، 281–282
القوات البرية الفرنسية: 13
القوات التركية – العربية المتحدة: 302–303
قوات الحجاز: 61–62
القوات الدستورية: 271، 279
القوات الروسية: 47، 49–50
القوات الرومانية: 50
قوات الصدم: 20
القوات الصربية: 203
القوات العثمانية ينظر الجيش العثماني
القوات العربية: 303، 306
القوات العسكرية: 37، 42، 115
القوات الفرنسية: 309، 320
القوات الفنية: 266
القوات المحلية الإضافية: 118

Scanned with CamScanner

القوات المساندة: 48-49، 115، 125
القوات المسلحة: 52، 54، 89، 327
القوات المسلحة التركية: 45، 350
القوات المصرية: 28
القوات النظامية ينظر الجيش العثماني - النظامي
القوات غير النظامية: 20، 49، 118، 125، 128، 134، 145
قوات فزان (طرابلس الغرب): 61-62
قوات نجد: 61-62
القوانين الألمانية: 261
القوانين العسكرية: 84، 145، 272-273، 331
القوزاق: 38، 134-135
القومية التركية: 313
القومية العثمانية: 338
القوميون السوريون: 114
القوميون العراقيون: 114
قونية (تركيا): 279، 316، 329
قوى الانقلابية: 278
قوى الأوروبية: 39، 101
قوى العظمى: 262
قوى المحلية: 16
قوى المدنية: 198
قيصرية (تركيا): 279

-ك-

كاباتاش (اسطنبول): 107
كاستوريا (اليونان): 250
كاغنيتز (موستار - البوسنة): 126
كالافات (رومانيا): 203
كاليه، جان فرانسوا: 77
كامبهوفنر (النقيب): 100، 223
كامل باشا: 275، 314، 321
كامل، محمود (بيك): 331
كتيبة البلاط السلطاني: 26
كردستان: 133
كركوك (العراق): 130
كرم، يوسف: 201
كرومر (اللورد): 182
كريسيوس (الرائد): 300
كريم باشا: 135، 295
كلاوزفيتز، كارل فون: 92
كلخانه (اسطنبول): 239
كلية الإدارة: 106، 110
كلية الأركان الحربية: 85
كلية الأركان العامة: 75، 78-79، 82-83، 86، 89، 92-93، 173-175، 201، 267، 270، 289، 336
الكلية البحرية: 75، 84، 95، 229، 347
الكلية الحربية: 14، 74-75، 77-83، 85-86، 89، 92، 96، 103، 106، 110، 112، 145، 173-174، 188-189، 326، 337، 349
كلية الحقوق: 112
الكلية السلطانية للهندسة: 94-95
كلية الطب: 78، 112
كلية الطب البيطري: 83، 96
كلية الطب العسكرية: 75، 347
كلية العلوم السياسية: 326
كلية العلوم العسكرية: 79
كلية المدفعية: 73، 80، 86
كلية الهندسة: 68، 73، 80، 86، 98
كلية الهندسة البحرية: 73، 75
كلية الهندسة البرية: 75
كلية الهندسة الحربية: 75

Scanned with CamScanner

كلية الهندسة العسكرية: 73-74، 77، 93-94
كلية الهندسة المدنية: 93، 347
كليك (البوسنة والهرسك): 177
كمال، مصطفى (أتاتورك): 302، 342-343، 350
كمال، نامق: 79، 188، 194-196، 210
كمران (اليمن): 263
كنان باشا: 95
الكوادر العسكرية: 42، 76، 180، 320، 340
كوبرولو (تركيا): 273، 296
كوزان (تركيا): 279
كوزانداغ (درسيم): 175
كوسوفو: 250، 269، 296، 307
الكولوغلو: 162، 165، 295
كولوغلو، أورهان: 14
كولوغلو، سعد الله: 108، 111
كوليلي (اسطنبول): 78، 81
كومانوفو (مقدونيا): 296
كوميريل (الأميرال): 196
كيبرت، هاينرش: 77
كيركيليس (تركيا): 292، 310
كيليت بحر (تركيا): 240
كيهلر (الكولونيل): 99
كيل (ألمانيا): 262

-ل-

اللاجئون (المهاجرون): 67
لازستان: 39، 61
لبنان: 38، 162، 201
اللجان الثورية: 99، 270
لجنة إعادة التنظيم العسكرية: 180
لجنة إعادة تنظيم البحرية: 263
اللجنة العسكرية العليا للتفتيش: 258
لطفي بيك: 38، 150
لطفي، عمر (باشا): 38، 54-55، 120، 123، 174، 189، 201
اللغات الأجنبية: 38، 72، 76-77، 79، 102
اللغة الألمانية: 72، 92، 271، 325
اللغة الإنكليزية: 72-73، 78
اللغة الإيطالية: 73
اللغة التركية: 75-77، 80، 82، 92، 100، 104، 106-108، 159، 194، 255-256، 326، 348
اللغة العربية: 73، 77، 79، 82، 107، 173، 189، 209، 303
اللغة الفارسية: 73، 77، 79، 82، 107، 209
اللغة الفرنسية: 72-74، 77-78، 80-82، 92، 96، 98، 107، 196، 198، 209، 271، 325
لندن: 96، 307، 310، 319
لوجاندر، أدريان: 77
لولي (لولا) بورغاز: 310
ليبيا: 111، 230، 302-303، 329
الليبيون: 164
ليشانين (الجنرال): 203
ليمبوس باشا (الأميرال): 328

-م-

ماجكا (اسطنبول): 79، 188
ماردين (تركيا): 136، 156
ماريتزا (بلغاريا): 319
المتحف العسكري (تركيا): 14
المتطوعون غير النظاميين: 118
المتقاعدون القدامى: 220
المتمردون: 153، 177، 210، 237،

Scanned with CamScanner

240–242، 250–251، 269،
273–275، 277–278، 282،
294–297، 299
المثقفون: 27، 133، 150، 190، 348
مجانية التعليم: 58
المجتمع التركي: 347
المجتمع الدولي: 37
المجتمع العثماني: 28، 75، 94، 150،
169، 229، 349
المجتمع العثماني الجديد: 190
المجتمع العسكري: 233، 242
المجتمع الكردي: 133
المجتمع المدني: 186، 233
المجتمع المسلم التقليدي: 33، 279
المجر: 21
مجلة العسكري الشهرية: 261
مجلس الأعيان: 58، 183
المجلس الحربي الأعلى: 177، 191،
196، 269، 273، 325
مجلس شورى الدولة: 62–63، 74
مجلس الشؤون العسكرية: 258، 323
المجلس العسكري: 35، 50، 183،
234، 269
المجلس العمومي: 61، 110–111،
121، 191، 267–268، 277،
288–290، 295
المجندون اليهود: 60
المحافظون: 22
المحاكم الشرعية الدينية: 71
المحاكم المدنية: 156
المحاكم النظامية: 71
محسن باشا: 273
المحسوبية: 23، 27، 214، 221–222
المحفوظات التاريخية: 189
محفوظات البحرية (اسطنبول): 14
المحفوظات العسكرية (ATASE) (أنقرة):
14
المحكمة العسكرية: 156، 191–192،
278، 306، 318، 330
محكمة أيوب: 189
محمد باشا: 223
محمد الثاني الفاتح (السلطان): 209،
252–253
محمد رشاد الخامس (السلطان): 183،
278، 280
محمد الصادق (الشيخ): 157
محمد علي باشا: 26، 115، 130، 275،
322
محمود باشا: 136، 268، 321
محمود الأول (السلطان): 73
محمود الثاني (السلطان): 20، 24–26،
34، 47، 78، 253، 347
مختار، أحمد (باشا): 48–49، 77،
171–173، 175–178، 180–
183، 187، 191، 210–211،
222، 230، 294، 299، 329
مختار، محمود (باشا): 183، 280،
309، 329
المدارس الابتدائية: 59، 77، 82، 106
المدارس الإعدادية: 69، 74–75، 77–
78، 80–81، 83، 102–103،
173–174، 198–199
المدارس الأوروبية: 78، 81
المدارس البحرية العثمانية: 78
المدارس التقليدية: 26، 72، 210
المدارس الثانوية: 75، 77، 82
المدارس الحكومية: 104–105، 198،
213
المدارس الدينية: 72، 275، 277، 280

Scanned with CamScanner

المدارس العامة: 67
المدارس العسكرية: 15، 31، 38، 54، 67، 70-71، 73-78، 80-83، 85، 89، 92، 94، 96، 102-104، 107-108، 112-114، 137، 139، 143، 164، 183، 188-190، 192، 194، 200، 205، 210، 213، 226، 228-230، 232، 259، 273، 286، 325، 336، 345-348
المدارس العسكرية العشائرية: 145
المدارس الكاثوليكية: 113
المدارس المدنية: 71-72، 80، 83، 104، 345
مدارس المساعدين القضائيين: 68
مدحت باشا (رئيس الوزراء): 45-46، 181، 190-191، 199، 210
مدرسة الأركان العامة النمساوية: 38
مدرسة الأمراء السلطانية: 209
مدرسة الأيتام: 190
المدرسة الداخلية: 105، 174
مدرسة الرياضيات: 73
مدرسة سان سير: 98
المدرسة العسكرية التحضيرية (الرشدية): 26، 164، 201
المدرسة العسكرية الطبية: 28، 75، 229
المدرسة العسكرية للفرسان: 143
مدرسة العشائر: 104-105، 107، 109-111، 139، 348-349
مدرسة النبلاء: 83
المدفعية الروسية: 205
المذكرات العسكرية الفرنسية: 195
مراد الأول (السلطان): 19
مراد الخامس (السلطان): 190، 192، 229، 254
مرتفعات ديفيبون: 179
مرتفعات فيليكي إيزفور (صربيا): 203
مرسين (تركيا): 61، 279
مرعش (تركيا): 279
مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (IRCICA) (اسطنبول): 14
مركز الدراسات الإسلامية في اسطنبول (ISAM): 14
المركز الفرنسي لدراسات الأناضول (IFEA): 13-14
مركز دراسات الشرق الحديث (برلين): 14
المركزية العثمانية: 105
المساواة: 156
مسجد بيازيد: 153، 188
مسجد السليمانية: 188
المسلمون: 22، 33، 37، 39، 42، 51-52، 55-56، 62، 83-84، 122، 126، 155، 163، 187، 207-208، 226، 264، 276، 280، 332
المسلمون الألبان: 294
المسلمون الكريتيون: 305
المسيحيون: 54، 60-61، 84، 133، 163، 226، 279-280، 294
المشاة الألبان: 274-275
المشاة السوريون: 274
مصر: 115، 130، 180، 182-184، 210، 213، 322، 330
المصريون: 305
مصطفى باشا (المشير): 235، 291
مصطفى الثالث (السلطان): 73
المصورون العسكريون: 94
مضيق البوسفور: 209، 263

Scanned with CamScanner

مضيق الدردنيل (تركيا): 102، 240، 262-263، 298، 318، 343
مظهر باشا (الفريق): 240
المعارضة المدنية: 169، 231
المعارف العلمية الحديثة: 15، 28، 79، 94، 107،
معاهدة أدرنة: 131
معاهدة أوشي (1912): 166
معاهدة باريس (1856): 39، 98
معاهدة برلين (1878): 133، 217
معاهدة بوخارست (1913): 319
المعاهدة التركية - البلغارية (1913): 319
معاهدة سيفر (1920): 350
معاهدة كجك قينارجه (1774): 21-22
معاهدة لندن (1913): 321
معاهدة لوزان (1923): 350
معتنقو الإسلام: 68
المعرض الدولي في باريس وإنكلترا (1867): 175
معركة ألاجاغ (1877): 178
معركة بليفني (بليفنا) (1877): 100، 203، 205-206
معركة تششمه (1770): 22، 73
معركة جالديران (1514): 128
معركة دوموكوس: 223
معركة سريقميش (1914-1915): 343
معركة فارسالوس: 223
معسكر زايتشار المحصن: 203
معهد الشرق (تركيا): 14
المعوقون: 34، 55، 70
المفتشية العسكرية: 320
المقاومة: 31، 36، 155، 205، 274، 278، 305، 314
المقاومة الانكشارية: 73
المقاومة العربية: 176، 306
مقدونيا: 60، 101، 239، 249-250، 271، 275، 278، 293-294، 297، 307، 329
المكانة الاجتماعية: 119
مكة (السعودية): 266
مكتبة أتاتورك البلدية: 14
المكتبة الوطنية التركية: 14
المكتبة الوطنية الفرنسية: 13
ملازغرد (تركيا): 136، 157
الملحق العسكري الألماني: 99
الملحق العسكري الفرنسي: 134، 148، 205، 217، 252، 284، 310، 339
الملكية الدستورية الثانية: 86، 89، 102، 156، 254، 270
ممتاز بيك: 261
مناستر (مقدونيا): 101، 103-104، 116، 180، 202، 216، 229، 250-251، 269، 293، 295، 297، 299، 347
المناطق النائية: 128، 133، 267
المنظمات السرية: 213
المنظمات شبه العسكرية: 326
المنظمات الكشفية الألمانية: 326
المنظمة السورية السرية المعارضة (العهد): 113
الموارد العسكرية: 40
الموارد العلمية الغربية: 71، 74
الموارد المالية العامة: 215، 283، 323
المواقع العسكرية/ الحاميات: 15، 40، 42، 60، 62، 64، 169، 217، 219، 221، 234، 235، 237-239، 240-242، 250، 261-

Scanned with CamScanner

262، 267، 270-275، 278،
279، 293، 295-296، 298،
300، 320، 341
مؤتمر اسطنبول (1876): 45
مؤتمر برلين (1878): 44، 179، 313،
348
مؤتمر لندن (1912): 307، 319
المؤرخون الأتراك: 255
موستار (البوسنة): 125-127
المؤسسات الأوروبية: 181
المؤسسات الوقفية: 72
المؤسسة العثمانية الحاكمة: 139
المؤسسة العسكرية: 156، 252، 349
الموسيقى العسكرية السلطانية: 59، 68
موش (تركيا): 132، 147، 329
الموصل (العراق): 49، 106، 113،
130، 198، 225
موظفو الدولة: 19
موكور (القائد): 284
مولتكه، هلموت فون: 54
موناسترسكي، لودفيك (لطفي بيك): 38
ميتروفيتسا (كوسوفو): 238-239، 250
الميثاق الدستوري: 281-282
ميديلي (اليونان): 195، 197
ميزانجي، مراد: 150، 213
الميزانية العسكرية: 289
ميشال (الدوق الأكبر): 48، 50
الميليشيات: 20، 49، 51، 126، 130،
147، 156، 164، 267، 326
ميليكوف، لوريس (الجنرال): 178

-ن-

النادي العسكري: 261، 272، 298
ناصر باشا: 153
ناظم باشا: 220، 231، 242، 250-
251، 268، 294، 299-300،
307-308، 314، 316-317،
342، 350
نالوت (ليبيا): 165
نانت (فرنسا): 13
نجد (السعودية): 61-62، 321
النخب المدنية: 210، 213، 229-
230، 254
النخبة الحاكمة: 15، 27
النخبة العربية الوطنية الأصيلة: 114
النخبة العسكرية: 112، 211، 213،
229-230، 233، 254
النزعات القومية الإسلامية: 158
النزعة العسكرية: 349
النزعة القومية: 105
نزهت، أحمد (أفندي): 189
نسيب، سليمان: 198-199
نشأت باشا: 209
نصرت باشا: 207
النظام الإقطاعي القديم: 115
النظام الألماني: 93
نظام التجنيد: 24
نظام التجنيد الإجباري: 36
نظام التجنيد البروسي: 35، 93
النظام الجمهوري العلماني: 350
النظام الحميدي: 16-17، 150، 157،
169، 180، 198، 210، 230،
275، 297، 336
النظام العسكري: 20، 36، 70
النظام العسكري الفرنسي: 81، 91
النظام العسكري القديم: 22
النظام المركزي: 166
النظريات العسكرية: 233
نعيم بيك: 146
نعيمة (السلطانة): 209

Scanned with CamScanner

النفقات العسكرية: 215، 268، 289
النفوذ الألماني: 82، 93، 325
النفوذ الفرنسي: 207
النفي الدبلوماسي: 210
نقل التكنولوجيا: 24
النمسا: 21، 327
نهر الدانوب: 203
النهري، عبد الله: 133
النهوض الاجتماعي: 71
نور الدين (الأمير): 175
نورادونغيان أفندي: 299
نوري بيك: 223، 261، 298، 325
نوري، عثمان (باشا): 100، 105، 171، 197، 200-209، 211، 222-223
نوفي بازار (صربيا): 189
نيازي بيك: 250-251، 269، 271، 297
نيكوبوليس (رومانيا): 203
نيكولاس نيكولايفيتش (الدوق الأكبر): 204

-هـ-

هاكاري (تركيا): 130
الهرسك: 35، 47، 54، 119-122، 174-175، 177، 189، 191، 217، 327
الهزيمة الفرنسية أمام ألمانيا (1870): 81، 91
الهندسة: 73، 80، 82، 86، 93-94، 107
هندسة البناء: 95
هوشاب (تركيا): 130
هوفه، كالاو فوم: 101-102
هولو باشا: 113
الهوية الإسلامية: 72، 347
الهوية العثمانية: 72، 345
هيئة الأركان العامة: 27، 89، 177، 179-181، 187، 191، 201-202، 205، 214-215، 223، 267-268، 270، 283، 286، 292، 295، 301، 305، 308-309، 323، 325، 327، 331، 339
هيئة الإصلاح: 175
هيئة التفتيش العامة: 208
هيئة الطب البيطري: 286

-و-

الواجبات الدينية: 60
وادي فيد: 205
وباء التيفوئيد: 64-65، 204
وباء الجدري: 64-65
الوحدة الإسلامية: 343
الوحدة الوطنية: 58، 332
وزيركوي (تركيا): 179
وسائل الاتصال: 48، 341
وستارب (الكونت): 149
وسط آسيا الصغرى: 52
وظيفة السرعسكر: 26
الوظيفة العسكرية: 332
ولي بيك: 261
وهبي بيك: 146

-ي-

يانينه (اليونان): 47، 137، 179، 297، 319
يريفان: 179
اليزيديون: 139
اليمن: 61-62، 67، 104، 106، 115، 117، 154، 162، 175-176، 184، 187، 189، 202، 220، 236، 243، 266-268، 302، 307، 321، 329، 340

Scanned with CamScanner

يني بازار (تركيا): 202
ينيشهر (تركيا): 47، 201
يهيلر (تركيا): 178
اليهود: 58-59، 84
يوسف باشا: 279
يوسف عز الدين (الأمير): 175
اليونان: 39، 118، 180، 203، 307، 319
اليونانيون: 54، 57-59، 84، 311، 319
ييراسيموس، ستيفان: 13

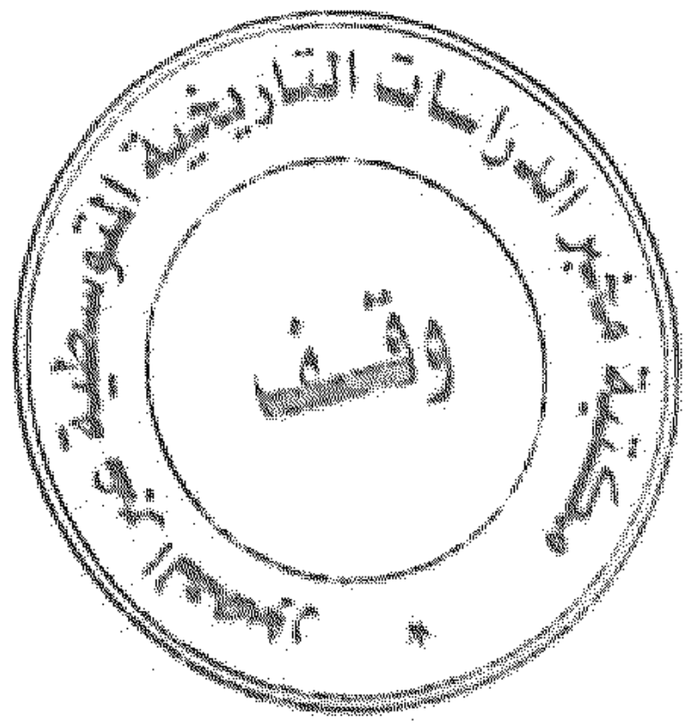

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

هذا الكتاب

يتسم الحقل السياسي العثماني بالقطاعات عدة (ثورات عام 1908 وعشرينيات القرن الماضي)، في حين تقودنا دراسة الإصلاحات إلى استخلاص وجود استمرارية تاريخية واضحة طوال القرن التاسع عشر، وصولًا حتى بداية القرن العشرين. وتبيّن دراسة الجيش العثماني والإصلاحات العسكرية التي تمت في إطار "التنظيمات" في القرن التاسع عشر وحتى ثورة مصطفى كمال، المراحل المختلفة لسيرورة تغييرية. من هنا، تسمح هذه المقاربة بإعادة النظر في التحقيبات الموروثة وتقدم آفاقًا جديدة كاشفة. يفيد هذا الكتاب المؤرخين - ولا سيما المؤرخين العسكريين - والمتخصصين في علم الاجتماع والعلوم السياسية في دراستهم لتركيا والدولة العثمانية ومنطقة حوض المتوسط عمومًا.

المؤلفة

أوديل مورو، حائزة على دبلوم من المعهد الوطني [الفرنسي] للغات والحضارات الشرقية، هي أستاذة باحثة فرنسية في جامعة بول-فاليري-مونبلييه الثالثة وعضو في مركز بحوث معهد العوالم الأفريقية التابع لجامعة باريس الأولى بانتيون-سوربون. ألفت كتبًا عدة في التاريخ العربي والإسلامي وأكثر من 24 مقالة باللغات الفرنسية والإنكليزية والعربية والتركية. من آخر أعمالها: *La Turquie dans la Grande Guerre: De l'Empire ottoman à la république de Turquie, 1914-1923*; *Subversives and Mavericks in the Muslim Mediterranean: A Subaltern History*; *Réforme de l'État et réformismes au Maghreb*.

المترجمة

كارمن جابر، صحافية وكاتبة اجتماعية لبنانية، حائزة على ماجستير في العلوم الاجتماعية من الجامعة اللبنانية، وماجستير في العلاقات الدولية من الجامعة اللبنانية - الأميركية (LAU)، متخصصة في الكتابة السياسية والاجتماعية، المحلية والعربية والدولية.

- فلسفة وفكر
- اقتصاد وتنمية
- لسانيات
- آداب وفنون
- تاريخ
- علم اجتماع وأنثروبولوجيا
- أديان ودراسات إسلامية
- علوم سياسية وعلاقات دولية

المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

السعر: 16 دولارًا
ISBN 978-614-445-234-9
9 786144 452349